*ISSN* 1818-9849

الجمعية العلمية لكليات الآداب

اتحاد الجامعات العربية

# مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء
في اتحاد الجامعات العربية

المجلد الخامس عشر العدد الثاني تشرين الأول 2018م / صفر 1439هـ

© جميع الحقوق محفوظة للجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018

لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على
موافقة خطية مسبقة من رئيس التحرير

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
هيئة التحرير أو سياسة الجمعية العلمية لكليات الآداب

تنضيد وإخراج: مجدي الشناق

# هيئة التحرير

**رئيس التحرير:**

**الأستاذ الدكتور زياد صالح الزعبي**
الأمين العام لجمعية كليات الآداب في الوطن العربي
عميد كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

**الأعضاء**

أ.د. سوزان بينكني ستيتكيفيتش، جامعة جورج تاون، أمريكا.
أ.د. تلمان زايدنشتيكر، جامعة فريدريش شيلر، ينا، ألمانيا.
أ.د. سعاد عبد الوهاب، عميدة كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت.
أ.د. محمد القضاة، عميد كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.
أ.د. عليان الجالودي، عميد كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن.
أ.د. أيمن الأحمد، عميد كلية الآداب، جامعة إربد الأهلية، الأردن.
د. غسان عبد الخالق، عميد كلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، الأردن.
د. خلود العموش، عميدة كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الأردن.

**مدير التحرير**: د. خالد بني دومي.

**سكرتيرتا المجلة**: السيدة ريمة قزق، والآنسة نداء بني عيسى.

**اللجنة الاستشارية:**

أ.د. بربارا ميخالاك – بيكولسكا، جامعة ياجيلونسكي، كراكوف، بولندا.
أ.د. محمد خان، جامعة ناشونال ديفنس، باكستان.
أ.د. فيليب لان، جامعة روان، فرنسا.
أ.د. جنلنج وانغ، جامعة نيوساوث ويلز، أستراليا.
أ.د. أولجا جالاتانو، جامعة نانت، فرنسا.
أ.د. ميمونة خليفة الصباح، جامعة الكويت، الكويت.
أ.د. كمال جرفال، عميد كلية الآداب، جامعة سوسة، تونس.
أ.د. حسن كاتب، عميد كلية الآداب، جامعة الأخوة منتوري، الجزائر.
أ.د. موراد موهوب، عميد كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، المغرب.
أ.د. محمد أحمد غنيم، جامعة المنصورة، مصر.
أ.د. عبد الله القرني، عميد كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية.
أ.د. أحمد المحمودي، عميد كلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل، المغرب.
أ.د. سوزان القليني، عميدة كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر.
أ.د. صلاح فليفل الجابري، عميد كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق.
أ.د. شكري المبخوت، جامعة منوبة، تونس.
أ.د. عز الدين عمر موسى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.
أ.د. فؤاد شهاب، جامعة البحرين، البحرين.
أ.د. عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، السعودية/ كرسي عبد العزيز المانع.
أ.د. عدنان السيد، رئيس الجامعة اللبنانية، لبنان.
أ.د. عبد السلام المسدي، تونس.
أ.د. صلاح فضل، جامعة عين شمس، مصر.
أ.د. سعد مصلوح، جامعة الكويت، الكويت.
أ.د. نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، الأردن.
أ.د. حسن سمور، الجامعة الأردنية، الأردن.
أ.د. وافي صلاح الدين حاج ماجد، قسم اللغة العربية، الجامعة العالمية، لبنان.

# مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

## مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

## تصدر عن جمعية كليات الآداب الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

**شروط النشر:**

- تنشر المجلة البحوث باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، ويمكن نشر بحوث بلغات أخرى بعد موافقة هيئة التحرير.
- تنشر المجلة مراجعات المؤلفات العلمية، والتقارير الخاصة بالمؤتمرات الدولية والندوات العلمية المحكمة.
- يرفق بكل بحث ملخص باللغة العربية وآخر بالإنجليزية على ألا يزيد على 150 كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات الدالة .
- يجب أن تتوافر في البحوث العلمية المرسلة للمجلة الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، ويجب أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة خالية من الأخطاء.
- يشترط في البحث ألا يكون قد قدم للنشر أو نشر في أي مكان آخر.
- تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم حسب الأصول العلمية.
- تصبح البحوث بعد قبولها للنشر حقاً محفوظاً للمجلة، ولا يجوز النقل منها إلّا بالإشارة إلى المجلة.
- لا يجوز للباحث إعادة نشر بحثه إلا بموافقة خطية من هيئة التحرير، وتجب الإشارة إلى المجلة حسب الأصول.
- يجب أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب باستخدام برنامج word، وبمسافة مزدوجة بين السطور، ويرسل بوساطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المجلة: **artsarabuni@gmail.com**
- يكون حجم الخط (14) ونوعه (Arial). وهوامشه الجانبية (2.5) سم.
- ألّا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة (A4) ، عشرة آلاف كلمة حدا أقصى.
- يذكر الباحث في الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها.
- تحتفظ الهيئة بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعد قراراتها نهائية.
- لا تُرَد الأبحاث التي لم تقبل للنشر إلى أصحابها.
- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التحكيم في حال سحبه البحث أو رغبته في عدم متابعة إجراءات التقويم.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهرٍ من تاريخ تسلُّمه القرار.

- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جمعية كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية.

**التوثيق:**

* ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين ( ).
* وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:

- في حال كان المصدر أو المرجع كتاباً:

اسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر، الناشر، السنة، الصفحة.
مثال:

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص24.

- في حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو الآتي:

اسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **اسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.
مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

* وتثبت **في** آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه وفق التسلسل الألفبائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً، ثم تليها المراجع الأجنبية.

**الاشتراك السنوي:**

أ) للأفراد: خمسة دنانير داخل الأردن، وعشرة دولارات أمريكية خارج الأردن.

ب) للمؤسسات: عشرة دنانير داخل الأردن، وخمسة عشر دولارًا أمريكيًا خارج الأردن.

**المراسلات:**

ترسل البحوث إلى العنوان الآتي: -

**الأستاذ الدكتور أمين عام الجمعية العلمية لكليات الآداب،**
**رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**
**عميد كلية الآداب**
**كلية الآداب – جامعة اليرموك، إربد، الأردن**
هاتف :7211111 2 00962 فرعي 2900 أو 3555
فاكس :7211137 2 00962
البريد الإلكتروني: artsarabuni@gmail.com / artsarabuni@yu.edu.jo
الموقع الإلكتروني:http://aauja.yu.edu.jo

# محتويات العدد

البحوث العلميّة باللغة العربية


| | | |
|---|---|---|
| * | **أثر مؤشرات الحاكمية الرشيدة على المديونية العامة في الأردن 1996-2012**<br>عبد السلام نجادات و عمر ياسين خضيرات | 421 |
| * | **العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية دراسة مسحية**<br>عزام علي عنانزة | 449 |
| * | **ظاهرة الخمول الاستعماليّ بين الثبات والتحوّل**<br>حنان إسماعيل العمايرة | 485 |
| * | **شهداء قضاء عجلون في حروب البلقان واليونان 1914-1918 (دراسة في سجلات محكمة عجلون الشرعية)**<br>أحمد محمد الجوارنة وعمر صالح العمرى | 505 |
| * | **مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في متصرفية معان أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين/ سجل محكمة معان الشرعية 1316-1326هـ/1898-1908م مصدرًا**<br>حنان سليمان ملكاوى، إيمان الهياجنة، صفيّة السلامين ورهام عمرو | 533 |
| * | **تفاعلية الإنشاد والاستماع في تلقي الشعر العربي القديم**<br>سعيد حسون حسين | 561 |
| * | **تحوّلات الوعي في الرّواية العربيّة بعد النّكسة: تيسير سبول وغسّان كنفاني أنموذجاً**<br>محمّد سليمان السّعوديّ | 593 |
| * | **ما بعد موسم الهجرة إلى الشمال**<br>**قراءة نقديّة في سيرة إشراقة مصطفى حامد الذاتيّة (الدانوب يعرفني)**<br>غسان إسماعيل عبد الخالق | 615 |
| * | **بلاغة دالّ الصوت (الرباعيّ المضاعف): في تجربة السيّاب الشعريّة**<br>فايز عارف القرعان | 633 |
| * | **تقنيات السرد السّيَرِالذّاتيّ وأبعاده: "الطيب صالح نموذجاً": دراسة نظرية تطبيقية**<br>فايز صلاح عثامنة | 669 |
| * | **قتل الأب الشعريّ: قراءة في تجربة الشاعر حبيب الزيودي**<br>إسماعيل سليمان المزايدة | 687 |
| * | **المتبقّي في التراكيب الحديثيّة في ضوء نظرية الأفضلية: كتاب شواهد التوضيح لابن مالك نموذجاً**<br>محمد نيزوان بن موسلينغ | 701 |
| * | **الأنشطة الاتصالية لجهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي ومدى أهميتها وانعكاسها على الجمهور**<br>محمد هاشم السلعوس | 739 |
| * | **دليل الإحراج وأثره في الاستدلال النحوي: دراسة وصفية تحليلية في الخلاف النحوي**<br>يحيى عبابنة | 771 |
| * | **الصراع على مملكة مرسية وأثره على العلاقات بين مملكتي أراغون وقشتالة في عهد الملك خايمي الثاني 694 -704هـ / 1295 – 1305م**<br>محمد المزاودة | 797 |

## البحوث العلميّة باللغة الفارسية


| | | |
|---|---|---|
| * | **بدر شاكر السَّيَّاب پيشاهنگ شعر نو در ادبيات معاصر عربى**<br>بسام ربابعة | 821 |


## ملخصات البحوث العلميّة باللغة الإنجليزية


| | | |
|---|---|---|
| * | **تسييس الترجمة: تأويلات الإيديولوجيا في ترجمة بلفور 1917**<br>إبراهيم درويش وبلال الصياحين | 855 |
| * | **أثر التعليم الإلكتروني في تحصيل الطلبة في اللغة الإنجليزية: دراسة مقارنة**<br>ناديا موسى الذياب، ديما على حجازى، وأمل شحادة الناطور | 870 |
| * | **السمات البلاغية لخطابات الزعماء العرب المعزولين: مقاربة في تحليل الخطاب**<br>محمد الجراح | 892 |

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 421- 448

# أثر مؤشرات الحاكمية الرشيدة على المديونية العامة في الأردن 2012-1996

عبد السلام نجادات و عمر ياسين خضيرات *

تاريخ الاستلام 2016/3/5 تاريخ القبول 2016/5/22

## ملخص

هدفت الدراسة إلى تعرّف العلاقة بين المديونية الأردنية ومؤشرات الحاكمية الرشيدة خلال الفترة من 1996-2012، ودراسة مدى التقدم في مؤشرات الحاكمية الرشيدة في الأردن وكذلك تطور الدَّين العام، واستندت الدراسة إلى فرضية أن المديونية كعامل تابع تقل كلما زاد التقدم والتحسن في مؤشرات الحاكمية الرشيدة كعامل مستقل. ولتحقيق أهداف الدراسة وفرضياتها استخدم الباحثان المنهج الإحصائي التحليلي في اختبار العلاقة بين المؤشرات من خلال استخدام تحليل الانحدار المتعدد ذي التأثير الثابت. وخلصت نتائج الدراسة إلى أن هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين مؤشر المديونية ومؤشرات الحكم الصالح التالية (حق التعبير والمساءلة، الاستقرار السياسي، مدركات الفساد). وهذه النتائج تتطابق مع المقارنات التي تمت في الجداول السابقة؛ أي يوجد علاقة ارتباط قوية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة ومؤشرات المديونية، فيما لا توجد علاقة ذات دلالة مع مؤشرات فاعلية الحكومة، وعبء التنظيم والضبط. إلا أن النتائج أظهرت أن العلاقة الارتباطية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة ومؤشرات المديونية تختلف من مؤشر إلى آخر حسب أهمية المؤشر في التأثير؛ فمؤشرات حق التعبير والمساءلة، والاستقرار السياسي، ومدركات الفساد لها تأثير معنوي ودال إحصائيا على المديونية، بينما مؤشرات المشاركة والمساءلة، والاستقرار السياسي، وفعالية الحكومة ليس لها تأثير واضح على مؤشرات المديونية، وأرجع الباحثان السبب إلى ضعف الهياكل السياسية ذات الطابع الديمقراطي، وعدم ملاءمة هذه المؤشرات لثقافة المجتمع الأردني وبيئته.

## مقدمة

شكلت المديونية ببعديها الداخلي والخارجي مشكلة سلبية على النظام السياسي والاقتصادي – الاجتماعي، وهي تعكس درجة عالية من التبعية السياسية والاقتصادية، وتعد مؤشرا على فشل السياسة التنموية للدولة.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم العلوم السياسية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

والمديونية لها بعدان متداخلان: اقتصادي وسياسي، فهي علاقة سياسية بالدرجة الأولى تربط بين الدائن والمدين، وهما طرفان غير متكافئين من حيث القوة والنفوذ، فالدائن يمارس قوة فرض بعض الشروط على المدين الذي لا يملك إلا أن يسلم ببعض تلك الشروط، ولا يمكنه التخلص من تلك التبعات إلا من خلال تسديد ديونه أو إعادة جدولتها، وفي كل الحالات السابقة يحتاج إلى إعادة تكييف السياسات الاقتصادية والاجتماعية للدولة في سبيل تخفيض حجم المديونية.

ويعدّ الاعتماد المتزايد على التمويل الخارجي من أهم الخصائص المميزة للسياسة الاقتصادية الأردنية منذ الاستقلال وحتى الوقت الحاضر، وقد تمثل ذلك في المبالغ الضخمة من القروض الخارجية التي حصلت عليها المملكة من مختلف المصادر المحلية والدولية[1] وما زالت مشكلة المديونية الخارجية في الأردن من أبرز المشاكل التي تواجه حاضر التنمية الاقتصادية في الأردن ومستقبلها، بل أصبحت تمثل أزمة حقيقية تهدد الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بشكل مباشر، وهو ما يتطلب البحث عن حلول عاجلة لهذه المشكلة.

وترتبط مشكلة الديون وخدمتها في الأجل القصير بمشكلة السيولة ومدى كفاية وسائل الدفع الأجنبية والاحتياطيات بالنقد الأجنبي التي تملكها الدولة وملاءمتها، ولذا فمن الأهمية التوقف عند عبء الدين وأثار الاقتراض على الاستقلال السياسي للدولة المدينة [2]، وهو ما يجعل من مؤشرات الحاكمية الرشيدة، ومكافحة الفساد، وكفاءة الإطار التنظيمي والجهاز الرقابي في مؤسسات الدولة، وقدرتها على تحقيق النزاهة والشفافية، السبيل للخروج من أزمة المديونية.

**أهداف الدراسة:**

تهدف الدراسة إلى:

1. اختبار العلاقة الإحصائية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة ومؤشرات المديونية في الأردن من خلال استخدام تحليل الانحدار المتعدد ذي التأثير الثابت.
2. قراءة مؤشرات الحاكمية الرشيدة في الأردن وتحليلها، وذلك على مستوى كل مؤشر من مؤشرات الحاكمية الرشيدة وتبيان مستوى التقدم أو التراجع.
3. دراسة وتحليل تطور حجم المديونية في الأردن والأسباب التي أدت إلى تزايدها.
4. تبيان عبء الدين العام على النمو والتنمية الاقتصادية في الأردن.

**أهمية الدراسة:**

تستمد الدراسة أهميتها من ناحيتين:

الأهمية العلمية: من خلال محاولتها اختبار العلاقة الإحصائية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة والمديونية في الأردن. وقلة الدراسات التي تستخدم المعادلات الرياضية في خدمة الدراسات السياسية. فقد ظهرت بعض هذه الدراسات الكمية كدراسة حالة انصبت حول دراسة المؤشرات الاقتصادية بشكل عام، وكانت جميعها تقريباً تسير وفق نهج واحد، وتكرر المؤشرات نفسها في بؤرة تحليلها واهتمامها، ولم تظهر حتى الآن دراسة سياسية اقتصادية تحليلية تتناول اختبار العلاقة الإحصائية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة والمديونية بطريقة كمية، من خلال استخدام تحليل الانحدار المتعدد ذي التأثير الثابت.

الأهمية العملية: الاهتمام بشكل أكبر في مؤشرات الحكم الرشيد في الأردن والسعي إلى تطبيقها بشكل حازم في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية.

**مشكلة الدراسة:**

تتمثل الإشكالية البحثية لهذه الدراسة في محاولة الإجابة عن التساؤل الآتي، هل تطبيق مؤشرات الحاكمية الرشيدة في الأردن سينعكس على انخفاض حجم الدَّين العام؟ أم إن تطبيق تلك المؤشرات لا يرتبط بالدَّين العام وهناك أساب أخرى تلعب دورا مهما في تنامي نسب الدين العام في الأردن.

**حدود الدراسة**

تغطي الدراسة الفترة الزمنية الممتدة من عام 1996 - 2012 في المملكة الأردنية الهاشمية مجالاً للدراسة، ويمثل عام 1996 بداية قياس مؤشرات الحاكمية الرشيدة في المؤسسات الدولية، فيما يمثل عام 2012 العام الذي أصبحت تتخذ فيه المديونية العامة الأردنية ارتفاعات قياسية نتجت عن آثار الأزمات الإقليمية واللجوء المتزايد إلى الأردن.

**منهج البحث:**

لتحقيق أهداف البحث استخدم الباحثان المنهج الإحصائي التحليلي، الذي ترتفع أهميته في ضوء استخدامه في التحليل السياسي، وهو من أهم تداعيات المدرسة السلوكية في العلوم السياسية.

ويهدف إلى دراسة وتحليل أسباب ارتفاع المديونية في الأردن، والسياسات المالية والنقدية المرتبطة بمعالجة تلك المديونية، بالإضافة إلى استخدام معامل الارتباط لاختبار العلاقة بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة ومؤشرات المديونية العامة.

**متغيرات الدراسة:**

اعتمد الباحث في الدراسة على مؤشرات الحاكمية الرشيدة التي بدأ البنك الدولي بإصدارها منذ عام 1996، وتستخدم المؤشرات مقياسًا يتكون من (2.5) درجة، وتعتبر الدولة التي يقع تصنيفها بين العلامة (-2.5) بأنها الأسوأ في الحاكمية الرشيدة، بينما تشير العلامة (2.5+) إلى أفضل درجات الحاكمية الرشيدة، وقد استهدف البنك الدولي من إصدار هذه المؤشرات مساعدة الدول والمنظمات المانحة على تتبع أدائها، وبيان مدى نجاح جهودها لبناء قدراتها، وتحسين الإدارة الرشيدة وتعزيز الشفافية فيها.

**فرضيات الدراسة**

استندت الدراسة إلى الفرضيات التالية:

**الفرضية الأولى:** هناك علاقة عكسية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة (الاستقرار السياسي، فاعلية الحكومة، سيادة القانون، جودة التشريع، مدركات الفساد)، ومؤشرات المديونية الخارجية كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، أي انه كلما انخفض حجم المديونية الخارجية في الدولة، كانت الدولة أكثر تطبيقا لكل مؤشر من مؤشرات الحاكمية الرشيدة.

**الفرضية الثانية:** هناك علاقة عكسية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة (الاستقرار السياسي، فاعلية الحكومة، سيادة القانون، جودة التشريع، مدركات الفساد)، ومؤشرات المديونية الداخلية كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، أي انه كلما انخفض حجم المديونية الداخلية في الدولة، كانت الدولة أكثر تطبيقا لكل مؤشر من مؤشرات الحاكمية الرشيدة.

**الدراسات السابقة**

لا يوجد في حدود علم الباحثين دراسات سابقة تناولت اختبار العلاقة بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة والمديونية في الأردن، لكن هنالك العديد من الدراسات التي تناولت مؤشرات الحاكمية الرشيدة وأثرها على بعض المتغيرات الاقتصادية، مثل الاستثمار الأجنبي المباشر، والتنمية البشرية، ومعدل النمو الاقتصادي. ومن هذه الدراسات:

**دراسة جيهو ويو (Jiho and You) بعنوان: هل يعد الاستقرار السياسي محدداً للاستثمارات الأجنبية المباشرة في كوريا الجنوبية خلال الفترة من 1977 إلى 1991 م؟**

استندت الدراسة إلى فرضية أن عدم الاستقرار هو المحدد الرئيسي في عدم تفضيل بلد بعينه للمستثمرين، وركزت الدراسة على ستة متغيرات هي: المظاهرات الاحتجاجية، والاغتيالات السياسة،

وإضرابات العمال، والتهديد الخارجي، والوفيات من العنف المحلي، والانقلابات العسكرية. وخلصت الدراسة إلى عدم وجود علاقة بين عدم الاستقرار السياسي وتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر، إلا في فترات زمنية معينة كان فيها عدم الاستقرار السياسي حاداً في كوريا الجنوبية، بدرجة أثرت على السياسات المتعلقة بالاستثمار الأجنبي المباشر؛ كما حدث في عام 1980م. ورفضت الدراسة فرضية أن عدم الاستقرار هو المحدد للاستثمار الأجنبي المباشر، بل خلصت الدراسة إلى أن الظروف والسياسات الاقتصادية السائدة هي المحدد الرئيس للمستثمر خلال الأزمات السياسية.

**دراسة جاري وكوفمان (Gray C. & Kaufmann) بعنوان، الفساد والتنمية**

شملت الدراسة 175 دولة في العالم خلال الفترة 2000 إلى 2001، واستندت إلى فرضية أن ارتفاع معدل دخل الفرد يرتبط بعلاقة إيجابية مع مؤشرات الحوكمة والعكس صحيح، ولقد بينت الدراسة أن تحسين مؤشرات الحاكمية يزيد من معدلات التنمية في الدولة، ما يزيد من معدلات دخل الفرد ويؤدي إلى زيادة فيها.

**دراسة سنج وجون (Singh and Jun) بعنوان المحددات السياسية والاقتصادية للاستثمارات الأجنبية المباشرة في الدول النامية**

استخدم الباحثان تحليلات تطبيقية لعدد من المؤشرات السياسية والاقتصادية منها: الاستقرار السياسي، والمخاطر السياسية، والوضع الاقتصادي، وتدفقات الاستثمار الأجنبي. وتم تطبيق الدراسة على الدول النامية، واستخدمت الدراسة في التحليل أسلوب السلاسل الزمنية للبيانات، حيث توصلت الدراسة إلى أن الاستقرار السياسي له أهمية في جذب الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول التي تتمتع بالاستقرار السياسي، بينما الدول التي تعاني من عدم الاستقرار السياسي تعاني من عدم تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر إليها. وبينت الدراسة أن النمط التصديري هو العنصر الأهم في تفسير السبب في جذب دولة ما للاستثمار الأجنبي المباشر دون غيرها من الدول.

**دراسة محمد العجلوني: أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المُستدامة في الدول العربية.**

هدف هذا البحث إلى تعرّف أثر الحكم الرشيد في النمو الاقتصادي وتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة، وناقش البحث بالتحليل خصائص الحكم الرشيد ومبادئه ومؤشراته، وعلاقة كل ذلك بالنمو الاقتصادي، على المدى القصير، والقدرة على إدامته بما يُحقق التنمية الاقتصادية المُستدامة، على المدى الطويل. كما تم تطوير نموذج اقتصادي رياضي لقياس أثر الحكم الرشيد في إدامة النمو الاقتصادي في الدول العربية خلال الفترة 1996-2011 باستخدام الانحدار المتعدد ذي التأثير الثابت.

خلصت الدراسة إلى وجود تأثير للحاكمية الرشيدة على معدل النمو الاقتصادي في الدول العربية. وقد أظهر التحليل أن معدل النمو الاقتصادي مرتبط إيجاباً بمستوى تطوير المؤسسات والحاكمية في الدول العربية. وأن هذه العلاقة غير مرتبطة بمستوى دخل الدولة، إذ إن كون الدولة نفطية أو غير نفطية لم يُؤثر في هذه العلاقة. كما أظهرت النتائج بأن ليس جميع مؤشرات الحاكمية على المستوى نفسه من الأهمية في التأثير في النمو الاقتصادي. فلمؤشرات جودة التشريع وسلطة القانون ومحاربة الفساد تأثير معنوي على النمو الاقتصادي، بينما ليس لمؤشرات المشاركة والمساءلة والاستقرار السياسي وفعالية الحكومة تأثير واضح؛ بسبب ضعف الهياكل السياسية ذات الطابع الديمقراطي، وعدم ملاءمة هذه المؤشرات لثقافة المجتمعات العربية وبيئتها.

**تقسيم الدراسة: تم تقسيم الدراسة إلى ما يلي:**

مقدمة:

المبحث الأول: مفهوم الحكم الصالح وأبعاده ومؤشراته.

المبحث الثاني: الاقتراض والمديونية: المفهوم والمسببات.

المبحث الثالث: اختبار العلاقة بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة ومؤشرات المديونية.

## المبحث الأول: مفهوم الحكم الصالح وأبعاده ومؤشراته

تزايدت أهمية مؤشرات الحاكمية الرشيدة في الخطابات السياسية بعد تفشي الفساد المالي والإداري في العديد من الدول على مستوى النخبة الحاكمة، وهدفت تلك المؤشرات إلى تحسين إدارة الحكم من خلال فرض سيادة الدولة، وتحسين نوعية حياة المواطنين وزيادة مستوى رفاهيتهم، ويتم ذلك عبر استخدام سياسات إدارية ملتزمة بتطوير أفراد المجتمع برضاهم وعبر مشاركتهم في مختلف القنوات السياسية للإسهام في تحسين نوعية حياتهم ورفاهيتهم، وتقوم به قيادات سياسية منتخبة[3]، وتدار من خلالها المؤسسات والأعمال العامة والخاصة، لضمان حقوق الإنسان، ويحقق ذلك بطريقة خالية من الفساد، وفي ظل سيادة القانون[4] والحكم الصالح هو "الحكم الذي يعزز رفاه الإنسان ويدعمه ويصونه، ويقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم، وفرصهم، وحرّياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[5]. ويشمل جميع المؤسسات في المجتمع من أجهزة دولة، وهيئات مجتمع مدني، وقطاع خاص[6] وتتداخل مؤشرات الحاكمية الرشيدة السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية بأشكال وممارسات مختلفة، فالبعد السياسي يرتبط بطبيعة السلطة السياسية وشرعية تمثيلها. فيما يرتبط البعد الاقتصادي بطبيعة اتخاذ القرار الاقتصادي للدولة وآلياته. أما البعد الإداري فيشير إلى كفاءة الإدارة العامة للدولة[7]. ولعل مكمن التفاعل بين هذه الأبعاد أنه لا يمكن للإدارة السياسية وحدها، من دون وجود إدارة عامة فاعلة،

تحقيق إنجازات في السياسات العامة، ولا تستقيم السياسات الاقتصادية والاجتماعية بغياب المشاركة والمحاسبة والشفافية، لذلك فإن الحكم الراشد هو الذي يتضمن حكما ديمقراطيا فعالا، ويستند إلى المشاركة والمحاسبة والشفافية[8].

**المطلب الاول: أبعاد مؤشرات الحكم الصالح**

ظهر مصطلح الحكم الصالح في كتابات البنك الدولي في ثمانينيات القرن الماضي، ثم دخل بعدها تدريجيا في المجال السياسي، في الوقت الذي أصبح فيه تطبيق برامج التعديل الهيكلي في العديد من الدول يطرح عددًا من الصعوبات، تم تشخيصها آنذاك من طرف الخبراء على أنها أخطاء في تسيير الشؤون العامة، بسبب غياب الشفافية في تسيير أمور الدولة، وأصبح الاهتمام الأكبر لمختلف الاتجاهات السياسية خاصة في ظل الحديث عن التنمية الشاملة.

وبحسب ما جاء به برنامج الأمم المتحدة الإنمائي فإن الحكم الصالح يقوم على ثلاثة أبعاد هي[9] :

**البعد الأول:** يتضمن مؤشرين رئيسين هما مؤشر التعبير والمساءلة ( Voice and Accountability)، ومؤشر الاستقرار السياسي (Political Stability)، وهذان المؤشران يقيسان العملية التي يتم بواسطتها اختيار الحكومات ومراقبتها واستبدالها[10]. وكذلك قياس الجوانب المرتبطة بالحريات السياسية، والانتخابات الحرة والنزيهة، وحرية الصحافة، والحريات المدنية، والحقوق السياسية، والتغيير الحكومي، وشفافية القوانين والسياسات. كما يقيس هذا البعد مقدار مشاركة المواطنين في اختيار حكوماتهم، وحرية التعبير والعمل العام والإعلام، وحالة عدم الاستقرار التي قد تحدث في الدولة مثل النزاعات المسلحة، أو القلاقل الاجتماعية أو التهديدات الإرهابية أو تشتت الطبقة السياسية، أو التغييرات الدستورية وهي كلها عوامل عدم استقرار النظام السياسي في وجه الأخطار الداخلية والخارجية.

**البعد الثاني:** ويتضمن هذا البعد مؤشرين رئيسيين هما فعالية الحكومة ( Government Effectiveness) والجودة التنظيمية (Regulatory Quality)، ويتعلق المؤشران بقدرة الحكومة على صياغة قرارات سليمة وكفؤة والقدرة على تنفيذها.

**البعد الثالث:** يتكون أيضا من مؤشرين هما مؤشر سيادة القانون (Rule of Law) ومؤشر مدركات الفساد (Control of Corruption): حيث يتضمن هذا البعد تأثير الفساد على البيئة الاقتصادية[11]. وإساءة استخدام السلطة العامة من أجل مصالح ومكاسب خاصة[12]، وإلاستخدام غير المشروع للسلطة العامة من قبل الموظفين الإداريين والسياسيين، مثل قبول الموظفين الحكوميين الرشاوى في أثناء المشتريات، والعمولات، واختلاس الأموال العامة، وتخصيص الموارد

العامة، وتوزيع العائد المتأتي منها وفقا لاعتبارات المصلحة الشخصية[13] وكذلك الرشوة، والمحسوبية والمحاباة، والواسطة ونهب المال العام. كما يتعلق هذا البعد باحترام المواطنين والدولة للمؤسسات التي تحكم التفاعل الاقتصادي والاجتماعي، ومدى الثقة الممنوحة لتلك القواعد من قبل المتعاملين، والتي تحكم نظم العمل والتعامل داخل المجتمع، وهذه المؤشرات تعطي انطباعا عن مدى النجاح الذي يحقق المجتمع في خلق بيئة مناسبة تتميز بالعدل وإقرار الحق، وبالتالي زيادة الانسجام والتفاعل الاجتماعي والاقتصادي بين الأفراد أنفسهم، وبينهم وبين الحكومة.

**المطلب الثاني: مؤشرات الحاكمية الرشيدة في الأردن**

يبين الجدول الآتي مؤشرات الحاكمية الرشيدة في الأردن.

**جدول رقم 1:** مؤشرات الحاكمية الرشيدة في الأردن 1996-2012

| | مؤشر حق التعبير والمساءلة | الاستقرار السياسي وانتفاء العنف والإرهاب | مؤشر فاعلية الحكومات | مؤشر عبء التنظيم والضبط | مؤشر سيادة القانون | مدركات الفساد |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1996 | -0.22 | -0.13 | 0.05 | 0.03 | -1.41 | -0.13 |
| 1998 | -0.40 | -0.11 | 0.09 | 0.4 | -1.45 | -0.01 |
| 2000 | -0.25 | -0.11 | -0.04 | 0.25 | -1.3 | 0.03 |
| 2002 | -0.77 | -0.58 | 0.09 | 0.03 | -1.45 | -0.1 |
| 2003 | -0.72 | -0.12 | 0.24 | 0.22 | -1.71 | 0.3 |
| 2004 | -0.58 | -0.21 | 0.15 | 0.33 | -1.86 | 0.37 |
| 2005 | -0.50 | -0.16 | 0.03 | 0.16 | -1.78 | 0.33 |
| 2006 | -0.67 | -0.77 | 0.14 | 0.35 | -1.82 | 0.30 |
| 2007 | -0.69 | -0.32 | 0.19 | 0.32 | -1.94 | 0.30 |
| 2008 | -0.73 | -0.38 | 0.21 | 0.34 | -1.86 | 0.43 |
| 2009 | -0.82 | -0.31 | 0.22 | 0.3 | -1.77 | 0.19 |
| 2010 | -0.83 | -0.27 | 0.08 | 0.24 | -1.62 | 0.04 |
| 2011 | -0.79 | -0.52 | 0.10 | 0.30 | 0.26 | 0.10 |
| 2012 | 3-0.7 | -0.52 | 040.- | 180. | 370. | 0.07 |
| المتوسط | -0.62 | -0.32 | 0.10 | 0.24 | -1.4 | 0.15 |

**المصدر:** World Bank, Gouvernance Matters 2007, World Gouvernance Indicateurs 1996-2012

يحتل الأردن أفضل مرتبة في مؤشر عبء التنظيم والضبط، حيث حصل على متوسط "0.24" وجاء مؤشر مدركات الفساد في المرتبة الثانية حيث حصل على متوسط" 0.15"، وجاء

في المرتبة الثالثة مؤشر فاعلية الحكومة وبمتوسط "0.10" وهو ما يبين تقدم الأردن في المؤشرات التي ترتبط بالجانب الاقتصادي. وجاء مؤشر الاستقرار السياسي وانتفاء العنف في المرتبة الرابعة وبمتوسط سالب "0.32-"، فيما جاء في المرتبة الخامسة مؤشر حق التعبير والمساءلة وبمتوسط سالب "0.62-" أما مؤشر سيادة القانون فقد جاء في المرتبة الأخيرة، حيث حصل على متوسط سالب "1.4-"، وهو ما يدل على تراجع المؤشرات التي ترتبط بالجانب السياسي.

وقد تقدم الأردن بشكل كبير في مؤشري عبء التنظيم والضبط، وفاعلية الحكومة خلال فترة الدراسة. ووجد الباحثان أن ذلك يرتبط إلى حد كبير بمحاولات الحكومات الأردنية المتواصلة الحد من الترهل الحكومي، وتحسين جودة الخدمات الحكومية. حيث شهدت السنوات الماضية اهتماما متزايدا بموضوع الإدارة الحكومية، في إطار الاتجاه إلى توسيع نطاق مشاركة المواطنين، ودورهم في عملية الحكم، وتقليص أدوار الدولة، ومنح القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني دورا أكبر في عملية التنمية[14]. لكن من يراقب العمل التنموي الإداري في الأردن يرى مدى فشل الحكومات المتعاقبة وعجزها عن تهيئة بيئة ملائمة لبناء حكم صالح، ومدى تخلف نسقها الإداري وعجزه عن تحقيق طموحات المواطنين وتلبية احتياجاتهم بالمستوى المطلوب.

أما على مستوى مؤشرات سيادة القانون، وحق التعبير والمساءلة، فيجد الباحثان أن ذلك يرتبط بالانفتاح السياسي ودرجة المشاركة السياسية ونوعيتها، وكذلك بالشفافيّة والمساءلة السياسية. والأردن يصنف سياسيا على المستوى الدولي بأنه "شبه حر"، حيث يتميز بمشاركة سياسية محدودة، مع قاعدة ضيقة من النخب السياسية، التي لا تخضع للمساءلة والمحاسبة، وهذا يعود إلى انتشار ظاهرة الولاء القبلي أو الولاء لجماعة معينة، وهذا من شأنه أن يضعف إقبال المواطنين على المشاركة في وضع السياسات العامة للدولة أو الانتخابات[15]. إضافة إلى غياب الاستقلالية الفعلية للسلطات الثلاث، فما زالت السلطة التنفيذية في الأردن هي المهيمنة على باقي السلطات، وما زالت المؤسسات الرقابية غير مستقلة وتخضع للسلطة التنفيذية، الأمر الذي أدى إلى وضع حدود للقوة والنفوذ النسبي للمؤسسات الديمقراطية، كالمجالس الشعبية المنتخبة ومؤسسات المجتمع المدني. وفي ظل هذا الاختلال البنيوي والوظيفي في توازن السلطات وضعف النمو السياسي، نمى العديد من مظاهر الأمراض في المجتمع وبخاصة استشراء الفساد الإداري والمالي والسياسي. وأصبحت هذه الممارسات تشكل السبب الرئيسي لتباطؤ الإدارة وسوء تنظيمها وعدم ثقة المواطن بها، هذا بالإضافة إلى قناعة المواطن الأردني وإدراكه المتزايد بأن الفساد مستشر في الأجهزة الإدارية المحلية، في ظل التغييب المستمر للشفافية، والمساءلة، والرقابة، وحكم القانون[16].

وتعكس سلبية تلك المؤشرات، مدى افتقار الأردن إلى آليات جدية لمكافحة الفساد وتعزيز الرقابة. فما زالت التشريعات التي تتعلق بالإثراء غير المشروع، وعدم تضارب المصالح العامة والخاصة غير موجودة. ورغم تبني العديد من الإصلاحات السياسية والدستورية، مثل تعديل ثلث مواد الدستور الأردني، وتعديل قانون الأحزاب السياسية، وقانون الانتخابات، وقانون المطبوعات والنشر، وقانون الجمعيات الخيرية، إلا أن تلك الإصلاحات السياسية والدستورية، خلقت تعددية حزبية شكلية، وبقي التنظيم الفعلي للنظام السياسي الأردني تنظيم قلة، أو تنظيم قلة سلطوية، لم تملك تصوراً واضحا للتنمية، ومن ثم بذلت كل ما في وسعها لعدم تمكين المواطن من أداء أي دور فعال في الحياة السياسية والاقتصادية[17].

وما زالت الرقابة السياسية والمالية للبرلمان الأردني رقابة بعدية، وأقرب ما تكون إلى العمل الروتيني، فلجان تقصي الحقائق التي كانت تتشكل لتمكين البرلمان من الوقوف على بعض الاختلالات والتجاوزات التي حدثت لم تستطيع القيام بعملها بجرأة وحيادية، وتم تجميد قراراتها أو تغييبها بصورة متعمدة أثارت العديد من التساؤلات وعلامات الاستفهام.

إن تحسين مؤشرات الحكم الرشيد يتطلب تعزيز العلاقة بين المواطن والدولة عبر توسيع المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار، والتي تبدأ من خلال إقرار قوانين انتخابية ديمقراطية وعادلة، ينتخب من خلالها الشعب نواباً جاهزين لمساءلة السلطة التنفيذية ومحاسبتها، الأمر الذي يؤمّن مشاركة شعبية في الحكم عبر ممثليه؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى عبر بناء تحالفات بين الحكومات والهيئات التشريعية والقطاع الخاص والإعلام ومنظمات المجتمع المدني. وتتعزز العلاقة أيضًا عبر ضمان استقلالية السلطات العامة وتعاونها بعضها مع بعض عبر فصل النيابة عن الوزارة وهذا ما يمنع سيطرة مؤسسة على أخرى.

كما أن تعزيز حرية الرأي والإعلام من شأنه أن يعزز الشفافية من خلال نشر البيانات، وتعزيز القابلية للمحاسبة بكشف الفساد وانتهاك القوانين وأوجه القصور في الإجراءات والأداء الحكومي. وعلى صعيد آخر ثمة ضرورة ملحة لتقنين زيادة المشاركة العامة في صنع القرار، حيث إن الشفافية وحرية المعلومات على أهميتهما، لا تكفيان وحدهما للوصول إلى الحكم الرشيد، ما لم تكن هناك آليات تتيح للمواطن وضع الحكام والمسؤولين في موضع المساءلة بصفة منتظمة، كذلك فإن خلق قنوات اتصال بين السلطة والمواطنين من شأنها إيصال احتياجات الشعب لصانع القرار بصورة صحيحة، ما يمكنه من اتخاذ القرارات الملائمة بشأنها[18].

## المبحث الثاني الاقتراض والمديونية: المفهوم والمسببات

### المطلب الأول: مفهوم المديونية والاقتراض

اختلفت المدارس الفكرية الاقتصادية حول الدَّين العام ودوره في خدمة الاقتصاد، فمن ناحية أيدت المدرسة الكينزية الاقتراض ونادت بمبدأ تمويل عجز الموازنة بالقروض، فيما عارض رائد المدرسة الكلاسيكية آدم سمث بشدة عمليات الاقتراض، ونادى بتوازن الميزانية العامة للدولة، ونبه آدم سميث إلى أن العجز المتزايد من شأنه على المدى الطويل أن يدمر الاقتصاد، وتؤدي الديون إلى زيادة الضرائب والتضخم الذي يغطي الإنفاق الحكومي، مما يخفض الادخار وبالتالي يضعف القدرة الإنتاجية للشعب، وفي نهاية المطاف يضعف أو يدمر الأمة الغنية [19]، وفي المقابل يوجد من الاقتصاديين من يحبذ الديون الخارجية ويرى أنها الحل الوحيد للتخلص من المشاكل الاقتصادية، كالعجز في الموازنة، والتشوهات في ميزان المدفوعات، وتمويل المشاريع الاستثمارية التي تعجز عنها المدخرات المحلية أو بهدف امتصاص القوة الشرائية للمواطنين[20].

والحقيقة أن الاقتراض ظاهرياً فقط له فائدة آنية لا تلبث أن تكشف عن جوانب أخرى سلبية، وأقل ما يمكن أن نصف به الديون الخارجية أنها تُفقر الدول المقترضة وتُغني الدول المقرضة، إضافة إلى أن خدمة هذه الديون تصبح نزفاً حقيقياً لثروتها وعبئاً ثقيلاً على الأجيال القادمة.

وتتمثل آثار القروض الخارجية في سيطرة الجهات الدائنة أحيانا، سواء كانت حكومات أو مؤسسات مالية دولية، على الدولة، مما يفقد هذه الأخيرة بعض سلطاتها واستقلالها وقدراتها على إدارة اقتصادها وفقا لمصلحتها الوطنية. وفي رضوخ واضح للدول الدائنة وشروط جدولة ديونها وتنفيذ الإصلاحات الهيكلية التي يفرضها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي عليها[21].

وهناك نوعان من الاقتراض هما[22]:

**أولا: الاقتراض الداخلي:** وهو ما يسمى بالدين المحلي، أو القروض الداخلية، ويمثل رصيد الأذون الحكومية القائمة، وصافى حساباتها مع الجهاز المصرفي، ورصيد مديونيتها تجاه البنوك الوطنية. والدين العام المحلي قد يكون موجها للاستثمار، أو قد يوجه إلى الإنفاق العام على مشروعات البنية التحتية، أو لمقابلة الطلب الاستهلاكي.

**ثانيا: الاقتراض الخارجي:** عرّف صندوق النقد الدولي ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، **المديونية الخارجية** بأنها "إجمالي الديون الخارجية في تاريخ معين"[23]. أو هي تلك المبالغ التي اقترضها اقتصاد وطني ما، والتي تزيد مدة القرض فيها عن سنة واحدة أو أكثر، وتكون مستحقة الأداء للجهة المقرضة عن طريق الدفع بالعملات الأجنبية، أو عن طريق تصدير السلع والخدمات إليها. ويكون الدفع عن طريق الحكومة الوطنية أو الهيئات الرسمية المتفرعة عنها

أو عن طريق الهيئات المستقلة والأفراد والمؤسسات الخاصة ما دامت الحكومات الوطنية أو الهيئات العامة الرسمية ضامنة لالتزامات هؤلاء الأفراد والمؤسسات الخاصة[24].

ويلاحظ أن هذا التعريف لا يتضمن عنصر الديون الخارجية التي تقل مدتها عن سنة، والديون المستحقة على الأفراد والهيئات الخاصة إذا كانت ديوناً غير مضمونة من جانب الحكومات أو الهيئات العامة الرسمية، والارتباطات الخارجية التي لم يوافق عليها بعد من حيث حجمها وشروطها. كما أن الديون الخارجية غالبا لا تتضمن أرقام الديون الخارجية للقروض العسكرية، والديون مستحقة الأداء بالعملة المحلية للبلد المدين، وتدفع بعملة الدولة المدينة.

**المطلب الثاني: تطور حجم المديونية العامة في الأردن**

يبين الجدول الآتي تطور حجم المديونية العامة في الأردن

**جدول رقم 2:** تطور الدَّين العام الداخلي والخارجي في الأردن 1996-2012 (مليون دينار)

| السنة | المديونية الخارجية | نسبة النمو | المديونية الداخلية | نسبة النمو | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| 1996 | 5164.3 | 5.1 | 1006.4 | 3.0 | 6170.7 |
| 1997 | 4998.1 | -3.3 | 914.2 | -8.1 | 5912.3 |
| 1998 | 5333.7 | 6.7 | 1152 | 26.0 | 6485.7 |
| 1999 | 5510.1 | 3.3 | 1054 | -8.3 | 6564.1 |
| المتوسط | 5183.6 | | 1020.4 | | 6204 |
| 2000 | 5043.5 | -8.5 | 1235 | 17.2 | 6278.5 |
| 2001 | 4969.8 | -1.5 | 1397 | -6.8 | 6366.8 |
| 2002 | 5350.4 | 19.3 | 1656 | 15.3 | 7006.4 |
| 2003 | 5391.8 | 8.0 | 1704 | 27.6 | 7095.8 |
| 2004 | 5348.8 | -8.0 | 1834 | 7.6 | 7182.8 |
| المتوسط | 5220.86 | | 1565.2 | | 6786.06 |
| 2005 | 5056.7 | 5.5 | 2437 | 32.9 | 7493.7 |
| 2006 | 5186.7 | 2.6 | 2163 | -11.2 | 7349.7 |
| 2007 | 5253.3 | 1.3 | 2946 | 36.2 | 8199.3 |
| 2008 | 3640.2 | -30.7 | 4911 | 66.6 | 8551.2 |
| 2009 | 3741 | 1.3 | 5791 | 17.9 | 9660.2 |
| 2010 | 4610 | 19.2 | 6851.5 | 18.3 | 11462.2 |
| المتوسط | 4477.25 | | 4391.167 | | 8868.417 |
| 2011 | 4486.8 | -2.7 | 8914.9 | 30.1 | 13401.7 |
| 2012 | 4932.4 | | 11482 | | 16349.3 |

المصدر: من إعداد الباحثين بالاستناد إلى:

1. وزارة المالية، التقرير السنوي للبنك المركزي 97، التقرير الشهري للبنك المركزي آذار 1999.

2. البنك المركزي بيانات إحصائية سنوية 98-2002 جداول رقم 18 و19، للسنوات 2003-2009.
3. وزارة المالية، نشرة الدَّين العام رقم 23 لعام 2009، وزارة المالية: نشرة الدَّين العام، كانون أول، 2011، ص33-34
4. وزارة المالية، نشرة الدَّين العام، آذار 2014.
5. المرصد الاقتصادي، نشرة المؤشرات الاقتصادية الأردنية، الجامعة الأردنية، الإصدار الثاني، نيسان، 2010، ص36.

يبين الجدول السابق، أن إجمالي حجم المديونية العامة خلال الفترة الممتدة من عام 1996-1999 قد شهد ارتفاعا متواصلا حيث ارتفعت المديونية من (**6170.7**) عام 1996 مثلت نسبة (89%) من الناتج المحلي الإجمالي إلى (6564) مليار دينار في عام 1999، مثلت نسبة (82.5%) من الناتج المحلي الإجمالي، ويعود سبب ارتفاع المديونية العامة إلى اتِّباع الحكومات المتعاقبة سياسة التوسع في الإنفاق الحكومي في سبيل إنعاش الاقتصاد بعد فترة التصحيح الاقتصادي الأولى. ثم تصاعد حجم المديونية خلال الفترة من عام 2001 إلى عام 2010، بنسبة 219 بالمائة. حيث ارتفع عام 2001 ما يقارب من 6.1 مليار دينار، ثم ارتفع إلى 7.2 مليار دولار عام 2004 ثم ارتفع إلى 7.5 مليار دينار عام 2005 ثم إلى 7.4 مليار دولار عام 2006، ليرتفع بشكل كبير إلى 8.2 مليار دينار في عام 2008 [(25)]، ثم إلى 9.7 مليار دينار عام 2008، وارتفع الدين العام في عام 2009 عن مستواه في عام 2008 بمقدار 1099.8 مليون دينار، أو ما نسبته 12.86% ليصل إلى (9651) مليون دينار، شكلت ما نسبته 59.5% من الناتج المحلي الإجمالي لعام 2009. ثم وصل حجم الدين العام إلى 11.4 مليار دينار في عام 2010، بارتفاع قدره 1.9 مليار دينار وبنسبة ارتفاع 16.5 بالمائة عن السنة السابقة [(26)] شكلت ما نسبة 62.6 بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي، وهي النسبة نفسها لعام 2010. ويغلب على القروض الخارجية الأردنية، أنها قروض طويلة الأمد تتراوح مددها بين (10-25) سنة، كما أن نصف القروض التي تم الحصول عليها هي من الدول المتقدمة (الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي) سواء كانت قروضًا ثنائية، أو قروضًا تصديرية موجهة إلى دعم الصادرات. أما القروض المقدمة من الدول العربية، فهي قروض قليلة ولا تتجاوز نسبة (10%) من القروض الخارجية، فيما تعود النسب الباقية إلى صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ومؤسسات الإقراض العربية[(27)]: وتعود أسباب ارتفاع المديونية العامة في الأردن إلى عوامل داخلية تمثلت في ارتفاع العجز في الموازنة العامة للدولة، وانخفاض حجم الصادرات الأردنية نتيجة الأوضاع السياسية المحيطة بالمنطقة العربية، وإنشاء الموسسات المستقلة التي أثقلت كاهل الموازنة، حيث وصلت إلى (62) مؤسسة، وتنامي عجزها من (228.7) مليون دينار عام 2009 إلى (937.5) مليون

دينار عام 2012[28]. بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الفساد المالي ونهب المال العام التي أطاحت باثنين من رؤساء المخابرات الأردنية، وعدد كبير من القيادات الاقتصادية والسياسية[29].

أما العوامل الخارجية، فتتمثل في ارتفاع أسعار النفط العالمية، حيث شكلت نسبة الفاتورة النفطية من المستوردات الأردنية في عامي 2007-2008 حوالي 20% من المستوردات الإجمالية[30]، وبنسبة (7.2%)، أي بحوالي (641) مليون دينار في عام 2010، مع انقطاع مستوردات الغاز المصري للأردن[31]. بالإضافة إلى توقف الصادرات الأردنية إلى أهم سوقين للاقتصاد الأردني وهما السوق العراقي والسوق السوري. ثم جاءت موجة ثورات الربيع العربي في عام 2011، وما رافقها من تصاعد حركة الاحتجاجات الشعبية داخليا. ثم الثورة السورية التي نتج عنها لجوء أعداد ضخمة من السوريين إلى الأردن، واضطرار الحكومة إلى تحويل جزء كبير من الإنفاق الحكومي لنفقات الأمن وحفظ الاستقرار[32]. بالإضافة إلى التقديرات غير المبررة للمنح والمساعدات الأجنبية المتوقعة.

**المطلب الثالث: مؤشرات المديونية الأردنية**

يبين الجدول الآتي مؤشرات المديونية الأردنية خلال الفترة من عام 1996-2012

**جدول رقم 3:** مؤشرات المديونية الأردنية

| السنة | نسبة الدين الخارجي من الناتج المحلي | نسبة الدين الداخلي من الناتج المحلي | نسبة الدين العام من الناتج المحلي | خدمة الدين كنسبة من الناتج المحلي % | نسبة الدين الخارجي إلى الصادرات من السلع والخدمات |
|---|---|---|---|---|---|
| 1996 | 89 | 4.2 | 93.2 | 8.3 | 15.9 |
| 1997 | 84.7 | 4.5 | 89.2 | 7.3 | 15.8 |
| 1998 | 82.1 | 5.5 | 87.6 | 6.4 | 14.4 |
| 1999 | 82.5 | 3.7 | 86.2 | 6.1 | 14.1 |
| المتوسط | 86.5 | 4.5 | | 7.0 | `15.2 |
| 2000 | 73.0 | 18.1 | 90.1 | 6.3 | 17.8 |
| 2001 | 73.8 | 19.6 | 93.4 | 9.9 | 14.9 |
| 2002 | 73.8 | 23.5 | 97.3 | 8.3 | 10.6 |
| 2003 | 70.3 | 22.6 | 92.9 | 13.1 | 21.4 |
| 2004 | 63.3 | 22.6 | 85.9 | 8.1 | 9.6 |
| المتوسط | 70.8 | 23.6 | | 9.1 | 15.0 |

| السنة | نسبة الدين الخارجي من الناتج المحلي | نسبة الدين الداخلي من الناتج المحلي | نسبة الدين العام من الناتج المحلي | خدمة الدين كنسبة من الناتج المحلي % | نسبة الدين الخارجي إلى الصادرات من السلع والخدمات |
|---|---|---|---|---|---|
| 2005 | 54.5 | 27.0 | 81.5 | 6.5 | 7.5 |
| 2006 | 50.6 | 21.4 | 72 | 5.6 | 6.7 |
| 2007 | 53 | 24.3 | 77.3 | 5.1 | 6.7 |
| 2008 | 53 | 31.5 | 84.5 | 12.6 | 22.3 |
| 2009 | 54.2 | 32.5 | 86.7 | 2.3 | 5.2 |
| 2010 | 58.7 | 35.1 | 93.8 | 2.4 | 5.6 |
| المتوسط | 54.0 | 29.8 | | 6.3 | 11.5 |
| 2011 | 21.9 | 43.5 | 64.4 | 2.5 | 5.6 |
| 2012 | 20.2 | 47.7 | 67.9 | 2.6 | 13.6 |

المصدر: تم إعداد النسب من قبل الباحثين بالاستناد إلى:

1. وزارة المالية، والتقارير السنوية للبنك المركزي وبيانات إحصائية سنوية.
2. وزارة المالية، ونشرة الدين العام.

**أولا: مؤشر نسبة الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي:**

تعدّ نسبة الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي من أكثر المؤشرات دلالة على ارتفاع حجم المديونية، نظرا لارتباط المؤشر بمتغير أساسي وهو الناتج المحلي الإجمالي.

وتشير البيانات الإحصائية المتعلقة بنسبة الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي في الأردن إلى التراجع التدريجي في قيم المؤشر، حيث انخفضت النسبة من 93.2% عام 1996 إلى نسبة (86.2) عام 1999. لكنها عادت إلى الارتفاع في عام (2000-2003)، ثم عادت إلى الانخفاض التدريجي لتصل إلى أدنى مستوياتها في عام 2006، حيث وصلت إلى نسبة 72% من الناتج المحلي الإجمالي. ونتيجة الأزمة المالية العالمية عادت إلى الارتفاع في السنوات 2010-2008. وانخفضت النسبة بشكل كبير بعد ذلك، ويعود السبب الرئيسي وراء هذا التراجع إلى انخفاض أسعار العملات الأجنبية مقابل الدولار الأمريكي وبالتالي مقابل الدينار الأردني.

**ثانيا: مؤشر خدمة الدَّين:**

يعدّ معدل خدمة الدين من المقاييس المهمة لقياس عبء الديون الخارجية التي يتحملها الاقتصاد المدين. ويوضح هذا المعدل نسبة ما تستنزفه مدفوعات خدمة هذا الدين من إجمالي

حصيلة صادرات الدول المنظورة وغير المنظورة[33]. وتدل النسب المرتفعة من خدمة الدين على الحجم الأكبر الذي تمتصه خدمة الدين من إجمالي قيمة الصادرات، علما أن خدمة الدين تتراكم إذا لم يستطع المدين تسديد دينه في الآجال المحددة والمتفق عليها ضمن شروط القروض.

وتشير البيانات الإحصائية المتعلقة بمعدل خدمة الدين في الأردن إلى ارتفاع نسبها وتزايد كلفها المتضمنة تسديد أقساط القروض وفوائدها المتزايدة إلى خدمة الديون الخارجية "أقساط+فوائد" كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي وكذلك كنسبة من الصادرات الأردنية. حيث تمثل في المتوسط نسبة 7% من الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة من عام 1996-1999، ارتفعت إلى نسبة 9.1% خلال الفترة من عام 2000-2004. وبعد شراء الأردن جزءاً من ديونه انخفضت النسبة 6.3% خلال الفترة من عام (2005-2010)، وانخفضت إلى أدنى مستوياتها في عام 2013، حيث وصلت إلى نسبة 2.5% من الناتج المحلي الإجمالي بسبب النمو في حجم الناتج المحلي الإجمالي من جهة، وتوقيع اتفاقيات إعادة جدولة جزء من الديون المترتبة على الأردن من جهة أخرى. ومن الجدير ذكره أنه خلال الفترة 1990 - 2002، قام الأردن بعقد ست اتفاقيات لإعادة جدولة ديونه مع نادي باريس بلغ مجموعها (5) مليارات دولار من الأقساط والفوائد. وفي عام 1999 تم توقيع عدد من الاتفاقيات الثنائية بين الأردن والدول الدائنة "إسبانيا، بريطانيا، اليابان" شملت تخفيض الديون الأردنية أو شطبها، أو إعادة جدولتها مع الفوائد.

وفي عام 2002، تمكن الأردن من التوصل إلى اتفاق بشأن إعادة جدولة حوالي (1.2) مليار دولار تمثل الإقساط والفوائد التي تستحق للدول الدائنة الأعضاء في نادي باريس خلال الفترة من 2002/5/1 وحتى نهاية عام 2007[34].

وفي عام 2007 قام الأردن بالاتفاق مع دول نادي باريس، بشراء مبكر لجزء من ديونه المستحقة للنادي بقيمة إجمالية بلغت (4.2) مليار دولار وبمعدل سعر خصم 11%، مما أسهم في تخفيض المديونية الخارجية، حيث تم استغلال رصيد حساب التخاصية في تنفيذ الجزء الأكبر من اتفاقية الشراء البالغة (1.1) مليار دينار. انعكست هذه الاتفاقيات إيجاباً على تخفيض خدمة الدين العام بشقيها: الأقساط والفوائد بمعدل (240) مليون دولار، أو ما يعادل (170) مليون دينار سنوياً موزعة بواقع (100) مليون دولار كفوائد و(140) مليون دولار كخدمة دين[35].

وفيما يتعلق بنادي لندن للديون التجارية، فقد تمكن الأردن من إعادة هيكلة الديون التجارية لأعضاء النادي، حيث تم عقد اتفاقية شملت الفترة من عام (1993-2002) شملت إعادة هيكلة نحو 736 مليون دولار من الإقساط و122 مليون دولار من الفوائد متأخرة السداد، نتج عنها تخفيض الرصيد القائم من المديونية الخارجية الأردنية بقيمة 85 مليون دولار. وتمكن الأردن خلال الفترة من عام 1992-1997 من شراء ديونه من دول البرازيل وروسيا وسويسرا وكوريا،

وقد بلغت قيمة هذه الديون (1362) مليون دولار، تم شراؤها بقيمة (394) مليون دولار. كما قامت الحكومة خلال عامي (2000-2001) بشراء سندات بريدي البالغة (650) مليون دولار، بسعر (495) مليون بعد الحصول على نسب خصم مناسبة تراوحت بين (7-11%). وتم توقيع 17 اتفاقية مبادلة ديون باستثمارات محلية مع كل من ألمانيا وفرنسا وسويسرا وفنلندا وإيطاليا والسويد وإسبانيا، وبخصومات عالية تراوحت بين (40-73%)[36].

**ثالثا: مؤشر نسبة الدَّين العام الخارجي إلى الصادرات من السلع والخدمات**

يقيس المؤشر عبء المديونية الخارجية وقدرة الاقتصاد على تغطية خدمة مديونيته الخارجية بعائدات صادراته. ويمكن القول إنه كلما ارتفعت هذه النسبة دلّ ذلك على قوة **وضعية** السيولة الخارجية، ومن ثم طاقة البلد على مواجهة أعباء الديون في أوقاته الحرجة.

وتشير البيانات الإحصائية المتعلقة بالمؤشر إلى ثباته حول نسبة 15 بالمائة من الدين الخارجي طوال السنوات 1996 إلى 2004، ويعزى ذلك إلى ارتفاع حجم الصادرات الأردنية إلى الخارج بالأرقام المطلقة. ثم انخفض من نسبة (17.8) عام 2000 إلى (14.9) عام 2001، ووصل إلى أدنى مستوياته عام 2002 حيث بلغ (10.6) لكنه ارتفع بشكل كبير جدا في عام 2003 حيث وصل إلى (21.4) نتيجة تراجع حجم الصادرات الأردنية بشكل كبير خلال تلك السنة. ثم عاد إلى الانخفاض الشديد عام 2004 ليصل إلى (9.6) عام 2004. وانخفض من نسبة (7.5) عام 2005 إلى (6.7) عام 2006، ووصل إلى أعلى مستوياته عام 2008 حيث بلغ نسبة (22.3) من إجمالي الصادرات، ثم انخفض بشكل كبير جدا في عام 2009 -2010 حيث وصل بحدود (5%)، لكنه ارتفع بشكل كبير جدا في عام 2012 حيث وصل إلى نسبة (13.6%) نتيجة تراجع حجم الصادرات الأردنية إلى دول الجوار بشكل كبير خلال تلك السنة، وخصوصا سوريا والعراق اللتين كانت تذهب نسبة كبيرة من الصادرات الأردنية إليهما.

**المبحث الثالث: اختبار العلاقة بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة ومؤشرات المديونية**

تشير الأبحاث التي أجراها صندوق النقد الدولي إلى أن اتّباع معايير الشفافية والوضوح تؤدي إلى تخفيض سعر القروض الدولية والمحلية بنسبة تتراوح بين 7% إلى 17% مما يشير إلى أن المقرضين يعتبرون **مؤشرات الحاكمية الرشيدة** عاملاً مخفضاً لمخاطر الاقتراض[37]. كما أن **مؤشرات الحاكمية الرشيدة** يزيد من فاعلية المساعدات والقروض ويشجع على استخدامها بشكل أفضل. فوجود مؤسسات قوية تضمن المساءلة العامة يسهم في ضمان عدم هدر المساعدات والقروض أو إساءة استخدامها، وبالتالي يؤدي إلى مزيد من التنمية الاقتصادية مقابل

أموال المعونات. ومثلما تساعد الشفافية والوضوح في عدم هدر الأموال أو إساءة استخدامها، فان مؤشرات الحاكمية الرشيدة تضمن استخداماً أكثر كفاءة وفعالية للموارد العامة المحلية.

## المطلب الأول: الاختبار الإحصائي للعلاقة الارتباطية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة والمديونية

تنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن مؤشرات الحاكمية الرشيدة تقلل من حجم المديونية، أي أن المديونية عامل تابع لمؤشرات الحاكمية الرشيدة التي هي عامل مستقل. ومن ثم يُمكن التعبير عن هذه الفرضية بالمعادلة الآتية، التي يُمكن اختبارها من خلال معادلة الانحدار التقديرية الآتية:

**المديونية العامة للدولة = أ + ب1 * مؤشرات الحاكمية الرشيدة + معامل الخطأ.**

إذ إن

أ = المعامل الثابت، أي معدل المديونية عندما تكون المتغيرات المستقلة تساوي صفراً.

ب1 = معامل التغير في المديونية مقابل تغير قدره وحدة واحدة في الحاكمية الرشيدة.

معامل الخطأ = يمثل الانحراف عن خط العلاقة، وتأخذ قيماً موجبة وأخرى سالبة، ويجب أن يكون متوسطها الحسابي = صفراً. ويوجد هذا المعامل نتيجة لعدم إحاطة أي نموذج بكل المتغيرات التي من الممكن أن تؤدي إلى المتغير التابع، أي المديونية أو تؤثر فيه.

ولتوضيح الأهمية النسبية لأثر مؤشرات الحاكمية الرشيدة (متغير مستقل) على مؤشرات المديونية (متغير تابع)، باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) وبتطبيق نموذج الانحدار الخطي، فقد ظهرت النتائج، كما في الجدول رقم (4)، على النحو الآتي:

**جدول رقم (4):** ملاءمة نموذج الانحدار الخطي للبيانات

| النموذج | مجموع المربعات | متوسط المربعات | قيمة ف | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|
| الانحدار Regression | 3.930 | 1.310 | 113.407 | 0.000 |
| البواقي Residual | 1.895 | 0.012 | | |
| الكلي Total | 5.825 | | | |

- ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (&=0.05)

يتبين من الجدول ملاءمة نموذج الانحدار الخطي للبيانات، حيث بلغت قيمة ف (**113.407**) بمستوى دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (&=0.05)، وقد تم تقدير معاملات الانحدار الخطي كما يبين الجدول الآتي:

**جدول (5):** نتائج اختبار نموذج الانحدار الخطي للفرضية الأولى

| النموذج | معامل الانحدار غير المعياري | Durbin Watson | نسبة التباين المفسر R2 | نسبة التباين المفسر R2 المعدلة |
|---|---|---|---|---|
| الثابت | 0.637 | 2.092 | | |
| المعدل العام للحاكمية الرشيدة | 0.107 | | 0.821 | 0.675 |

(*) ذات دلالة إحصائية عند مستوى 5% أو أقل.

يتبين من الاختبار وجود دلالة إحصائية كمتغير الحكم الصالح، وهذا يدل على وجود أثر له دلالة إحصائية على المتغير التابع، بنسبة تباين مفسر (0.82). وهو ما يعني أن نسبة (82. %) من التغير في المديونية عائد إلى التغير في تطبيق مؤشرات الحاكمية الرشيدة. وبناء عليه، يُمكن كتابة معادلة خط الانحدار البسيط على النحو التالي: المديونية = **0.637 -0.821*** الحاكمية الرشيدة.

ثانيا: تنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن المديونية العامة عامل تابع لمؤشرات الحاكمية الرشيدة الستة التي هي عامل مستقل، ويمكن اختبار جميع المؤشرات في نموذج واحد على الشكل الوارد في المعادلة الآتية:

المديونية = أ + ب1 * المشاركة والمسألة + ب2 * الاستقرار السياسي + ب3 * فعالية الحكومة + ب4 * جودة التشريع + ب5 * سيادة القانون + ب6 * مدركات الفساد + معامل الخطأ.

إذ إن:

أ = المعامل الثابت، أي معدل المديونية عندما تكون المتغيرات المستقلة تساوي صفراً.

ب1 = معامل التغير في المديونية مقابل تغير قدره وحدة واحدة في مؤشر المشاركة والمساءلة.

ب2 = معامل التغير في المديونية مقابل تغير قدره وحدة واحدة في مؤشر الاستقرار السياسي.

ب3 = معامل التغير في المديونية مقابل تغير قدره وحدة واحدة في مؤشر فاعلية الحكومة.

ب4 = معامل التغير في المديونية مقابل تغير قدره وحدة واحدة في مؤشر جودة التشريع.

ب5 = معامل التغير في المديونية مقابل تغير قدره وحدة واحدة في مؤشر سيادة القانون.

ب6 = معامل التغير في المديونية مقابل تغير قدره وحدة واحدة في مؤشر مدركات الفساد.

معامل الخطأ = الانحراف عن خط العلاقة، وهي تأخذ قيماً موجبة وأخرى سالبة، ويجب أن يكون متوسطها الحسابي = صفراً. ويوجد هذا المعامل نتيجة لعدم إحاطة أي نموذج بكل المتغيرات التي من الممكن أن تؤدي إلى المتغير التابع، أي المديونية أو تؤثر فيه.

**جدول (6):** نتائج اختبار نموذج الانحدار المتعدد ذي التأثير الثابت

| المتغير التابع متوسط المديونية | حق التعبير والمسائلة | الاستقرار السياسي | فعالية الحكومة | عبء التنظيم والضبط | سيادة القانون | مدركات الفساد |
|---|---|---|---|---|---|---|
| معامل التغير (ب) | 239. | 330.- | 687.- | 261. | 0.293 | 0.473- |
| قيمة ت | 0.654 | 2.465 | 8.072 | 2.465 | 1.457 | 3.295- |
| مستوى الدلالة | 0.000 | 0.015 | 0.159 | 0.015 | 0.147 | 0.001 |

(*) ذات دلالة إحصائية عند مستوى 5% أو أقل

يتبين من الاختبارات السابقة أن قيمة (ت) المحسوبة لمعاملات التغير لمؤشرات حق التعبير والمساءلة والاستقرار السياسي وسيادة القانون ومدركات الفساد أقل من قيمة (ت) الجدولية، أي أن قيم (ب) تساوي صفراً. ومن ثم، فإن لهذه المؤشرات (منفردةً) تأثيرًا واضحًا على المديونية. فيما لا يوجد تأثير لمؤشرات فعالية الحكومة وعبء التنظيم والضبط على المديونية. ويدل ذلك على الدور الإيجابي الذي تلعبه مؤشرات الحاكمية الرشيدة في التقليل من مستويات الفساد في الدولة، والتقليل من حجم المديونية، ويرتبط ذلك بالجهود التي تبذلها الدول لتحسين البيئة السياسية والاقتصادية من خلال رفع مؤشرات التعبير والمساءلة وفعالية الحكومة ومؤشر سيادة القانون.

## الخلاصة والنتائج:

سعت هذه الدراسة إلى التثبت من الفرضية الرئيسية التي انطلق منها التحليل، ومفادها أن هناك علاقة عكسية بين مؤشرات الحاكمية الرشيدة ومؤشرات المديونية العامة، وتم تحديد الإطار النظري للدراسة في جانبيها الأساسيين، وهما: مؤشرات الحاكمية الرشيدة والمديونية العامة، وتم إخضاع فرضيات الدراسة لمنهجية إحصائية، بالقدر الذي أتاحته المعلومات المتوفرة وما

تتطلبه هذه المنهجية من وصف للمعلومة وتحليلها، بحيث يؤدي ذلك إلى تقييم عام للحالة موضع الدراسة.

وعطفاً على ما سبق، فقد كانت نتائج الدراسة على النحو الآتي:

1. العلاقة ما بين مؤشر المديونية العامة كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي ومؤشرات الحاكمية الرشيدة علاقة عكسية سالبة، أي أن ارتفاع حجم المديونية كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، يكون بسبب تدني قيم مؤشرات الحاكمية الرشيدة.
2. بيّن معامل ارتباط أن العلاقة بين المديونية العامة ومؤشرات الحاكمية الرشيدة علاقة سالبة وغير دالة إحصائيا مع مؤشر فعالية الحكومة وعبء التنظيم والضبط. وهذا يعني أن عدم تطبيق تلك المؤشرات يزيد من حجم المديونية.
3: هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين مؤشر المديونية العامة ومؤشرات الحكم الصالح التالية (حق التعبير والمساءلة، والاستقرار السياسي، ومدركات الفساد). وهذه النتائج تتطابق مع المقارنات التي تمت في الجداول السابقة.
4: هناك علاقة ارتباط غير دالة إحصائيا بين مؤشر المديونية العامة ومؤشرات فاعلية الحكومة، وعبء التنظيم والضبط. وهذه النتائج تتطابق مع المقارنات التي تمت في الجداول السابقة.

# The Impact of Rational Governance Indicators on the Jordanian Public Debt 1996-2012

**Abdelsalam Enjadat** and **Omar Khtherat,** *Department of Political Science, Balqa Applied University, Jordan.*

## Abstract

The study aimed at identifying the relationship between Jordanian Public debt and rational governance indicators during the period 1996-2012 and studying the progress level of rational governance indicators in Jordan, as well as the development of general debt. The study was based on the hypothesis that Public debt as a dependent factor decreases as progress and improvement of rational governance indicators increase as an independent factor. To achieve the aims and hypotheses of the study, the researchers used the statistical analytical approach for testing the relationship between indicators through the use of multiple regression analysis with stable impact. The results of the study concluded that there is a statistically significant correlation between Public debt indicator and the following rational governance indicators (the right of expression and questioning, political stability, corruption perception). These results conform to the comparisons carried out in previous tables. That is to say, there was a strong correlation between rational governance indicators and Public debt indicators whereas there was no significant relationship between the indicators of government efficiency and the burden of organization and control. However, the results showed that the significant correlation between rational governance indicators and Public debt indicators differ from one indicator to another, depending on how effective the indicator is. For example, the indicators of the right of expression and questioning, political stability and corruption perception do not have a moral statistically significant effect on Public debt. The researchers ascribed the reason to the weakness of political structures with democratic tendency and these indicators are not suitable for the culture and the environment of the Jordanian society.

**الهوامش**


1. المومني، رياض المديونية الخارجية: أسبابها ونتائجها الاقتصادية، مجلة الملك سعود، العلوم الإدارية، المجلـد 7، العدد 2، 1995، ص 343 -377.
2. رمزي زكي، الديون والتنمية، القروض الخارجية وآثارها على البلاد العربية، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 1985، ص 117.
3. كريم، حسن، مفهوم الحكم الصالح، مجلة المستقبل العربي، العدد309، تشرين ثاني، 2004.
4. مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني، سيادة القانون في الأردن: قراءات في متناول الشباب، مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني، الأردن، جوان 2007.
5. برنامج الأمم المتحدة، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003: نحو إقامة مجتمع المعرفة، نيويورك، الولايات المتحدة، 2003.
6. الهيتي ، نوزاد عبد الرحمن، الحكم الصالح في الوطن العربي: قراءة تحليلية، مجلة علوم إنسانية، السنة الرابعة: العدد 29: تموز (يوليو) 2006 ،على شبكة الإنترنت http://www.ulum.nl .
7. السيد مصطفى، العوامل والآثار السياسية في الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص274
8. البنك الدولي، الحكم الجيد لأجل التنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ملخص، 2003 على الموقع الالكتروني:

siteresources.worldbank.org/INTMENA/Publications/20261842/GovernOverviewArab.pdf

9. Kaufmann, Daniel; Kraay, Aart and Mastruzzi, Massimo Measuring Governance Using Cross-Country Perceptions Data, The World Bank, August (2005).
10. فالح عبد الجبار، الديمقراطية المستحيلة والديمقراطية الممكنة، ط1، دمشق، المدى للثقافة والنشر والتوزيع 1998، ص10- ص15.
11. المرسي السيد مجازي، التكاليف الاجتماعية للفساد، مجلة المستقبل العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 226، 2001) ص17- 37.
12. البنك الدولي، تقرير عن التنمية في العالم: الدولة في عالم متغير، واشنطن، 1997، ص112.
13. منظمة الشفافية الدولية: نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد: كتاب المرجعية، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، 2008، ص16.
14. وزارة تطوير القطاع العام، محور إعادة هيكلة الجهاز الحكومي، على شبكة الإنترنت، www.mopsd.gov.jo/ar/Pages.
15. بوزيد، سايح، سبل تعزيز المسائلة والشفافية ومكافحة الفساد وتمكين الحكم الراشد في الدول العربية، مجلة الباحث، العدد،10 السنة2012، ص60.

16. وزارة تطوير القطاع العام، وثيقة السياسات الحكومية لتطوير القطاع العام 2011، الوصول إلى إدارة حكومية موجهه بالنتائج، على شبكة الانترنت www.mopsd.gov.jo

17. المعشر، مروان، عقد من جهود الإصلاح المتعثّرة في الأردن: النظام الريعي العنيد، سلسلة أوراق مؤسسة كارنيغي للسلام، أيار/ مايو 2011.

18. وزارة تطوير القطاع العام، وثيقة السياسات الحكومية لتطوير القطاع العام 2011، الوصول إلى إدارة حكومية موجهه بالنتائج، على شبكة الإنترنت www.mopsd.gov.jo

19. البواب، سد عجز الموازنة العامة للدولة: النظرية والصراع الفكري للمذاهب الاقتصادية ومناهج العلاج الطبعة الثانية، الإسكندرية، مصر، الدار الجامعية، 2000، ص42.

20. أحمد شامية، خالد الخطيب، أسس المالية، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2002 .

21. قحايرية، آمال، أسباب نشأة المديونية الخارجية للدول النامية، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد الثالث، 2007، ص 135-156

22. شافعي، محمد زكي، مقدمة في العلاقات الاقتصادية الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1970، ص 61، 62.

23. زكي، رمزي ، الديون والتنمية، دار المستقبل العربي، مصر، 1985 ، ص56 .

24. المجلس الوطني الاقتصادي الاجتماعي: "المديونية الخارجية لبلدان جنوب البحر الأبيض المتوسط- عائق أمام التنمية الأورومتوسطية"، الدورة العامة الخامسة عشرة، الجزائر، مايو 2000، ص173-174.

25. البنك المركزي، سلسلة دوريات عن الدين الأردني، العدد السنوي لعام 2008. على شبكة الإنترنت.

26. المرصد الاقتصادي، نشرة المؤشرات الاقتصادية الأردنية، الجامعة الأردنية، الإصدار الثاني، نيسان، 2010، ص36.

27. المجلس الاقتصادي والاجتماعي الأردني، التقرير الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص166.

28. دائرة الإحصاءات العامة، التقرير الإحصائي السنوي الأردني، 2014 ، ص95.

29. جريدة الشرق الأوسط، حبس البطيخي 8 سنوات ومدير المخابرات يخفض العقوبة للنصف، الجمعة 12 جمادى الأولى 1424 هـ 11 يوليو 2003، العدد 8991 .

30. دائرة الإحصاءات العامة، التقرير الإحصائي السنوي الأردني، 2014 ، ص95.

31. المجلس الاقتصادي والاجتماعي، تطورات التجارة الخارجية الأردنية وانعكاساتها على الاقتصاد الوطني خلال الفترة (2000-2010)، عمان، 2012.

32. تأثير أزمة اللاجئين السوريين على المستوى المالي في الأردن، 5 كانون الثاني/ يناير 2014، وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية.

33. بالقاسم العباس، إدارة الديون الخارجية، مجلة جسر التنمية، التنمية في الأقطار العربية، العدد الثلاثون، يونيو/ حزيران، 2004 ، ص7.

34. وزارة المالية، نشرة الدين العام رقم 23 لعام 2009.

35. وزارة المالية، نشرة الدين العام رقم 23 لعام 2009.

36. نجادات، عبد السلام، المديونية الخارجية الأردنية وأثرها على الأمن الوطني الأردني، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، العدد الثالث والثلاثون، 2012، ص 71 .

37. كمال رزيق، التنمية المستدامة في الوطن العربي من خلال الحكم الصالح والديمقراطية، مجلة علوم إنسانية، العدد25، نوفمبر2005.

## المراجع باللغة العربية

أحمد شامية، خالد الخطيب، **أسس المالية**، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2002.

البواب، **سد عجز الموازنة العامة للدولة: النظرية والصراع الفكري للمذاهب الاقتصادية ومناهج العلاج**، الطبعة الثانية، الإسكندرية، مصر، الدار الجامعية، 2000.

بالقاسم العباس، إدارة الديون الخارجية، **مجلة جسر التنمية**، التنمية في الأقطار العربية، العدد الثلاثون، يونيو/ حزيران 2004 .

برنامج الأمم المتحدة، **تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003**: نحو إقامة مجتمع المعرفة، نيويورك، الولايات المتحدة، 2003.

البنك الدولي، الحكم الجيد لأجل التنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ملخص، 2003 على الموقع الإلكتروني:

siteresources.worldbank.org/INTMENA/Publications/20261842/GovernOverviewArab.pdf

البنك الدولي، تقرير عن التنمية في العالم: **الدولة في عالم متغير**، واشنطن، 1997.

البنك المركزي، سلسلة دوريات عن الدَّين الأردني، العدد السنوي لعام 2008. على شبكة الإنترنت.

بوزيد سايح، سبل تعزيز المسائلة والشفافية ومكافحة الفساد وتمكين الحكم الراشد في الدول العربية، **مجلة الباحث**، العدد 10، السنة 2012.

تأثير أزمة اللاجئين السوريين على المستوى المالي في الأردن، 5 كانون الثاني/ يناير 2014، وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية.

جريدة الشرق الأوسط، حبس البطيخي 8 سنوات ومدير المخابرات يخفض العقوبة للنصف، الجمعة 12 جمادى الأولى 1424 هـ 11 يوليو 2003، العدد 8991.

دائرة الإحصاءات العامة، التقرير الإحصائي السنوي الأردني، 2014.

رمزي زكي، **الديون والتنمية، القروض الخارجية وآثارها على البلاد العربية**، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 1985.

زكي، رمزي ، **الديون والتنمية**، دار المستقبل العربي، مصر، 1985 .

السيد مصطفى، **العوامل والآثار السياسية في الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.

شافعي، محمد زكي، **مقدمة في العلاقات الاقتصادية الدولية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1970.

فالح عبد الجبار، **الديمقراطية المستحيلة والديمقراطية الممكنة**، ط1، دمشق، المدى للثقافة والنشر والتوزيع، 1998 .

قحايرية، آمال، أسباب نشأة المديونية الخارجية للدول النامية، **مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا** العدد الثالث، 2007.

كريم، حسن، مفهوم الحكم الصالح، **مجلة المستقبل العربي**، العدد309، تشرين ثاني، 2004.

كمال رزيق، التنمية المستدامة في الوطن العربي من خلال الحكم الصالح والديمقراطية، **مجلة علوم إنسانية**، العدد 25، نوفمبر، 2005.

المجلس الاقتصادي والاجتماعي، تطورات التجارة الخارجية الأردنية وانعكاساتها على الاقتصاد الوطني خلال الفترة (2000-2010) ، عمان، 2012.

المجلس الوطني الاقتصادي الاجتماعي: "المديونية الخارجية لبلدان جنوب البحر الأبيض المتوسط- عائق أمام التنمية الأورومتوسطية"، الدورة العامة الخامسة عشرة، الجزائر، مايو 2000.

المرسي السيد مجازي، التكاليف الاجتماعية للفساد، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 226، 2001.

المرصد الاقتصادي، نشرة المؤشرات الاقتصادية الأردنية، **الجامعة الأردنية**، الإصدار الثاني، نيسان، 2010.

مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني، **سيادة القانون في الأردن: قراءات في متناول الشباب**، مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني، الأردن، جوان 2007.

المعشر، مروان، **عقد من جهود الإصلاح المتعثّرة في الأردن: النظام الريعي العنيد**، سلسلة أوراق مؤسسة كارنيغي للسلام، أيار/ مايو، 2011.

منظمة الشفافية الدولية: **نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد: كتاب المرجعية**، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، 2008.

المومني، رياض، المديونية الخارجية: أسبابها ونتائجها الاقتصادية، **مجلة الملك سعود**، العلوم الإدارية، المجلـد 7، العدد 2، 1995.

نجادات، عبد السلام، المديونية الخارجية الأردنية وأثرها على الأمن الوطني الأردني، **المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية**، العدد الثالث والثلاثون، 2012.

الهيتي، نوزاد عبد الرحمن، الحكم الصالح في الوطن العربي: قراءة تحليلية، **مجلة علوم إنسانية**، السنة الرابعة، العدد 29، تموز (يوليو) 2006.

وزارة المالية، نشرة الدَّين العام رقم 23 لعام 2009.

وزارة تطوير القطاع العام، وثيقة السياسات الحكومية لتطوير القطاع العام 2011، الوصول إلى إدارة حكومية موجهه بالنتائج، على شبكة الإنترنت www.mopsd.gov.jo

وزارة تطوير القطاع العام، محور إعادة هيكلة الجهاز الحكومي، على شبكة الإنترنت، www.mopsd.gov.jo/ar/Pages.

## المراجع باللغة الإنجليزية

Kaufmann, Daniel; Kraay, Aart and Mastruzzi, Massimo, *Measuring Governance Using Cross-Country Perceptions Data*, The World Bank, August (2005).

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2017، ص ص 449- 484

# العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية دراسة مسحية

عزام علي عنانزة*

تاريخ الاستلام 2016/7/14 تاريخ القبول 2016/8/16


## ملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية، ودرجة تأثير هذه العوامل على أدائهم المهني، من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (100) صحفي عامل في المواقع الإخبارية الأردنية المختلفة.

وتوصلت النتائج إلى أن (60%) من عينة الدراسة قد التحقوا بدورات تدريبية في مجالات مختلفة، أبرزها دورات في التحرير الصحفي والتغطية الإخبارية، وأن (40%) من العينة لم يلتحقوا بأي دورة؛ نظراً لعدم انعقاد دورات تندرج في إطار العمل الذي يقومون به، وكان أبرز العوامل الداخلية المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العلاقة بالزملاء الصحفيين العاملين في الموقع، والسياسة التحريرية للموقع، في حين كان أبرز العوامل الخارجية عدم القدرة على تغطية الأحداث التي تجري في الأماكن البعيدة، وتهديد السلطة بالحبس أو الغرامة في حال نشر ما يتعارض معها.

وأشارت النتائج إلى أن أبرز العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإخبارية الأردنية، من وجهة نظر عينة الدراسة هي: الاهتمام بتحقيق السبق الصحفي دون مراعاة التحقق من صحة الخبر، وكذلك قلة المعلنين في المواقع الإخبارية، فيما كان أبرز وسائل تحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين في هذه المواقع: تنظيم الدورات المتخصصة في الكتابة الصحفية الإلكترونية، وكذلك تنظيم الدورات المتخصصة في استخدام الكمبيوتر والإنترنت.


**الكلمات المفتاحية:** الأداء المهني، الصحفيون الأردنيون، المواقع الإخبارية الأردنية.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم الصحافة، جامعة زايد، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

## مقدمة الدراسة

تشهد الصحافة الإلكترونية انتشاراً واسعاً على مستوى العالم، في الوقت الذي تتراجع فيه معدلات توزيع الصحف التقليدية المطبوعة، ما يعد مؤشراً ملحوظاً على تطور الصحافة الإلكترونية في الشكل والمضمون وكذلك على مستوى الممارسة المهنية، إذ ساعدت التقنية الهائلة التي شهدها العالم على نشر الإنترنت جماهيرياً في مختلف أنحاء العالم [1].

وقد شهد الأردن خلال السنوات الأخيرة زيادة كبيرة في عدد مستخدمي الإنترنت، حيث ارتفع عددهم من (127,300 في عام 2000) إلى (1,741,900 في عام 2011)[2]، ليصل إلى ما مجموعه (6 ملايين) مستخدم أردني للإنترنت مع نهاية الربع الأول من عام (2015) بحسب البيانات الرسمية لهيئة تنظيم قطاعات الاتصالات [3]، وهذا يضفي عاملاً مهماً من العوامل التي تستوجب البحث في المعايير المهنية للصحافة الإلكترونية الأردنية [4]. وقد فرضت هذه المواقع نفسها على الساحة الإعلامية نتيجة انتشارها الواسع، وارتفاع سقف الحرية والتعبير، والتنوع في عرض التوجهات والآراء المختلفة، وقد كان لهذه الاعتبارات دور فاعل في التطورات على المستوى الأردني، كما أنها تسلط الضوء بشكل غير تقليدي على القضايا التي تهم الشعب الأردني، وأصبحت وسيلة رقابة وضغط على صناع القرار؛ بسبب قدرتها في التأثير على مواقف الجمهور واتجاهاته، وتشكيل الرأي العام، وخصوصاً لدى فئة الشباب التي تعد الأكثر تصفحاً لهذه المواقع [5].

وتشكل الصحف الإلكترونية الأردنية التي ليس لها نسخ ورقية الجزء الأهم في خدمة الأخبار والمعلومات الإلكترونية في الأردن، حيث وصل عددها إلى ما يزيد على (100) صحيفة إلكترونية عاملة، ويضاف إليها (8) صحف إلكترونية لها أصل ورقي يصدر بشكل يومي، و(11) صحيفة إلكترونية لها أصل ورقي يصدر بشكل أسبوعي، و(3) صحف إلكترونية لصحف ورقية حزبية، ويدل المحتوى المقدم في الصحف الإلكترونية الأردنية على أن هذه الصحف قد وضعت لنفسها أهدافاً واضحة، كزيادة انتشارها الجماهيري عن طريق استخدام وسائل التفاعل مع القراء من خلال التعليقات، أو إعادة نشر أخبارها على مواقع التواصل الاجتماعي[6].

وقد أصبح من الواضح أن هناك العديد من العوامل المؤثرة سلباً أو إيجاباً على المحتوى الإعلامي، سواء من داخل المؤسسة أو خارجها، وكما يتأثر هذا المحتوى بالفكرة والمبدأ؛ فإنه يتأثر كذلك باتجاهات القائم بالاتصال وممارسته المهنية، ويمكن إيجاز هذه العوامل بـ: مستوى التدريب والتأهيل الذي يتمتع به الصحفي، وعلاقة الصحفي بمصادره وزملائه والنقابات والاتحادات الصحفية، الحقوق المادية والمعنوية للصحفي، ومدى استيعاب الصحفي للقوانين التي تنظم العمل الصحفي، كما يمكن أن يتعرض الصحفي لضغوط أخرى تؤثر في أدائه المهني مثل

السلطة والرؤساء والجمهور والإمكانات، وتقاليد المجتمع وقيمه، والظروف الداخلية والخارجية[7].

وبناءً على ما تقدم، يمكن اعتبار الصحافة الإلكترونية من أهم تطورات تكنولوجيا المعلومات والاتصال، حيث أرسى هذا النوع من الصحافة دعائمه على شبكة الإنترنت، وأخذت أعداد الصحف الإلكترونية تتزايد بطريقة متسارعة وخلال فترة قصيرة، غير أن الاهتمام البحثي بهذه الصحف قد تركز على درجة مقروئيتها، وأساليب تغطيتها وتحليل مضامينها، ومن هنا تأتي أهمية الدراسة الحالية في تسليطها الضوء على الأداء المهني للصحفيين العاملين في هذه الصحف، وعلى العوامل المؤثرة على هذا الأداء.

## مشكلة الدراسة

تشهد الصحافة الإلكترونية الأردنية تحديًا كبيرًا يتمثل في زيادة منافستها للصحافة الورقية، حيث ارتفع عدد الصحف الإلكترونية في الأردن إلى ما يزيد عن (100) صحيفة، رافقه ازدياد في النشر الصحفي والدفق المعلوماتي والإخباري الإلكتروني في ظل مستوى الحرية العالي في إصدار الصحف الإلكترونية دون محددات أو شروط تحد من طبيعة الممارسة المهنية التي يجب توافرها في الأداء الصحفي [8].

ونتيجةً لذلك، أصبح الصحفيون العاملون في الصحافة الإلكترونية الأردنية يواجهون تحديات مختلفة، سواء مهنية (من داخل البيئة الصحفية) أو غير مهنية (من المحيط الذي تعمل به الصحيفة) أثرت بشكل أو بآخر على الأداء المهني للصحفيين، وقد اتضح من خلال اطلاع الباحث على الدراسات السابقة التي تناولت المواقع الإخبارية الأردنية بشكلٍ عام والعوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين بها بشكل خاص أن الإسهامات العلمية والبحثية التي أجريت في هذا المضمار لا تزال محدودة، ونظراً للأهمية التي تفرضها هذه المواقع من خلال انتشارها الكبير ومنافستها للصحافة الورقية، فإن هذه الدراسة تحاول أن تتعرض للعوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها، ذلك أن هؤلاء الصحفيين هم القائمون على هذه المواقع والمحافظون على استمراريتها، وبناءً على ذلك يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

**ما العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين القائمين على المواقع الإخبارية الأردنية؟**

## أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من النقاط التالية:

1- ندرة الدراسات العربية التي تناولت العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في مختلف الصحف؛ ورقية كانت أو إلكترونية.

2- تسليط الضوء على العوامل المؤثرة على الأداء المهني في المواقع الإخبارية من وجهة نظر الصحفيين العاملين فيها، حيث يعد هؤلاء العاملون المصدر الرئيسي الذي من خلاله يمكننا معرفة هذه العوامل.
3- اعتبار موضوع الصحافة الإخبارية الأردنية والعوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها من الموضوعات الحيوية التي تحتاج إلى البحث والتمحيص والدراسة.
4- محاولة الباحث أن يرفد المكتبة الإعلامية العربية عموماً والأردنية خصوصاً ببحث جديد في مجال الصحافة الإخبارية الأردنية والعوامل المؤثرة على الصحفيين العاملين فيها.

**أهداف الدراسة**

يتمثل الهدف الرئيسي من هذه الدراسة في تعرّف العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية، ويتفرع من هذا الهدف مجموعة أهداف فرعية تتمثل في تعرّف:

1- المهارات التي يتمتع بها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية الأردنية.
2- مستوى التأهيل والتدريب للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية.
3- مدى قيام المواقع الإخبارية الأردنية بتقييم الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها.
4- درجة تأثير العوامل الداخلية والخارجية على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية.
5- العقبات والتحديات التي تواجه المواقع الإخبارية من وجهة نظر الصحفيين العاملين فيها.

**أسئلة الدراسة**

بناءً على الأهداف السابقة تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما المهارات التي يتمتع بها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية الأردنية؟
2- ما طبيعة الدورات التدريبية التي يحصل عليها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية؟
3- ما مدى قيام المواقع الإخبارية الأردنية بتقييم الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها؟
4- ما العوامل الداخلية التي تؤثر على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية؟
5- ما العوامل الخارجية التي تؤثر على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية؟
6- ما درجة تأثير العوامل الداخلية والخارجية على الأداء المهني للصحفيين في المواقع الإخبارية؟

7- ما العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الأردنية من وجهة نظر العاملين فيها؟

8- ما اقتراحات الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية لتطوير أدائهم المهني؟

**فروض الدراسة**

1- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المهارات التي يمتلكها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين تعزى للنوع الاجتماعي.

3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين تعزى لمتغير العمر.

4- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين تعزى لسنوات الخبرة.

5- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين تعزى لنوع الوظيفة.

6- توجد علاقة ارتباطية بين العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإلكترونية وكيفية تحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها من وجهة نظر عينة الدراسة.

**مصطلحات الدراسة**

1. **الأداء المهني:** مجموعة الوظائف والنشاطات التي يقوم بها الصحفيون الأردنيون في المواقع الإخبارية الأردنية في إطار الأنظمة والقوانين داخل الدولة، وكذلك في إطار السياسة التحريرية للموقع الإخباري، وترتبط فاعلية هذا الأداء بالمصداقية والموضوعية حينما تتوفر له مساحة حرية من أجل التعبير عن الآراء وخدمة مصالح المجتمع [(9)].

**ويمكن تعريف الأداء المهني إجرائياً بأنه:** الجهد الذي يقوم به الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية، ومدى تنفيذهم الواجبات المقررة في الوظيفة التي يشغلونها، إضافة إلى مدى تحقيقهم مسؤولياتهم تجاه المجتمع من خلال تقديمهم الخدمات المطلوبة منهم أثناء تأديتهم دورهم المهني.

2. **المواقع الإخبارية:** هي مواقع إلكترونية على الإنترنت، تطرح نفسها كمشروع إعلامي، وتتضمن هيئة تحرير وشبكة مندوبين ومراسلين، ولديها سياسة تحريرية واضحة، وتعد لغة الموقع والمساحة الجغرافية التي تغطيها من أهم العوامل التي تحدد طبيعة الجمهور وحجمه [10].

**أما تعريف المواقع الإخبارية إجرائياً:** فهي مجموعة من المواقع الإلكترونية الصحفية التي لا يوجد لها نسخ ورقية مطبوعة، والتي تعرض القضايا الإخبارية الحديثة على شبكة الإنترنت بعد الحصول عليها من مراسلين يعملون في الموقع، أو من وكالات أنباء، أو نقلاً عن مواقع إخبارية أخرى، وبعض هذه المواقع تتعاقد فيما بينها لتبادل الأخبار والمواد الصحفية.

**نظريات الدراسة**

**1) نظرية حارس البوابة الإعلامية:**

جاءت نظرية حارس البوابة من عمق النظريات الاتصالية المتعلقة بالقائمين بالاتصال، وقد انبثقت من الدراسات التي أجراها عالم النفس النمساوي (Kurt Lewin)، وتنص النظرية على أنه كلما طالت المراحل التي تقطعها الأخبار حتى تبث أو تذاع في الوسيلة الإعلامية؛ تزداد المواقع التي يصبح فيها من سلطة "حراس البوابات" تقرير ما إذا كانت الرسالة ستنقل إلى الجمهور بنفس الشكل أو سيتم إجراء تعديلات عليها [11].

وقد أجريت العديد من الدراسات التي ركزت على الجوانب الرئيسية لعملية حراسة البوابة بدون استخدام هذا المصطلح، وقد قدمت تلك الدراسات تحليلاً وظيفياً لطرق التحكم في غرفة الأخبار، والإدراك المتناقض لدور العاملين في الوسيلة الإعلامية ومراكزهم، ومصادر أخبارهم، والقيم المؤثرة على انتقاء الأخبار، وقام بهذه الدراسات مجموعة من الباحثين الأمريكيين أمثال (Carter, Stark, Breed, Gieber) وغيرهم [12].

ومن الحقائق الأساسية التي أشار إليها صاحب النظرية (Kurt Lewin) أنّه في كل حلقة بطول السلسلة هناك فرد ما يتمتع بكامل الحق في تقرير ما إذا كانت الرسالة التي وصلت إليه ستمر كما هي إلى الحلقة التالية، أم سيزيد عليها أو يحذف منها أو يلغيها كلياً، إذ إن مفهوم "حراسة البوابة" يعني السيطرة على مكان إستراتيجي في سلسلة الاتصال، بحيث يصبح لحارس البوابة سلطة اتخاذ القرارات فيما يتعلق بالرسالة الإعلامية قبل وصولها إلى الجمهور المستهدف، وقد أشار (Lewin) إلى أن فهم وظيفة البوابة يعني بالضرورة فهم المؤثرات التي تتحكم في القرارات الصادرة عن حارس البوابة[13].

ويمكن تقسيم العوامل المؤثرة على عمل حارس البوابة الإعلامية إلى أربعة عوامل رئيسية هي: تقاليد المجتمع ومعاييره وقيمه، ومعايير ذاتية للقائم بالاتصال وتشتمل على عوامل التنشئة الاجتماعية والاتجاهات والتعليم والميول والجماعات المرجعية والانتماءات، ومعايير مهنية للقائم بالاتصال، وتشتمل على سياسة الوسيلة الإعلامية التي يعمل فيها، وكذلك مصادر الأخبار المتاحة وعلاقات العمل، وأخيراً معايير الجمهور[14].

**2) مدخل الضغوط والممارسات المهنية:**

يتأثر المضمون الصحفي بشكل كبير باتجاهات الممارسة المهنية للقائم بالاتصال أو حارس البوابة وخصائصها، كما تتأثر الممارسة المهنية للقائم بالاتصال بعدد كبير من العوامل، مثل التنظيم الإداري للمؤسسة التي يعمل فيها، والتأهيل العلمي والمهني له، وكذلك اتجاهات العلاقات الوظيفية والاجتماعية بين مختلف المستويات وبين الزملاء، إضافةً إلى العوامل المتعددة المؤثرة على مستوى الرضا الوظيفي. كما أصبح من الثوابت الإقرار بالتأثير الخاص لقرار مالك المؤسسة أو المديرين على المنتج الإعلامي النهائي[15]. وبناءً على ذلك فإن الناتج الإعلامي لا يتأثر بالعوامل الخارجية في البيئة أو السياق الاجتماعي أو جمهور المتلقين فقط، بل يتأثر أيضاً باتجاهات الممارسة المهنية في المؤسسات الإعلامية [16].

**3) مدخل العوامل الاجتماعية المؤثرة في طبيعة الممارسة المهنية:**

أصبح مفهوم البعد الاجتماعي في بناء مدركات الفرد وعلاقاته بوسائل الإعلام مدخلاً لتفسير السلوك والاستجابة لهذه الوسائل، وقد ظهر بناءً على ذلك مجموعة من النماذج المفسرة للعلاقات الاجتماعية وتأثير الجماعات المرجعية وعلاقاتها بالسلوك الإنساني مع وسائل الإعلام وتأثيرها على كل من المرسل والمستقبل، وهذا ما ظهر في كتابات (Hibert) وزملائه الذي أوضحوا العوامل المؤثرة على حركة الرسالة حتى وصولها إلى المتلقي، وعودتها مجدداً إلى القائم بالاتصال في صورة رجع صدى أو تغذية راجعة[17]، إذ يعد الصحفي نتاج محيطه المؤثر به، شأنه شأن أي فرد داخل المجتمع، بحيث تتشكل لديه القناعات والأفكار من الثقافة السائدة في البيئة التي يعيش فيها ويتفاعل معها، ثمّ إن وسائل الإعلام تعد جزءاً مهمّاً من مؤسسات المجتمع كونها من أهم أدوات صناعة الرأي العام، كما أن الواقع الاجتماعي في أي بلد يفرض على وسائل الإعلام أن تتعاطى مع مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية بطريقة معينة، وغالباً ما تعد هذه الاعتبارات قيوداً على حرية الصحف في التعاطي مع الأخبار والقضايا المختلفة لتعارضها مع الأسس الاجتماعية والثقافية في المجتمع[18].

وتتمثل العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة في طبيعة الممارسة المهنية في التقاليد والأعراف، وفي هاجس الهوية وتحديات التركيبة السكانية، وفي مبادئ الدين والعقيدة، والتقدم

العلمي وثورة تكنولوجيا الاتصال، وقصور نظرة المجتمع للعمل الصحفي، ومشكلة التعامل مع مصادر المعلومات.

**الدراسات السابقة:**

**أولاً: الدراسات العربية**

- **دراسة عنانزة وآخرون (2015) "العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الصحف اليومية الأردنية"** [19]. هدفت الدراسة إلى معرفة العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الصحف اليومية الأردنية ودرجة تأثير هذه العوامل ونوعها، من خلال إجراء مسح ميداني باستخدام أسلوب الحصر الشامل على (100) صحفية عاملة في الصحف اليومية الأردنية، وتوصلت الدراسة إلى افتقار الصحفيات إلى الدورات التدريبية المتخصصة في الصحافة، وكانت أبرز أسباب عدم حصولهن على تلك الدورات وجود ضغط في العمل يؤدي إلى عدم التفرغ للتدريب بنسبة (28.8%)، وكذلك بسبب التمييز من قبل إدارة المؤسسة بين الرجال والنساء بنسبة (25%)، وفيما يخص مدى تأثير العوامل المختلفة على الأداء المهني أفاد (64%) من الصحفيات أن الرضا المهني يؤثر إيجاباً على الأداء المهني، (55%) تؤثر العلاقة مع رؤساء العمل إيجاباً على الأداء الصحفي، (71%) تؤثر اللوائح الإدارية داخل المؤسسات الصحفية التي يعملن بها سلباً على الأداء الصحفي، وأخيراً (56%) تؤثر السياسة التحريرية سلباً على الأداء الصحفي.

- **دراسة بني حمدان (2014) " دور المواقع الإخبارية الإلكترونية في تدعيم عملية الإصلاح السياسي 2011-2014"** [20]. هدفت الدراسة إلى تحديد مدى تأثير المواقع الإخبارية في تدعيم عملية الإصلاح السياسي في الأردن في الفترة الواقع بين عامي (2011-2014) من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (358) مفردة من الإعلاميين الأردنيين، وخلصت الدراسة إلى أن أبرز جوانب المسؤولية الاجتماعية للمواقع الإخبارية الأردنية تمثلت في إحاطة الجمهور بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الداخلية (76.8%)، والحث على محاربة الفساد بأشكاله كافة (71.2%)، فيما تمثلت أبرز جوانب المسؤولية السياسية لهذه المواقع في نشر الوعي السياسي لدى الجمهور، وكذلك نشر التحليلات المختلفة حول القضايا الوطنية.

- **دراسة سعيود (2012) "تأثير حرية الصحافة في الجزائر على الممارسة المهنية"**[21]. هدفت الدراسة إلى معرفة العوامل المؤثرة على حرية الصحافة والممارسة المهنية في الجزائر من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (175) مفردة من الصحفيين الجزائريين العاملين في الصحف الحكومية والخاصة، وتوصلت الدراسة إلى أن (81.2%) من

العينة يرون أن هناك صعوبات في الوصول إلى مصادر المعلومات تتمثل في احتكار المصادر الحكومية للمعلومات الخاصة بها، وسيطرة الدولة على وكالات الأنباء، وأن (33.7%) يرون أن نقابة الصحفيين لا تقوم بأي دور لضمان حرية الصحفي في ممارسة عمله، كما أن السلطة الحاكمة تقوم بالتضييق على حرية الصحافة من خلال رقابتها وتعسفها في محاكمة الصحفيين، ويرى (43.9%) من عينة الدراسة أن هناك ضغوطاً يتعرضون لها دون ذكر أمثلة، بينما يرى (23%) أن هذه الضغوط تتمثل في تحديد السياسة التحريرية، و(17.6%) يرون أن الضغوط تتمثل في المحاسبة والتهديد بالفصل من العمل.

- **دراسة تلاحمة (2012) "حراسة البوابة الإعلامية والتفاعلية في المواقع الإخبارية الفلسطينية على شبكة الإنترنت"** [(22)]. هدفت الدراسة إلى معرفة أساليب الربط الإلكتروني التي تتيحها المواقع الإخبارية الفلسطينية لجمهورها باستخدام نظام الوسائط المتعددة والوصلات التشعبية، من خلال استخدام المنهج المسحي على عينة عشوائية من حراس البوابة العاملين في (31) موقعاً من تلك المواقع، وخلصت الدراسة إلى أن (58.1%) من حراس البوابة لديهم الحرية الكاملة في الكتابة، بينما (19.4%) من حراس البوابة لديهم سقف حرية في الكتابة تمنحهم إياه إدارة هذه المواقع، وأشار (71%) من العينة إلى أن المواقع الإخبارية تتيح خاصية المشاركة مقابل (29%) لا تتيح ذلك، ويرى (77.4%) من عينة الدراسة أن حارس البوابة يقوم بدور الرقابة على تعليقات زوار هذه المواقع، وأفاد (93.5%) من العينة أن هذه المواقع تستخدم خاصية الانتقال من نص مختزل إلى نص أكثر تفصيلاً، كما تستخدم الوصلات التشعبية لربط المادة الخبرية بغيرها من المواد داخل الموقع.

- **دراسة أبو الحمام (2011) "تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية على صحافة الإنترنت العربية"** [(23)]. هدفت الدراسة إلى معرفة السمات العامة لصحافة الإنترنت الإخبارية العربية كما يراها القائمون بالاتصال، ومعرفة تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الأداء المهني من وجهة نظر محرريها، من خلال استخدام المنهج المسحي على عينة قوامها (84) محرراً من الصحفيين الإلكترونيين العرب، وأظهرت النتائج أن (57.1%) من عينة الدراسة يرون أن النظام السياسي يمارس ضغوطات على الصحف الإلكترونية، وأن (53.6%) منهم يرون أن هذا النظام يمارس رقابته على هذه الصحف، كما أن (71.4%) من عينة الدراسة يرون أن القيم والأعراف الاجتماعية تؤثر سلباً على حرية هذه الصحف وعلى أدائها، فيما أفاد (42.9%) من عينة الدراسة أن الإعلان يسهم بشكل ضعيف في إصدار الصحف والمواقع على الإنترنت، بينما أفاد (32.1%) أن الإعلان يسهم كثيراً في ذلك، وكان أبرز

التحديات التي تواجه هذه الصحف هي: النظم السياسية العربية القائمة بنسبة (71.4%)، وكذلك تدني العوائد المادية للإعلان التجاري بنسبة (50%).

- **دراسة الدبيسي (2011) "المعايير المهنية في الصحافة الإلكترونية الأردنية"**[24].
هدفت الدراسة إلى معرفة أساليب العاملين في الصحافة الإلكترونية لتحقيق المعايير المهنية في نشر الأخبار والتقارير ومعرفة الاتجاهات السائدة لدى القائمين بالاتصال نحو هذه المعاير، من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (120) صحفياً يعملون في مختلف الصحف الإلكترونية الأردنية، وتوصلت الدراسة إلى أن (87.9%) من عينة الدراسة يرون أن الصحافة الإلكترونية الأردنية تتمتع بحرية مطلقة أو محدودة نسبياً، وأن (47%) منهم يرون أن ما تنشره هذه المواقع يراعي العادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع الأردني، كما أن (35.4%) يرون أن الصحف تلتزم بالموضوعية فيما تنشره، ويرى (29.3%) من العينة أن هذه الصحف تلتزم بالبحث والتقصي عن مصداقية أخبارها ومعلوماتها؛ وتقوم بحذف الأخبار من مواقعها في حال تبين عدم صحتها.

- **دراسة علاونة ونجادات (2009) "مقروئية الصحف الإلكترونية لدى أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة اليرموك"** [25]. هدفت الدراسة إلى معرفة دوافع تعرض أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك للصحافة الإلكترونية والإشباعات المتحققة منه، من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (168) عضو هيئة تدريس، وخلصت الدراسة إلى أن (88.1) من عينة الدراسة يتعرضون دائماً أو أحياناً إلى هذه الصحف، وأن (11.9%) راضون عن مستوى أداء هذه الصحف من ناحية الخدمات التي تقدمها، وأفاد (30.6%) أن دوافع التعرض لهذه الصحف هو امتيازها بالسرعة في نقل الأخبار، و(29.4%) لأنها متوافرة بسهولة، و(16.9%) لأن كلفتها المادية قليلة، وقد جاءت الأخبار التي تعرضها الصحف الإلكترونية في مقدمة الأنماط الصحفية التي تتعرض لها عينة الدراسة، يليها المقالات والتحليلات، ثم التقارير، وأخيراً الإعلانات.

- **دراسة قدواح (2008) "اتجاهات الصحفيين الجزائريين نحو استخدام الصحافة الإلكترونية"**[26]. هدفت الدراسة إلى معرفة مدة استعانة الصحفيين الجزائريين بالصحف الإلكترونية مصدرًا للمعلومات، ومعرفة الخدمات التي تقدمها هذه الصحف للصحفيين العاملين في الصحافة الورقية، من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (104) صحفيين موزعين على الجرائد العاملة في الجزائر العاصمة وقسنطينة، وتوصلت الدراسة إلى أن (49.9%) من أفراد العينة يتصفحون الصحف الإلكترونية بصفة دائمة، ويرى (69.3%) أن الصحفي الجزائري يقرأ

الصحافة الإلكترونية لإسهامها في تطوير مهاراته الصحفية، كما أن (78.9%) يعتقدون أن الصحافة الورقية ستزول مستقبلاً أمام انتشار الصحافة الإلكترونية.

- **دراسة أبو وردة (2008) "أثر المواقع الإلكترونية الفلسطينية على التوجه والانتماء السياسي"**[27]. هدفت الدراسة إلى تحديد العلاقة بين المواقع الإلكترونية الإخبارية والتوجهات والانتماءات السياسية لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (400) مفردة من طلبة جامعة النجاح الوطنية، وأظهرت النتائج أن (68.2) من أفراد العينة يعتبرون المواقع الإلكترونية الإخبارية مصدراً للمعلومات، ويرى (77.8%) أن الاهتمام بالقضية الفلسطينية وانتفاضة الأقصى من أبرز أسباب متابعة هذه المواقع، كما أن (72.2%) من أفراد العينة يرون أن المواقع الإلكترونية تسهم في رفع وتيرة التعصب الحزبي، وتبين أن (48%) من أفراد العينة لا يتابعون المواقع الإخبارية الإسرائيلية لعدم وثوقهم بها.

**ثانياً: الدراسات الأجنبية**

- **دراسة (Al-Rawi, 2011) "الصحفيات العراقيات: التحديات والمآزق"**[28]. هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أوضاع الصحفيات العراقيات العاملات في وسائل الإعلام العراقية بعد الغزو الأمريكي عام (2003)، حيث اعتمد الباحث على المصادر العربية والإنجليزية خلال استعراضه واقع العمل الصحفي لدى الصحفيات العراقيات، وقد توصلت النتائج إلى أن هناك مجموعة من الصحفيات العراقيات قد تعرضن للأذى بسبب انتمائهن العرقي، وأن بعض الصحفيات قد تعرضن للتهديد بالقتل أو الخطف من قبل بعض الجماعات المسلحة والأحزاب السياسية؛ بسبب ممارستهن للعمل الإعلامي وتغطية الأحداث بطريقة متوازنة، إضافةً إلى أن الحالة الصعبة التي يعيشها العراق نتيجة الانقسام الديني والسياسي قد عززت الأداء الإعلامي لديهن.

- **دراسة (Reinardy, 2009) "الصحفيات أكثر عرضة لترك الصحف التي يعملن بها"**[29]. هدفت الدراسة إلى معرفة العوامل المؤثرة على أداء الصحفيات العاملات في الصحف الأمريكية من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (750) مفردة موزعة على (74) صحيفة أمريكية، وخلصت النتائج إلى أن أهم العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات جاءت كما يلي: مستوى الرضا الوظيفي، الدعم المتوقع من الصحيفة، بيئة العمل الداخلية والخارجية والخلافات التي قد تتعرض لها الصحفيات، العبء الزائد، متطلبات الوظيفة الصحفية، القدرات الذهنية والجسمانية، وأشارت النتائج إلى أن ما نسبته (30%) من عينة الدراسة يرغبن في ترك وظيفتهن، وأن نسبة كبيرة من العينة لديهن مستوى مرتفع من الإرهاق بسبب ظروف العمل الصحفي؛ وأنهن يعانين من تدني الكفاءة المهنية مقارنةً بالصحفيين الرجال.

- دراسة (Lee & Man, 2009) **"كسر الزجاج في غرفة الأخبار: تجربة تمكين الصحفيات"**[30]. هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الغرف الإخبارية للمؤسسات الإعلامية في مدينة هونغ كونغ، من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (27) صحفية، وتوصلت النتائج إلى أن فئة الذكور هي الأكثر سيطرة من الإناث على غرف الأخبار والمناصب التحريرية، كما أن هناك ازديادًا في عدد الصحفيات العاملات في الصحف الكورية الجنوبية؛ وفي الوقت نفسه فإن الصحفيين الذكور هم من يسيطرون عليهنّ ويؤثرون في قيمهن العملية.

- دراسة (Singer & Others, 1998) **"نجوم أو مواطنون من الدرجة الثانية؟: قضايا الإدارة والتوظيف التي تمس الصحفيين العاملين في الصحف الإلكترونية"**[31]. هدفت الدراسة إلى معرفة القضايا التي ترتبط بواقع الصحافة الإلكترونية الأمريكية من خلال إجراء مسح ميداني على عينة قوامها (466) صحفياً عاملاً في الصحف الأمريكية، وكشفت النتائج أن عدد الصحفيين في المواقع الإلكترونية لا يزال محدوداً مقارنة بالصحفيين في الصحف المطبوعة، علماً أن رواتب موظفي الصحافة الإلكترونية تتساوى تقريباً مع رواتب الصحفيين العاملين في الوظيفة نفسها في الصحف المطبوعة، ويرى معظم أفراد العينة العاملين في الصحف الإلكترونية أن زملاءهم في الصحف المطبوعة ينظرون إليهم نظرة سلبية، وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية.

**تعليق الباحث على الدراسات السابقة**

من خلال اطلاع الباحث على الدراسات السابقة، تمثل تعليقه في النقاط الآتية:

- معظم الدراسات السابقة تناولت العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية المؤثرة على الصحافة الإلكترونية، أو واقع الصحفيات في الصحف اليومية والعوامل التي تؤثر عليهن، بينما تركز هذه الدراسة على العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية تحديداً.
- الدراسات السابقة حديثة، حيث تم إجراء معظمها في السنوات العشر الأخيرة، وهذا يعني أن الصحافة الإلكترونية قد أرست قواعدها وحققت انتشاراً واسعاً ينافس الصحافة الورقية.
- لم يحظ القائم بالاتصال في المواقع الإخبارية بالاهتمام البحثي الكافي لتحديد العوامل المؤثرة على أدائه المهني، ومدى تأثير هذه العوامل على واقع الممارسة المهنية، حيث ركزت الدراسات العربية على جوانب مختلفة من العمل الإعلامي دونما تحديد دقيق للعوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين.

- أسهمت الدراسات السابقة في تحديد مشكلة الدراسة، وتقويم أسئلتها، كما أسهمت في وضع أداة الدراسة "الاستبانة"، وكذلك مقارنة نتائج الدراسة الحالية بنتائج تلك الدراسات السابقة.
- تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في ارتباطها بالصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية والعوامل المؤثرة على أدائهم المهني، إذ تحاول تحديد هذه العوامل الداخلية والخارجية والعقبات التي تواجه المواقع الإخبارية الأردنية، وكيفية تحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها.

**نوع الدراسة ومنهجها:**

تنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية التي تتجه إلى وصف ما هو كائن وتفسيره كماً ونوعاً، وتهتم بتحديد العلاقات والظروف التي تربط بين الوقائع، وتحديد الممارسات السائدة (العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية)، من خلال جمع البيانات والمعلومات والتعبير عنها بما يوضح خصائصها وسماتها[32]، وفي إطار ذلك استخدمت الدراسة منهج المسح الميداني.

وضمن هذا المنهج استخدمت الدراسة مسح جمهور الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية الذي يهدف إلى تعرّف آراء هؤلاء الصحفيين والوقوف على العوامل المؤثرة على أدائهم المهني.

**مجتمع الدراسة وعينتها**

يمثل مجتمع الدراسة جميع الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية من غير الأعضاء في نقابة الصحفيين الأردنيين، وقد تم اختيار عينة عمدية قوامها (100) صحفي من تلك المواقع، ويوضح الجدول رقم (1) العوامل الديموغرافية لعينة الدراسة:

**جدول 1 :** العوامل الديموغرافية لعينة الدراسة

| المتغير | الفئة | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| النوع الاجتماعي | ذكور | 63 | %63 |
| | إناث | 37 | %37 |
| العمر | أقل من 25 سنة | 10 | %10 |
| | 25 – أقل من 35 سنة | 43 | %43 |
| | 35 – أقل من 45 سنة | 29 | %29 |
| | 45 سنة فأكثر | 18 | %18 |
| الحالة الاجتماعية | أعزب | 25 | %25 |
| | متزوج | 72 | %72 |
| | مطلق | 3 | %3 |
| المستوى التعليمي | ثانوية عامة فأقل | 5 | %5 |
| | بكالوريوس | 81 | %81 |
| | دراسات عليا | 14 | %14 |
| التخصص الأكاديمي | صحافة وإعلام | 49 | %49 |
| | تخصص آخر | 51 | %51 |
| الدخل الشهري | أقل من 500 دينار | 39 | %39 |
| | 500 دينار – 750 دينار | 45 | %45 |
| | أكثر من 750 دينار | 16 | %16 |
| طبيعة العمل الذي تقوم به | مندوب صحفي | 34 | %34 |
| | محرر صحفي | 49 | %49 |
| | مصور صحفي | 17 | %17 |
| سنوات الخبرة | أقل من سنتين | 11 | %11 |
| | سنتان - أقل من 5 سنوات | 46 | %46 |
| | 5 سنوات - 10 سنوات | 22 | %22 |
| | أكثر من 10 سنوات | 21 | %21 |
| اللغات التي تجيدها | لا أجيد أي لغة أجنبية | 38 | %38 |
| | لغة أجنبية واحدة | 54 | %54 |
| | لغتين أجنبيتين أو أكثر | 8 | %8 |
| **المجموع (ن) = 100** | | | |

### أداة جمع البيانات

تم استخدام (الاستبانة) أداةً للدراسة، وتضمّنت مجموعة من المحاور المتمثلة في: العوامل الديموغرافية لعينة الدراسة، وتقييم إدارة المواقع الإخبارية الأردنية للصحفيين العاملين فيها، والعوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية، وأخيراً العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإخبارية وكيفية تحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها.

### إجراءات الصدق:

استخدم الباحث أسلوب صدق المضمون من أجل التأكد من أن أداة جمع البيانات تتضمن جميع المتغيرات والأبعاد المرتبطة بالمشكلة البحثية، ومدى توافقها مع أهداف البحث وتساؤلاته، وكذلك من أجل التأكد من تغطيتها لموضوع الدراسة من خلال عرضها على مجموعة من أساتذة الإعلام في جامعة اليرموك وهم: د.حاتم علاونة، د. محمود السماسيري، د. خلف الطاهات، د. عبد الباسط شاهين، د. محمد عمارة.

### إجراءات الثبات:

تم حساب معامل الثبات كرونباخ ألفا باستخدام برنامج (SPSS)، حيث بلغت درجة الثبات لمقياس المهارات التي يمتلكها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية الأردنية ($\alpha=0.861$)، والعوامل الداخلية المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية ($\alpha=0.764$)، والعوامل الخارجية المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية ($\alpha=0.700$).

### الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة

استخدم الباحث برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) لتحليل بيانات الدراسة من خلال الاعتماد على الأساليب الإحصائية الآتية: التكرارات والنسب المئوية، المتوسطات الحسابية (Means)، الانحرافات المعيارية (Standard Deviation)، اختبار (T-Test)، تحليل التباين الأحادي (One Way Anova)، معامل الارتباط بيرسون (Person Correlation)، كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha).

**نتائج الدراسة ومناقشتها**

**أولاً: الخصائص المهنية للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية**

**1) المهارات التي يمتلكها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية الأردنية**

**جدول 2:** مهارات الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية

| المهارات | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| استخدام الإنترنت. | 4.72 | 0.570 |
| القدرة على اختيار القالب الصحفي المناسب لعرض المادة الصحفية. | 4.48 | 0.674 |
| القدرة على اختزال المادة الصحفية بما يتناسب مع طبيعة الموضوع. | 4.30 | 0.745 |
| مهارات الاتصال. | 4.19 | 0.982 |
| السرعة في تغطية الأخبار العاجلة. | 4.18 | 0.609 |
| القدرة على التحرير الصحفي. | 4.14 | 0.853 |
| القدرة على الاستماع للمتحدث أثناء المقابلة. | 4.10 | 0.674 |
| القدرة على إيجاد مصادر صحفية من خلال الإنترنت. | 3.98 | 0.864 |
| القدرة على إجراء مقابلات صحفية باستخدام البريد الإلكتروني (حديث صحفي). | 3.74 | 0.970 |
| القدرة على استطلاع الآراء باستخدام البريد الإلكتروني (بحوث الرأي العام). | 3.54 | 0.999 |
| القدرة على استخدام الموسوعات والمكتبات المتوافرة على الإنترنت. | 3.53 | 0.674 |
| **المتوسط** | **4.08** | **0.783** |

** استخدم الباحث المقياس التالي: (5) كبيرة جداً (4) كبيرة (3) متوسطة (2) ضعيفة (1) ضعيفة جداً، لقياس هذا السؤال.

يظهر من خلال الجدول رقم (2) أن أكثر ثلاث مهارات يمتلكها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية الأردنية هي: "استخدام الإنترنت" (M=4.72)، تليها "القدرة على اختيار القالب الصحفي المناسب لعرض المادة الصحفية" (M=4.48)، ثم "القدرة على اختزال المادة الصحفية بما يتناسب مع طبيعة الموضوع" (M=4.3)، في حين كانت أقل ثلاث مهارات هي: "القدرة على إجراء مقابلات صحفية باستخدام البريد الإلكتروني" (M=3.74)، تليها "القدرة على استطلاع الآراء باستخدام البريد الإلكتروني" (M=3.54)، ثم "القدرة على استخدام

الموسوعات والمكتبات المتوافرة على الإنترنت" (M=3.53)، وقد بلغت قيمة معامل الثبات "كرونباخ ألفا" لهذا السؤال (0.861)، وقد تعزى هذه النتائج إلى اعتماد المواقع الإخبارية على الإنترنت اعتماداً مطلقاً فيما يخص الوصول إلى الجماهير، ولذلك فيجب توافر مهارة استخدام الإنترنت لدى الصحفيين العاملين في هذه المواقع، كما أن طبيعة هذه المواقع الإخبارية، التي تعتمد على الأخبار العاجلة، قد تغني عن استخدام الموسوعات والمكتبات الإلكترونية التي قد يلجأ إليها الصحفي من أجل استعراض تاريخ القضية أو الموضوع الصحفي، أما بالنسبة لتأخر عبارة "القدرة على استطلاع الآراء من خلال البريد الإلكتروني" فقد يعزى ذلك إلى أن الكثير من هذه المواقع تعمد إلى استطلاع آراء قرائها من خلال الموقع نفسه، إذ تقوم بنشر الاستبانات من خلال روابط خاصة بها دون الحاجة إلى استخدام البريد الإلكتروني، وكذلك الأمر بالنسبة لعبارة "القدرة على إجراء مقابلات باستخدام البريد الإلكتروني" فقد تكون هذه المهارة قليلة الاستخدام لدى الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية نظراً لاعتمادهم على إجراء المقابلات الشخصية (وجهاً لوجه)؛ ذلك أن المقابلات الشخصية تعد الخيار الأول لإجراء الحديث الصحفي، فإن تعذر اللقاء الشخصي فإن الصحفي يعمد إلى الوسائل الأخرى مثل المقابلة الهاتفية أو الإلكترونية من خلال البريد الإلكتروني، وربما تعزى هذه النتيجة إلى ضعف الجوانب المهنية للصحفيين العاملين في هذه المواقع نظراً لأن هاتين المهارتين تعتبران من أساسيات العمل الصحفي سواء الورقي أو الإلكتروني.

**2) الدورات التي التحق بها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية الأردنية**

**أ) التحاق الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية بدورات تدريبية**

**جدول 3:** التحاق عينة الدراسة بدورات تدريبية

| هل التحقت بأي دورات تدريبية؟ | التكرار | النسبة |
|---|---|---|
| نعم | 60 | %60 |
| لا | 40 | %40 |
| **المجموع (ن)** | **100** | **%100** |

تشير بيانات الجدول رقم (3) إلى أن عدد الذين التحقوا بدورات تدريبية في مجال الصحافة الإخبارية الإلكترونية قد بلغ (60) مفردة بنسبة (60%)، في حين بلغ عدد الذين لم يلتحقوا بأي دورة تدريبية (40) مفردة بنسبة (40%)، وتعد هذه النتيجة منطقية؛ ذلك أن أكثر من نصف العينة (51%) غير متخصصين أكاديمياً في الصحافة والإعلام، ما يوجب عليهم الالتحاق بدورات تدريبية لبناء مهاراتهم الصحفية وتعزيزها بما يتواءم مع طبيعة عملهم داخل الموقع الإخباري

الذي يعملون به، وهذا ما يشير إليه الجدول اللاحق بأن (51) مفردة من أصل (60) مفردة من عينة الدراسة قد التحقوا بدورات في التحرير الصحفي وفن التغطية الإخبارية.

**ب) طبيعة الدورات التي التحق بها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية الأردنية**

**جدول 4:** الدورات التي التحقت بها عينة الدراسة

| الدورات | التكرار | النسبة المئوية | النسبة المئوية لكل حالة |
|---|---|---|---|
| دورات في التحرير الصحفي وفن التغطية الإخبارية. | 51 | %22.8 | %85 |
| دورات في التدقيق اللغوي. | 39 | %17.4 | %65 |
| دورات لتطوير مهاراتي في استخدام الإنترنت. | 33 | %14.7 | %55 |
| دورات لتطوير مهاراتي في استخدام الكمبيوتر. | 30 | %13.4 | %50 |
| دورات في التصوير الصحفي. | 29 | %12.9 | %48.3 |
| دورات لتطوير مهاراتي الاتصالية. | 28 | %12.5 | %46.7 |
| دورات محادثة وكتابة بلغة أجنبية. | 14 | %6.2 | %23.3 |
| **المجموع (ن)** | **224** | %100 | |

** لعينة الدراسة الحق في اختيار أكثر من بديل، كما بلغ عدد المستجيبين لهذا السؤال (60) مفردة.

يوضح الجدول رقم (4) أن أبرز الدورات التي التحق بها الصحفيون هي "دورات في التحرير الصحفي وفن التغطية الإخبارية" بنسبة (22.8%)، وكذلك "دورات في التدقيق اللغوي" بنسبة (17.4%)، في حين كانت أقل هذه الدورات التي التحق بها الصحفيون هي: "دورات لتطوير مهاراتي الاتصالية" بنسبة (12.5%)، وكذلك "دورات محادثة وكتابة بلغة أجنبية" بنسبة (6.2%)، وقد يعزى ذلك إلى أن (51%) من عينة الدراسة هم من حملة الشهادات غير المتخصصة في مجال الصحافة والإعلام، لذلك فإنهم يلجأون إلى دورات تدريبية؛ سواء في مجال التحرير الصحفي أو التصوير أو التدقيق اللغوي من أجل تطوير مهاراتهم الصحفية.

**ج) درجة استفادة عينة الدراسة من الدورات التي التحقوا بها**

**جدول 5:** مدى استفادة عينة الدراسة من الدورات

| درجة الاستفادة | التكرار | النسبة |
|---|---|---|
| استفدت منها بدرجة كبيرة في تطوير مهاراتي الصحفية. | 39 | %65 |
| استفدت منها بدرجة متوسطة في تطوير مهاراتي الصحفية. | 21 | %35 |
| استفدت منها بدرجة ضعيفة في تطوير مهاراتي الصحفية. | 0 | %0 |
| **المجموع (ن=60)** | **60** | **%100** |

يوضح الجدول رقم (5) أن معظم أفراد العينة ممن التحقوا بدورات تدريبية في مجال عملهم قد استفادوا من هذه الدورات بدرجة كبيرة؛ وبلغ عددهم (39) مفردة بنسبة (65%)، في حين استفادت (21) مفردة من مفردات العينة بدرجة متوسطة من هذه الدورات؛ وبلغت نسبتهم (35%).

**ح) أسباب عدم التحاق الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية بدورات تدريبية**

**جدول 6:** أسباب عدم التحاق الصحفيين في الدورات التدريبية

| الأسباب | التكرار | النسبة المئوية | النسبة المئوية لكل حالة |
|---|---|---|---|
| لأن الدورات التي تعقد لا تندرج في إطار العمل الذي أقوم به. | 26 | %22.2 | %65 |
| عدم مناسبة أوقات هذه الدورات لظروف عملي. | 23 | %19.7 | %57.5 |
| لست بحاجة إلى دورات في مجال العمل الذي أقوم به. | 19 | %16.2 | %47.5 |
| المؤسسة التي أعمل فيها لا تسهم في رسوم هذه الدورات. | 18 | %15.4 | %45 |
| ندرة انعقاد الدورات المتخصصة في مجال عملي. | 16 | %13.7 | %40 |
| ارتفاع رسوم هذه الدورات. | 15 | %12.8 | %37.5 |
| **المجموع (ن)** | **117** | **%100** | |

** لعينة الدراسة الحق في اختيار أكثر من بديل، فيما بلغ عدد المستجيبين لهذا السؤال (40) مفردة.

يظهر من خلال الجدول رقم (6) أن أبرز أسباب عدم التحاق الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية بدورات تدريبية هي: "لأن الدورات التي تعقد لا تندرج في إطار العمل الذي أقوم به" بنسبة (22.2%)، "عدم مناسبة أوقات هذه الدورات لظروف عملي" بنسبة (19.7%)، في حين كانت أقل أسباب عدم الالتحاق هي: "ندرة انعقاد الدورات المتخصصة في مجال عملي" بنسبة (13.7%)، و"ارتفاع رسوم هذه الدورات" بنسبة (12.8%)، وقد يعزى ذلك إلى ندرة انعقاد الدورات المتخصصة في مجال الصحافة الإلكترونية، حيث تركز معظمها على الصحافة المطبوعة، كما أن ارتفاع رسوم هذه الدورات بالنسبة للرواتب والأجور المتدنية التي يحصل عليها الصحفيون في المواقع الإخبارية يجعل الالتحاق بمثل هذه الدورات صعبًا.

**ثانياً: تقييم إدارة المواقع الإخبارية للصحفيين العاملين فيها**

**أ) تقييم إدارة المواقع الإخبارية للأداء المهني للصحفيين العاملين فيها.**

**جدول 7:** تقييم إدارة المواقع للصحفيين العاملين فيها.

| هل تقوم إدارة الموقع بتقييم أدائك المهني؟ مدى المشاهدة | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| نعم | 62 | %62 |
| لا | 38 | %38 |
| **المجموع (ن)** | **100** | **%100** |

يتضح من الجدول رقم (7) أن عدد الصحفيين الذين تقوم إدارة المواقع الإخبارية بتقييم أدائهم المهني قد بلغ (62) مفردة بنسبة (62%)، في حين أن عدد الصحفيين الذين لا تقوم إدارة المواقع بتقييم أدائهم المهني قد بلغ (38) مفردة بنسبة (38%)، وقد يدلل ذلك على أن إدارة المواقع التي لا يتم فيها تقييم أداء العاملين فيها لا تحتوي على عدد كبير من الصحفيين، وإنما تكتفي بعدد محدود جداً؛ نظراً لعدم انتشارها؛ ومن ثمّ تدني مردودها المالي، لذا فإن إدارة هذه المواقع قد لا تولي الصحفيين العاملين فيها اهتماماً، على عكس المواقع الإخبارية الكبرى التي تعنى بالأداء المهني لصحفييها، كما تعنى بتقييم أدائهم من أجل تطويره وتحسينه بما يتواءم مع التطورات التي تشهدها هذه المواقع.

**ب) كيفية تقييم إدارة المواقع الإخبارية الأردنية للصحفيين العاملين فيها**

**جدول 8:** أساليب تقييم إدارة المواقع الإخبارية للصحفيين العاملين فيها

| الأساليب | التكرار | النسبة المئوية | النسبة المئوية لكل حالة |
|---|---|---|---|
| تتابع إدارة الموقع الموضوعات التي أقوم بكتابتها. | 62 | %37.9 | %100 |
| تقوم إدارة الموقع بعقد اختبارات دورية لمعرفة مدى تطور مهاراتي الصحفية. | 35 | %21.3 | %56.5 |
| تقوم إدارة الموقع باختبار مهاراتي المتعلقة بالكمبيوتر والإنترنت. | 34 | %20.7 | %54.6 |
| تقوم إدارة الموقع بإنشاء تقرير دوري يشتمل على نقاط قوة وضعف للصحفيين. | 33 | %20.1 | %53.2 |
| **المجموع (ن)** | **164** | **%100** | |

** لعينة الدراسة الحق في اختيار أكثر من بديل، فيما بلغ عدد المستجيبين لهذا السؤال (62) مفردة.

يوضح الجدول رقم (8) أن أساليب تقييم إدارة المواقع الإخبارية للصحفيين العاملين فيها قد جاءت وفق الترتيب الآتي: "تتابع إدارة الموقع الموضوعات التي أقوم بكتابتها" بنسبة (37.9%)، يليه: "تقوم إدارة الموقع بعقد اختبارات دورية لمعرفة مدى تطور مهاراتي الصحفية" بنسبة (21.3%)، ثم "تقوم إدارة الموقع باختبار مهاراتي المتعلقة بالكمبيوتر والانترنت" وكذلك بنسبة (20.7%)، وفي المرتبة الأخيرة "تقوم إدارة الموقع بإنشاء تقرير دوري يشتمل على نقاط القوة والضعف للصحفيين العاملين بها" بنسبة (20.1%)، وتدل هذه النتائج على أن إدارة المواقع الإخبارية التي تقيّم أداء صحفييها تعنى بالدرجة الأولى بمستوى إتقانهم لفنون التحرير والكتابة الصحفية، وكذلك مدى تطور مهاراتهم الصحفية؛ وهي نتيجة منطقية تتواءم مع طبيعة هذه المواقع بصفتها مواقع صحفية إخبارية تحاول ممارسة العمل الصحفي باحترافية من خلال الصحفيين العاملين فيها.

**ثالثاً: *العوامل الداخلية* المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية.**

**1) درجة تأثير *العوامل الداخلية* على الأداء المهني لصحفيي المواقع الإخبارية**

**جدول 9:** درجة تأثير العوامل الداخلية على الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها

| العوامل الداخلية | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| علاقتي مع الزملاء الصحفيين العاملين في الموقع. | 2.79 | 0.537 |
| السياسة التحريرية للموقع. | 2.73 | 0.446 |
| كثرة الأعباء والمهام الصحفية الموكلة إلي. | 2.56 | 0.556 |
| الرضا عن طبيعة المهنة التي أقوم بها. | 2.46 | 0.501 |
| علاقتي مع إدارة الموقع. | 2.46 | 0.501 |
| ضعف الكادر المهني الذي يعمل في الموقع. | 2.37 | 0.646 |
| ضعف الإمكانات المادية والصحفية للموقع. | 2.29 | 0.574 |
| عدم توفر ضمان اجتماعي مقابل العمل في الموقع. | 2.21 | 0.729 |
| التحيز في عرض الأخبار. | 2.14 | 0.697 |
| إدارة الموقع لا تهتم بتطويري مهنياً. | 2.13 | 0.774 |
| إدارة الموقع تقمع بعض الآراء السياسية التي تتعارض معها. | 2.08 | 0.734 |
| **المتوسط** | **2.38** | **0.608** |

** استخدم الباحث المقياس الثلاثي التالي: (3) كبيرة (2) متوسطة (1) ضعيفة، لقياس هذا السؤال.

تشير بيانات الجدول رقم (9) إلى أن أكثر ثلاثة **عوامل داخلية** مؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية هي: "علاقتي مع الزملاء الصحفيين العاملين في الموقع" (M=2.79)، يليه "السياسة التحريرية للمواقع" (M=2.73)، ثم "كثرة الأعباء والمهام الموكلة إلي" (M=2.56)، في حين كان أقل هذه العوامل تأثيراً: "التحيز في نقل الأخبار" (M=2.14)، يليه "إدارة الموقع لا تهتم بتطويري مهنياً" (M=2.13)، ثم "إدارة الموقع تقمع بعض الآراء السياسية التي تتعارض معها" (M=2.08). وقد بلغت قيمة معامل الثبات "كرونباخ ألفا" لهذا السؤال (0.764)، وهو ما يتعارض مع دراسة (عنانزة وآخرون، 2015) ودراسة (Reinardy, 2009) في أن أبرز العوامل المؤثرة على الأداء المهني هي "الرضا عن المهنة" و"العلاقة مع رؤساء العمل"، وما يتفق مع دراسة (سيعود، 2012) في أن أبرز هذه العوامل "تحديد السياسة التحريرية"، وتدل هذه النتائج على أن الصحافة الإلكترونية في الأردن متطورة نسبياً، حيث تمنح الصحفيين العاملين فيها سقف حرية عاليًا للتعبير عن آرائهم السياسية، على الرغم من أن الصحفيين يرون أن السياسة التحريرية تعد أحد أبرز العوامل المؤثرة على أدائهم المهني.

**2) نوع تأثير *العوامل الداخلية* على الأداء المهني لصحفيي المواقع الإخبارية**

**جدول 10:** نوع تأثير العوامل الداخلية على الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها

| العوامل الداخلية | إيجابي | | سلبي | |
|---|---|---|---|---|
| | التكرار | النسبة | التكرار | النسبة |
| علاقتي مع الزملاء الصحفيين العاملين في الموقع. | 94 | %94 | 6 | %6 |
| علاقتي بإدارة الموقع. | 86 | %86 | 14 | %14 |
| الرضا عن طبيعة المهنة التي أقوم بها. | 73 | %73 | 27 | %27 |
| السياسة التحريرية للموقع. | 69 | %69 | 31 | %31 |
| كثرة الأعباء والمهام الصحفية الموكلة إلي. | 44 | %44 | 56 | %56 |
| عدم توفر ضمان اجتماعي مقابل العمل في الموقع. | 36 | %36 | 64 | %64 |
| ضعف الإمكانات المادية والصحفية للموقع. | 34 | %34 | 66 | %66 |
| إدارة الموقع لا تهتم بتطويري مهنياً. | 33 | %33 | 67 | %67 |
| التحيز في عرض الأخبار. | 29 | %29 | 71 | %71 |
| ضعف الكادر المهني الذي يعمل في الموقع. | 24 | %24 | 76 | %76 |
| إدارة الموقع تقمع بعض الآراء السياسية التي تتعارض معها. | 21 | %21 | 79 | %79 |

يوضح الجدول رقم (10) نوع تأثير **العوامل الداخلية** على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية، حيث جاءت أبرز العوامل الداخلية المؤثرة **إيجاباً** على هذا الأداء المهني على النحو التالي: "علاقتي مع الزملاء الصحفيين العاملين في الموقع" (94%)، يليه "علاقتي مع إدارة الموقع" (86%)، ثم "الرضا عن طبيعة المهنة التي أقوم بها" (73%)، في حين كانت أبرز العوامل الداخلية المؤثرة **سلباً** على الأداء المهني للصحفين هي: إدارة الموقع تقمع بعض الآراء السياسية التي تتعارض معها" (79%)، يليه "ضعف الكادر المهني الذي يعمل في الموقع" (76%)، ثم "التحيز في عرض الأخبار" (71%)، وهو ما يتفق مع دراسة (العنانزة وآخرون، 2015) في أن نسبة من يرين أن الرضا المهني يؤثر بشكل إيجابي على الأداء المهني للصحفيات قد بلغت (64%)، وأن (55%) من العينة يرين أن العلاقة مع الرؤساء تؤثر كذلك بشكل إيجابي على أدائهن، وقد تعزى هذه النتائج إلى أن السياسة التحريرية للمواقع تمنح الصحفيين مستوى حرية جيدًا، كما أن العلاقة التي تجمع الصحفيين هي علاقة جيدة وإيجابية قائمة على التعاون وتبادل المعلومات والأخبار، وهو ما يؤثر إيجاباً على أدائهم المهني.

**رابعاً: *العوامل الخارجية* المؤثرة على الأداء المهني لصحفيي المواقع الإخبارية الأردنية**

**1) درجة تأثير *العوامل الخارجية* على الأداء المهني لصحفيي المواقع الإخبارية**

**جدول 11:** درجة تأثير العوامل الخارجية على الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها

| العوامل الخارجية | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| عدم القدرة على تغطية الأحداث التي تجري في الأماكن البعيدة. | 2.70 | 0.522 |
| تحجيم الحريات الصحفية من قبل قانون المطبوعات والنشر الأردني. | 2.48 | 0.643 |
| تهديد السلطة بالحبس أو الغرامة في حال نشر ما يتعارض معها. | 2.46 | 0.688 |
| التدخل الحكومي فيما ينشر في الموقع من أخبار ومعلومات. | 2.39 | 0.634 |
| تأثير بعض القيم والأعراف الاجتماعية على الحريات الصحفية. | 2.30 | 0.659 |
| خروج بعض المصادر عن الموضوع والتحدث في موضوعات أخرى. | 2.20 | 0.636 |
| مماطلة المصادر في المواعيد التي أعقدها معهم. | 2.12 | 0.477 |
| عدم تعاون المصادر معي. | 2.06 | 0.694 |
| **المتوسط** | **2.34** | **0.619** |

** استخدم الباحث المقياس الثلاثي التالي: (3) كبيرة (2) متوسطة (1) ضعيفة، لقياس هذا السؤال.

يظهر من خلال الجدول رقم (11) أن أكثر ثلاثة **عوامل خارجية** مؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية هي: "عدم القدرة على تغطية الأحداث التي تجري في الأماكن البعيدة" (M=2.70)، يليه "تحجيم الحريات الصحفية من قبل قانون المطبوعات والنشر الأردني" (M=2.48)، ثم "تهديد السلطة بالحبس أو الغرامة في حال نشر ما يتعارض معها" (M=2.46)، في حين كانت أقل هذه العوامل تأثيراً هي: "خروج بعض المصادر عن الموضوع والتحدث في موضوعات أخرى" (M=2.20)، يليه "مماطلة المصادر في المواعيد التي أعقدها معهم" (M=2.12)، ثم "عدم تعاون المصادر معي" (M=2.06)، وقد بلغت قيمة معامل الثبات "كرونباخ ألفا" لهذا السؤال (0.700)، وهو ما يتفق مع دراسة (سيعود، 2012) ودراسة (أبو الحمام، 2011) في أن أهم العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين هي الرقابة واستخدام سلطة القانون للتضييق على الصحفيين، والتهديد بالحبس والتعسف في محاكمتهم، وما يختلف مع دراسة (أبو الحمام، 2011) في أن القيم والأعراف الاجتماعية تؤثر سلبياً على الأداء المهني للصحفيين، ويختلف أيضًا مع دراسة (Al-Rawi, 2011) في أن أبرز العوامل الخارجية المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات هو التهديد بالقتل من قبل بعض الجماعات، وقد يعزى ذلك إلى مركزية الصحف الإلكترونية؛ ووجود معظمها في العاصمة عمان، وهذا يدل على أن الحكومة أو السلطة، بما فيها قانون المطبوعات والنشر، تشكل ضغوطاً سلبية على الأداء المهني للصحفيين من خلال التضييق عليهم وتهديدهم بالحبس أو التوقيف أو الغرامة.

**2) نوع تأثير *العوامل الخارجية* على الأداء المهني لصحفيي المواقع الإخبارية**

**جدول 12:** نوع تأثير العوامل الخارجية على الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها

| العوامل الخارجية | إيجابي | | سلبي | |
|---|---|---|---|---|
| | التكرار | النسبة | التكرار | النسبة |
| عدم القدرة على تغطية الأحداث التي تجري في الأماكن البعيدة. | 45 | %45 | 55 | %55 |
| مماطلة المصادر في المواعيد التي أعقدها معهم. | 34 | %34 | 66 | %66 |
| التدخل الحكومي فيما ينشر في الموقع من أخبار ومعلومات. | 32 | %32 | 68 | %68 |
| تهديد السلطة بالحبس أو الغرامة في حال نشر ما يتعارض معها. | 31 | %31 | 69 | %69 |
| تأثير بعض القيم والأعراف الاجتماعية على الحريات الصحفية. | 30 | %30 | 70 | %70 |

| العوامل الخارجية | إيجابي | | سلبي | |
|---|---|---|---|---|
| | التكرار | النسبة | التكرار | النسبة |
| خروج بعض المصادر عن الموضوع والتحدث في موضوعات أخرى. | 30 | %30 | 70 | %70 |
| تحجيم الحريات الصحفية من قبل قانون المطبوعات والنشر. | 28 | %28 | 72 | %72 |
| عدم تعاون المصادر معي. | 23 | %23 | 77 | %77 |

يظهر من خلال الجدول رقم (12) نوع تأثير **العوامل الخارجية** على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية، حيث جاءت التأثيرات بناءً على أبرز العوامل الخارجية المؤثرة **إيجاباً** على هذا الأداء وفقاً لما يلي: "عدم القدرة على تغطية الأحداث التي تجري في الأماكن البعيدة" (45%)، يليه "مماطلة المصادر للمواعيد التي أعقدها معهم (34%)، ثم "التدخل الحكومي فيما ينشر في الموقع من أخبار ومعلومات" (32%)، في حين كانت أبرز العوامل المؤثرة **سلباً** على الأداء المهني للصحفيين هي: "عدم تعاون المصادر معي" (77%)، يليه "تحجيم الحريات الصحفية من قبل قانون المطبوعات والنشر" (72%)، ثم "خروج بعض المصادر عن الموضوع والتحدث في موضوعات أخرى" (70%)، وهو ما يتفق مع دراسة (أبو الحمام، 2011) في أن العادات والتقاليد الاجتماعية تؤثران بشكل سلبي على الأداء المهني للصحفيين، وقد ترجع هذه النتائج فيما يخص التعاون السلبي للمصادر مع الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية إلى النظرة السلبية لهذه الصحف الإلكترونية مقارنة مع المطبوعة؛ سواء لدى المصادر أو لدى الجمهور.

## خامساً: العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي وكيفية تحسين الأداء المهني للصحفيين.

### 1) العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإخبارية الأردنية

**جدول 13:** العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإخبارية

| العقبات والتحديات | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| الاهتمام بتحقيق السبق الصحفي دون مراعاة التحقق من صحة الخبر. | 3.83 | 1.646 |
| قلة المعلنين في المواقع الإخبارية. | 3.73 | 1.014 |
| قلة الخبرة لدى الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية. | 3.64 | 1.049 |

| العقبات والتحديات | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| التحيز في تغطية الأحداث ونقل الأخبار من قبل إدارة الموقع. | 3.51 | 1.087 |
| قلة عدد العاملين المؤهلين للعمل الصحفي. | 3.43 | 1.094 |
| اهتمام القائمين على الموقع بتحقيق الربح المادي على تغطية الأحداث المهمة. | 3.41 | 1.045 |
| الاعتماد على معلومات القراء فيما يخص بعض الأخبار دون التأكد منها. | 3.23 | 1.205 |
| نقل الأخبار من مواقع وصحف أخرى دون التحقق من صحتها. | 3.19 | 1.032 |
| ضعف مهارات الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية. | 3.16 | 1.135 |
| **المتوسط الإجمالي** | **3.45** | **1.145** |

**استخدم المقياس الخماسي التالي: (5) كبيرة جداً (4) كبيرة (3) متوسطة (2) ضعيفة (1) ضعيفة جداً، لقياس هذا السؤال.

يظهر من خلال الجدول رقم (13) أن أكثر العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإخبارية الأردنية من وجهة نظر الصحفيين العاملين فيها هي: "الاهتمام بتحقيق السبق الصحفي دون مراعاة التحقق من صحة الخبر" (M=3.83)، وكذلك "قلة المعلنين في المواقع الإخبارية" (M=3.73)، في حين كانت أقل هذه العقبات والتحديات هي: "الاعتماد على معلومات القراء فيما يخص بعض الأخبار دون التأكد منها" (M=3.23)، وكذلك "نقل الأخبار من مواقع وصحف أخرى دون التحقق من صحتها" (M=3.19)، وهو ما يتفق مع دراسة (الدبيسي، 2011) التي خلصت إلى أن أبرز التحديات التي تواجه الصحافة الإلكترونية الأردنية نشرُها أخباراً من شأنها أن تشهّر ببعض الشخصيات دون التحقق من صحتها. كما يتفق أيضًا مع دراسة (أبو الحمام، 2011) في أن أبرز التحديات التي تواجه الصحافة الإلكترونية هي العوائد المالية المتدنية والمتأتية من الإعلان التجاري، وقد يعزى ذلك إلى المنافسة الكبيرة بين المواقع الإخبارية الأردنية، وهو ما يدفعها أحياناً إلى عدم تقصي الدقة في أخبارها نظراً لضيق الوقت، ومن أجل تحقيق السبق الصحفي، ومن جهة أخرى قد تدلّ ندرة الإعلان في هذه المواقع على تفضيل المعلنين في الصحافة الورقية وفي وسائل الإعلام الأخرى نشر إعلاناتهم؛ لما تتمتع به من قاعدة جماهيرية واسعة.

**2) كيفية تحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية**

**جدول 14:** كيفية تحسين الأداء المهني لصحفيي المواقع الإخبارية

| العبارات | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري |
|---|---|---|
| تنظيم الدورات المتخصصة في الكتابة الصحفية الإلكترونية. | 4.82 | 0.386 |
| تنظيم الدورات المتخصصة في استخدام الكمبيوتر والإنترنت. | 4.23 | 0.489 |
| وضع معايير واضحة لأساليب النشر. | 4.21 | 0.709 |
| تحديد أولويات النشر حسب أهمية الموضوع وجماهيريته. | 4.20 | 0.660 |
| تحديد السياسة الإخبارية للموقع بوضوح ومناقشتها مع الصحفيين. | 4.20 | 0.696 |
| التقدير المادي والمعنوي من قبل إدارة الموقع للصحفيين المميزين في عملهم. | 4.12 | 0.671 |
| زيادة عدد العاملين في المواقع مما يؤدي إلى تخصصهم بموضوعات معينة. | 4.04 | 0.650 |
| الاهتمام بحملة الشهادات الجامعية المتخصصة في الصحافة. | 3.74 | 0.705 |
| **المتوسط** | **4.20** | **0.621** |

** استخدم المقياس الخماسي التالي: (5) كبيرة جداً (4) كبيرة (3) متوسطة (2) ضعيفة (1) ضعيفة جداً، لقياس السؤال.

تشير بيانات الجدول رقم (14) إلى أن أكثر ثلاث وسائل لتحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية من وجهة نظر عينة الدراسة قد جاءت وفق الترتيب التالي: "تنظيم الدورات المتخصصة في الكتابة الصحفية الإلكترونية" (M=4.82)، يليه "تنظيم الدورات المتخصصة في استخدام الكمبيوتر والإنترنت" (M=4.23)، ثم "وضع معايير واضحة لأساليب النشر" (M=4.21)، بينما كانت أقل هذه الوسائل هي: "التقدير المادي والمعنوي من قبل إدارة الموقع للصحفيين المميزين في عملهم" (M=4.12)، تليها "زيادة عدد العاملين في هذه المواقع مما يؤدي إلى تخصص الصحفيين بموضوعات معينة" (M=4.04)، ثم "الاهتمام بحملة الشهادات الجامعية المتخصصة في الصحافة" (M=3.74)، وقد يعزى ذلك إلى أن الصحفيين في المواقع الإخبارية الأردنية على دراية بالاختلافات الموجودة بين الصحافة المطبوعة والإلكترونية، ما يؤدي إلى ضرورة تنظيم الدورات المتخصصة في الصحافة الإلكترونية والكمبيوتر والإنترنت، نظراً لاعتماد الصحافة الإلكترونية على وسائل التكنولوجيا الحديثة بما فيها الكمبيوتر والإنترنت.

**اختبار فروض الدراسة**

**الفرض الأول: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المهارات التي يمتلكها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية تعزى لمتغير سنوات الخبرة"**

أظهر استخدام تحليل التباين في اتجاه واحد وجود فروق في المهارات التي يمتلكها الصحفيون في المواقع الإخبارية تعزى لمتغير سنوات الخبرة، حيث بلغت قيمة ف (14.953) عند قيمة معنوية (0.000)، وهي دالة إحصائياً لأنها أصغر من (0.05) كما هو موضح في الجدول رقم (15).

**جدول 15:** اختبار (Anova) بين المهارات التي يمتلكها الصحفيون العاملون في المواقع الإخبارية وسنوات الخبرة

| مصادر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة (F) | *P* |
|---|---|---|---|---|---|
| بين المجموعات | 8.393 | 3 | 2.798 | 14.953 | 0.000 |
| داخل المجموعات | 17.962 | 96 | 0.187 | | |
| المجموع | 26.355 | 99 | | | |

**الفرض الثاني: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين تعزى لمتغير النوع الاجتماعي"**

أظهر اختبار (T-Test) وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث الذين يمثلون عينة الدراسة في **العوامل الداخلية** المؤثرة على أدائهم المهني في المواقع الإخبارية الأردنية، حيث بلغت قيمة ت (3.845) عند درجة حرية (86.259) ومستوى معنوية (0.027)، وهي دالة إحصائياً لأنها أصغر من (0.05)، كما اتضح وجود فروق دالة إحصائياً في **العوامل الخارجية** المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية بين الذكور والإناث عينة الدراسة، حيث بلغت قيمة ت (1.349) عند درجة حرية (96.171) ومستوى معنوية (0.001)، وهي دالة إحصائياً لأنها أصغر من (0.05)، كما يظهر في الجدول رقم (16).

**جدول 16:** اختبار T لدراسة الفرق بين ذكور وإناث عينة الدراسة والعوامل المؤثرة على أدائهم المهني

| العوامل الداخلية | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| النوع الاجتماعي | العدد (N) | الوسط الحسابي (M) | الانحراف المعياري (SD) | قيمة (T) | درجة الحرية | *P* |
| ذكر | 63 | 2.32 | 0.227 | -3.845- | 86.259 | 0.027 |
| أنثى | 37 | 2.49 | 0.191 | | | |
| **العوامل الخارجية** | | | | | | |
| النوع الاجتماعي | العدد (N) | الوسط الحسابي (M) | الانحراف المعياري (SD) | قيمة (T) | درجة الحرية | *P* |
| ذكر | 63 | 2.31 | 0.415 | -1.349- | 96.171 | 0.001 |
| أنثى | 37 | 2.39 | 0.209 | | | |

**الفرض الثالث: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين تعزى لمتغير العمر"**

أظهر استخدام تحليل التباين في اتجاه واحد وجود فروق ذات دلالة بين **العوامل الداخلية** المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية تعزى لمتغير العمر، حيث بلغت قيمة ف (4.429) عند قيمة معنوية (0.006)، وهي دالة إحصائياً لأنها أكبر من (0.05)، كما تبيّن وجود فروق ذات دلالة بين **العوامل الخارجية** المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية تعزى لمتغير العمر، حيث بلغت قيمة ف (4.847) عند قيمة معنوية (0.003)، وهي دالة إحصائياً لأنها أكبر من (0.05) كما هو موضح في الجدول رقم (17).

**جدول 17:** اختبار (Anova) بين العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين ومتغير العمر

| العوامل الداخلية | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| مصادر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة (F) | *P* |
| بين المجموعات | 0.624 | 3 | 0.208 | 4.429 | 0.006 |
| داخل المجموعات | 4.509 | 96 | 0.047 | | |
| المجموع | 5.134 | 99 | | | |

| العوامل الخارجية | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| مصادر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة (F) | *P* |
| بين المجموعات | 1.633 | 3 | 0.544 | | |
| داخل المجموعات | 10.782 | 96 | 0.112 | 4.847 | 0.003 |
| المجموع | 12.415 | 99 | | | |

**الفرض الرابع: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين تعزى لمتغير سنوات الخبرة"**

أظهر استخدام تحليل التباين في اتجاه واحد وجود فروق ذات دلالة بين **العوامل الداخلية** المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية تعزى لمتغير سنوات الخبرة، حيث بلغت قيمة ف (20.398) عند قيمة معنوية (0.000)، وهي دالة إحصائياً لأنها أصغر من (0.05)، كما تبيّن عدم وجود فروق ذات دلالة بين **العوامل الخارجية** المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية الأردنية تعزى لمتغير سنوات الخبرة، حيث بلغت قيمة ف (0.199) عند قيمة معنوية (0.896)، وهي غير دالة إحصائياً لأنها أكبر من (0.05) كما هو موضح في الجدول رقم (18).

**جدول 18:** اختبار (Anova) بين العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيين ومتغير سنوات الخبرة

| العوامل الداخلية | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| مصادر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة (F) | *P* |
| بين المجموعات | 1.998 | 3 | 0.666 | | |
| داخل المجموعات | 3.135 | 96 | 0.033 | 20.398 | 0.000 |
| المجموع | 5.134 | 99 | | | |
| **العوامل الخارجية** | | | | | |
| مصادر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة (F) | *P* |
| بين المجموعات | 0.077 | 3 | 0.026 | | |
| داخل المجموعات | 12.339 | 96 | 0.129 | 0.199 | 0.896 |
| المجموع | 12.415 | 99 | | | |

**الفرض الخامس: "توجد علاقة ارتباطية بين العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإلكترونية وكيفية تحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها من وجهة نظر عينة الدراسة".**

أظهر استخدام معامل اختبار بيرسون ($r$) وجود علاقة ارتباطية بين العقبات والتحديات التي تواجه العمل الصحفي في المواقع الإلكترونية وكيفية تحسين الأداء المهني للصحفيين العاملين فيها، حيث بلغت قيمة معامل بيرسون ($r=0.326$) عند مستوى معنوية (0.001)، وهي دالة إحصائياً لأنها أقل من (0.05) كما يشير الجدول رقم (19)

**جدول 19:** معامل ارتباط بيرسون لقياس العلاقة بين دوافع المشاهدة والاشباعات المتحققة

| العقبات والتحديات | كيفية تحسين الأداء المهني | | |
|---|---|---|---|
| | التكرار (N) | معامل بيرسون ($r$) | ***P*** |
| | 100 | 0.326 | 0.001 |

**توصيات الدراسة**

- ضرورة عقد دورات تدريبية متخصصة في مجال الصحافة الإلكترونية، وخاصة تلك التي تتناول فنون التحرير الصحفي، والتدقيق اللغوي، الإلكتروني، وأساليب التغطية الصحفية الشاملة.
- إلحاق الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية بدورات كمبيوتر وإنترنت من أجل تحسين مهاراتهم في التعامل مع المصادر الإلكترونية، وهذا يؤدي إلى توسيع القاعدة الجماهيرية لهذه المواقع.
- ضرورة تخفيف الأعباء الموكلة إلى الصحفيين العاملين في المواقع الإخبارية، من خلال زيادة أعداد هؤلاء الصحفيين، والتوجه نحو توزيع المهام الصحفية على الصحفيين بناءً على الموضوع، مما يؤدي إلى إيجاد نوع من الصحفيين المتخصصين.
- ضرورة تحديد سياسة تحريرية واضحة للمواقع الإخبارية ومناقشتها مع الصحفيين العاملين في تلك المواقع من أجل الوقوف على آرائهم وتوجهاتهم فيما يخص العمل الصحفي الإلكتروني.
- التركيز على أخلاقيات المهنة الصحفية ومراعاة التحقق من صحة الأخبار ودقتها، بشكل يضمن مصداقيتها، وعدم الاهتمام بالسبق الصحفي على حساب هذه الأخلاقيات.
- ضرورة إعادة النظر في قانون المطبوعات والنشر الأردني والقوانين التي من شأنها أن تسمح بتوقيف الصحفيين أو حبسهم، مع توسيع الحريات الممنوحة للصحافة الإلكترونية.

# The Factors Influencing the Professional Performance of Journalists in Jordanian News Websites: A Survey Study

**Azzam A. Ananzeh,** *Journalism Department, Zayed University, Abu Dhabi, United Arab Emirates.*

## Abstract

This study aimed to understand external and internal factors influencing professional performance of journalists working in Jordanian news websites through conducting a survey study on a sample of (100) journalists working in these news websites.

The study concluded that (60%) of the study sample undertook a training courses in all aspects of journalism, mainly in news editing and news coverage. It also concluded that (40%) of study sample did not attend any training courses at all because no training sessions have been held related to their work. Finally, the study also concluded that one of the most important internal factors influencing professional performance was the relationship between journalists working in these websites and the editorial policy of the there. On other hand, the external factors influencing professional performance included: the inability to cover events happening in remote areas and threats from the authorities against journalists such as threatening them of imprisonment and or fines in case they publish unacceptable materials.

The results indicated that the most prominent obstacles and challenges that face journalistic work in Jordanian news websites from the point of view of the study sample include: the interest to achieve scoop without the need to assure the accuracy of the news and the lack of advertisers in news sites. On the other hand, the most prominent means of improving professional performance for workers in these websites are organizing specialized courses in electronic journalism and organizing specialized courses in the use of the computer and the internet.

**Key words**: Professional Performance, Jordanian Journalists, Jordanian News Websites.

**الهوامش**

(1) عبد الكريم الدبيسي، المعايير المهنية في الصحافة الإلكترونية الأردنية، المجلة العراقية للمعلومات، المجلد 12، العددان 1-2، 2011، ص 3.

(2) عبد الكريم الدبيسي، المرجع السابق، ص 3.

(3) ابراهيم المبيضين، 6 ملايين مستخدم للإنترنت في الأردن، جريدة الغد الأردنية، على موقع: http://alghad.com/، 2015/6/18.

(4) عبد الكريم الدبيسي، المعايير المهنية في الصحافة الإلكترونية الأردنية، ص 3.

(5) أحمد بني حمدان، دور المواقع الإخبارية الإلكترونية في تدعيم عملية الإصلاح السياسي (2011-2014)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2014، ص5.

(6) عبد الكريم الدبيسي، المعايير المهنية في الصحافة الإلكترونية الأردنية، ص 13.

(7) عزام عنانزة وآخرون، العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الصحف اليومية الأردنية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة 430، الحولية 35، 2015، ص 19.

(8) عبد الكريم الدبيسي، المعايير المهنية في الصحافة الإلكترونية الأردنية، ص 3.

(9) عبد المجيد العزام، هاديا كاتبي، اتجاهات الأردنيين نحو الأداء الإعلامي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3+4، 2010، ص 615.

(10) أمين أبو وردة، أثر المواقع الإلكترونية الإخبارية الفلسطينية على التوجه والانتماء السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008، ص 12.

(11) بسام المشاقبة، نظريات الإعلام، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011، ص 112.

(12) حسن مكاوي، ليلى السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص 176.

(13) جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، مصر، دار الفكر العربي، 1978، ص294-300.

(14) المرجع السابق، ص 177.

(15) Curran. J & Gurevitch. M, Mass Media and Society, London, Edward Arnold, 1991, p 17-20.

(16) عزام عنانزة وآخرون، العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الصحف اليومية الأردنية، ص 37-38.

(17) محمد عبد المجيد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، مصر، عالم الكتب، 2004، ص 38.

(18) عزام عنانزة وآخرون، العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الصحف اليومية الأردنية، ص 38.

(19) عزام عنانزة وآخرون، العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الصحف اليومية الأردنية.

(20) أحمد بني حمدان، دور المواقع الإخبارية الإلكترونية في تدعيم عملية الإصلاح السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2014.

(21) محمد سعيود، تأثير حرية الصحافة في الجزائر على الممارسة المهنية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة باجي مختار، 2012.

(22) ثائر تلاحمة، حراسة البوابة الإعلامية والتفاعلية في المواقع الإخبارية الفلسطينية على شبكة الإنترنت، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2012.

(23) عزام أبو الحمام، تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية على صحافة الإنترنت العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2011.

(24) عبد الكريم الدبيسي، المعايير المهنية في الصحافة الإلكترونية الأردنية.

(25) حاتم علاونة، علي نجادات، مقروئية الصحف الإلكترونية لدى أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة اليرموك، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 25، العدد 4، 2009، ص 819-843.

(26) منال قدواح، اتجاهات الصحفيين الجزائريين نحو استخدام الصحافة الإلكترونية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة مونتوري، 2008.

(27) أمين أبو وردة، أثر المواقع الإلكترونية الإخبارية الفلسطينية على التوجه والانتماء السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2008.

(28) Al-Rawi. A, Iraqi Women Journalists' Challenges and Predicaments, Journal of Arab & Muslim Media Research, Vol.3, 2011, No.3, p 223-236.

(29) Reinardy. S, Female Journalists More Likely to Leave Newspapers, Newspaper Research Journal, Vol.30, No.3, 2009, p 42-57.

(30). Lee, Paul, Man, Yu Ching, Breaking the "Glass Ceiling" in the Newsroom: The Empowerment Experience of Female Journalists, Conference papers, International Communications Association, Annual Meeting, 2009, p 1-47.

(31) Singer.J & Others, Superstars or Second-Class Citizens?: Management and Staffing Issues Affecting Newspapers' Online Journalists, Conference papers, AEJMC: Association for Education in Journalism and Mass Communication, Annual Convention, 1998.

(32) سمير حسين، دراسات في مناهج البحث العلمي بحوث الإعلام، ط 2، القاهرة، عالم الكتب، 1995، ص 310.

**قائمة المراجع**


تلاحمة، ثائر، **حراسة البوابة الإعلامية والتفاعلية في المواقع الإخبارية الفلسطينية على شبكة الإنترنت**، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2012.

حسين، سمير، **دراسات في مناهج البحث العلمي بحوث الإعلام**، ط 2، القاهرة، عالم الكتب، 1995.

أبو الحمام، عزام، **تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية على صحافة الإنترنت العربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2011.

بني حمدان، أحمد، **دور المواقع الإخبارية الإلكترونية في تدعيم عملية الإصلاح السياسي (2011-2014)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2014.

الدبيسي، عبد الكريم، **المعايير المهنية في الصحافة الإلكترونية الأردنية**، المجلة العراقية للمعلومات، المجلد 12، العددان 1-2، 2011.

رشتي، جيهان، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، مصر، دار الفكر العربي، 1978.

سعيود، محمد، **تأثير حرية الصحافة في الجزائر على الممارسة المهنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر: جامعة باجي مختار، 2012.

عبد الحميد، محمد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، مصر، عالم الكتب، 2004.

العزام، عبد المجيد، كاتبي، هاديا، **اتجاهات الأردنيين نحو الأداء الإعلامي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3+4، ص 589-645، 2010.

علاونة ونجادات، **مقروئية الصحف الإلكترونية لدى أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة اليرموك**، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 25، العدد 4، 2009.

عنانزة، عزام وآخرون، العوامل المؤثرة على الأداء المهني للصحفيات العاملات في الصحف اليومية الأردنية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة 430، الحولية 35، 2015.

قدواح، منال، **اتجاهات الصحفيين الجزائريين نحو استخدام الصحافة الإلكترونية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة مونتوري، 2008.

المبيضين، إبراهيم، **6 ملايين مستخدم للإنترنت في الأردن**، جريدة الغد الأردنية، على موقع: http://alghad.com/، 2015/6/18.

المشاقبة، بسام، **نظريات الإعلام**، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011.

مكاوي، حسن، السيد، ليلى، **الاتصال ونظرياته المعاصرة** مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1998.

أبو وردة، أمين، **أثر المواقع الإلكترونية الإخبارية الفلسطينية على التوجه والانتماء السياسي**، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2008.

**المراجع الأجنبية**

Curran. J & Gurevitch. M, *Mass Media and Society*, London, Edward Arnold, 1991.

Lee, Paul, Man, Yu Ching, *Breaking the "Glass Ceiling" in the Newsroom: The Empowerment Experience of Female Journalists,* Conference papers, International Communications Association, Annual Meeting, 1-47, 2009.

Al-Rawi. A, *Iraqi Women Journalists' Challenges and Predicaments*, Journal of Arab & Muslim Media Research, Vol.3, No.3, p 223-236, 2011.

Reinardy. S, *Female Journalists More Likely to Leave Newspapers*, Newspaper Research Journal, Vol.30, No.3, p 42-57, 2009.

Singer.J, Tharp. M & Haruta. A, *Superstars or Second-Class Citizens?: Management and Staffing Issues Affecting Newspapers' Online Journalists,* Conference papers, AEJMC: Association for Education in Journalism and Mass Communication, Annual Convention, 1998.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2017، ص ص 485- 503

# ظاهرة الخمول الاستعماليّ بين الثبات والتحوّل

حنان إسماعيل العمايرة *

تاريخ الاستلام 2016/7/28 تاريخ القبول 2016/10/27


## ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الخمول الاستعمالي في بعض التراكيب اللغوية في العربية التداولية الفصيحة المعاصرة، انطلاقاً من أن هذه التراكيب وإن بهت استعمالها – إلا أنّ لها وجوداً ممتداً في التراثيات الحيّة كالقرآن، لهذا يسعى البحث إلى دراسة الغائب الحاضر من الاستعمالات الخاملة، دعوة إلى ضرورة إعادة استخدامها.

إن للعربية خصوصية في التطور، فهو مقنن منظم قدر الإمكان، ولا يترك الباب مفتوحاً لهذا التطور على مصراعيه، فالعربية ملتقى أهلها في الماضي والحاضر، وسبب اتصال اللاحق بالسابق، إذ حافظت على قدر كبير من الثبات ومن هنا كانت مثل هذه التراكيب اللغوية الغائبة في عربية اليوم أهلاً للتوقف عندها، بتوصيف مكانتها في الاستعمال اللغوي الحديث مقارنة بتمثلها الجلي في الشواهد التراثية، ومن ثم النظر في هذه التراكيب تقييما لهذه المكانة المتحولة، ودعوة إلى إحيائها- هي ومثيلاتها – حسب الحاجة، مع مراعاة التفاوت في الفئات المتعلمة المستهدفة فمنها ما يُكتفى في تعليمه بالأظهر الشائع، ومنها ما يلزمه معرفتها، وتناط بها مهمة استنهاضها لساناً وكتابة.


## تراكيب لغوية بين الثبات والتحول

يتبدّى الحرص على اللغة العربية في دفاع الغيورين عنها ودعوتهم إلى التشبث بها لغة قراءة وكتابة وفكر وحياة، ومن الوسائل التي ينتهجها هؤلاء الإلحاح على تصويب الأخطاء، والدعوة إلى نبذها، بفرزها وتصنيفها وتحليلها حسب مناهج التحليل التقابلي، ويختصر بعضهم هذه الرحلة برصد الخطأ والإلماح إلى الصواب، على سياسة (قُل ولا تقل) التي ألفت فيها مصنفات ومعاجم وظيفتها محاربة الخطأ أنّى وقع.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن..

وإزاء الوسيلة السابقة في الحفاظ على اللغة، يُلتفت – على قلةٍ – إلى التنويه بصواب مهجور أو نمط لغوي أصيل تعرض للتهميش أو الاندثار من الاستعمال، ومعروف أن اللغة تحوي ظواهر ثابتة وأخرى متحولة، "أما الثابتة فهي التي تحافظ على وحدة اللغة بين أهلها إلى أطول أجل ممكن، وأما المتغيرة فهي التي تلبي في اللغة حاجة أهلها للتطور والتغيير... بيد أن الثوابت تثبت في غير العربية ثبوتاً نسبياً،... وأما العربية فقد خُطط لثوابتها أن تدوم دواماً يشبه المطلق لارتباطها بديمومة البقاء القرآني"[1].

فالتطور سنة تتعرض إليها اللغات، بتقادم العصور وتفاوت البيئات ومعطياتها، غير أنه – كما يوضح القول السابق – لا يمكن فتح الباب على مصراعيه، أو الاستسلام لذلك، وخاصة إن تعلق الأمر بثوابت النظامين النحوي والصرفي، وأما الجانبان الدلالي والأسلوبي، فالتغير فيهما أقل خطورة.

إن الحفاظ على اللغة لا يكون بقول أو خلاصة تَنْهى وتأمر، بل هو مجبول بنظر دائم إلى تحولاتها وظروفها وتوصيفها في كل مرحلة تؤول إليها، هذا النظر من شأنه أن يغربل ويستصفي ويقيّم ويوجه، ثم تنعكس نتائج هذا النظر في تأليف المعاجم وتطويرها وتحديث المناهج التعليمية وتوجيه البحث العلمي، بهذا يمكن أن يُقدّم للغة ممتدة زماناً ومكاناً ما يعين على بقائها جسراً يمتد بين قديمها ممثلاً في كتابها العظيم ومصنفات الفكر والتاريخ والأدب.... وحديثها ظاهراً في العربية الحديثة مسموعها ومقروئها، يقول هادي نهر: (ونكاد نجزم بأن النحو العربي بأصوله وفروعه ومناهجه ومدارسه ما هو إلا ثمرة لرؤية حضارية تشكلت هي نفسها بفعل الدين الإسلامي، إذْ تحول بالقرآن الكريم كل شيء ذو صلة بالمعرفة وبالعلم وباللغة إلى وقائع وحقائق)[2].

**هدف الدراسة:**

هدفت الدراسة إلى اختبار الحس الصوابي لدى مجموعة من دارسي العربية في المرحلة الجامعية الأولى، باستشارتهم في قبول صواب مجموعة من التراكيب اللغوية ذات الأصول الصحيحة المهجورة الخاملة، أو عدّها خطأ أو ركاكة أسلوبية، باستعمال تقنية الاستبانة العلمية الإحصائية المرفقة بالبحث.

إن التحول سنة في اللغة كما هو في الحياة، غير أنه عندما يقود – في لغة لها خصوصية كالعربية إلى غياب الفهم أو تشويشه فإن الأمر يستدعي مزيداً من الانتباه، بدراسة أسبابه وما من شأنه أن يحد من تفاقمه وخاصة في الجانب التعليمي، الذي يُبنى على انتقاء المادة التعليمية، وهذا الانتقاء ينبغي أن يكون له أسسه ومعاييره. والحق أن هدف هذه الدراسة يتفرع في مطلبين: أحدهما يبتغي سعة في النظر إلى اللغة والإفادة من قدراتها التعبيرية الرحبة، منكراً ألا تضمحل

أنماط أصيلة في صميم الفصحى انتقائية الإعداد والتأليف في كتب تعليم العربية، والمطلب الثاني– وهو مكمل للأول لا ناقض له – يدعو إلى دمج هذه الأنماط، حسب الفئة المستهدفة في تعليم العربية، مع ضرورة أن يكون المتخصص ملماً بها مطلعاً عليها.

**الدراسات السابقة**

رصدت بعض الدراسات اللغوية جوانب من التطور في الخصائص التركيبية للغة العربية، وتفاوتها بين المحافظة والثبات من جهة، والتطور من جهة أخرى، فالتغيير سنة لا تحول عنها، وإن كانت العربية في تحولها أكثر انضباطاً وأقل انفلاتاً، أملاً في أن تظل لها معايير توحّد الأجيال على التفاهم بها.

ومن الدراسات السابقة (اللغة العربية وأبناؤها) لنهاد الموسى 1984 تحدث فيها عن صور من الخروج على الأنماط الفصيحة في الاستعمال مشيراً إلى أن بعض هذه الصور يرد إلى وجه من وجوه الفصحى[3].

وكذلك قدّم إسماعيل عمايرة في دراسته (نظرة مقارنة إلى المدرسة النحوية العربية من خلال باب الشرط) المنشور في (بحوث في الاستشراق واللغة) 2003 رؤية مفادها ضرورة تجديد النظر إلى النصوص اللغوية بتجدد الوسائل والإمكانات[4].

ورصدت آمنة الزعبي في دراستها (في تحول الأساليب النحوية التركيبية في اللغة العربية في العقدين السابقين على مرحلة العولمة: القصة القصيرة في الأردن نموذجاً) 2006 عدداً من الأنماط التركيبية المتحولة والمنزاحة عن أصولها[5].

ومن الدراسات السابقة بحث لإبراهيم السامرائي بعنوان: (الذاهب من مواد النحو القديم في العربية الحديثة) من كتابه (في الدرس النحوي واللغوي) 2015 رصد فيه عدداً وافراً من مواد النحو يوصف بالزوال والتلاشي في الاستعمال الحديث، كتابة وقولاً، ذاكراً أن الدافع وراء عمله الالتفات إلى أن نحواً جديداً ينبغي أن يقدم إلى الشداة المتعلمين في المرحلتين الابتدائية والثانوية [6].

ويمكن بدراسة محاور الظواهر الآتية تأكيد خاصية استمداد الاستعمال الحامل صوابيته من استعمال فصيح قديم أو تعليل تاريخي أو صوتي جدير بالقبول في الظواهر التالية:

**أولا - التذكير والتأنيث:**

امتازت العربية بنظام خاص في تمييز المذكر عن المؤنث في الأفعال والأسماء، وهو نظام يشهد برقي هذه اللغة وتمدُنها، ومع ذلك فالناظر في قواعدها يلفته وجه من وجوه مرونتها في

هذه المسألة، فليس من الخطأ قولهم: حضر القاضي امرأةُ وقولهم: هذه امرأة عدلُ. وقد رصدت المظان اللغوية أمثلة شتى لتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، يقول سيبويه: "ويكون الشيء المؤنث يوصف بالمذكر، وقد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر، فمن ذلك: هذا رجل أبهة وغلام يفعة، ومن ذلك أيضاً قولك للمؤنث: هذه امرأة عدل"[7]. وقد ذكر السامرائي أن المضاف يكتسب من المضاف إليه التذكير أو التأنيث أو غير ذلك، فذكر التذكير يُشعر بقرب (الله) وقرب رحمته[8].

واتْسع النظر إلى هذه القاعدة، بعيداً عن التخطئة والتصويب، فأوّل ابن جني قوله تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِين}[9] بأن الرحمة أُريد بها المطر، ويجوز أن يكون التذكير هنا لأجل فعيل[10]. وقريب من ذلك ما قاله المبرد عن قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُود} أن تقديرها: جماعة قوم نوح[11].

وفي قوله تعالى: {لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيب} ذكر العكبري أنها على معنى الزمان أو البعث أو النسب، أي ذات قرب[12].

ويقول ابن هشام مؤولاً إجازة العربية أن يعامل جمع التكسير واسم الجنس معاملة المفرد المذكر أو المفرد المؤنث، بغض النظر عن نوع مفرده: " فالتأنيث في ذلك كله على معنى الجمع والتذكير على معنى الجمع" أي كأنك قلت جمع النسوة أو قلت جماعة النسوة[13].

كما ذكروا أن الكلام كلما طال كان الحذف أولى، كقولهم حضر القاضي امرأة، فإنما حذفوا التاء لأن إظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء، قال تعالى: {فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ} [14].

وقد مالت العربية في مسألة التذكير والتأنيث إلى التسمُّح والتجاوز، فقد أورد المبرد أن المؤنث مجازياً يجوز في فعله التذكير والتأنيث فيقول: "ولو كان مؤنث الاسم لا معنى للتأنيث ولا تذكير تحته كالدار والنار، وما كان غير ذلك مما ليس له حقيقة التأنيث لجاز أن تُذكر الفعل إن شئت فتقول "أطفىء نارك"[15]، كما يعد من باب التسمح معاملة الوزن (فعيل) بمعنى (فاعل) معاملة يستوي فيها المذكر والمؤنث.

وعلى الرغم من أن التمييز بين المذكر والمؤنث يفضي إلى وضوح الاستعمال وجلاء الهدف، إلاّ أن قبول بعض الاستعمالات من مثل: قدّم الأوراق طالبةٌ مجدّة، بعدّه مطلباً له سمْت السماحة، وخاصة إن أدّى مثل الجملة السابقة دارسُ للعربية من غير الناطقين بها. ذلك أن كثيراً من اللغات تخلو من علامات تمييز المذكر عن المؤنث، فيضحي قبول هذا النمط مطلباً معقولاً، ولا سيما أنه صحيح في الأصل.

ويقتضي الاحتراس العلمي ذكر أن التأنيث علامة غير مختصة بالمؤنث، ومعنى هذا أنها غير ذات أصالة في التأنيث، وهي توجد في طائفة من الأسماء: راوية وعلاّمة وسيارة وملائكة[16]، واختصاص المؤنث بعلامات التأنيث مرحلة تالية على استخدام المذكر عموماً، ولذا يُهتم بالتفريق بينهما في لغة المتكلم، مع التسمح في بعض أخطائه مما لا يترتب عليه خلط وخطأ.

**ثانيا- التخفّف من التضعيف:**

أجاز اللغويون التخفف من إحدى التاءين في حين اجتماعهما بداية الفعل المضارع يقول سيبويه: "وإن شئت حذفت التاء الثانية، وتصديق ذلك قوله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا}... وكانت الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تسكّن وتدغم في قوله تعالى: فإذا رأيتم وازّيّنت، وهي التي يُفعل بها ذلك في يذكّرون، فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك" [17].

وقال في التقاء الحرفين المثلين المتحركين وقبل أولهما مدّ: ".... فإنّ الإدغام حسن، لأن حرف المد بمنزلة متحركة في الإدغام، ألا تراهم في غير الانفصال، قالوا: رادّ، وذلك قولك: إن المال لكّ، وهم يظلمونّي.... والبيان هنا يزداد حسناً لسكون ما قبله"[18].

ويتيح النظر في هذه القاعدة الخيارات أمام مستعمل اللغة فيبيح قوله: يضربونني أو يضربونّي، فإن قلت يضربونني فأنت أجريتها مجرى يضربون نافعاً وعكس ذلك: {حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا}[19].

وعلى الرغم من صحة الوجهين في فك التشديد أو الإبقاء عليه، فإن الجهل بالقاعدة حيناً وضيق النظر في تشعب الخيارات والتحيز بوجه ما – كل هذا قد يدفع بأحدهم إلى عدّ التركيب الفصيح خطأ أو ركاكة.

ولعلّ المخرج من هذا المأزق في تفضيل النمط: تتعاونُ على تعاونُ هروباً من احتمالية قراءتها على المصدر، خاصة مع غياب الضبط في الكتابات العامة، علاوة على ضعف عام في اللغة قد يغيِّب الصواب عن أذهان مستعمليها، على الرغم من حضور هذا النمط في بعضٍ من لهجاتنا!

وما كان أجدر الأخذ بوجوه من الإدغام الصغير الذي يحمل السهولة لفظاً وسلاسة نطق، كقولهم: امّحى وامّاز واصّبر واثّاقل، وهو أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فيدغم فيه[20].

**ثالثا - هل وهمزة الاستفهام:**

يكمن الفرق بين هاتين الأداتين الاستفهاميتين في أنّ (هل) يمكن أن يُستفهم بها لغير ادّعاء أن الأمر حاصل، ففي قولهم: هل تضرب زيداً فلا لكون أن تدعي أن الضرب واقع، وقد تقول:

أتضرب زيداً وأنت تدعي أن الضرب واقع[21]. ولذا فإن الهمزة تحتمل من معاني التقرير والعتاب والتوبيخ ما لا تحتملهُ هل، فهي مختصة بالدلالة على الاستقبال من خلال تخصيصها المضارع بما هو مستقبل من الأحداث، وذلك خلاف الهمزة[22].

ويشير البحث التاريخي إلى أن الهمزة وهل أداتان تنحدران من أصل واحد وهو هل، ثم تبادلت الهاء والهمزة، وقد حُذفت اللام في العربية نطقاً وبقيت كتابة لتدل على الأصل، ثم تمايزا صوتاً ومعنى، وهما الأداتان المختصان بالدلالة على الاستفهام، أما بقية أدواته فوظيفة الاستفهام طارئة عليها.

وأما واقع هاتين الأداتين في الاستعمال فيشير إلى عدم الالتفات إلى الفرق بينهما والخلط بين معنييهما، كما تشير الدراسة إلى غلبة هل في الاستعمال وخاصة إن بُدئت الجملة بالهمزة، فيتجنب المرء حينها إضافة همزة أخرى ويفضل عليها هل [23].

وقد اختُبرت القدرة على التمييز بين هل والهمزة الاستفهامية من خلال سؤال جار على نمط الآية القرآنية "أإله مع الله"[24] وهي آية دالة على مخاطبة من يشرك بالله إلها آخر وفيها تقريع له، فالمعنى حاصل إذاً، واستعمال هل في مثل هذا السياق مخالف للمعنى، إذ لن يؤدي معنى التوبيخ والتقريع الذي أدته الهمزة باختصاصها بالدلالة على ما حدث لا ما سيحدث.

كما أشار ابن هشام إلى افتراق هل والهمزة واختصاصها بمعانٍ محددة، وليس من مهام هذا البحث استقصاء هذا الأمر شاملاً، وإنما يشار مثلاً إلى معنى النفي الذي تحققه هل، ولذلك دخلت "إلاَّ" على الخبر بعدها: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان}[25].

**رابعا - العزوف عن (لات):**

أظهرت الدراسة أن (لات) من الأدوات التي تعامل معها المجيبون عن الدراسة تعاملاً مرتبكاً، فبعضهم لم يفهم معناها بصورة دقيقة، وكذلك لم يعرف بعضهم هيئة تركيبها مع ما بعدها.

وتتكون (لات) من كلمتين: (لا) النافية والتاء لتأنيث اللفظة، كما في ثمّت وربّت، وهي تعمل عمل ليس ولا يُذكر بعدها إلاّ أحد المعمولين، وهي من الأدوات النافية، ويشترط في عملها أن يكون معمولاها اسمي زمان، وقد يُحذف أحدهما، والغالب الخبر[26].

ويشير إبراهيم السامرائي إلى ندرة هذا الاستعمال في العصر الحديث ذاكراً أن إيرادها في عربية اليوم يعد من باب التفاصح[27].

فهذا التركيب مما لم يعد شائعاً بل يكاد يكون مهجوراً متروكاً، على الرغم من استعماله في القرآن وقربه من ليس وهي تركيب متداول شائع.

**خامسا - العزوف عن لا جرم:**

من التراكيب التي لم تعد تجد حقلاً تداولياً لها (لا جرم)، وهي تُضبط بفتح الراء أو ضمها، وتسبقها لا النافية وتكون جرم بمعنى حقاً أو لا بدّ. وفي قوله تعالى: {لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} فالمعنى لقد حق أن لهم النار، وزعم الخليل أنها "إنما تكون جواباً لما قبلها من الكلام، يقول الرجل كان كذا وكذا وكذا وفعلوا كذا وكذا فتقول: "لا جرم أنهم سيندمون"[28].

وقد ذكر النعيمي في بحثه (لا جرم بين النظرية والاستعمال)، بعد تتبع لمعاني لا جرم أنها بمعنى تحقيق الشيء وحصوله، أو بمعنى لا بدّ أو لا محالة، وهذه المعاني جلها تفضي إلى توكيد الحدث وتحقيقه والبت فيه[29].

ويذهب السامرائي إلى أن (لا جرم) عُوملت معاملة أدوات القسم، ويستدل على ذلك بأنها تأتي بعدها اللام في بعض استعمالاتها، فيقال لا جرم لأقومنّ بالواجب، وكذلك فالكثير من استخدامها يكون بأن تعقبها أنّ وبعدها معمولاها فإن كسرت الهمزة فإن لا نافية للجنس وإن فتحت فإن لا زائدة[30].

وبغض النظر عن هيئة ضبطها أو نوع اللام فيها، فهي تركيب من شأنه أن يدل على نفي الشك وتأكيد الأمر، وهو من التراكيب التي شح استخدامها إلى درجة الندرة، ولعل هذا لا ينفصل عن تراجع التوكيد واستخداماته في العصر الحديث عنه سابقاً، كلام التوكيد والقسم وصيغ المبالغة...

**سادسا - النأي عن بعض الأبنية المركبة:**

ومن هذه الأبنية (لكنّا) ومثالها: {لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي}[31] فالأصل لكن أنا: "فألقيت حركة الهمزة على النون، وقيل حذفت حذفاً وأدغمت النون في النون، والجيد حذف الألف في الأصل وإثباتها في الوقف لأن أنا كذلك والألف فيه زائدة لبيان الحركة[32] هذا ما قاله العكبري عن (لكنّا) وهي من التراكيب المتلاشية. وقد بينت الدراسة عدم معرفة تركيبها وممَّ تتألف، فهي من التراكيب المهجورة.

ومثلها التركيب (ويكأنّه)، المؤلف من وي منفصلة عن الكاف، والكاف متصلة بأن، حسب رأي البصريين، ومعناها كأن القوم نُبهوا فانتبهوا، فقالوا: وي كأن الأمر كذا وكذا، ويختلف هذا عن رأي الفراء الذي رأى أن الكاف موصولة بوي أي: ويك؛ وهو ضعيف لوجهين: أحدهما أن معنى الخطاب هنا بعيد، والثاني أن تقدير وي أعلم لا نظير له وهو غير سائغ في كل موضع[33].

وقد ذكر ابن هشام أن معنى التعليل الذي تفيده الكاف جائز في مثل قوله تعالى: {وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُون}[34] وهو معنى أثبته قوم ونفاه الأكثرون[35].

ومن التعبيرات المهجورة أيضاً قولهم: كأين، ويشير السامرائي إلى أنها من كنايات العدد مركبة من كاف التشبيه وأي وفيها لغات: كأين وكائن وكئن، وتعرب إعراب كم الخبرية مبنية وتلزم صدر الكلام وتفتقر إلى تمييز مجرور بمن. ويفيد هذا الاسم المركب الإبهام والافتقار إلى التمييز والبناء[36].

ومنها أيضاً قولهم: يا أبتِ، والتاء بدل من ياء الإضافة، والدليل أنك إن جئت بالياء حذفتها وقلت: يا أبي ويا أمي[37].

وعلى الرغم من أن مستخدم اللغة حديثاً قد يألف هذا الاستعمال لأنه قد سمع به في التعبيرات القرآنية أو القراءات الأدبية التراثية، غير أنه ينأى عن استعماله الخاص، كما أنه من خلال الدراسة التطبيقية لم يدرك أن التاء تقابل ياء الإضافة.

وثمة استعمال آخر يرد في لغة القرآن الكريم وهو ما يشير إلى مثنى، قال تعالى: {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَبِّكَ}[38] فاسم الإشارة ذان مخصوص للدلالة على مثنى مذكر، ويمكن أن يكون بالهاء (هذان)، كما أن اسم الإشارة المخصص للمؤنث هو تان أو هاتان، والكاف اللاحقة باسم الإشارة هي كاف الخطاب، وفي حالتي النصب والجر يُقال: ذينك[39].

ويكاد هذا التعبير يختفي في عربية اليوم، ويُكتفى في الإشارة إلى المثنى بـ (هذان).

في قوله تعالى: {تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ}[40] وفي قوله: {وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُور}[41] ورد ضمير الفصل، وهو شائع الاستعمال في القرآن الكريم والغرض منه هو التوكيد، وعلى الرغم من الخلاف في إعرابه إلا أنه يعد زائداً، ودوره ثانوي في المعنى، فهو يؤكد ما قبله ويوثقه ويخصصه[42] كما يستفاد منه الإعلام من أول الأمر أن ما بعده خبر تابع ولهذا سُمي فصلاً، لأنه فصل بين الخبر والتابع، وعماداً لأنه يعتمد عليه معنى الكلام والتوكيد، مع عدم اقترانه به[43].

ويميل التعبير الحديث إلى التخفف من التوكيد ووسائله عموماً (القسم ولام التوكيد ونون التوكيد والمفعول المطلق المؤكد[44]. ويسعى إلى أداء الرسالة الإبلاغية بإيجاز من غير اكتراث لكيفيّة إيصالها بأبلغ الطرق وأدقها غالباً، فالنظرة إلى هذا الضمير في الاستعمال الحديث تتفق وعده عنصراً كمالياً بل فائضاً، ولذا بات أقل شيوعاً.

وهذه الفوارق الدقيقة بين المعاني تكاد تكون مجهولة غائبة في الاستعمال الحديث، على الرغم من أهميتها في إبلاغ الرسالة اللغوية على خير وجه، بل نحن أحوج، في عصر يوسم بالسرعة والاتساع والانفتاح والتخصصية، إلى الانتقاء والاصطفاء.

ومما يشيع في لغة القرآن الكريم التخفف من التاء في مثل: اسطاعوا ويصّعد، ففي قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ}[45] حذفت التاء تخفيفاً وتقرأ الطاء بالتخفيف وإن قرأت بالتشديد[46]، وفي قوله تعالى: { كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}[47] قرأت يصّعد ويصّاعد بتشديد الصاد فيهما، أي يتصعّد، وتقرأ يَصْعد بالتخفيف[48].

واللغة أتاحت خيارات أمام مستخدميها، ومع ذلك نجد أن رحب الخيارات يَضيق في الاستعمال المعاصر، ويستهجن ابن اللغة بعض أنماطها الصواب لعدم إلفه بها فيُعرض عنها حاصراً ما رحُب منها مضيقاً على نفسه وعليها ما كان متسعاً.

وقد قيل في اصّعّد وصعد أنهما بمعنى ارتقى، فصعد تعني ارتقى، واصّعّد اصّعّاداً فهو مصعّد إذا صار مستقبل نهر أو واد أو أرض أرفع من الأخرى، ويقال صَعَد واصّعّد بمعنى واحد؛ ومن هنا يتبين أن العرب استعاروا معنى الصعود ليدل على المشقة[49]، وإذاً فالمشقة لازمة لصعود الجبال فلا تنافي بين الأمرين، فالأصل الصعود ولازمه المشقة.

ومعروف ما لزيادة التاء في مثل واستطاع من أداء معنى المشقة والتكلف، ففي قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}[50] يذكر ابن كثير في تفسيره: " قابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف" فـ (اسطاعوا أن يظهروه) أي الصعود إلى أعلاه، (وما استطاعوا له نقبا) أشق من ذلك[51].

**سابعاً – وجوه غائبة من الصواب المعجمي:**

العربية من أوسع اللغات وأغناها، تدخر ألواناً من التعبير؛ كلٌ حسب ما يلائم الرسالة الكلامية، وتختزن في أنظمتها النحوية والصرفية والدلالية والصوتية قدرات تعبيرية مايزة لكل موقف ورسالة. وأمام هذه الرحابة يقف مستخدم اللغة العالم بها موقف المتصرف بتمكن وإتقان، في حين يحار الآخر- الأقل معرفة وتمرساً- مضيقاً على نفسه أبوابها المفتوحة، بل قد يتجنب بعض المباح لظنه بخطئه. وما ذلك الخطأ إلا صواب لم يعرفه ولم يألف توظيفه في لغته المنطوقة والمكتوبة، ومثال بعض الأنماط التي تتعدد فيها وجوه الصواب تعدية الفعل بنفسه أو بحروف الجر، ففي قوله تعالى: "وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم[52] اقترن الفعل بحرف الجر وتعدّى به، ومن الشائع استخدام هذا الفعل متعدياً بذاته مسح وجهه)، وهو وجه صواب أيضاً وقد قيل عن الباء إنها للإلصاق، أي ينبغي أن تلصق يدك المبللة بربع رأسك، فهذا مما يتمم تأدية هذا الفرض[53].

وقد جاء في اللسان: بدأ الشيء وبه: فعله قبل غيره وفضّله[54]. وقد قاد شيوع وجه واحد في الاستعمال وحصره فيه إلى نبذ الآخر بل تخطئته، ومن ذلك أيضاً عثر وأعثر، بمعنى اطلع على الشيء[55]، وقد جاء في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ}[56] وهو وجه غير دارج في

الاستعمال الحديث، فعثر تستخدم دون الهمزة، ويظن بعضهم أن أعثر تؤدي معنى آخر حسب، كأن يكون التعدية.

ومن الاستعمالات الخاصة بالطعام وتناوله الفعل طعم، بمعنى أكل أو ذاق يُقال طعم الشيء، ومنه: أكله بمقدم فمه وثناياه[57]. ومنه قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ}[58] فمن النادر أن تجد من يستخدم (طَعِم) بينما نجد المتعدي بالهمزة هو الوجه الدارج (أطعمه) وبدلاً من طَعِم) يقال: أكل، تناول...

وأمثلة هذه الأفعال كثيرة لا تُحصر، وإنما تمثل النماذج السابقة غيضاً من فيض ما هو صائب فصيح ومغمور مهجور معاً.

كما ينطبق الأمر نفسه على الجهل ببعض الوجوه الصحيحة، في الحقل المعجمي الدلالي، فمذموم ومذؤوم مثلاً تدلان على المعنى ذاته، ومع ذلك فمذموم هي المعروفة والأخرى مجهولة غير مفعلة في الاستخدام الحديث، ومن أمثلتها في القرآن الكريم: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا}[59] ويجد من يعود إلى المعجم تماثلاً في معنيي ذمم وذأم، فكلاهما بمعنى عاب[60] لا فرق، غير أن الشيوع أضحى مقياس الصواب والخطأ، وهو مؤشر على سعة اللغة من ناحية، والتضييق - جهلاً – على مستعمليها، بقلة الإلف بها وشح الاطلاع على ما صنف بها من مصنفات الفكر والأدب والدين والتاريخ... فهي حلقات متتابعة يفضي بعضها إلى بعض وتعتمد قوة إحداها على قوة الأخرى، تصديقاً لمقولة إن حال اللغة من حال أهلها وقوتهم.

وذلك أن يقال قَدَره وقدّره فهما تلتقيان في معنى واحد: بيّن مقداره[61]. غير أن استعمال الفعل مضعفاً (قدّر) هو الشائع الأغلب.

والجدول الآتي يمثل أنماطاً لغوية صحيحة أصيلة في اللغة، ممثلة في شواهدها من القرآن الكريم، ولأجل اختبار ما تحظى به هذه الأنماط من قبول لها ومعرفة بها في الاستعمال اللغوي المعاصر، فقد تم صياغة كل نمط منها في تركيب جملي جديد، بعيداً عن الصياغة القرآنية لئلا يحكم القارىء بصحة النمط اعتماداًعلى وروده في القرآن الكريم.

| الرقم | التركيب المصوغ على نمط التركيب القرآني | التركيب في النسق القرآني |
|---|---|---|
| 1. | إن النهاية قريبٌ. | {لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيب}[الشورى: 17] |
| 2. | تعاونُ الطالباتُ في التحضير. | {تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا}[القدْر: 4] |
| 3. | يَصعَّد المركب في الفضاء. | { كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}[الأنعام: 125] |
| 4. | تَشَقَّق الأرض إذا جفّت. | {يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا}[ق: 44] |
| 5. | أأنت مسافر؟ | { أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ}[النمل: 62] |
| 6. | لاتَ حينَ تراجعٍ. | {وَلاَتَ حِينَ مَنَاص}[ص: 3] |
| 7. | لا جَرَمَ أنه ناجح. | {لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُون}[النحل: 62] |
| 8. | لكنّا هو خالقي. | {لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي}[الكهف: 38] |
| 9. | ويكأنه لا ينجح الكسالى. | {وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُون}[القصص: 82] |
| 10. | وكأين من بشر إلا يرزقه الله. | {وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا}[العنكبوت: 60] |
| 11. | يا أبتِ أنا في طاعتك. | {يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا}[يوسف: 4] |
| 12. | ذانك دليلان على الإيمان. | {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَبِّكَ}[القصص: 32] |
| 13. | اسطاع أداء عمله. | {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ}[الكهف: 97] |
| 14. | هل طعِموا طعامهم؟ | {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ}[المائدة: 93] |
| 15. | خرج من عندهم مذؤوماً. | {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا}[الأعراف: 18] |
| 16. | الملائكة يسبحون لله. | { وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ}[الشورى: 5] |
| 17. | بدؤوكم بالقتال. | {وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[التوبة: 13] |
| 18. | أعثرت عليكم. | {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ}[الكهف: 21] |
| 19. | الدرس هل استمعوه. | {إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُون}[الأنبياء: 2] |
| 20. | قَدَره واحترمَه. | {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الزُّمَر: 67] |
| 21. | مسح بوجهه وتوضأ. | {وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ}[المائدة: 6] |

ويبين الجدول الآتي نتيجة الاستبانة المشتملة على أنماط لغوية مصوغة على غرار أنماط لغوية قرآنية، وقد أجاب عن الاستبانة خمسون متخصصاً في اللغة العربية في مرحلة التعليم الجامعي الأولى (البكالوريوس) الذين ينتظر أن يكونوا على قدر مقبول معقول من المعرفة اللغوية.

| الرقم | الجملة | الإجابة بالصواب | نسبتها | الإجابة بالخطأ | نسبتها | الإجابة بالركاكة | نسبتها |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| .1 | إن النهايةَ قريبٌ. | 2 | %4 | 48 | %96 | صفر | صفر |
| .2 | تَعاوَنُ الطالباتُ تعاوناً حسناً. | 8 | %16 | 40 | %80 | 2 | %4 |
| .3 | تَصعَّدُ المركبُ. | 8 | %16 | 35 | %70 | 7 | %14 |
| .4 | تَشَقّقُ الأرضُ. | 7 | %14 | 30 | %60 | 13 | %26 |
| .5 | أأنت مسافر؟ | 30 | %60 | 15 | %30 | 5 | %10 |
| .6 | لاتَ حينَ تراجع. | 28 | %56 | 12 | %24 | 10 | %20 |
| .7 | لا جرمَ أنه ناجح. | 22 | %44 | 20 | %40 | 8 | %16 |
| .8 | لكنّ هو خالقي. | 10 | %20 | 32 | %64 | 8 | %16 |
| .9 | ويكأنه لا ينجح الكسالى. | 23 | %46 | 23 | %46 | 4 | %8 |
| .10 | وكأين من بشر إلا يرزقه الله. | 34 | %68 | 10 | %20 | 6 | %12 |
| .11 | يا أبتِ، أنا في طاعتك. | 34 | %68 | 10 | %20 | 6 | %12 |
| .12 | ذانك دليلان على الإيمان. | 22 | %44 | 28 | %56 | | |
| .13 | اسطاع أداء عمله. | 13 | %26 | 22 | %44 | 15 | %30 |
| .14 | هل طعموا طعامهم؟ | 23 | %46 | 21 | %42 | 6 | %12 |
| .15 | خرج من عندهم مذؤوماً. | 20 | %40 | 27 | %54 | 3 | |
| .16 | الملائكةُ يسبحون لله. | 34 | %68 | 11 | %28 | 5 | %10 |
| .17 | بدؤوكم بالقتال. | 27 | %54 | 23 | %46 | | |
| .18 | أعثرتُ عليكم. | 15 | %30 | 20 | %40 | 15 | %30 |
| .19 | الدرسَ هل استمعوه؟ | 15 | %30 | 25 | %50 | 10 | %20 |
| .20 | قدَّرَه واحترمه. | 23 | %46 | 20 | %40 | 7 | %14 |
| 21 | مسح بوجهه وتوضأ. | 30 | %60 | 15 | %30 | 5 | %10 |

**قراءة في النتائج**

1- ثمة غربة بين القارئ والأنماط اللغوية المقدمة، وهي غربة تضيق وتتسع، فنجدها أحيانا كبيرة كما في (إن النهاية قريب) التي وصلت نسبة الحكم بخطأها 96% بينما قلّت في تعبير (يا أبتِ أنا في طاعتك) ليحكم لها بصواب نسبته 20% وهي غربة تحتكم إلى الإلف بالنمط وتداوله مداً وجزراً.

2- تبين أن تعامل القارئ مع مسألة التذكير والتأنيث بُني على معرفة بالفصل الواضح والفرز الحاسم بينهما، فلم يعد مع ذلك يرى اللافتة التي تقول بأصلية المذكر وفرعية علامة التأنيث عليه، فصار معياره في التمييز بينهما قاطعاً لا يقبل بوجه آخر رغم صحته.

3- يميل نظر القارئ المعاصر إلى أحادية تستبعد صحة وجه آخر، وهي أحادية مبنية على معرفة أولية بالقاعدة في صورتها الأبسط، دونما إلمام بالفروع والخيارات المتعددة، فمثلاً الفعلان: (تصعّدَ وتَشقّق) فعلان ماضيان، مضارعهما حسب معرفته (يتصعّدُ ويتشّققُ) وأما التخفف من التاء – رغم أنه من باب التيسير – فصورة غائبة أو ربما غائمة في استعمالها.

4- بدا في بعض الأنماط أن القارئ لم يفهم المعنى، ووقف حائراً أمام جملة يحتار فيها تركيباً ومعنى، ومن ذلك (لا جرم، ذانك، لات، ويكأن، كأين، مذؤوم) فقد أسفرت النسب عن تخبط لافت، كما أن بعض المجيبين علّقوا في خانة الملاحظات بما يدلّ على التباس الفهم الذي مصدره غياب التعبيرات عن الاستعمال.

5- على الرغم من اتساع الحقل الدلالي للعربية في الإفصاح عن المعنى الواحد، إلاّ أن الجهل بقدرات الألفاظ يقود إلى حكم بالخطأ على ما هو صواب صاف، ومن ذلك أنه يشيع تداول لفظ (طعام) بصفتها الاسمية لا الفعلية، مما حدا بأغلبية المجيبين إلى تصنيف (طعِموا) على أنها خطأ والصواب كما اقترح بعضهم: (أكل، تناول).

6- على الرغم من معرفة نسبة كبيرة من المجيبين بصواب التركيب (أأنت جائعٌ؟) إلاّ أن بعضهم لم يستسغ الهمزة، واقترح (هل) بديلاً لها.

7- إن النظرة المرنة إلى اللغة، بغناها ورحابتها وتنوعها، لهي نظرة تعين على تحسين التواصل بها، وتنأى عن أحادية النظرة وحدّية الحكم، وهذا ما كان ينقص القارئ الذي حكم بخطأ (مذؤوم) وصوّبه بـ (مذموم) أو تركه بلا تصويب، وقد يعزى هذا إلى تضيق النظر وضرورة احتمال خيار واحد، كما يعزى إلى الجهل بأصول اللغة وكونها مما يحصل فيه تبادل بين أصوات منها، مع أن المعنى واحد.

## الخلاصة:

سعت هذه الدراسة إلى رصد عدد من الأنماط اللغوية الفصيحة الأصيلة مما اضمحلّ شيوعه في لغة اليوم، في محاولة لتوصيف التطور اللغوي الذي هو سنة لغوية وكونية طبيعية، وكذلك لإثارة تساؤل بشأن هذه الأنماط، التي تمثل وجوهاً من الصواب والصحة لا من الشاذ المهمل، فهل يُقبل بتلاشيها ويعد هذا تسليماً بانزلاق اللغة رغماً عنا إلى التداول أو الزوال، أم إننا نتحمل جانباً من المسؤولية في تنحية هذه الأنماط لدى التأليف والتعليم، اختصارً واقتصاراً على وجوه دون غيرها جزافاً ودون تخطيط.

وتوصي الدراسة بدمج هذه الأنماط الصحيحة الفصيحة في النصوص والأمثلة الماثلة في الكتب التعليمية عامة واللغوية خاصة، إذْ إن ارتباط فهمنا للغة القرآن ومصادر الفكر والثقافة العربية منوط بفهم اللغة، ولا مبرر- وخاصة للمتخصصين- في أن لا يكونوا على علم بها ودراية، ولا بأس في التخفف مما يقل شيوعه منها في مراحل التعليم اللغوي الأولى، أو في تعليم العربية للناطقين بغيرها، فلكل مقام مقاله.

وتؤكد هذه الدراسة التواصل التداولي المفتوح على لغة الزمن الماضي في نظرة إلى الحديث على أنه امتداد للقديم لا بترٌ له، وأن السعي إلى حماية التعبيرات المتداولة من الانقراض مطلب ملح لا يتحقق إلا بإدراجها في الإعلام والمناهج والخطاب التداولي بعامة.

ولا ينفصل فهم ظاهرة الخمول اللغوي بعينها عن مسيرة التقعيد اللغوي التي خضعت لأطر وقواعد قننتها مُعليةً من شأن تراكيب باختيارها ومتجاهلة أخرى بتنحيتها جانباً، تماشياً مع اطراد القواعد وتحديد النحو وضبط تعليمه، وقد أفضى هذا المنهج – على مبرراته وظروفه – إلى بقاء كثير من التراكيب خارج إضاءة التداول، مما ينبغي الالتفات إليه في دور يتمم دور النحاة وإنجازهم.

# Archaism between Stability and Transformation

**Hanan Al-Amaiereh,** *Language Center, The University of Jordan, Amman, Jordan.*

**Abstract**

This research aims to study archaism in some structures in modern standard Arabic, based on the idea that these structures, though becoming barely used nowadays, are used in the Holy Quran. So this research attempts to study the uses of these archaic structures and to show the importance of renovate them.

Arabic has its own distinctive features of development and transformation but such kind of development is limited; Arabic keeps consistency for a long time and the archaic structures need to be further explored and described in terms of current linguistic use compared to ancient usage of these archaic structures. The idea is to evaluate the transformation such archaic structures went through so as to renovate these structures as needed taking into consideration the nature of targeted learners as some structures might be taught orally while others need to be taught by writing.

**الهوامش**

(1) عمايرة، إسماعيل: المعيارية هذا المنهج الذي حفظ وحدة العربية من كتاب نوافذ على المنهجية والتأصيل المعجمي، دار وائل، 2015، ط1: 65.

(2) نهر، هادي: اللسانيات والنحو العربي: التشكل والتشكيل بين الرؤية الحضارية والحداثة، أبحاث المؤتمر الدولي الثالث في اللغويات العربية ط1، 2015، عالم الكتب، إربد، الأردن، 135.

(3) الموسى، نهاد: اللغة العربية وأبناؤها، 1984: المقدمة.

(4) عمايرة، إسماعيل: بحوث في الاستشراق واللغة، ط2، دار وائل، عمان، 2003.

(5) الزعبي، آمنة: في تحول الأساليب النحوية التركيبية في اللغة العربية في العقدين السابقين على مرحلة العولمة، 2006.

(6) السامرائي: إبراهيم: في الدرس النحوي واللغوي، تقديم وليد خالص، ط1، كنوز المعرفة ,2015:102

(7) سيبويه: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، 1968، دار الكتاب العربي: 212/2.

(8) السامرائي، فاضل www.tafsir.net

(9) الأعراف 56.

(10) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية: 282/2.

(11) المبرد، محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، 1979. ط2، القاهرة: 347/3 والآية من: سورة ق.

(12) العكبري أبو البقاء، عبد الله بن الحسين: البيان في إعراب القرآن، دار الكتب العلمية 1998، ط1، لبنان: 339/1.

(13) ابن هشام، شذور الذهب: 75 وينظر للتوسع في هذا الموضوع: عمايرة، إسماعيل: كتاب دراسات لغوية مقارنة، بحث ظاهرة التأنيث بين العربية واللغات السامية، دار وائل، ط1، 3-2: 84-85 والآية من الشورى17.

(14) سيبويه: الكتاب: 38/2 والآية من البقرة 275.

(15) المبرد: المقتضب: 59/4.

(16) ابن جني: الخصائص: 66/3.

(17) سيبويه: كتاب سيبويه: 476/4.

(18) نفسه: 475/4.

(19) ابن جني: الخصائص: 66/3 والآية من الأعراف: 38.

(20) بن جني: الخصائص: 205/2.

(21) سيبويه: كتاب سيبويه: 176/3.

(22) ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب، تحقيق فيصل علي عبد الخالق، مراجعة عمر ديارنة، 2004، ط1:1/29.

(23) عمايرة، إسماعيل: بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل، ط1، 2003: 58.

(24) النمل 62.

(25) الآية 60 الرحمن، ينظر ابن هشام: مغني اللبيب: 30/1.

(26) المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، المكتبة العربية، حلب: ط1، 1973: 4 وابن هشام: مغني اللبيب: 154/1 وابن عقيل بهاء الدين عبد الله: شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة: 185.

(27) السامرائي، إبراهيم: في الدرس النحوي واللغوي، تقديم وليد خالص، كنوز المعرفة، ط1 2015: 148.

(28) سيبويه: كتاب سيبويه: 475/4.

(29) النعيمي، ناصر: لا جرم بين النظرية والاستعمال، دراسات، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مجلد 43، عدد 2: 728.

(30) السامرائي، إبراهيم: 127.

(31) الكهف 38.

(32) العكبري: 104/1 وابن هشام: مغني اللبيب: 65/3.

(33) العكبري: 250/2.

(34) 82 القصص.

(35) ابن هشام، مغني اللبيب: 199/1.

(36) نفسه 129/1

(37) المبرد: المقتضب: 104/4.

(38) القصص 32.

(39) ينظر ابن هشام جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 139/2010:1.

(40) المزمل 20.

(41) فاطر 10.

(42) ابن هشام: أوضح المسالك 23/3 والمبرد، المقتضب 104/4.

(43) ابن هشام: مغني اللبيب: 82/2.

(44) الزعبي، آمنة (في تحول الأساليب اللغوية التركيبية في اللغة العربية في العقدين السابقين على مرحلة العولمة، مجلة جامعة دمشق، مجلد 22، العددان (1،2): 152.

(45) الكهف 97.

(46) الكعبري: 115/2.

(47) الأنعام: 125.

(48) العكبري، نفسه: 115/2.

(49) ينظر لسان العرب مادة صعد، وابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979: 221/3.

(50) الكهف 97.

(51) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير، دار طيبة، 2002.

(52) المائدة 6.

(53) النابلسي، محمد راتب: موسوعة النابلسي الإسلامية، www.nabulsi.com الدرس 8-49 تاريخ الدخول 2016/5/21.

(54) ابن منظور، لسان العرب: مادة بدأ.

(55) نفسه: مادة طعم.

(56) الكهف: 21.

(57) ابن منظور، لسان العرب: مادة طعم.

(58) المائدة 93.

(59) الأعراف 8.

(60) ابن منظور، لسان العرب: مادة عاب.

(61) ابن منظور، لسان العرب: مادة قدر.

## المصادر والمراجع


ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.

السامرائي، إبراهيم: **في الدرس النحوي واللغوي**، تقديم وليد خالص، ط1، كنوز المعرفة، 2015.

سيبويه، عمرو بن عثمان، **كتاب سيبويه**، ق. عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، 1968.

الزمخشري، جار الله، **أساس البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، **شرح ابن عقيل**، ق. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، 1980.

العكبري أبو البقاء: عبد الله بن الحسين: **البيان في إعراب القرآن**، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 1998.

عمايرة إسماعيل: **بحوث في الاستشراق واللغة**، دار وائل، ط2، 2003.

عمايرة، إسماعيل: **المعيارية هذا المنهج الذي حفظ وحدة العربية من كتاب نوافذ على المنهجية والتأصيل المعجمي**، دار وائل، ط1، 2015.

ابن فارس، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ق. عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، دار طيبة، 2002.

المرادي: الحسن بن قاسم: **الجنى الداني في حروف المعاني**، ق. فخر الدين قباوة ومحمد نديم، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1973,

المبرد: محمد بن يزيد: **المقتضب**، ق. محمد عبد الخالق عضيمة، ط2، القاهرة، 1979.

الموسى نهاد، **اللغة العربية وأبناؤها، أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية**، دار العلوم، الرياض، 1984.

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

نهر، هادي: **اللسانيات والنحو العربي: التشكل والتشكيل**، أبحاث المؤتمر الدولي الثالث في اللغويات العربية عالم الكتب الحديث، 2015.

ابن هشام، جمال الدين: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ق. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 2010.

ابن هشام، جمال الدين: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ق. فيصل علي عبد الخالق، ط1، 2004.

**الدوريات**

الزعبي، آمنة: في تحول الأساليب النحوية التركيبة في اللغة العربية في العقدين السابقين على مرحلة العولمة، **مجلة جامعة دمشق**، مجلد 22، 2006.

النعيمي، ناصر: لا جرم بين النظرية والاستعمال، **دراسات**، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مجلد 43، عدد 2.

**المواقع الإلكترونية**

السامرائي، فاضل، www.tafsir.net. تاريخ الدخول 2016/5/21.

النابلسي، محمد راتب: **موسوعة النابلسي الإسلامية**، www.nabulsi.com تاريخ الدخول 2016/5/21.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2017، ص ص 505- 532

# شهداء قضاء عجلون في حروب البلقان واليونان 1914-1918 (دراسة في سجلات محكمة عجلون الشرعية)

أحمد محمد الجوارنة وعمر صالح العمري *

تاريخ الاستلام 2016/11/24 تاريخ القبول 2017/3/20

**ملخص**

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على جانب مهم من تاريخ الأردن الحديث، والمتمثل بمشاركة أهالي جبل عجلون في حروب الدولة العثمانية في البلقان واليونان (1914-1918)، وذلك من خلال قانون "أخذ عسكر" الذي فرض الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش العثماني، وقد تجسد ذلك في القضايا التي رفعت إلى المحكمة الشرعية في عجلون وإربد والتي بينت طبيعة الدعاوى والمطالب من أجل حصر الإرث لأولئك الذين ماتوا ولم يعودا إلى بلدانهم، وانحصر موضوع الدراسة بأسماء الشهداء الذين قضوا في حروب الدولة العثمانية، والشهود وزوجات وشقيقات وأشقاء الشهداء الذين كشفت عنهم وثائق سجلات المحكمة الشرعية، والدراسة غير معنية بمعالجة الجوانب الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، لحاجتها إلى دراسة مستقلة ومستفيضة، ولم يظهر من بين حوالي ثلاثة آلاف قضية تبعثرت في عشرة سجلات، سوى عشرين وثيقة تحتوي على أسماء شهداء جبل عجلون.

## مدخل للدراسة:

التجنيد الإجباري، أو ما تم الاصطلاح عليه في وثائق الدولة العثمانية بـ"أخذ عسكر"، من القضايا التاريخية المهمّة التي أثرت في حياة سكان بلاد الشام والعراق، والتي كان القانون والإدارة العثمانية قد استهدفاها بالتجنيد الإجباري لرفد الجيش العثماني النظامي بجنود يقومون بالخدمة العسكرية في الجيش لفترة زمنية محدودة، وقد شغلت تلك الإجراءات عقول الناس وعقول رجال السياسة العرب في تلك الفترة[1]، فكان جبل عجلون جزءاً من تلك المنطقة التي استهدفها التجنيد الإجباري، في حين لم يكن سكان عجلون وغيرها من المناطق يعرفون التجنيد الإجباري إلا في عهد السلطان "سليم الثالث 1789-1807م"، الذي وجه سياسة الدولة

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2017.

* قسم التاريخ، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

العثمانية نحو إدخال أبناء البلاد العربية في الجيش العثماني، وما لبثت الدولة أن عدلت عن ذلك، وانتهجت سياسة جديدة ومتشددة في تجنيد السكان وحملهم بالقوة على الانخراط في السلك العسكري، وكان ذلك " بعد قضاء السلطان محمود الثاني على الجيش الإنكشاري عام 1826م، وشروعه في إرساء أسس نظام عسكري جديد وفقا لأساليب الجيوش الأوروبية، جسده بجمع العساكر النظامية لإنشاء النظام الجديد"[2].

وبموجب صدور قانون "أخذ عسكر" في "27 صفر 1304هـ/1886م"، أصبح التجنيد الإجباري فريضة على جميع المسلمين من أتباع الدولة العلية العثمانية، وأوجبت على كل ذكر بلغ العشرين من عمره أن يتوجه إلى دائرة الجندية "أخذ عسكر" لسحب القرعة الشرعية"[3].

وقد حرص قانون الخدمة العسكرية الإجبارية على معالجة الكثير من الأوضاع والأحوال لدى شباب العرب من استثنائهم من الانخراط في صفوف الجيش العثماني، فبموجب المواد "21-45" من قانون "أخذ عسكر" استثني من يعمل في الوظائف التالية: "خدمة الحرم الشريف وخدمة مقامات الرسل والأولياء، والموالي الكرام، وحكام الشرع الشريف، ومدرسو الدرس العام، ومشايخ الطرق من أصحاب الزوايا، وأئمة المساجد وخطباء الجوامع، وأعفي ذوو العلل وغير المقتدرين، ومن كان وحيدا لأبويه، أو متزوجا من أجنبية، أو صغيرة أو عجوز ليس لهن معين"[4].

أما المادة (79) من قانون الخدمة العسكرية، فقد جاءت لتحدد كيفية إجراء القرعة الشرعية، حيث يكون ذلك بتسجيل أسماء المكلفين في دفتر خاص، وجلبهم إلى مجلس القضاء، أما الذين لا يستطيعون الحضور بسبب علة أو مرض أو الإقامة في بلاد بعيدة، فيجلب أقرباؤهم كي يسحبوا قرعتهم، وليكون كل منهم وكيلا عن قريبه، وكان على جميع مخاتير القرى الحضور إلى مجلس القضاء عند إجراء القرعة"[5]، وقد شكلت القرعة الشرعية قلقا للسكان، وأوصلتهم إلى حالة اليأس وكأنهم يساقون إلى حتفهم الأخير، وهو المشهد الذي عايشه وشاهده المؤرخ "يوسف موسى خنشت" ابن مدينة النبك الشامية، حيث قال: "كانت القرعة الشرعية تجري بعقد اجتماع لمجلس رجالات الحكومة في دار الحكومة، يحضره جميع المشايخ والمخاتير في القرية التابعة للقضاء، ويقرأون "الفرمان" مرسوم الأمر السلطاني العالي بأخذ العسكر، وذلك في حفلة رسمية، تجمع بين موظفي الحكومة وتصطف الجنود رافعة سلاحها حتى آخر قراءة "الفرمان"، فيقوم القاضي أو المفتي بعد ذلك بالدعاء إلى الله ليحفظ الدولة العلية العثمانية، ويمد عمر ذي الشوكة السلطان، ويختمونه بصراخ الحضور "باد شاهي جوق يشا" أي: فليحيا سلطاننا كثيرا"[6].

ويضيف "خنشت" "أن أهل الحل والعقد الذين اعتمدت عليهم الدولة في معالجة "أخذ العسكر" هم مخاتير القرى والقصبات[7]، يبعثون من يشاؤون من أولاد الفلاحين إلى الجندية،

ويبقى من يرضون عنه عند أهله، وكان للشيخ اليد الطولى في هذا الأمر، إذ كان موظفو دائرة التجنيد يأتون من دمشق فيحلون ضيوفا على المخاتير"[8]، ثم يشرعون في انتخاب العسكر أو الجنود وتعيين المدعوّين للتجنيد فيرمون القرعة في دار الحكومة، فكان يأتي الشاب ويمد يده إلى كيس ويسحب منه ماسورة ضمنها ورقة ملفوفة، فيأخذها منه أحد صغار الضباط ويقرأ ما فيها ويعلن قائلا: "خالية" أو "عسكرية"، فيرددها الحاجب الذي عند باب الغرفة، فتصرخ والدة الشاب، إما مزغردة، أو مولولة، لأن الجندي كان يبعث إلى بلاد بعيدة، كبلاد اليمن أو الروملي أو كريت، أو الجبل الأسود، أو بغداد أو أرز روم "بلاد الروم"، أو غيرها من ساحات الحروب العثمانية المخيفة [9].

ومن الحكايات المؤلمة والمثيرة للشفقة التي تركت بصماتها: القرعة الشرعية و"أخذ عسكر" على عموم الناس الذين أرسلوا أولادهم إلى ساحات القتال الرهيبة التي كانت تخوضها الدولة العثمانية، وهي من حكايات أهل الكورة (تبنة وعنبة وكفر الماء وغيرها من القرى)، قصيدة "فارس العبد الله الفارس بني يونس":

سر يا قلم واكتب سلامي بسلامين ... وديه للي جاء منهم سـلانيك
سحبتهم الدولة وركبوا الفراقين ... يا سامي باشا ريت ربي يجازيك
أثقلني همك ما يشيلونه قعودين ... تبلى ببلوة ما لها من يشافيك
طريت علينا كرومنا على حرف عين ... ومن حلت إعنبهن يحـــليك
وسعوده ما عاد ظني يلاقيك عقلك ... غدى وبراس برقش يلاقيك
يا حيف بني معروف صاروا ذليلين ... ومن عقب شبلي هلكوهم تهاليك
واختم واصلي على النبي بصلاتين ... نبي عربي يوم اعتلى بيـــــك

وقصيدة أخرى للشاعر محمد أبو عصبة من قرية بيت إيدس، تخبرنا عن الحسرة والألم الذي كان يختلج قلوب الأهالي الذين ذهب أبناؤهم إلى الخدمة العسكرية مع الجيش العثماني:

يا ونتي ونيتها ونة عليله ... يا ونتي ودموع عيني تسيله
يا ونتي بالقلب ما هي قليله ... عالبيض أُمات الثنايا النبيله
أبكن عاللي سافروا بالشقاديف ... قلبي عليهم رف رف الرفاريف
راحوا وخلونا بهموم وتصاريف ... جمع الشمل ما عاد منه سواليف

وقد بادر قضاء عجلون، كبقية النواحي والأقضية في ولاية سوريا، إلى تلبية مطالب الدولة العلية العثمانية في تجنيد أبنائهم في سلك الخدمة العسكرية الإجبارية، وإلحاقهم بالجيش العثماني على جبهات القتال في أوروبا، وحُددت شعب عسكرية للقيام بواجب "أخذ وتجنيد العسكر"، وعرفت تلك الشعبة بـ"شعبة أخذ العسكر" في عجلون، وكان رئيس هذه الشعبة لعام 1329هـ/1911م، القول آغاسي "عزتلو أحمد توفيق أفندي بن عثمان آغا بن سعد آغا النوري"، كما يشار إلى الملازم أول في شعبة "أخذ عسكر" و"رفعتلو علي رضا أفندي بن نظيف آغا " [10]، ووجد أيضا مجلس خاصّ باسم "مجلس وسائط نقل عسكر"، يتألف من القائمقام رئيسا، وعضوية "يوزباشي الزاندرمة"، وكاتب "أمين بلوك الزاندرمه" في القضاء[11].

وقد كشفت "جريدة المقتبس" في عددها 760 لسنة 1911م، عن الاحتجاجات التي طالب من خلالها الأهالي بتخفيف تشدد الدولة العثمانية في مسألة "أخذ عسكر"، وإعادة الحقوق إلى أصحابها، ويظهر من ذلك موقف "سعد الدين أفندي المقداد" مبعوث لواء حوران، المؤيد لمطالب ومظالم الأهالي من خلال رفعه عريضة يطالب فيها الحكومة العثمانية بإطلاق سراح مواليد سنوات (1300هـ/1882م)،(1301هـ/1883م)،(1302هـ/1884م)، لأن أكثرهم قد حصروا، وتسريح من دفع البدل العسكري منهم، وكشفت المضبطة عن أعمار من سيقوا إلى الخدمة العسكرية، حيث تتراوح بين (30 - 40 سنة) و(15-17 سنة)، وطالبت العريضة بأن تكون خدمة هؤلاء ضمن ولاية سوريا، وأن لا يساق أبناء اللواء إلى المناطق النائية [12]، ومن أبرز الاحتجاجات التي تكلمت باسم أهالي جبل عجلون حول أخذ أبنائهم إلى الخدمة العسكرية الإجبارية، مقالة نشرها "نجيب أفندي الشريدة" في جريدة "المقتبس"، مقدما احتجاجا على إجراءات القائمقام، بأن قضاء عجلون يؤخذ منه هذه السنة (1913م) طابوران ونصف، في حين لا يؤخذ من بقية أقضية لواء حوران الستة الأخرى مثل هذا العدد، منوها إلى أن العجلونيين قدموا زهاء ستين ألف استدعاء لرفع شكواهم من أخذهم للجندية [13].

- **سجلات الشهداء:**

قبل الحديث عن أهمية سجلات المحاكم الشرعية في قضاء عجلون بوصفها مصدراً مهمًّا ووحيداً من مصادر الدراسة التي حفظت لتاريخ الأردن الحديث كوكبة من شهداء جبل عجلون الذين قضوا في حروب الدولة العثمانية في البلقان ما بين سنة 1914-1918م، فقد استمعنا لمحاضرة "محمود ماردیني"، مساعد مدير الأرشيف العثماني في مدينة "إستنبول "التركية، ألقاها في قاعة قسم التاريخ في جامعة اليرموك، استعرض فيها بشكل علمي وموضوعي أهمية الأرشيف العثماني كمصدر تاريخي مهمّ من مصادر تاريخ العرب الحديث، مبينا حجم الوثائق التي يمتلكها الأرشيف العثماني التي تحتوي على عشرات الملايين من الوثائق، التي تغطي حقبة تاريخ

الدولة العثمانية منذ تأسست وحتى سقوطها على وجه التحديد، ونصيب بلاد الشام والبلاد العربية من تلك الوثائق كبير؛ لارتباط تاريخها بتاريخ الدولة العثمانية طيلة أربعة قرون تقريبا، اشتملت على سجلات النفوس، وسجلات الأراضي، وسجلات السالنامة، والفرمانات الشاهانية، وسجلات المحاكم الشرعية، وسجلات الباب العالي، وسجلات الجيش والدفاع..إلخ.

وقد طرحنا على المحاضر تساؤلا يدور في أذهاننا وأذهان أبائنا وأجدادنا منذ قرن وأكثر، ألا وهو: أين سجلات "أخذ عسكر"؟ وما مصير أبناء منطقتنا الذين سيقوا إلى الخدمة الإجبارية في الجيش العثماني؟ فكانت إجابته، أن السجلات والدفاتر المعنية بهذا الشأن لم يتم الإفراج عنها، وأنها لا زالت حبيسة الأدراج، ولم يسمح بالاطلاع عليها لما تحتويه من أسرار ربما تضر بمصالح الدولة التركية الحديثة، وهذا يؤكد أن أسماء أبناء المنطقة بشكله الرسمي مدون ومحفوظ في وثائق رسمية ولن يعلن عنه، وأن أسماء الجنود ستبقى في ذاكرة الأجيال التي تحفظ مئات الأسماء، لا سيما الأجيال القديمة التي عاصرت الأحداث أو التالية لها، وهذا ما جعل ورود بعض أسماء الشهداء ضمن سجلات محكمة عجلون وإربد الشرعية أمرا بالغ الأهمية.

لقد احتلت سجلات محكمة عجلون وإربد الشرعية مصدرا أساسيا وحيدا في دراسة أسماء شهداء جبل عجلون ما بين سنة 1914 إلى 1918، وهي الفترة الانتقالية الصعبة من تاريخ الدولة العثمانية والذي بسببه دفعت الدولة ثمنا باهظًا أدى إلى ضعفها وتراجعها، وقد انعسكت تلك الظروف القاسية على سكان بلاد الشام، وسكان جبل عجلون بوجه خاص، الذين دفعوا ثمنا باهظًا، من دم أبنائهم وأرواحهم، حتى سيق الآلاف إلى جبهات القتال، منهم من قضى نحبه، ومنهم من اختفى أثره، ومنهم من كتبت لهم السلامة وعادوا إلى ديارهم، وبقيت مصائر القتلى حديث الناس في البيوت والمضافات، ومع تقادم الأحداث بدأ اهتمام الناس بالشهداء والمجندين يضعف تدريجيا، بل يتلاشى، إلى أن جاءت سجلات المحكمة الشرعية وبينت حقائق ناصعة لا مجال فيها للأخذ والرد، لا سيّما أنّها صادرة عن محكمة شرعية تخضع لقيود وقوانين شرعية صارمة.

لقد تم التعامل مع عشرة سجلات شرعية تابعة لمحكمة عجلون وإربد، وبعد قراءة السجلات قراءة متفحصة، وتقليب الوثائق، وثيقة وثيقة، تبين أن أربعة سجلات من بين السجلات العشرة احتوت على أسماء شهداء جبل عجلون، علما بأن عدد الوثائق أو القضايا الواردة في تلك السجلات يزيد على ثلاثة آلاف قضية، توزعت على أكثر من 150 قرية تابعة لقضاء عجلون، تلك القرى التي قدمت أبناءها لخدمة الجيش العثماني، بعد صدور قانون "أخذ عسكر" في "27 صفر 1304هـ/1886م"[14]، وهذا ما أكّده "نجيب أفندي الشريدة" في مقالة في جريدة "المقتبس" أن قرى عجلون كانت تقدم طابورًا ونصف من العسكر وحدها، بينما بقية الألوية في لواء حوران لا تقدم مثل هذا العدد الكبير.

وبعد مراجعة القضايا الواردة في السجلات الشرعية كلّها، لم يعثر إلا على عشرين اسمًا من أسماء الشهداء الذين استشهدوا في ساحات المعارك مع الجيش العثماني، أفصحت عنهم السجلات بحكم رفع زوجاتهم أو شقيقاتهم شكاويهن للمحكمة من أجل حصر الإرث، والحصول على حقوقهن الشرعية.

أما السجلات التي وردت فيها أسماء الشهداء وأسماء زوجاتهم أو شقيقاتهم، فهي:

**أولا: أسماء الشهداء في سجل قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية 1328هـ - 1333هـ/ 1910-1915م:**

1. "محمد بن موسى بن خليل الجوارنة" من قرية عنبة، وزوجته "صبحة بنت حسين الحامد بني خلف " من قرية عنبة.
2. "صالح بن محمد الطالب الجراح"من قرية المزار، وزوجته " فضية بنت محمود الطاهات" من قرية المزار.
3. "عطية بن سلامة أبو قاسم القواسمة" من قرية حكما، وزوجته "فُضة بنت فارع الصالح" من قرية حكما.
4. "فرحات بن حسين الفرحات" من قرية كفرنجة، وشقيقه "محسن الحسين الفرحات الفريحات".
5. "صالح بن خليل الأحمد العمري "من قرية حبكا، وزوجته" رشدة بنت علي الحسين" من قرية حبكا.
6. "محمد بن حسن المحمد الناصر "من قرية عنجرة، وشقيقته" فُضة بنت حسن المحمد الناصر" من قرية عنجرة.

**ثانيا: أسماء الشهداء في سجل قيودات الإعلامات لمحكمة عجلون 1329هـ/1911م:**

1. "عبد الحليم بن علي بن مسعود "المساعدة" من قرية إزمال، وزوجته " ظريفة بنت محمود " من قرية إزمال.
2. "أحمد بن علي بن محمد البطران" من قرية كفر سوم، شقيقه "إبراهيم بن علي بن محمد البطران ".

**ثالثا: أسماء الشهداء في سجل محكمة عجلون الشرعية 1336هـ/1918م:**

1. "محمد بن عثمان بن أحمد العمري" من قرية عنبة، وزوجته "وضحة بنت عبد الرحمن بن عبد الرازق العمري" من قرية عنبة.

2. "عبد الله بن يوسف بن عبد الله بني طعان "الطعاني" من قرية بيت راس، وشقيقه " محمد بن يوسف بن عبد الله بني طعان " من قرية بيت راس.
3. "محمد بن خطار بن محمد القديسات "من قرية سوم "الشناق"، وولداه "فرحان وحمده" من قرية سوم "الشناق".
4. "أحمد بن عبد الله المنصور الغوانمة" من قرية سحم الكفارات، وزوجته "فاطمة بنت محمد بن حسين الغوانمة"، من قرية سحم الكفارات.
5. "محمد بن عجاج بن عودة المفرج" من قرية جديتا، وزوجته "صبحة بنت محمد بن موسى السليمان" من قرية جديتا.
6. "عبد القادر بن احمد بن يوسف الخطيب" من قرية كفر يوبا، وزوجته "وزنة بنت يوسف بن حسين القطايشة" "القطيشات"، من قرية كفر يوبا.

**رابعا: أسماء الشهداء في سجل قيودات محكمة عجلون الشرعية 1921-1924م:**

1. "محمد بن سليمان العبيد الله" من قرية إيدون، وزوجته "حاجة بنت عبد الله الزقيبة"، من قرية إيدون.
2. "علي بن عبد الله بن أحمد" من قرية سحم الكفارات، وزوجته "غزيل بنت محمد بن علي"، من قرية سحم الكفارات.
3. "محمد بن حمد العبد الحليم" من قرية الصريح، وزوجته "حسنا بنت علي الحسين"، من قرية الصريح.
4. "محمد بن عوض بن مصطفى" من قرية الخريبة، وزوجته "نورة بنت موسى بن عبد اللطيف" من قرية الخريبة.
5. "موسى بن يوسف البكر" من قرية حوارة، وزوجته " عليا بنت محمود السليمان"، من قرية حوارة.
6. "حسين بن محمد بن عبد العزيز" من قرية كفر أسد، وزوجته "فاطمة بنت مصلح بن أحمد الشّعار"، من قرية كفر أسد.

أما الدراسات السابقة التي اهتمت بأسماء شهداء جبل عجلون في حروب الدولة العثمانية في البلقان وبلغاريا والبحر الأسود واليونان من خلال دراسة الوثائق مباشرة، فهي دراسات قليلة، نذكر منها:

– الدراسة التي قدمها "عليان الجالودي" بعنوان "قضاء عجلون 1864-1918م"، وهي عبارة عن رسالة ماجستير قدمت في قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة الأردنية سنة 1990 م، ثم نشرت ضمن منشورات لجنة تاريخ الأردن، وتحت العنوان نفسه، سنة 1999م، وهي أول وأهم دراسة في سجلات المحاكم الشرعية عن منطقة قضاء عجلون في أواخر الدولة العثمانية، ودراسته كانت سببا من أسباب اهتمامنا في الوصول إلى الوثائق بعينها، للكشف بشكل حيّ عن أسماء الشهداء والشهود الذين ظهرت أسماؤهم في سجلات المحكمة، والحقيقة أن الجالودي ذكر معظم أسماء الشهداء، لكنه لم يهتم بقضاياهم بشكل حي ومباشر من خلال إبراز الوثيقة إلى العلن.

– دراسة "هند غسان أبو الشعر"، "إربد وجوارها (ناحية بني عبيد)"، وهي رسالة دكتوراه قدمت في قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة الأردنية، سنة 1994م، ونشر الكتاب في جامعة آل البيت سنة 1995م، بمسمى: "إربد وجوارها، ناحية بني عبيد(1850-1928م)"، أتت أبو الشعر على سياسة الدولة العثمانية وإدارتها لملف التجنيد الإجباري، واستعرضت العديد من أسماء الشهداء في جبل عجلون للاستدلال على مشاركتهم في تلك الخدمة في حروب الدولة العثمانية في البلقان، وهي أيضا لم تهتم، بحكم طبيعة البحث، بإبراز الوثائق الحية التي تتحدث عن الشهداء ومصيرهم، وكذلك الشهود الذين شاركوا الشهداء في تلك الحروب.

– وأخيرا الدراسة التي أنجزها الباحث "أيمن الشريدة"، والتي تحمل العنوان: "ناحية الكورة في قضاء عجلون 1864-1918م"، وهي رسالة ماجستير قدمت في قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة الأردنية، ونشرت فيما بعد تحت العنوان نفسه، بدعم من وزارة الثقافة الأردنية سنة 1997م، وقد اهتمت دراسة الشريدة بجغرافية المنطقة، وعالجت النواحي الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، ولم تظهر اهتمامات الباحث الشريدة بأسماء شهداء جبل عجلون، دون أن يتعامل مباشرة مع نصوص الوثائق، إلا في جزء يسير من دراسته وقعت في هامش (ص 86)، وجاء على ذكر بعض أسماء شهداء ناحية الكورة في حروب الدولة العثمانية في البلقان، وذلك أثناء حديثه عن الخدمة العسكرية التي عمت قرى ناحية الكورة، مثل عنبة، وكفر عوان، وجديتا، وإزمال، وخنزيرة، وكفر أبيل، وبيت إيدس، وباقي القرى الأخرى.

**وثيقة رقم (1)**[15]

كشفت هذه الوثيقة استشهاد "**محمد بن عثمان بن أحمد العمري**" وهو من سكان قرية عنبة، والذي توفي في "دار السعادة"، وهو الاسم الرسمي لعاصمة الدولة العثمانية "إستنبول"

بتركيا، حيث كان يؤدي واجب الخدمة العسكرية المقدسة في حروب الدولة العثمانية في البلقان واليونان، وقد ظهر مصطلح "الخدمة العسكرية المقدسة" دلالة على الانخراط في الجهاد المقدس في أرض الروم، كما بينت الوثيقة أن الذي قام بتعريف المحكمة بوفاة "محمد بن عثمان العمري" هو الشيخ "صالح بن عقيل بن عباس الموسى الجوارنة" مختار قرية عنبة، حيث أقر أمام المحكمة أن الشهيد سيق إلى الخدمة العسكرية المقدسة منذ ست سنوات من تاريخ الوثيقة في سنة 1330هـ/1912م"، وتوفي منذ أشهر في "دار السعادة"، وانحصر إرثه الشرعي بوالدته "سعده بنت عبد الرزاق بن عبد الله النابلسي"، وبزوجته "وضحة بنت عبد الرحمن بن عبد الرازق العمري" وبأولادها "فاطمة وأحمد" القاصرين.

**وثيقة رقم (2)** [16]

كشفت الوثيقة التاريخية المهمة استشهاد **"عبد الله بن يوسف بن عبد الله بني طعان "الطعاني"** من أهالي وسكان قرية بيت راس، أحد أبناء الأردن في ولاية "أدرنه" أثناء تأدية واجبه في الخدمة العسكرية مع الجيش العثماني، وتبين هذه الوثيقة الدعوى التي قدمت إلى المحكمة من قبل صاحب الاستدعاء الرجل الكامل "محمد بن يوسف بن عبدالله بني طعان الطعاني" شقيق الشهيد، ومعه المدعى عليه "محمد بن يوسف بن علي سونكر" من قصبة إربد، وتم تعريفهم جميعا أمام المحكمة من قبل: "بركات بن عبد الحليم بن أحمد بن طعان الطعاني"، و"ذياب بن محمد بن حسن الشوحة" وكلاهما من أهالي وسكان قرية بيت راس، وتتضمن دعوى لـ "محمد الطعاني": أن لشقيقه "عبد الله" مبلغا من المال قدره مائة قرش (قرضا شرعيا)، استقرضها منه "محمد بن سونكر" قبل وفاته، وأن شقيقه عبد الله توفي منذ ثلاث سنوات في "ولاية أدرنة" أثناء خدمته العسكرية مع الجيش العثماني في حروبه في البلقان واليونان، وهو الأمر المهم الذي كشفت عنه هذه الوثيقة، وشهد بوفاة "عبد الله الطعاني" كل من: عبد الرحيم بن أحمد بن عبد العزيز بني طعان "الطعاني" وفارس بن محمد بن حسن الشوحة وكلاهما من سكان وأهالي قرية بيت راس، أثبتا في شهادتهما وفاة "عبد الله" في "ولاية أدرنة" أثناء خدمته في السلك العسكري العثماني، ووفق قرار المحكمة، انحصر إرث الشهيد في والدته "فضة بنت مفلح بن زاغان" من عشيرة بني صخر.

**وثيقة رقم (3)**[17]

تتناول الدعوى المقدمة إلى محكمة عجلون من زوجة الشهيد **"محمد بن سليمان العبيد الله"** الحرمة البالغة العاقلة "حاجة بنت عبد الله الزقيبة" من أهالي وسكان قرية إيدون التابعة لقضاء عجلون، وقد قام بالتعريف بالمرأة وحالتها الرجل الرشيد العاقل "أحمد بن عبد الله

الناصر" من أهالي وسكان قرية إيدون، وأدلى بشهادته بأن هذه المرأة "حاجة الزقيبة" كانت أولا زوجة "محمد السليمان العبيد الله" من أهالي وسكان قرية إيدون، بعقد شرعي صحيح، ومنذ أربع عشرة سنة من تاريخ هذه الدعوى المؤرخة بـ"1340هـ"، توجه زوجها "محمد بن سليمان العبيد الله" إلى تأدية الخدمة العسكرية مع جيش الدولة العثمانية "التركية"، ومن تلك الأيام انقطع خبره ولم يحضر من جهته ما يدل على حياته، وعاد رفقاؤه الذين شاركوه في حروب الدولة العثمانية في البلقان واليونان، وأخبروا بأنهم تركوه مريضا وتحت خطر عظيم في الخستخانة، وأشار المدعي: "أنه ومنذ أربعة عشر شهرا، لما ضاق الحال على هذه الحرمة الحاضرة لشدة احتياجها، وتوافقت معها على مهر قدره خمسة آلاف قرش من العملة الرائجة، المقبوضة بيدها أربعة آلاف قرش، والمتأخر ألف قرش، أجريت عقد نكاحي عليها على ظني أن "محمد" المذكور ليس هو بقيد الحياة، ودخلت بها وهي الآن حبلى مني، وفي هذه الأيام منعت نفسها عني لأسباب لا أعلمها، أطلب أمرها باتباعي، وسؤالها عن ذلك، سأل المدعى عليها "حاجة بنت عبد الله الزقيبة" المذكورة عما ادعاه، فأجابت قائلة: "إن دعوى أحمد هذا المدعي صحيحة، ولكن لما جرى عقد نكاحي عليه كان لا بد وأن آخذ إذن من المحكمة الشرعية، وأسباب عدم إطاعتي له أنني بهذه الأيام سمعت من الثقاة أن زواجي به هو مخالف إلى الشرع الشريف، حيث أنه لم يفسخ عقد نكاحي من زوجي الأول "محمد السليمان"، أطلب الآن التفريق بيني وبين زوجي "احمد" هذا الحاضر، كون زوجي الأول "محمد السليمان" لم يتحقق ولم يثبت موته، وعليه أصدرت المحكمة قرارها بفسخ عقد زواجهما، وذلك يوم السبت 17 ربيع الثاني 1340هـ الموافق 1921م.

**وثيقة رقم (4)**[18]

تبين الدعوى المقدمة من زوجة الشهيد "**علي بن عبد الله بن أحمد**" من أهالي وسكان قرية "سحم الكفارات"، الذي استشهد في البحر الأسود في حروب الدولة العثمانية، الحرمة البالغة "غزيل بنت محمد بن علي" من أهالي وسكان قرية "سحم الكفارات"، التابعة لقضاء عجلون، وقد عرّف بها كل من : "خالد الدلقموني"، كاتب مفردات القضاء، و"عثمان بن صالح الدلقموني"، وكلاهما من أهالي وسكان إربد.

وبيّنت الدعوى أن "غزيل" كانت متزوجة من "علي بن عبد الله بن أحمد" من أهالي وسكان قرية سحم الكفارات، والتحق بالخدمة العسكرية المقدسة مع الجيش العثماني، وذلك قبل سبع سنوات من تقديم هذه الدعوى إلى المحكمة، والمؤرخة بـ"سنة 1338هـ /1920م"، وقد علمت الزوجة بوفاة زوجها عن طريق شهادة "محمد بن عبد الله بن محمود" من أهالي وسكان قرية سحم الكفارات، حيث شهد: أن "علي بن عبد الله بن أحمد"، كان يخدم خدمته العسكرية

مع الجيش العثماني في البحر الأسود، وتوفي ودفن هناك، وكانت وفاته سببا لـ"غزيل" من أجل فسخ عقد زواجها منه، وعقد زواجها على "مفلح بن مصطفى بن محمد" من أهالي وسكان قرية سحم الكفارات، وجرى العقد بحضور مختار قرية سحم "محمد المحمود ومحمد عبد الله المحمود" على مهر مقداره ثلاثة آلاف قرش.

**وثيقة رقم (5)**[19]

كشفت عن الدعوى المقدمة من زوجة الشهيد "**محمد بن حمد العبد الحليم من قرية الصريح**" الذي استشهد في حروب الدولة العثمانية عام 1914م، الحرمة "حسنا بنت علي الحسين" من أهالي وسكان قرية الصريح، وتم تعريفها لدى المحكمة من قبل "حامد بن احمد الطه" و"الحاج نايف بن محمود الياسين"، وكلاهما من سكان وأهالي قرية الصريح، حيث ادعت "حسنا بنت علي الحسين" أنها تزوجت من "محمد بن حمد العبد الحليم" من قرية الصريح منذ عشر سنوات من تاريخ تقديم هذه الدعوى بتاريخ 5 جمادي الاولى سنة 1334هـ الموافق 1921م، وجاءها منه ولد وأسمته "أحمد"، وادعت ان زوجها سافر وتركها بلا نفقة ولا معيل هي وابنها، والتحق بالخدمة العسكرية مع الجيش العثماني، ولم تعلم عن حياته أو مماته شيئًا، وطلبت من المحكمة فسخ عقد زواجها منه، وقدمت شاهدين على دعواها وهما: خليفة بن محمود الحسين، وعبد القادر بن محمود الحسين، وكلاهما من قرية الصريح، وحكم لها القاضي بفسخ عقدها. والوثيقة لا تشير إلى مكان وفاة "محمد العبد الحليم" ولا إلى مكان خدمته العسكرية مع الدولة العثمانية، ومع ذلك تبقى الوثيقة في غاية الأهمية لأنها كشفت عن اسم "محمد بن حمد العبد الحليم" والتحاقه بالخدمة العسكرية العثمانية، والوثيقة لم تجزم بوفاته وإنما غيابه وعدم عودته إلى بلدة الصريح.

**وثيقة رقم (6)**[20]

كشفت الوثيقة، وهي عبارة عن شهادة إثبات وفاة بحق الشهيد "**محمد بن عوض بن مصطفى من قرية الخريبة**"، عن معلومات تاريخية قيمة ومفيدة، وهي أن الحرمة البالغة العاقلة "نورة بنت موسى بن عبداللطيف" من أهالي وسكان قرية الخريبة، التابعة لقضاء عجلون، تقدمت بدعوى إلى المحكمة من أجل حصل إرث زوجها المتوفى في الخدمة العسكرية مع جيش الدولة العثمانية، وقد أشارت زوجة الشهيد إلى أن زوجها "محمد بن عوض بن مصطفى" التحق بالخدمة العسكرية مع الجيش العثماني قبل خمس سنوات من تقديم هذه الدعوى المؤرخة بـ "5 ذي الحجة 1337هـ"، وشهد "سعود بن أسعد النابلسي" المقيم في قرية الخريبة بوفاة زوجها في الخدمة العسكرية، وحضور جنازته ودفنه، لكنه لم يشر في الوثيقة إلى مكان وفاته ودفنه.

وتفيد الوثيقة أن "سعود بن أسعد النابلسي" كان مجندا في الخدمة العسكرية مع جيش الدولة العثمانية، وممن اشترك في حروب البلقان مع جيش الدولة العثمانية، وكتب له النجاة وعاد إلى قريته الخريبة سالما معافا.

**وثيقة رقم (7)**[21]

تشير إلى الدعوى المقدمة من زوجة الشهيد "**صالح بن محمد الطالب (الجراح) من قرية المزار**" الذي استشهد في دمشق اثناء تأديته واجب الخدمة العسكرية في الجيش العثماني سنة 1328هـ الموافق 1910م، الحرمة السيدة "فضية بنت محمود الطاهات" من أهالي قرية المزار، لدى محكمة إربد الشرعية للحصول على ميراث زوجها "صالح الطالب"، الذي التحق بالخدمة العسكرية في الجيش العثماني من أجل الحرب في البلقان واليونان، وبلغها وفاة زوجها في شهر تموز سنة 1328هـ الموافق 1910م، وأن لزوجها في ذمة "علي بن عبد الله الديري" مبلغا من المال مقداره أربعة ريالات مجيدي، كان استقرضها من زوجها.

وتكشف الوثيقة عن الشهود الذي رأوا الشهيد مريضا وميتا في الخستخانة في حي الحميدية من مدينة دمشق، وحضروا وفاته ودفنه، وهم: حسن بن يوسف الكردي، من أهالي دمشق (الشام) وعيسى بن موسى العيسى، من أهالي قرية المزار، وعند القسم أمام المحكمة الشرعية في إربد، شهد "حسن بن يوسف الكردي" أن المدعو "عيسى بن موسى العيسى" جاءه ضيفا في الشام، وبعدما أقام عنده ثلاثة ايام، أخبره في اليوم الثالث بأنه مات من أهل قرية المزار "صالح ابن محمد الطالب" في الخستخانة في حي الحميدية من دمشق، وذهب مع "عيسى العيسى" إلى الحميدية فلم يجدوا الميت، ثم ذهبوا إلى جنينة "حي البرامكة في الشام"، فوجدوا المغسّلين يغسلون الميت "صالح" ودفن هناك، بينما يشير الشاهد"عيسى بن موسى العيسى" وهو من أهالي المزار، إلى أنه نزل ضيفا في الشام على "أبو عزو حسن بن يوسف الكردي"، فوجد "صالح الطالب" مريضا ومات في اليوم التالي، ودفن هناك، والوثيقة تتضمن أسماء وأخبارا في مجالات أخرى.

**وثيقة رقم (8)**[22]

دعوى رفعت للمحكمة من قبل السيدة الحرمة "فضة بنت فارع الصالح" من سكان وأهالي "كفر يوبا" زوجة "الشهيد عطية بن سلامه أبو قاسم القواسمه" من قرية حكما، الذي استشهد في اليونان سنة 1330هـ الموافق 1912م، وذلك للحصول على ميراثها من أموال زوجها، حيث بينت الدعوة أن زوجها "عطية بن سلامه أبو قاسم" التحق جنديا بالخدمة العسكرية المقدسة مع جيش الدولة العثمانية، ووصل خبر نعيه واستشهاده إلى زوجته، وبينت الوثيقة أن الشهيد كانت

خدمته في محاربة اليونان، وكان معه في الخدمة العسكرية وفي حرب اليونان ممن كتب الله لهم النجاة والعودة إلى ديارهم: "خلف بن محمد العبد اللطيف" من قرية كفر يوبا و"نجيب بن محمود الحمد" من قرية كفر يوبا وعليان بن محمد العبد اللطيف" من قرية كفر يوبا، وقد شهدوا في محكمة إربد الشرعية: بأنهم كانوا يخدمون العسكرية مع الجيش العثماني في مقاطعة "بانيه" اليونانية، ومعهم الشهيد "عطية أبو قاسم"، من قرية حكما، ووقعوا، وفق شهادتهم، في أسر القوات اليونانية، وحملوهم إلى إحدى الجزر التي لم يعرفوا اسمها، والتي توفي فيها "عطية أبو قاسم"، وحملوه وقبروه في الجزيرة في شهر رمضان من سنة 1330هـ/1912م".

وفي الوثيقة معلومات وأحداث وأسماء بالغة الأهمية في مجالات أخرى تستحق الدراسة.

**وثيقة رقم (9)**[23]

تشير إلى دعوى قضائية مقدمة من زوجة الشهيد "عبد الحليم بن علي بن مسعود (المساعدة)" من أهالي وسكان قرية إزمال، المدعوة "ظريفة بنت محمود"، من أجل الحصول على حقها في ميراث زوجها، الذي التحق جنديا بالخدمة العسكرية المقدسة مع الجيش العثماني، حيث شارك في حرب الدولة العثمانية في بلاد اليونان ووقع أسيرا مع مجموعته بقبضة القوات اليونانية، ومات هناك سنة 1333هـ/1912م. وكشفت الوثيقة عن أسماء رجلين كانا في الخدمة العسكرية برفقة الشهيد، حاربا معه في بلاد اليونان وعادا سالمين إلى بلادهم، وقد شهدا في المحكمة بوفاة الشهيد "عبد الحليم بن علي بن مسعود المساعدة" وهما: "مرعي بن بحر بن مرعي بن مصلح" من أهالي وسكان قرية دير أبي سعيد، و"طالب بن موسى الداوود" من أهالي وسكان قرية تبنة. وكلاهما من تبعة الدولة العلية العثمانية، وجاءت شهادة أحدهما بـ"استشهاد عبد الحليم بن علي بن مسعود" في اليونان على النحو التالي:

"أشهد لله تعالى العظيم، أن زوج هذه المدعية، وأشار اليها في المجلس، هو "عبد الحليم بن علي بن مسعود (المساعدة)" من أهالي وسكان قرية "زمال" المذكورة أعلاه، كنت أنا وإياه بالخدمة العسكرية الشاهانية، وحينما أخذونا عسكر اليونان أسرى إلى بلادهم، وضعونا في قصبة تسمى "قرنتوس" التابعة إلى بلاد اليونان، واستقمنا بها عشرين يوما، بوقتها "عبد الحليم بن علي" المذكور أعلاه أصابه مرض شديد أخذوه إلى "الخستخانة"، واستقام بها مريضا ثمانية أيام وتوفي، وحين وفاته أحضرونا إلى عنده، وحملناه من "الخستخانة" وأحضروا إمام العسكر الذي كان أسيرا معنا، غسله وكفنه وصلينا عليه وحملناه إلى المدفن ودفناه بأيدينا"، وذلك من مدة سنتين، وقال كل واحد منهم أعلم ذلك، وأشهد به شهادة شرعية بناء على موافقة شهادتهما هذه الدعوة من المدعية لفظا ومعنى، ولم يبد طعنًا شرعيًا في حق الشاهدين المذكورين أعلاه، بودر لتزكيتهما سرا من المحل المنسوبين اليه فزكيا من كل من "كريم بن حسين بن مرعي"

و"جبرين بن مرعي بن مصلح"، من أهالي وسكان القرية المذكورة بموجب الشفعة المنشورة المحفوظة في هذه المحكمة، ومن تبعة الدولة العلية المؤيدة العثمانية، ثم تزكيا علنا بالمواجهة من كل من "علي بن أحمد بن محمد الدرويش" و"سليمان بن أحمد بن محمد الدرويش"، كلاهما من تبعة الدولة العلية العثمانية، المشار إليها التزكية الشرعية، فعليه حكم بصحة ثبوت وراثة "عبد الحليم" المتوفى المذكور أعلاه، بوالده "علي بن مسعود"، ووالدته "حمدة بنت أحمد"، وزوجته "ظريفة بنت محمود الأحمد".

تاريخ الدعوة 21 جمادي الثاني 1332هـ/1914م

**وثيقة رقم (10)**[24]

**فرحات بن حسين الفرحات من قرية كفرنجة**

تشير الوثيقة إلى أن الشهيد "فرحات بن حسين الفرحات" "الفريحات" من سكان وأهالي قرية كفرنجة، التحق بالخدمة العسكرية في الجيش العثماني للمشاركة في حروب الدولة العثمانية في مناطق اليونان والبلقان، وتؤكد الوثيقة من خلال الشهود التالية أسماؤهم، بأن "فرحات بن حسين الفرحات" استشهد اثناء تأديته للواجب العسكري المقدس، ولم يحدد الشهود مكان استشهاده، والشهود هم: "عزمي بن مفلح الفلاح"، و"أحمد بن علي الحسين" وكلاهما مسلمان من سكان قرية كفرنجه، وأشارت الوثيقة إلى أن شقيق الشهيد "فرحات" واسمه "أحمد بن حسين الفرحات" كان يخدم في سلك الخدمة العسكرية العثمانية، وهذا يعني أن اثنين من نفس البيت والأسرة يخدمون بالجيش العثماني، وأظهرت الوثيقة أسماء زكت الشهود في المحكمة: "محمد العبد الفارس"، و"شلاش بن أسعيد الشريدة".

**وثيقة رقم (11)** [25]

تتناول الدعوى التي تقدم بها "إبراهيم بن علي بن محمد البطران" من سكان وأهالي قرية "كفر سوم" التابعة لقضاء عجلون التابعة للدولة العلية المؤيدة العثمانية، والدعوى بحق مأمور الشعبة العسكرية في قضاء عجلون "علي هاشم أفندي بوزباشي"، وذلك للنظر في أمر استشهاد شقيقه "أحمد بن علي بن محمد البطران"، من أهالي وسكان قرية كفر سوم، وقد قام بتعريفه لدى المحكمة كل من: "محمد بن سعد بن علي الفندي" و"سلامة بن محمد بن عبد اللطيف العكش"، كلاهما من قرية وسكان "كفر سوم".

وتبين الوثيقة حصر إرث أملاك الشهيد "أحمد البطران" الذي التحق بالخدمة العسكرية لدى الجيش العثماني، وتبين أنه توفي في اليوم التاسع من شهر كانون الأول من سنة 1329هـ/1911م، في خستخانة عكا، أثناء تأديته واجب القتال إلى جانب الجيش العثماني، وهو

من الشهداء الذين لقوا حتفهم في سبيل الله، وفي سبيل الدفاع عن الأمة العربية والإسلامية. وتتضمن الوثيقة تفصيلات وأسماء في غاية الأهمية.

**وثيقة رقم (12)** [26]

تتناول الدعوى التي تقدمت بها بتاريخ 20 جمادي الأولى 1333هـ الموافق 1916م الحرمة العاقلة البالغة المسلمة العثمانية "رشدة بنت علي الحسين" من أهالي قرية حبكا، بحق المدعى عليه "علي بن عبدالله الديرواي" المسلم العثماني من قصبة إربد، والحرمة معرفة من قبل "مصطفى بن محمود الأحمد" و"فلاح بن مفلح الأحمد" وكلاهما مسلمان عاقلان عثمانيان من أهالي قرية حبكا، ومضمون الدعوى حصل إرث ومطالبة بحق زوجها الشهيد "صالح بن خليل الأحمد العمري" الذي استشهد في "صربيا" في أموال أودعها لدى المدعى عليه، وكان صالح وفق اعتراف زوجته وإثباتات الشهود قد توجه إلى الخدمة العسكرية في الجيش العثماني، وتوفي حسب الوثيقة في "طوشة الروملي من بلاد البلغار" كما وردت على ألسنة الشهود أنه استشهد في "صربيا" وهو الأسلم والأصوب، وهو ما يعنينا من أمر هذه الوثيقة، وقد أثبتت المحكمة أقوال الشهود الذين شاركوا مع الشهيد في حروب الجيش العثماني في صربيا.

شهادة "محمد بن محمد الحسين": "وشهد غبّ الاستشهاد بالانفراد بوجه المتداعيين بقوله: "أشهد لله العظيم أن "صالح بن خليل" من أهالي قرية حبكا توفي سنة حرب اليونان في "الصرب"، ونحن نحارب في "بلاش" مع الصرب جاءته طلق ومات بأرضه ودفنته أنا وبقية العسكر".

كما شهد "عبد الرحمن بن علي المحمد": "وشهد غُبّ الاستشهاد الشرعي بالانفراد بوجه المتداعيين بقوله: "أشهد لله العظيم أننا كنا في الحرب أنا و"صالح بن خليل" من حبكا وبقية جماعتنا في محاربة الصرب في قصبة "بلاش"، ومات "صالح بن خليل" على إثر طلق جاءته من الصرب ومات لساعته ودفناه في السهل من مدة ثلاث سنوات".

**وثيقة رقم (13)** [27]

تحوي هذه الوثيقة الدعوى التي تقدمت بها السيدة "صبحة بنت حسين الحامد من عشيرة بني خلف" بتاريخ 20 جمادي الآخرة 1332هـ/1914م، إلى محكمة إربد الشرعية لحصل إرث أملاك زوجها الشهيد "محمد بن موسى بن خليل الجوارنة" وكلاهما من قرية عنبة، ومن أتباع الدولة العلية العثمانية، وكانت الشكوى بحق "يعقوب بن موسى بن خليل الجوارنة" شقيق الشهيد "محمد"، وطالبت بحقها في إرث زوجها الذي توفي في حرب الدولة العثمانية في بلاد بلغاريا.

وقدر ورد النص التالي في الوثيقة: "حضرت المرأة العاقلة البالغة "صبحة بنت حسين بن حامد القاسم"، وادعت على الحاضر معها في المجلس هو "يعقوب بن موسى ابن خليل الجوارنة"، العاقل البالغ كلاهما من أهالي وسكان قرية عنبة التابعة للقضاء المذكور المعرفان بتعريف كل من "حسن بن حامد بن قاسم" من أهالي وسكان القرية المذكورة و"محمد بن أحمد بن عودة الله" من أهالي وسكان قرية المزار، والجميع من تبعة الدولة العلية المؤيدة العثمانية التعريف الشريف الشرعي النافي لأسباب الجهالة شرعا مقررة بدعواها عليه ومشيرة بخطابها إليه قائلة بصريح لفظه الشفاهي المعتبر شرعا أن بعلي "محمد بن موسى بن خليل الجوارنة" من أهالي القرية المذكورة، شقيق هذا المدعى عليه المتوفى في محاربة البلغار، منذ سنتين أعطاني جميع قطعة الأرض المحتوية على ثلاث عروق زيتون من أصل مهري المقدم عليه، ويحدها بتمامها قبلة العطل، وشرقا أرض سليخ، وشمالا وغربا الحرش، وجميع كرم العنب الكائن في أرض الديس، ويحده بتمامه قبلة ملك "عبد الرحيم بن محمد الخليل"، وشرقا أرض الحرش، وشمالا "عبد الله بن شبلي الخليل"، وغربا "محمد بن حسين الأحمد"، المقومات علي بثمن قدره "عشرة ليرات فرنساوية"، ووضعت يدي عليهما، والآن شقيق بعلي هذا المدعى عليه رضي بذلك.

وعليه طلب من المدعية المذكورة بينة شرعية تشهدها على وفق مدعاها في حضرة كل من "عبد القادر بن حامد بن قاسم الخلف" من أهالي وسكان القرية المذكورة، و"صالح بن محمد بن مصلح الورش" من أهالي وسكان قرية المزار، وكلاهما من تبعة الدولة العلية العثمانية، المشار إليها، واستشهدتهما بذلك، فشهدا لدى الشرع الشريف الأنور على التعاقب والانفراد، واحدا بعد واحد، قائلا كل واحد بمفرده: "أشهد لله تعالى العظيم، أن زوج هذه المدعية، وأشار إليها في المجلس، هو "محمد بن موسى بن خليل اليعقوب" من أهالي وسكان قرية عنبة، كنت أنا وإياه في خدمة العسكرية الشاهانية في "قصبة إسكاجة" التابعة إلى ولاية "أدرنة"، ولما خرجنا إلى محاربة البرغال (البلغار) واشتد الحرب بيننا، أصابته رصاصة في صدره خرجت من ظهره، ووقع حالا قتيلا على الأرض، وبقي طريحا، وذلك منذ سنتين وكسور، وقال كل واحد منهما أعلم ذلك وأشهد به شهادة شرعية بناء على موافقته شهادتها هذه المدعوة المدعية لفظا ومعنى، ولم يبد طعنا شرعيا بهما، بودر بتزكيتهما سرا من المحل المنسوبين إليه، فزكيا كل من "صالح بن عقيل بن عباس الجوارنة"، و"حسن بن حامد بن قاسم الخلف"، و"عبد العزيز بن طالب المصلح بن عمرو"، و"إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد المحمود"، من أهالي وسكان القرية المذكورة".

الغريب أن هذه الدعوة منقطعة وغير كاملة، مما حرمنا من كثير من محتوياتها، لكنها أدت الغرض المطلوب في الكشف عن الشهود الذين شهدوا على استشهاد "محمد بن موسى بن خليل الجوارنة" في بلغاريا.

**وثيقة رقم (14)** [28]

الوثيقة عبارة عن شهادة إثبات وفاة بحق "محمد بن خطار بن محمد القديسات" من أهالي وسكان قرية سوم الشناق، التابعة لقضاء عجلون، أثناء خدمته العسكرية مع الدولة العثمانية وحضر المعرفون إلى المحكمة للإدلاء بشهادتهم والتعريف بالمتوفى، وهم:

1- محمود بن المحيلان بن منصور المرشد "المراشدة" مختار قرية سوم.

2- الحاج سالم بن الحاج إبراهيم بن مصطفى الموسى من أهالي وسكان قرية إيدون؛ شهدوا: أن "محمد بن خطار بن محمد القديسات" من أهالي وسكان قرية سوم، توفي في سنة 1331هـ الموافق لسنة 1913-1914م، حيث كان في الخدمة العسكرية مع الجيش العثماني، وتوفي في مستشفى "كليبوني" وهو من ملحقات الدولة العلية العثمانية، والوثيقة لا تشير إلى سبب وفاته.

وانحصر إرث الشهيد في ولده الصغير "فرحان بن محمد بن خطار"، وبنته الصغيرة "حمدة بنت محمد بن خطار"، وليس له وارث شرعي سواهما، حررت هذه القضية بتاريخ 25 رجب 1336هـ الموافق 1918م.

**وثيقة رقم (15)** [29]

شهادة إثبات وفاة الشهيد "أحمد بن عبد الله المنصور الغوانمة" من أهالي وسكان قرية سحم الكفارات التابعة لقضاء عجلون، الذي توفي أثناء خدمته العسكرية مع الدولة العثمانية، وذلك لغايات حصر إرث، وقد قام الشهود بالتعريف في حالة الوفاة، وهم:

1- فارس أفندي بن محمد بن مصطفى الجيرودي.

2- محمد علي أفندي بن محمد بن سعدون آغا.

وكلاهما من أهالي وسكان قرية سحم الكفارات التابعة لقضاء عجلون، إذ شهدوا لدى مهحكمة عجلون الشرعية بأن "محمد المنصور الغوانمة" توفي منذ سنة وشهرين تقريبا أثناء تأديته لواجب الخدمة العسكرية المقدسة في حروب الدولة العثمانية في بلاد البلقان واليونان، وقد استخدم جنديا في "صنجك خان" ولم تحدد الوثيقة سبب وفاته ولا مكان دفنه. وانحصر إرث الشهيد في زوجته "فاطمة بنت محمد بن حسين الغوانمة" وشقيقته "مُهجة"، وعمه "محمد بن حسن بن عبد الله الغوانمة".

**وثيقة رقم (16)** [30]

تبين الدعوى المقدمة من المرأة البالغة العاقلة "فضة بنت حسن المحمد الناصر" شقيقة الشهيد "محمد بن حسن المحمد الناصر"، وكلاهما من أهالي وسكان قرية عنجرة التابعة لقضاء عجلون، وتشير الدعوى إلى أن شقيق المدعية توفي أثناء أدائه الخدمة العسكرية مع جيش الدولة العثمانية، والمعرفون بها وبقضيتها: علي بن شريف الكردي "سربكجي أورمان" أي طواف أحراج عجلون، وحسين بن محمد المدلل "قولجي أورمان" طواف أحراج عجلون، حيث انحصر إرث المتوفى في زوجته "قطيفة بنت نهار الجديع" من أهالي وسكان كفرنجة، وفي شقيقيه "سليمان ومحمود" وفي شقيقتيه "لوزة وموزة"، وفي إخواته من أبيه "كلثوم وطروش"، ولإثبات دعواها قدمت الشهود "محمد بن سالم أبو ليمون"، و"محمود العكاشة"، ويظهر في الوثيقة اسم مختار قرية عنجرة "الشيخ خليل بن أحمد الناصر"، وأسماء أخرى.

**وثيقة رقم (17)** [31]

شهادة إثبات وفاة بحق الشهيد "محمد بن عجاج بن عودة الله المفرج" من أهالي وسكان قرية جديتا التابعة لناحية الكورة، أثناء خدمته العسكرية مع جيش الدولة العثمانية، وقد قدم الشهود التالية أسماؤهم إثبات صحة الوفاة، وهم:

1- الحاج يوسف بن أحمد بن منصور الرباعي إمام قرية جديتا.

2- فارع بن أحمد بن نمر بني ملحم من أهالي قرية جديتا.

وقد شهد أمام المحكمة بأن الشهيد سيق إلى الخدمة العسكرية المقدسة مع الجيش العثماني، وتوفي منذ ثلاث سنوات من تاريخ تقديم هذه الدعوى، والوثيقة لا توضح سبب وفاته ومكانها.

انحصر إرث الشهيد "محمد بن عجاج بن عودة الله المفرج" بوالدته "جلسة بنت صبح بن عرجاني" وبزوجته "صبحة بنت محمد بن موسى السليمان" وأولاده القصّر "يوسف ومحمد وعذرة وفاطمة". وقد حررت القضية بتاريخ 23 صفر 1336هـ الموافق 8 كانون ثاني 1918م.

**وثيقة رقم (18)** [32]

دعوى مقدمة من المرأة البالغة العاقلة "عليا بنت محمود السليمان" من أهالي وسكان قرية البارحة التابعة لقضاء عجلون، والمعرفة من قبل "فالح بن ظاهر المطلق" و"محمود بن محمد الحسن" وكلاهما من أهالي وسكان قرية البارحة، ومن الملة الإسلامية وعلى مذهب الشافعي، حيث ادعت "عليا بنت محمود السليمان" بأنها ومنذ ثلاث عشرة سنة تقريبا جرى عقد نكاحها

الشرعي في قرية البارحة على "موسى بن يوسف البكر" من سكان وأهالي قرية حوارة التابعة لقضاء عجلون، وكان مقدار المهر ألفين وخمسماية قرش، ودخل بزوجته الدخول الشرعي، وأن زوجها "موسى" سيق إلى الخدمة العسكرية لأجل إيفاء فريضة الجهاد المقدس مع الجيش العثماني، تاركا زوجته بدون معيل وبدون نفقة، كما أن رفقاءه الذين سيقوا معه للخدمة العسكرية رجعوا إلى أهاليهم سالمين، ولم يرجع زوجي معهم، وعليه فقد غلب الظن على وفاته أثناء حروب الدولة العثمانية في بلاد البلقان، وتكشف الوثيقة عن الحالة المأساوية التي عاشتها الزوجة من فقر وحرمان، مما دفعها إلى طلب فسخ زواجها من زوجها عن طريق المحكمة، وكان شاهدا القضية: "قاسم بن سليم الحسن"، و"زعل بن إبراهيم الصالح"، وكلاهما من قرية البارحة. حررت بتاريخ 21 ربيع الثاني 1339هـ /1921م.

**وثيقة رقم (19)** [33]

دعوى مقدمة من المرأة البالغة العاقلة "كامل الأوصاف" "فاطمة بنت مصلح بن أحمد الشعار" من أهالي وسكان قصبة إربد، من أجل إثبات شهادة وفاة زوجها الذي استشهد في جهاد الدولة العثمانية في البلقان واليونان، وهو "حسين بن محمد بن عبد العزيز" من أهالي وسكان قرية كفر أسد التابعة لقضاء عجلون، وكشفت الوثيقة عن المعرفين الذي قاموا بالتعريف بـ "فاطمة الشعار"، وهم: "عبد الله بن عبد العزيز البكر" من قرية كفر أسد، و"الحاج عيسى الغزواي بن شحادة المحمد" من أهالي وسكان قصبة إربد.

وأدليا بشهادتهما أن زوج "فاطمة بنت مصلح الشعار" سيق إلى الخدمة العسكرية مع الجيش العثماني، منذ أربع سنوات من تاريخ هذه الدعوى، وأن لها منه ولداً اسمه "عبد العزيز" وعمره عشر سنوات، وله ابنة واسمها "عزيزة" وعمرها ثماني سنوات، كما شهد "فواز الكليب العزام" من أهالي وسكان قرية كفر أسد، على وفاته أثناء خدمته العسكرية، وأنه ترك ميراثا مكوّنًا من: "خمس بقرات مع ستة رؤوس صغيرة من الغنم وكديشة وجحشة"، حررت الوثيقة بتاريخ 16 جمادي الأولى سنة 1338هـ /1920م.

**وثيقة رقم (20)** [34]

دعوى تقدمت بها المرأة العاقلة البالغة "وزنة بنت يوسف بن حسين القطايشة" أمام محكمة عجلون الشرعية بتاريخ 14 جمادى الأولى 1336هـ/ 25 شباط 1918 للمطالبة بنفقتها ونفقة أبنائها الصغار من زوجها "عبد القادر بن أحمد بن يوسف الخطيب" من أهالي وسكان قرية كفر يوبا، الدعوى بحق أشقاء "عبد القادر" وهم "أديب ويوسف ولدي أحمد بن يوسف الخطيب"، وكان المعرفون هم: "الشيخ أحمد بن حسين بن علي الردايدة"، و"الشيخ محمود بن محمد بن

قاسم القواسمة"، كلاهما من أهالي وسكان قرية كفر يوبا، ومن تبعة الدولة العلية المؤيدة العثمانية.

وادعت الزوجة "وزنة" أمام المحكمة بوجود شهود الأدلة أن زوجها سيق إلى الخدمة العسكرية المقدسة مع الجيش العثماني ليحارب معهم، كما ادعت بأنه لم يعد إلى دياره.

**الخاتمة**

كان لفرض قانون التجنيد الإجباري "أخذ عسكر" من قبل الدولة العثمانية سنة 1304هـ/1886م، دوره الكبير في تجنيد عشرات المئات من أبناء جبل عجلون في الجيش العثماني لتأدية واجب القتال في جبهات البلقان واليونان ما بين سنة 1914-1918م، وقد أسدل التاريخ صفحاته عن أسماء أولئك الذين استشهدوا في حروب البلقان، الأمر الذي جعل التعرف على مصيرهم أمرا عسيرا، بل بالغ التعقيد، وعليه فقد خلصت هذه الورقة البحثية إلى النتائج الآتية:

1- اعتبار سجلات المحاكم الشرعية في محكمة عجلون وإربد الشرعية مصادر تاريخية ذات قيمة علمية عالية، إذ حفظت الكثير من تواريخ الناس وأحوالهم، وأصبحت الوثيقة الرسمية الوحيدة التي نستطيع الوثوق بها والركون إليها في معرفة ودراسة أسماء الشهداء الذين ماتوا في أرض البلقان واليونان وغيرهما.
2- كشفت وثائق السجلات الشرعية عن عشرين اسماً فقط، كانوا قد استشهدوا في حروب البلقان، وهم الذين عنيت هذه الدراسة بهم.
3- أبرزت الوثائق أسماء زوجات الشهداء، وأبنائهم، وبناتهم، وشقيقاتهم، وأشقائهم، وآبائهم، وأمهاتهم، الأمر الذي منحنا فرصة أكبر ودائرة أرحب لمعرفة أسرة الشهيد وبيئته الاجتماعية.
4- أوضحت السجلات أسماء الشهود الذين أقروا واعترفوا أمام المحكمة بمشاركتهم مع الشهداء في حروب البلقان، وقد قدمت الوثائق مزيدا من الأسماء التي شاركت في الحرب.
5- كان للعيش مع مفردات الوثيقة بصيغتها الأصلية الحية قيمة علمية كبيرة، فقد نقلتنا إلى بيئتها الحية بحيث كان لها وقع نفسي وعاطفي ووجداني مباشر لم نستطع الابتعاد عنه.
6- عثرنا في الوثائق على مصطلحات سياسية وشرعية خاصة بالدولة العثمانية، مثل: المسلم العثماني، والمسلمة العثمانية، والنصراني العثماني، والنصرانية العثمانية، وهو دليل على أن جميع رعايا الدولة العثمانية متساوون في المواطنة وأمام القانون. ومصطلح "الخدمة العسكرية المقدسة"، حيث أخذت بعدا دينيا وشرعيا، كما استخدم مصطلح "الدولة العلية المؤيدة العثمانية"، وهو الشعار الرسمي للدولة العثمانية، وهناك مصطلح "الشرع الشريف".

# The Martyrs of Ajloun District in the Wars of the Balkans and Greece 1914-1918: A Study on Ajlun Sharia Court Records

**Ahmad M. Al-Jawarneh** and **Omar S. Al-omari,** *History Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

## Abstract

This study aims to shed some light on an important aspect of the history of modern Jordan, represented by the participation of the people of Jabal Ajloun in the wars of the Ottoman Empire in the Balkans and Greece (1914-1918) through the law, "taking Askar [soldiers]" which imposed compulsory military service in the Ottoman army. This has been embodied in the cases brought to the Shariah Court in Ajloun and Irbid, which showed the nature of the claims and demands for inheritance for those who died and did not return to their home countries. In fact, this paper is interested in studying the names of the martyrs who died in the wars of the Ottoman Empire, and witnesses, wives, sisters, and brothers of the martyrs the documents and records of Sharia court revealed about them. The study is not interested in dealing with administrative, social and economic aspects as these need an independent and thorough study. Among approximately three thousand cases carreted in ten records, only twenty documents contain the names of the martyrs of Jabal Ajloun.

## الهوامش

1 أنوار ناصر حسن، موقف العشائر العراقية من قانون التجنيد الإجباري، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد 102، ص 163.

2 عوض عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914م، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص 145.

3 قانون أخذ عسكر، منشور في جريدة سوريا، العدد 1097، ت(17صفر 1304هـ /1886م)، انظر أيضا عليان الجالودي، قضاء عجلون 1864-1918م، منشورات لجنة تاريخ الأردن، 1999م،ص 198. نصت المادة الرابعة من القانون على أن مدة الخدمة العسكرية عشرون سنة كاملة موزعة على النحو التالي: 1- أول ست سنوات من الخدمة النظامية تؤدى في السلك العسكري النظامي مع الاحتياط، 2- الثماني السنوات التي تليها مخصصة للخدمة التي تؤدى في سلك الرديف، 3- السنوات الست الباقية تنحصر بالخدمة التي تؤدى في سلك المتحفظ، والذين يؤدون الخدمة العسكرية في الأصناف الثلاثة المذكورة على التوالي، يكونون قد أتموا الواجبات المفروضة عليهم في الخدمة العسكرية "عوض، المرجع السابق، ص149".

4 عوض، المرجع السابق، ص 150، الجالودي، المرجع السابق، ص 198، سوريا، عدد 1099، ت(1304هـ/1886م).

5 عوض، نفس المرجع، ص 151.

6 يوسف موسى خنشت، طرائف الأمس غرائب اليوم، صور من حياة النبك وجبل القلمون في أواسط القرن التاسع عشر، تحقيق عبد الله حنا، وزارة الثقافة، دمشق، 1990م، ص 25

7 لقد ورد في الدستور العثماني تحديد دقيق لوظيفة المختار، ودور المجالس الاختيارية في القرية، وحددت "المادة 59" ضرورة وجود مخاتير، بقدر اللازم لكل قرية تكون مركزا للناحية، وحددت "المادة 60" مهام المختار، وجاءت على النحو التالي: 1- إعلان القوانين والأوامر التي يتلقاها من مدير الناحية إلى القرية. 2- جمع أموال الدولة وتحصيلها من أهالي القرية، بموجب قرارات مجلس الاختيارية. 3- تبليغ تذاكر الإحضار التي ترسل بمعرفة الحكومة لجلب الأشخاص. 4- تبليغ الحجر الصحي. 5- إعطاء علومة خبر بحسب الأصول الى الذين يأخذون تذاكر مرور. 6- إخبار مدير الناحية عما يقع في القرى والمزارع من مواليد ووفيات. وحدد الدستور ايضا في "المادة 107" وظائف المجالس الاختيارية، ومن شروط اختيارهم أن يكونوا من رعايا الدولة، ممن يدفعون مائة قرش سنويا للخزينة، ولا يقل عمر أحدهم عن ثلاثين سنة، بينما فصلت "المادة 109" وظائف مجلس الاختيارية على النحو التالي: 1- الاهتمام بالنظام ومتابعة الأفراد التابعين لضابطة القرى من نواطير وغيره. 2- متابعة المصالح الخاصة بأساليب الزراع والتجارة في القرية. 3- إعطاء القرارات بخصوص توزيع كل نوع من التكاليف الخاصة بالقرية. 4- تقبل التبرعات. 5- المحافظة على أحوال الأيتام والملاك الذين يتوفون ولهم ورثة غائبون. 6- إعلام مدير الناحية بواسطة المختار عن الأراضي الخالية والقابلة للزراعة. 7- تعمير الآثار الخربة في القرية. 8- إدارة المكاتب. 9- إجراء التحريات في القرية عن المجرمين وتسليمهم للحكومة. 10- مراقبة المختار وتبليغ مدير الناحية في حال ارتكابه للأخطاء لينقلها بدوره إلى القائمقام. "انظر: هند غسان أبو الشعر، تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني 922هـ -1337هـ/1516-1918م، وزارة الثقافة، عمان الأردن، 2010 "ص206-208"، وانظر: "الدستور"، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، مراجعة خليل أفندي الحوراني، المطبعة الأدبية، بيروت، 1301هـ/1883م، ج1 ص 409، 415-416، 417.

8 يوسف خنشت، المرجع السابق، ص 24.

9 خنشت،المرجع السابق، ص 25-26.

10 موسى محمد أبو العسل بني عامر، الزعامات المحلية في تبنة (ناحية الكورة) 1500- 1921م، طبع دار الخليج عمان، 2014م، ص 303-304، وانظر أيضا: "محمد بني يونس وعارف الكركي، لواء الكورة: الأرض والإنسان والتاريخ. بني معروف: الدروز. شبلي: شبلي الأطرش زعيم بني معروف. عين: المقصود عين زوبيا. سلانيك: مدينة باليونان، سامي: هو سامي باشا الفاروقي الذي حمل على لواء حوران حملة عسكرية سنة 1910م، وكانت كارثة حلت على سكان لواء حوران، لسوئها

وضررها الكبير على الناس راحوا يؤرخون بها. وانظر عليان الجالودي، المرجع السابق، ص 200، انظر "سالنامة 2+28".

11 سالنامة ولاية سورية، 1316هـ/ 1898م، 212.

12 المقتبس، عدد، 760، ت 1911/8/8م، عليان الجالودي، المرجع السابق، 201، 202.

13 المقتبس، عدد 918، بتاريخ 1913/2/29م، عليان الجالودي، المرجع السابق، 202.

14 عوض، المرجع السابق، ص 148.

15 سجلات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 16-17، تاريخ 6 ربيع الأول 1336هـ/ 20 كانون الثاني1918.

16 سجلات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 20، 21، تاريخ 1336هـ/ 1918م.

17 سجلات قيودات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 4/179، تاريخ 1921-1924.

18 سجلات قيودات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 138، تاريخ 1921-1924.

19 سجل قيودات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 3/170، تاريخ 1921-1924م.

20 سجل قيودات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 130، تاريخ 1921-1924م.

21 سجلات قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية من 1328- 1333 هـ/1910-1915م.

22 سجلات قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية من 1328- 1333 هـ/1910-1915م.

23 سجلات قبودات الاعلامات لمحكمة عجلون، وثيقة رقم 338، تاريخ 1329-1911.

24 سجلات قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية، وثيقة رقم 64، تاريخ من 1328- 1333 هـ/1910-1915م.

25 سجلات قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية، وثيقة رقم 31، تاريخ من 1328- 1333 هـ/1910-1915م.

26 سجلات قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية، وثيقة رقم 89-90، تاريخ من 1328- 1333 هـ/1910-1915م.

27 سجلات قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية، وثيقة رقم 46، تاريخ من 1328- 1333 هـ/1910-1915م.

28 سجل محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 43، تاريخ 1336هـ/1918م.

29 سجل محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 29، تاريخ 1336هـ/1918م.

30 سجلات قيودات الإعلامات لمحكمة إربد الشرعية، وثيقة رقم 98/97، تاريخ من 1328- 1333 هـ/1910-1915م.

31 سجل محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 14، تاريخ 1336هـ/1918م.

32 سجل قبودات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 149، تاريخ 1921هـ/1924م.

33 سجل قبودات محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 133، تاريخ 1921هـ/1924م.

34 سجل محكمة عجلون الشرعية، وثيقة رقم 55، تاريخ 1333هـ/1918

## ملاحق البحث

**(وثيقة رقم 1)**

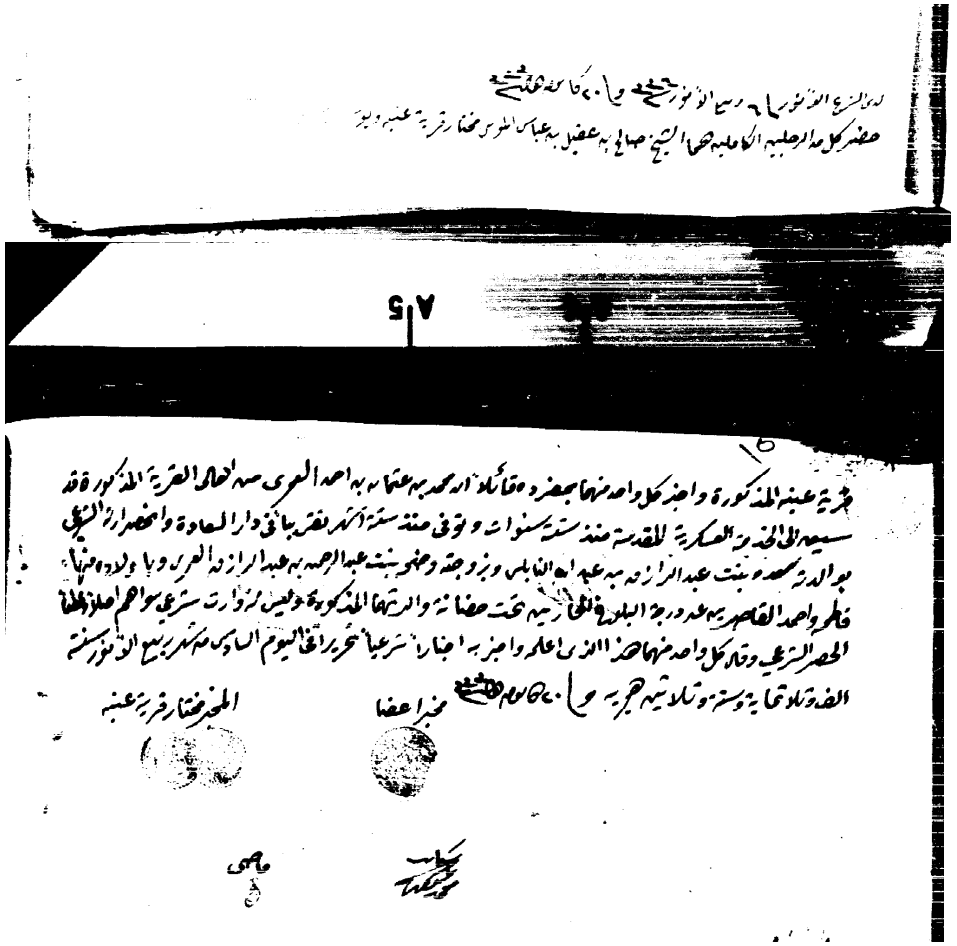

(وثيقة رقم 3)

(وثيقة رقم 9)

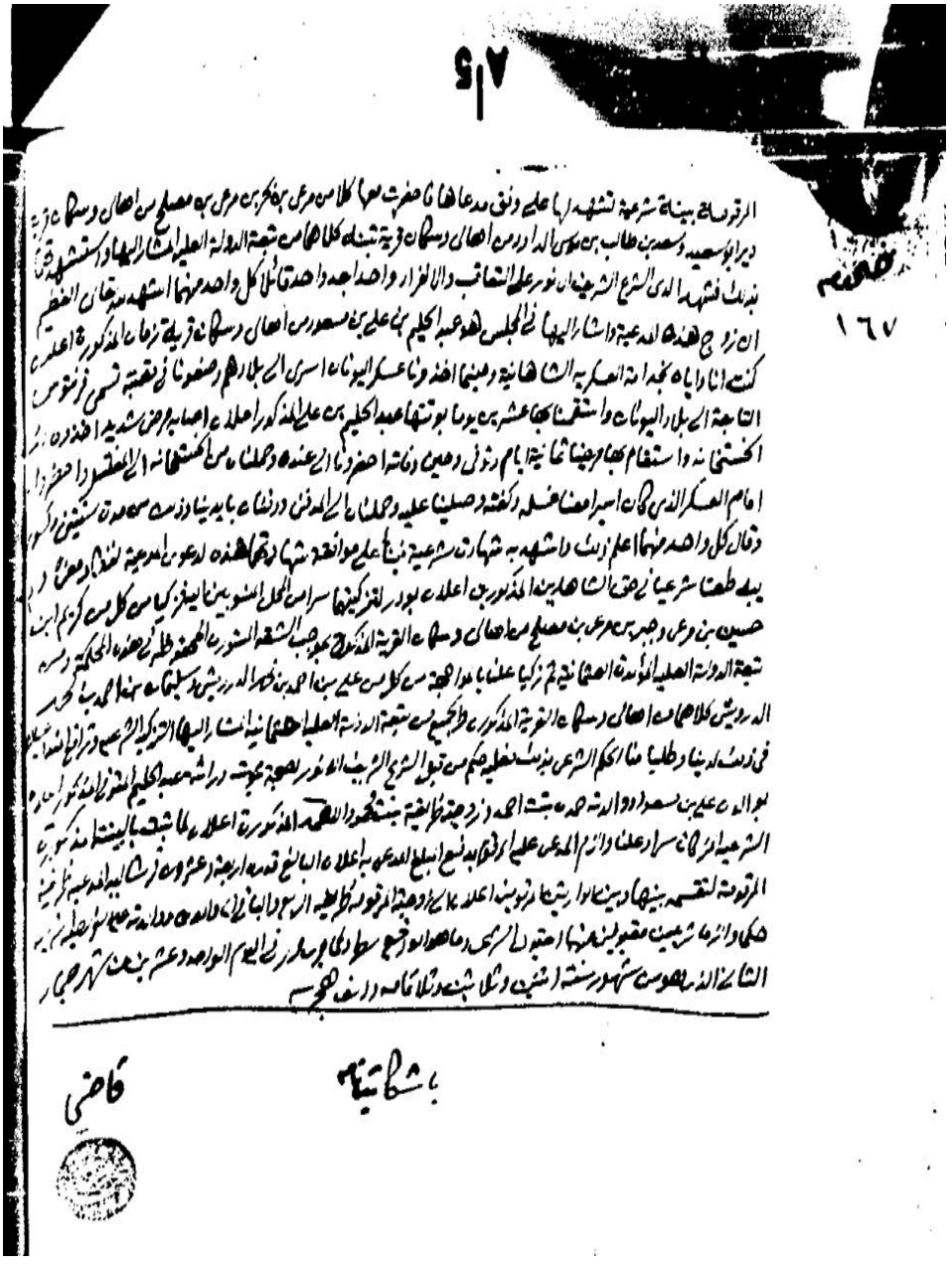

٩٧

١٦٧

530

**(وثيقة رقم 13)**

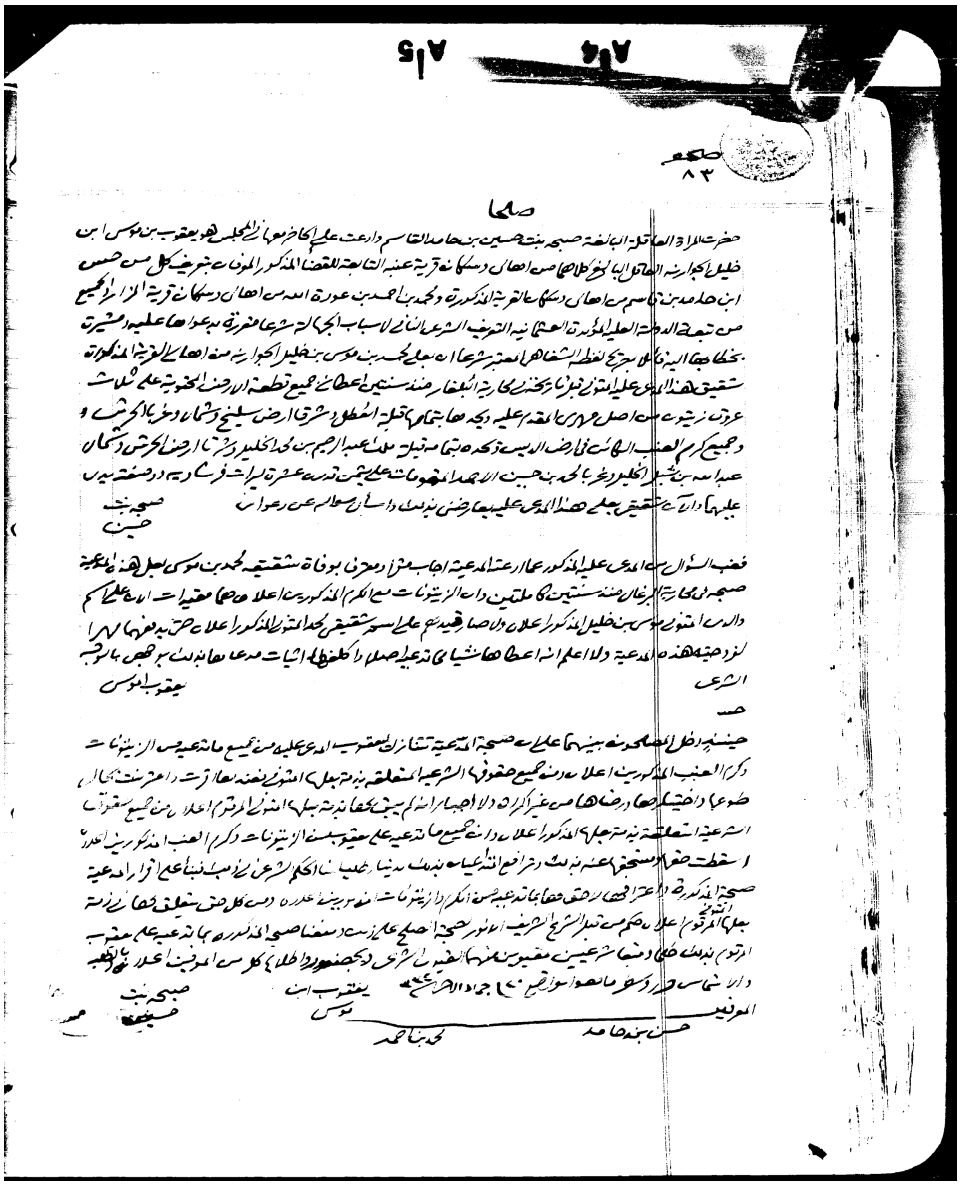

صلحا

حضرت المراة العاقلة البالغة صبحه بنت حسين بن حامد القاسم وادعت على اخاها المحلى بهو يعقوب بن موسى ابن خليل اكبر ورثة المتوفى المشار اليه بوكالتها عن اهالى وسكان قرية عنبه التابعة للقضا المذكور المومى اليه بموجب كل من حسن ابن حامد بن قاسم من اهالى وسكان القرية المذكورة ومحمد بن احمد بن عودة الله من اهالى وسكان قرية الزاهر الجميع من تبعية الدولة العلية المؤيدة العثمانية القرب الشرعى الثانى لاسباب اجملها وشرعا فصرتها بدعواها عليه ومشيرة بخطابها اليه بالاجوبة الشافية المعتبرة شرعا انه بعلم الحد بن موسى بن خليل اكبر ورثة المذكورة شقيق هذا المدعى عليه المتوفى قبل اربعين سنة بحكر سنة البقار منذ سنتين اعطاني جميع قطعة الارض المحدودة على ثلاث عرض زيتون من اصل عمار من ما قد عليه وبيده ها جميعا قبلة الحطل وشرقا ارض سليح وشمالا وغربا الكرش و وجميع كرم العنب الهائت فى ارض الديس وحده شرقا متبلة ملك عبد الرحيم بن محمد الخليلى وغربا ارض الكرش وشمالا عبد الله بن شبلى الخليلى وغربا الحد بن حسين الاحمد المعلومات على جميع قدره عشرة اشجار زيتون وعشرة بين صحيح حسين عليها واتى بشقيق جملى هذا المدعى عليه حاضرا فسئل عن ذلك واستاخر عن جوابه

فعند السؤال من المدعى عليه المذكور عما ادعت المدعية اجاب مقرا ومعترفا بوفاة شقيقه لحد بن موسى اجل هذا المدعية صحيحة وبحياته اكثر من ستة سنين كما ملتين واتى الزيتونات مع اكرم المذكور بنية اعلاه وهما ملكا حقيقيا لاخيه المذكور والد المتوفى يوسف بن خليل المذكور اعلاه واصاف شهد معه على اسم شقيقه لحد المتوفى المذكور اعلاه حق به فهما لا لزوجته هذه المدعية ولا اعلم انه اعطاها شيا ما ندعيه صلحا واكلفظ اثبات مدعاها بذلك بوجه الشرع

يعقوب ابن موسى

حسن

حينئذ دخل الصلح بينهما على ان صحيحة المدعية تتنازل ليعقوب المدعى عليه من جميع ما تدعيه من الزيتونات ذكر العنب المذكور اعلاه ومن جميع حقوقها الشرعية متعلقه بنية جبل المتوفى بعد ما قررت واعترفت بذلك طوعا واختيارا وهما راضيان بها من غير اكراه ولا اجبار انه لم يبق لها بنية جبل المتوفى المرقوم اعلاه من جميع حقوقها الشرعية متعلقة بنية جبل المذكور اعلاه وانها جميع ما تدعيه على حقيقة بعد الزيتونات وكرم العنب المذكورين اعلاه اسقطت ضمانها وسخرها عن ذمة يعقوب ابن موسى المذكور رفع الله عياه بذلك مدينا لخليل الحكم الشرعى لذمة يعقوب المذكور فى ادعية صحيحة المذكورة واعترافها بالحق فيما تدعيه من الزيتونات المذكورين اعلاه دون كل حق متعلق بها من بنية جبل المتوفى المرقوم اعلاه حكم من قبل الشرع الشريف الانور حيث اصلح على ما ذكر وسمى صحيحة المذكورة بما تدعيه على مقتضى الحكم المرقوم اعلاه حكما شرعيا ثبت ذلك كله وصار معينا مقبولا عند الفقير الى ربه الشرع المحمدى وطلب منى كتابة حجة له بذلك فاجبته لطلبه واذنت له بذلك حررت ذلك بمحضر من الطرفين وشهودهما المرقومين اعلاه فى يوم الاحد ثانى عشر شهر جمادى الاخرة سنة ١٣٣٠ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واكمل التحية

صبحه بنت حسين

يعقوب ابن موسى

حسن بن حامد

محمد بن احمد

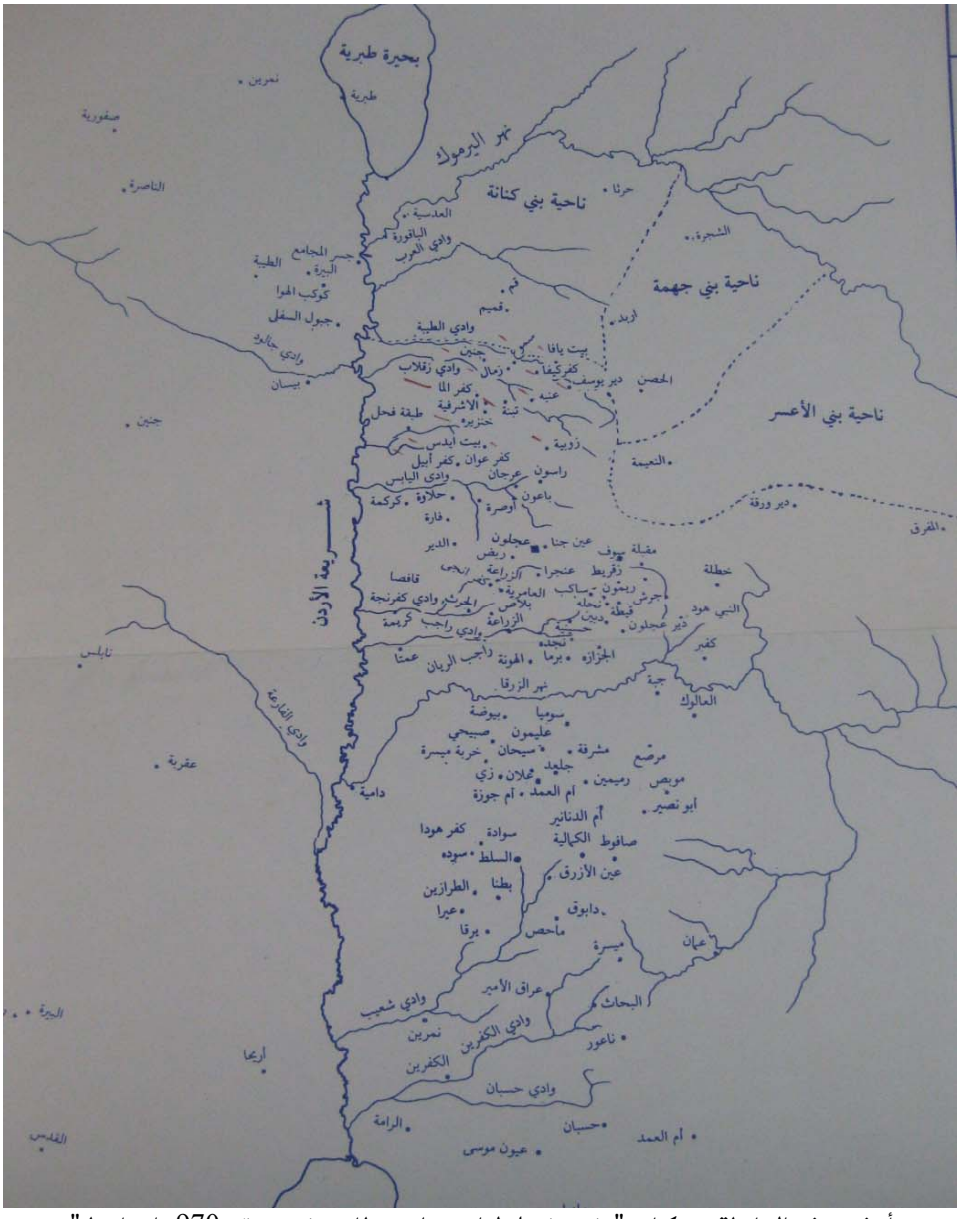


أخذت هذه الخارطة من كتاب "دفتر مفصل لواء عجلون، طابو دفتري رقم 970، استانبول" دراسة وتحقيق: محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا الحمود.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2017، ص ص 533- 559

# مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في متصرفية معان أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

## سجل محكمة معان الشرعية 1316-1326هـ/1898-1908م مصدرًا

حنان سليمان ملكاوي*، إيمان الهياجنة*، صفيّة السلامين** ورهام عمرو**

تاريخ الاستلام 2016/11/24 تاريخ القبول 2017/4/6

**ملخص**

يهدف هذا البحث إلى دراسة بعض المظاهر الاجتماعية كالزواج، والطلاق، والتركات، والأنشطة الاقتصادية مثل عمليات البيع والشراء في مدينة معان في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من خلال سجل محكمتها الشرعية، الذي يغطي الفترة (1316-1326هـ/1898-1908م). بالإضافة إلى تسليط الضوء على بعض الخلافات والنزاعات التي نشأت بين فئة محدودة من السكان مثل الدعاوي الإرثية، ودعاوي نزع ملكية بعض الأراضي أو المواشي، ومن جانب آخر تسعى الدراسة لتوضيح جانب من الحياة الاقتصادية لمدينة معان مثل نظام الربا الصادر عن بعض التجار.

**المقدمة:**

لقد وردت أول إشارة صريحة لقضاء معان التابع لسنجق البلقاء في سنة 1286هـ/1869م، وقد كان قائم المقام على معان زكي أفندي[1]، وألحقت معان بسنجق البلقاء (بلقا سنجاقي) في سنة 1301 هـ/1883م[2].

وأصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني إرادته بتأسيس متصرفية معان بتاريخ 1893م، وتكونت من قضائي الطفيلة والكرك وناحية الثمد. ثم اتضح للدولة أن معان لا تصلح لأن تكون مركزاً للمتصرفية بسبب بعدها عن مراكز الأقضية. لذلك نقل مركزها إلى الكرك سنة 1894م، على أن تتكون من أقضية الكرك ومعان، والطفيلة، والسلط. وقد عين حسين حلمي[3] أول متصرف للواء الكرك آنذاك، وكان نائبه عبد الحميد خيري أفندي[4] وحرصت الحكومة على إيجاد قوة عسكرية إلى جانبه لفرض الأمن والاستقرار وصدرت إرادة السلطان بتسمية اللواء بلواء الكرك سنة 1895م، لأن معان ظلت محتفظة بتلك التسمية حتى ذلك التاريخ[5]. ويذكر أن قضاء معان كان مركزه قصبة معان، ويتبع له قرى الشوبك ونواحيها، ووادي موسى، وتبوك، ومدائن صالح.

* قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

** باحثة.

وأظهرت الدولة العثمانية اهتمامها بلواء الكرك، لأهمية موقعه الاستراتيجي المرتبط بمرور قافلة الحج الشامي. لذلك زودت المتصرف بجهاز إداري قوي لفرض الأمن والاستقرار، وتحسين الوضع الإداري في المنطقة[6].

وليس هناك إحصاءات دقيقة حول تعداد السكان في لواء الكرك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث يعود أول إحصاء إلى سنة 1906م، وقدّر عدد سكان اللواء بنحو (80,000) نسمة[7]. بينما قدّر عدد سكان اللواء سنة 1910-1911م، بنحو 90.000 نسمة، منها في قضاء معان 15,000 نسمة[8]. وربما يعود السبب في عدم وجود إحصاء دقيق للسكان، إلى خوفهم من أن تفرض عليهم ضرائب جديدة، أو إلى خوفهم من الخدمة العسكرية.

كان سكان المنطقة يتألّفون من فئة الفلاحين الذين يهتمون بالزراعة وتربية المواشي، ومن فئة البدو الذين يسكنون في بيوت الشعر ويعتمدون على تربية الإبل والماشية، ولم تكن العلاقات بينهما جيدة لغياب سلطة الحكومة العثمانية، لذلك عانت تلك القرى في لواء الكرك من غارات القبائل البدوية عليها، الأمر الذي دفعها إلى إيجاد نوع من التفاهم مع تلك القبائل لمنع تعدياتها المستمرة عليها[9]، بدفع ما تعرف باسم ضريبة الخوة[10].

كما أن تلك العلاقات بين القبائل البدوية كانت تعتمد على الغزو والسلب والمنافسة على مصادر المياه والرعي. لذلك عانت من الحروب الطاحنة فيما بينها، وأدى ذلك إلى فقدان الأمن في اللواء، وإلحاق الضرر باقتصاد المنطقة، ونتيجة لعجز الدولة العثمانية عن فرض سيطرتها في المنطقة وخاصة على القبائل البدوية القاطنة على طول طريق الحج الشامي، اضطرت الدولة إلى دفع مبالغ مالية سنوية وأعطيات عينية وهدايا لمنع اعتدائها على قافلة الحجاج[11].

وشعر أفراد المجتمع إثر إنشاء لواء الكرك، بأن أحوال الأمن والاستقرار أصبحت أفضل من السابق، فأقبلوا على ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة كالبيع والشراء والزواج والطلاق، بنوعٍ من الطمأنينة. وهذا ما نلحظه من خلال سجل محكمة معان الشرعية مصدر هذه الدراسة. علماً أن الدراسات الاجتماعية التي تؤرخ للحياة الاجتماعية العامة غير موجودة آنذاك، لندرة التعليم، كما أن المؤرخ غالباً لا يركز على المجتمعات وأحوالها وإنما على القادة والحروب. وبالتالي فإنه لا يوجد مصادر ومراجع كافية تغطي هذه الفترة، كما أن هذه المصادر والمراجع لا تتطرق إلى صلب الموضوع .

## سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان 1316-1326هـ/1898-1908م

يؤرخ هذا السجل لمنطقة قضاء معان التابع للواء الكرك من ألوية ولاية سوريا العثمانية، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد كتب من قبل السيد عبد الرحمن أفندي الدمشقي بعدد صفحات 199 صفحة، باللغة العربية، لم يصلنا منها إلاّ 136 صفحة فقط.

يمتاز تصوير السجل بالوضوح عموماً، إلاّ بعض الحجج، التي تطلبت جهداً كبيراً لقراءتها، كما أن بعض تلك الحجج تمت كتابها أكثر من مرة في ذلك السجل، ولم نتمكن من معرفة أسباب ذلك.

ولعل أهَم القضايا التي دونت في السجل، وتعبرّ عن المشاكل التي عانى منها الناس آنذاك اقتصادياً، واجتماعياً تتمثل في الزواج، والطلاق، والنفقة، والنزاع بين الناس والجلوة، ودية القاتل، إضافة إلى حركة البيع والشراء، وبعض القضايا الخاصة بمعاملات الحج.

ويظهر السجل القرى التابعة لقضاء معان وهي: وادي موسى، الشوبك، قصبة معان، وكذلك معان الشامية والحجازية. ويعرض السجل الشرعي للعشائر القاطنة في قضاء معان والقرى التابعة له: كالحويطات، وأبو تايه، والنعيمات، والخليفات، والسعيدات، والرواشدة، واللوامة، وكريشان، وأبو هلالة، والخطيب، وأبو صالح، والشراري، والعكايلة، والبزايعة، والهلالات، والنوافلة. ولا تزال هذه العائلات تقطن مدينة معان وقراها إلى يومنا هذا.

وهكذا تأتي دراسة المجتمع المعاني اعتمادا على هذا السجل، ولا يخفى على الباحث في التاريخ الحديث والمعاصر، أهمية السجلات كمصدر مهم لا غنى عنه. علماً بأن هناك نسخة مصورة من هذا السجل لدى الباحث وقد تم تصويرها من محكمة معان الشرعية، معان، سنة 2012م.

ويظهر في السجل عدد من الدوائر الحكومية في لواء الكرك عامة، وقضاء معان خاصة وأسماء موظفيها وهي:

- رئيس بلدية قضاء معان ـ الشيخ عبد النبي أفندي النسعة 1321هـ/1903م.
- مدير مال قضاء معان ـ رفعتلو إبراهيم أفندي.
- أمين صندوق قضاء معان ـ كامل أفندي.
- وكيل نائب القاضي الشرعي ـ عبد الرحمن أفندي.
- معلم مكتب ابتدائي قصبة معان ـ أحمد عزت أفندي بن المرحوم عمر أفندي أعيان زاره.
- كاتب محكمة معان الشرعية ـ محمد حمدي بن عبد الرحمن أفندي الدمشقي.

- أعضاء مجلس إدارة قضاء معان ـ خليل أفندي الشراري، وخليل أفندي بن المرحوم الحاج موسى صلاح، وخليل أفندي بن الحاج علي التلهوني.
- دائرة تلغراف معان ـ رفقي أفندي.
- مدير تلغراف قلعة المدورة المقيم مؤقتاً بقصبة معان الحجازية - الاسم غير واضح.
- مجلس إدارة قضاء الطفيلة - عبد الله أفندي بن عبيد العوران.
- مفتش تلغراف سوريا المقيم بمعان ـ عزتلو حفي أفندي.
- واعظ بقضاء الطفيلة ـ عبد الرحمن صبحي بن عثمان أفندي التابع لولاية طرابزون.
- جندرمة ولاية سوريا البلوك الثالث من طابور لواء الكرك. وأبرز أفراده أحمد آغا ملازم، ومحمد آغا باش جاويش.
- نائب قضاء الطفيلة - الشيخ أبو السعود أفندي 1315هـ/1896م.

**1- متصرفية معان تحت الإدارة العثمانية:**

حدث التحول الإداري الكبير في سوريا الجنوبية عندما أقرت الحكومة العثمانية في مطلع التسعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي التنظيم الإداري لمعان، وذلك رغبة منها في ضبط طريق الحج والتخفيف من اعتداءات القبائل البدوية على طول الطريق، وقد كان ذلك عن طريق تشكيل سنجق معان سنة 1310 هـ/1892م ليكون بديلاً عن سنجق البلقاء، لتصبح معان في مكان الصدارة. ولقد بقي الحال كذلك حتى سنة 1313 هـ/1895م عندما ارتقت إلى متصرفية برئاسة حسين حلمي أفندي[12].

أما التقسيم الإداري فكان على النحو التالي:

- **مأمورية اللواء**[13]:

وتتكون من المتصرف حسين حلمي، ونائبه عبد الحميد خيري أفندي، والمحاسب جمال بك، ومدير التحريرات علاء الدين أفندي.

- **مجلس إدارة اللواء**[14]:

وهو برئاسة المتصرف حسين حلمي، والأعضاء بحكم وظائفهم هم نائب المتصرف، والمحاسب، ومدير التحريرات، وهناك عضوان عن طريق الانتخاب وهما صالح أفندي المجالي وخليل أفندي المجالي.

**- قلم محاسبة اللواء**[15]:

ويتكون من الباش كاتب، والكاتب الأول علي رضا أفندي، وأمين الصندوق سليمان فارس أفندي.

## 2- الأحوال الاجتماعية:

### أ- الزواج:

يظهر من خلال عقود الزواج وحجج الطلاق، أن الزواج كان يتم في سن مبكرة للأبناء وبخاصة الزوجة التي كان عمرها عند الزواج أصغر من الزوج، ولعلّ ذلك كان ناجماً عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المعاني آنذاك.

وقد حدد سن الزواج لكل من الطرفين في مجلة الأحكام العدلية بأنه "يشترط في أهلية النكاح أن يكون الخاطب في سن الثامنة عشرة فأكثر، والمخطوبة في سن السابعة عشرة فأكثر. ويعقد النكاح بإيجاب وقبول من الزوجين أو وكيلهما في المجلس ويلزم للزوجة على الزوج المهر والنفقة بمجرد انعقاد النكاح، ويثبت بينهما حق التوارث. وأن يشترط في صحة النكاح حضور شاهدين مكلفين، ويجوز شهادة أصول الخاطب والمخطوبة وفروعهما على العقد"[16].

وأقرت كذلك المجلة زواج الفتاة التي عمرها أقل من السابعة عشرة، حيث جاء فيها "إذا أدعت المراهقة التي لم تتم السابعة عشرة من عمرها البلوغ، فللحاكم الشرعي أن يأذن لها بالزواج، إذا كانت هيأتها أيضاً محتملة ووليها أذن بذلك، ولا يجوز لأحد أن يزوج الصغير الذي لم يتم السابعة عشرة من عمره، ولا الصغيرة التي لم تتم التاسعة من عمرها"[17].

ويلاحظ من خلال عقود النكاح القليلة الواردة في السجل، أن عقد النكاح كان يتم في المحكمة بحضور الخاطب والمخطوبة ووكيلهما، وكذلك الشهود، ومن الأمثلة على ذلك حضور سلمى بنت ناصر إلى المحكمة لإجراء عقد نكاحها على عبد الحافظ بن محمد منصور الكركي من أهالي قصبة قضاء الخليل، بحضور وكيلها والدها، على مهر قدره مائة قرش مؤجلة في ذمته، وألف مقبوضة بيد الزوجة[18].

وكان يحدد في عقد الزواج إذا كانت المرأة بكراً أو ثيباً، فقد حضر غانم سليمان أبو غانم، وحضرت معه فاطمة بنت معيوف أبو مقبل "البكر البالغة وكلاهما من عشيرة النعيمات التابعة للقضاء، وتم عقد نكاحهما على مهر قدره ألف قرش منها ثمانمائة قرش معجل، ومائتان مؤجل"[19].

أما بالنسبة للمهور، فقد دفع بعضها نقداً، وبعضها الآخر عيناً إما حبوباً أو أراضي أو مواشي، وربما يعود ذلك لصعوبة توافر المال اللازم لدفعها نقداً. ويتبين ذلك من خلال إحدى الحجج التي أوردها السجل الشرعي، فقد حضر عودة بن جبر الجبارات من أهالي قرية الشوبك التابعة لقضاء معان، وأدعى على الحاضر معه حميد بن حسين جديع من القرية المذكورة، بأنه منذ أربع سنوات طلب هذا المدعو محمد "بنتي القاصرة فضة أن يتزوج بها وجعل لها مهراً معجلاً، إحدى عشرة عنزاً وثوراً، وألفاً وخمسمائة قرش، وخمسة وسبعين مد قمح ومثلها شعير، وشجرة تين وشجرة زيتون، وبارودة، وقطعة أرض معلومة، وقدر نحاس،..."[20].

وامتاز الزواج في المجتمع المعاني بشكل عام بأنه كان زواجاً تقليدياً، إذا لم يكن يؤخذ برأي الزوجة ولم تكن تستشار في اختيار الزوج، حيث كان والد الفتاة هو الآمر الناهي وهو الذي يقرر ويختار زوجاً لابنته. ويظهر كذلك من زواج القاصرة في السجل. فقد ذكرت إحدى الحجج الشرعية أن سلمان بن سلامة ادعى المرأة البالغة نعمة بنت سالم بأنه في سنة 1318هـ/1900م، كان عقد نكاحه عليها عندما كانت قاصرة عن درجة البلوغ، بولاية أبيها، على مهر قدره ألف قرش، منها تسعمائة وخمسون قرشاً مؤجلة، وخمسون قرشاً معجلاً، وهذا المهر في ذمّته ويرغب في دفعه لها والدخول بها، لكنها ممتنعة عن ذلك. وقد سأل القاضي نعمة حول ذلك فأجابت "بأنه لا علم بما يدعيه المدعي من إجراء عقد نكاحها على المدعو لكونها وقت جريانه كانت قاصرة عن درجة البلوغ" وبعد ذلك سأل القاضي والدها فأقر واعترف بصحة ما يدعيه سلمان المذكور ولذلك تقرر صدور عقد النكاح لنعمة بولاية أبيها، وطلب منها الالتزام بذلك"[21]. وهذا يدل على أن عقد النكاح كان يتم أحياناً بدون معرفة الفتاة، وبالتالي لم يكن يأخذ برأيها في أهم مشروع في حياتها. فوالدها في كثير من الأحيان كان يقرر عنها.

ولعل من سيئات الزواج التقليدي أن بعض الزوجات لا ينسجمن مع أزواجهن، ولا يستطعن أيضاً طلب الطلاق، مما يجعلهن يهربن من بيوت أزواجهن، ففي إحدى القضايا ادعى أحمد بن سليمان الخليفات من أهالي قرية وادي موسى أن زوجته الداخل بها صبحة بنت خليل بن سليمان السعيدات من أهالي القرية المذكورة، نافرة منه وممتنعة عن إطاعته، لذلك يطلب منها إطاعته"[22].

ولما كان المهر المعجل من حقوق الزوجة، فقد كان بعض النساء يطالبن آباءهنّ ووكلاءهنّ بتسليم مهورهن لهن، مثال ذلك حضور بخيتة بنت عبد الله بن هارون كريشان من أهالي قصبة معان إلى المحكمة "وأقرت أنها قبضت واستوفت وصار إليها المهر الشرعي من والدها عبد الله المذكور وقدره ثلاثة آلاف وسبعمائة قرش رايج معان، وهو المهر المعجل الذي قبضه والدها المذكور من بعلها عبد الله بن محمد بن حسين، بمقتضى ولايته على قبض ذلك شرعاً، ولم يبق بذمة والدها المذكور شيء"[23].

وفي حجة أخرى طلبت ريا بنت الحاج خليل بن محمد الداود من والدها مهرها المعجل الذي قبضه من زوجها هليّل أبو هلالة والبالغ قيمته ألف وسبعمائة قرش. وعند سؤال والدها ذكر بأنه اشترى لها به ملبوسات ومفروشات. وحتى لا تزداد حدة المشاكل بين الطرفين حاول المصلحون حل الخلاف بأن يدفع والدها لها مبلغ ثمانمائة قرش، وباقي المبلغ وقدره ثلاثمائة وثمانية وستون قرشاً سيدفعه في شهر ذي القعدة "وقد اختارت عليه الصبر"[24].

ويؤكد حكم القضاء ما جاء في مجلة الأحكام العدلية بأن المهر هو أحد حقوق الزوجة، فلا يؤخذ منها "فلا تجبر على عمل الجهاز منه، ولا يجوز لأبوي الزوجة أو أحد أقاربها أن يأخذ من الزوج دراهم أو أي شيء كان لقاء تزويجها"[25].

وفي حجة أخرى أقامت عيشة بنت سليمان أبي عودة الرواشدة بعد خمس وثلاثين سنة من زواجها دعوى على شقيقها حسني أبي عوده الرواشدة، وولد أخيها راشد أبي عودة الله الرواشدة من قرية الشوبك، ومن أجل تسليمها مهرها الذي قبضاه من زوجها قبلان أبي سلامة وقدره ثلاثيون رأس عنز، ودار في قرية الشوبك، وبارودة، وسيف، وقدر نحاس، وحمار [26]، مما يؤكد أن المهر من حق الزوجة، وأن لها كامل الحرية في التصرف به. ويظهر بالرغم من قلة عدد عقود الزواج الواردة في السجل، أن قيمة المهر المعجل أكبر من المؤجل، وهذا لا يوجد في أيامنا إلاّ نادراً. وتتشابه هذه الظاهرة مع ما كان يحصل في قضاء عجلون خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد فسر الدكتور عليان ذلك بقوله: إنّ "التفريط بالزوجة والتخلي عنها مسألة ليست من السهولة بمكان نتيجة للصعوبات التي تواجه الرجل في جمع مهر المرأة، وهذا ما دفع أهالي القضاء في تلك الفترة لعدم التركيز على مؤخر الصداق كوسيلة يلجأ إليها أهالي المرأة لضمان محافظة الرجل عليها، وضمان حقوقها مثلماً يفعل الأهالي في وقتنا الحاضر"[27].

وهكذا نلاحظ أن الفقر وانخفاض قيمة المهور، إضافة إلى صلات القرابة، عوامل قد تقلل من الطلاق.

يلاحظ من خلال حجج الزواج الواردة في السجل الشرعي، أن العلاقات الاجتماعية والصلات القوية التي نشأت عن المصاهرة بين أهالي قضاء معان الشامية والحجازية وجميع القرى التابعة له، لم تقتصر على قضاء معان وحده بل امتدت لتشمل أقضية لواء الكرك المختلفة. أضف إلى ذلك علاقات المصاهرة التي جمعت أهالي قضاء معان بقضاء الخليل في فلسطين، والسبب في ذلك أن الكثير من العائلات الأردنية لها امتداد في فلسطين أيضاً.

**ب- الطلاق:**

يُعد الطلاق من الظواهر الاجتماعية المكروهة في المجتمع الإسلامي، وقد أورد السجل الشرعي الكثير من حالات الطلاق، التي وقعت لأسباب مختلفة، وتظهر حجج الطلاق المدونة في السجل الشرعي، أن الزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها يجب أن تبين أسباب ذلك، بينما لا يحتاج الرجل إلى بيانها. وكان من أهم أسباب الطلاق التي أوردها السجل الشرعي: مرض الزوج وعدم قدرته على معاشرة زوجته، وقيام الزوج بضرب زوجته، ونشوز الزوجة ويمين الطلاق.

ولعل من الأمثلة على حالات الطلاق التي تمت بسبب مرض الزوج، الدعوى التي أقامتها البنت البكر البالغة خضرة بنت عيسى بن محمد الرواشدة من قرية الشوبك، على زوجها الداخل بها عبد بن سليمان بانه "عنيني ليس له اقتدار على المعاملة الزوجية" وبعد استماع القاضي لدعوى المدعية، سأل الزوج فأجاب "لحد الآن المدعية بكر ولم أجرِ معها المعاملة الزوجية لذلك أطلب مهلة"، ونتيجة لذلك أمهل القاضي الزوج المدة القانونية وهي سنة، على أنه، إذا بقيت الزوجة بكراً يصار إلى فسخ نكاحهما"[28].

وحكم القاضي السابق يؤكد ما جاء في مجلة الأحكام العدلية، بأنه إذا راجعت الزوجة الحاكم على وجود عيب في زوجها يمنعه من الدخول بها "فإذا كانت العلة غير قابلة للزوال يحكم بالتفريق بينهما في الحال، وإن كانت قابلة للزوال يمهل الزوج سنة اعتباراً من زمان الواقعة، أو من وقت شفاء الزوج أن كان مريضاً"[29].

أما بالنسبة لرفض الزوجة الإقامة مع زوجها في محل إقامته، ففي الدعوى التي أقامها حمد بن أحمد والمقيم في قصبة الطفيلة على زوجته الداخل بها صفية بنت سالم، بأنني "تزوجت من المدعى عليها ودخلت بها والآن أطلب منها التوجه معي لمحل إقامتي وهو قصبة الطفيلة...، وعندما سئلت المدعى عليها أجابت: أنها لا تذهب معه إلى قصبة الطفيلة، وأنها ستبقى مع أمها في قصبة معان"[30].

كما ادعى أحمد سليمان الخليفات من أهالي قرية وادي موسى على زوجته الداخل بها صبحة بنت خليل سليمان السعيدات من القرية نفسها، "بأنها ناشزة عنه ممتنعة عنه" وبعد سؤال المدعى عليها وأمرها بإطاعة زوجها، رفضت ذلك لأنها "متضررة منه وممتنعة عن إطاعته"[31]. فهل عدم الانسجام والمودة والمحبة بين الزوجين أو بُعد مكان سكن الزوج من أسباب نشوزاً الزوجات آنذاك؟

ويلاحظ في الحجج الخاصة بنشوز الزوجة، أنها ما دامت ناشزاً ممتنعة عن إطاعة زوجها فلا نفقة لها. وهذا فعلاً ما أكدته مجلة الأحكام العدلية، حيث جاء في المادة (101) منها ما يلي:

"إذا نشزت الزوجة وتركت دار زوجها وذهبت، أو كانت الدار لها فمنعت زوجها من الدخول قبل أن تطلب نقلها إلى دار أخرى، تسقط النفقة مدى هذا النشوز"[32]. ومن الجدير ذكره أن القضايا الخاصة بالنشوز في سجل محكمة معان لم توضح الأسباب التي دفعت الزوجة لذلك، وبالتالي بقيت سراً، وربما في ذلك نوع من المحافظة على الحياة الخاصة والعلاقات الأسرية بين أفراد المجتمع آنذاك.

ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى حدوث الطلاق بين الزوجين؛ ضرب الزوج لزوجته، يتضح ذلك من الدعوى التي اقامها خشمان بن حمد بن اهويمل العمر من قرية صنفحة التابعة لقضاء الطفيلة، على زوجته الداخل بها مريم بنت حمد أبي حسن ياسين "أنني قد تزوجت بهذه المدعية قبل إحدى عشرة سنة في قريتنا صنفحة التابعة لقضاء الطفيلة...، ومن ثلاثة أو أربعة أشهر هربت لهذه القصبة معان الحجازية بغير إذني ورضاي، أطلب إطاعتها لي بحكم النكاح. ولدى سؤالها أجابت أنه نظراً لكونه ضربها فقد هربت إلى هناك وأنها لا تقبل أن تذهب معه"[33]. فما الأسباب التي كانت تدفع الزوج لضرب زوجته وهل ذلك مبرر؟ أم إن ذلك يعني فرض سيطرة الرجل على زوجته؟ أو محاولة لمعاقبة الزوجة على خطأ ارتكبته؟

من المعروف أن مجتمعنا سابقاً وحالياً ينظر سلباً إلى نشوز الزوجة وعدم إطاعتها لزوجها، وربما تعود أسباب ذلك إلى عدم مشاورة الفتاة في اختيار زوجها المستقبلي، أو تزويجها بالإكراه، مما يولد في حالات كثيرة عدم الألفة والمودة ويسبب نشوز الزوجة. كما أن عدم ارتياح الزوجة لمكان إقامة الزوج دفعها لذلك.

وأحياناً كان ضرب الزوجة لا يقتصر على زوجها فقط وإنما يتعدى ذلك إلى أهله، ويتضح هذا من الدعوى التي أقامها محمد بن علي بن أحمد قباعة من أهالي قصبة معان الحجازية، على زوجته الداخل بها "والتي هي بسن يحتمل البلوغ" حربة بنت أحمد بن محمد، بأنها هربت من بيته بغير إذن منه، وعندما سئلت المدعى عليها ذكرت انه قد تكرر ضربها من طرف زوجها المذكور وأهله وتعديهم عليها بغير حق، وأنها راجعت المحكمة أكثر من مرة وفي كل مرة يتم الصلح بينهما، علماً بأنها أخذت تعهدًا على زوجها في المحكمة بعدم ضربها، ولكنه لم يلتزم وكرر ضربها وإذيتها"[34].

وفي حال الطلاق الرجعي[35] والطلاق البائن بينونة كبرى[36] يجب أن يثبت ذلك في المحكمة وفي حال الطلاق البائن بينونة كبرى، كان على الزوج أن يدفع لزوجته مهرها، ويتبين ذلك في حجة الطلاق الخاصة بمدير تلغراف قلعة المدورة مؤقتاً بقصبة معان الحجازية السيد حلمي أفندي، عندما طلق زوجته الداخل بها صالحة خانم كريمة رفعتلو محمد نورى أفندي ملازم

عسكر شاهاني، وقد أبانها من عصمته وعقد نكاحه البينونة الكبرى وهي طلاق ثلاث فلا تعود إليه حتى تنكح زوجاً غيره وبعقد ومهر جديدين، وقد "دفع لها مؤخر صداقها ألفا وخمسمائة قرش باقي المهر المعجل، وثلاثة مائة قرش عن نفقة عدتها،..."[37].

كما حضر الحاج مصطفى أبو محمد هارون كريشان إلى المحكمة وأبان زوجته فضة بنت إبراهيم أبو عودة وكلاهما من أهالي قصبة معان الحجازية، البينونة الكبرى وهي طلاق ثلاث، وقد دفع لها مؤخر صداقها وقيمته ماية قرش"[38].

وظهر كذلك من أسباب مطالبة الزوجة بالطلاق من زوجها يمين الطلاق والمتضمن، بأن يحلف يميناً بالطلاق بأن يفعل شيئاً معيّناً ولم يفعله. وبهذه الحالة تطلق الزوجة ولكن يجب عليها إحضار بينة على ذلك، ففي الدعوى التي أقامتها خديجة بنت مصطفى آغا على زوجها الداخل بها الحاج محمود أفندي ابن المرحوم محمد المقيم بقصبة معان الحجازية، بأنه طلقها ثلاث مرات وذلك عندما حدثت بينه وبين ابنه عبد الله مشاجرة يوم "ثلاثة من شهر محرم الساعة السابعة، لذلك تطالب بفسخ نكاحها منه، وعندما سأل القاضي الزوج ذكر أنه فعلا حدثت مشاجرة بينه وبين ابنه وأنه حلف بقوله "علي الطلاق بالخمسة عشر وبالتسعة عشر والتسعين إنك في هذه الليلة لا تنام في هذا البيت وفعلا لم ينم". وبعد الاستماع للشهود قرر القاضي بطلان دعوى الزوجة وعدم حدوث الطلاق[39].

وظهر بعض حالات الطلاق الرجعي، ومن الأمثلة على ذلك حضور علي بن عبد الله بن علي كريشان إلى المحكمة ومعه زوجته الداخل بها شيخة بنت محمد بن هارون كريشان وكلاهما من أهالي قصبة معان الحجازية، ثم "أبان علي المذكور زوجته شيخة من عصمته وعقد نكاحه إبانة واحدة ليس مسبوقاً قبلها بشيء ....، فلا تعود إليه إلا بمهر وعقد جديدين، وقد دفع لها بالمجلس ماية وخمسين قرشاً عن نفقة عدتها،..."[40].

ويتضح من خلال بعض الحجج الواردة في السجل مطالبة الزوجة بحقوقها، وبالرغم من صبرها على ما يلحق بها من ظلم وأذى من قبل زوجها، دون أن تطلب منه الطلاق، وإنما كانت تلجأ للمحكمة من أجل طلب نفقة لها ولأبنائها، ومن الأمثلة الموضحة حضور بخيتة بنت علي بن عبد الله إلى المحكمة حيث أوكلت والدها بالمرافعة والمحاكمة مع زوجها عبد الله بن محمد البواب، بطلب نفقة لها وإلى ولدها سليمان القاصر الرضيع وكذلك "بطلب أمتعتها التي تحت يده الممتنع عن إعطائها لها. وبطلب خمس مجيديات التي لها بذمة زوجها وذلك بدل ثمن حماراً كان قد باعه سابقاً وبقي ثمنه لدى الممتنع "[41].

وفي حجة أخرى فرض القاضي على علي بن أحمد النسعة من أهالي معان الحجازية مبلغ قرش ونصف في كل يوم أي ما يعادل خمسة وأربعين قرشاً في كل شهر نفقة لفضة بنت منصور ابن محمد البزايعة عن حضانة ابنه حامد الصغير"[42].

أظهرت تلك الحجج بعض الأسباب التي كانت تؤدي إلى حدوث الطلاق في المجتمع آنذاك، وقد تكون هناك أسباب أخرى كثيرة لكن حجج الطلاق لم تظهرها، وربما في ذلك نوع من المحافظة على العلاقات الودية بين أفراد المجتمع.

أما أكثر أنواع الطلاق شيوعاً في المجتمع المعاني آنذاك فهو طلاق الخلع أو المخالعة[43]، إذ تطلب الزوجة الطلاق من زوجها أمام القاضي الشرعي وتدفع مبلغا من المال لخلعها، مقابل التنازل عن حقوقها كالمهر، ونفقة عدتها. وتتم المخالعة في المحكمة الشرعية بحضور كلا الزوجين ومعرفين وشهود، ولم تظهر حجج الخلُع الواردة في السجل الأسباب التي دفعت الزوجة لطلب الطلاق من زوجها. ومن الأمثلة على ذلك، قيام السيدة فاطمة بنت طالب من أهالي قرية الشوبك بدفع مبلغ من المال لزوجها السيد مقبل بن جبر بن إبراهيم من القرية المذكورة، مبلغ خمسين ريالاً مجيدياً وإبراء ذمته من نفقة عدتها مقابل أن يبينها من عصمته وعقد نكاحه، وقد قبل الزوج بذلك"[44].

وفي حجة أخرى دفعت فضة بنت منصور بن محمد بن منصور البزايعة لزوجها محمد بن الحاج عبد الله بن محمد بن منصور البزايعة مبلغ ألفين وأربعمائة قرش مقابل "أن يبينها من عصمته وعقد نكاحه" إضافة إلى إبراء ذمته من نفقة عدتها"[45]. ودفعت فضة بنت إبراهيم أبو عودة لزوجها مصطفى بن محمد بن هارون كريشان مبلغ ألف قرش مقابل أن يطلقها[46].

وكانت بعض الزوجات، إضافة لدفع مبلغ من المال مقابل طلاقها، يتكفلن كذلك بحضانة أولادهن، فقد أبرأت السيدة عيدي زوجها محمد بن عبد الله من نفقة عدتها ومن مهرها المؤجل مقابل أن يبينها من عصمته، إضافة إلى تكفلها بحضانة ابنتها صبحة مدة ثلاث سنوات[47]. وتعهدت نافلة بنت داود بن اعقيّل بن مرعي من أهالي قصبة معان الحجازية بإطعام بنتها، رحيلة وكسوتها مدة ثلاث سنوات، إذا أبانها زوجها الداخل بها عبد بن حسين بن مرعي الكراشين[48].

بينما نجد أن حفيظة بنت محمد الطحان أسقطت حق حضانتها لولدها الصغير وعمره ست سنوات، مقابل أن يبينها زوجها الداخل بها إبراهيم بن محيسن بن محمد من عصمته، وكلاهما من قصبة معان الشامية[49].

ووافق حرب بن حسين أبي ياسين على أن يبين زوجته شيخة بنت سليمان أبي ياسين بشرط "إذا ظهر لها حمل منه في مدة عدتها يجب عليها نفقة ذلك الصغير مدة ثلاث سنوات"[50].

وتعهدت فاطمة بنت حسين الجاويش لزوجها الداخل بها حمد بن أحمد الطويل وكلاهما من سكان قصبة معان الحجازية أن تقوم بتربية أولادها منه وهما محمد القاصر وأخته القاصر خضرة مدة عشر سنوات،...، وإذا ظهر لها حمل تتعهد بجميع لوازمه الشرعية مدة خمس سنوات، افتداء لفك عصمتها،...، وإذا تزوجت الزوجة قبل المدة المذكورة يصير تسليم الأولاد إلى والدهم"[51].

وأبدت بعض الزوجات استعدادها للتنازل عن جميع أملاكها مقابل الخلع، فقد طلبت غنيمة الغوانمة من زوجها الداخل بها محمد بن عيسى الغوانمة أن يبينها من عصمته وعقد نكاحه في مقابل ماية وخمسين ريالاً مجيديّاً تدفعها له بالمجلس، وما لها في ذمته من "الحقوق من مهر وإرث من أبيها كائناً ما كان،...،[52]. كما تنازلت مكية بنت الحاج يوسف عن مائتي قرش نفقة عدتها وإبراء زوجها خليل بن سلمان بن عبد الواحد من جميع الحقوق المتعلقة بالزوجية مقابل طلاقها منه[53].

ويتضح من خلال حجج الطلاق الخاصة بالخلُع أن بعضها كانت لزوجات قاصرات عن درجة البلوغ، إذ حضر للمحكمة الشرعية عبده بن سليمان بن حسين بن علي وأحضر معه سلمان بن محمد بن موسى وكلاهما من سكان قصبة معان الشامية، وطلب عبده من سلمان أن يبين زوجته فاطمة بنت عبده القاصرة عن درجة البلوغ وتحت ولاية أبيها مقابل مبلغ قدرة ألفان وستماية وستة عشر قرشاً[54].

ويظهر سوء الأحوال الاقتصادية للبعض في المجتمع المعاني، من خلال تقسيط مبلغ الخلع، وتبين ذلك من خلال ما أورده السجل الشرعي، إذ حضرت فضة بنت محمد بن منصور البزايعة للمحكمة، وأحضرت معها زوجها الداخل بها حسني بن أحمد وكلاهما من أهالي معان الشامية، حيث طلبت من زوجها أن يبينها من عصمته وعقد نكاحه وله "مائتا قرش في مقابلة مؤخرها ونفقة عدتها، وخمسون ريالاً مجيديّاً بموجب سند تحرر على والدها على قسطين القسط الأول خمسة وعشرون ريالاً مجيديّاً يدفعها إلى الزوج حسني في خمسة عشر ربيع أول سنة ألف وثلاثمائة وتسع عشرة، جعلت ذلك له افتداء لفك رقبتها من عصمته وعقد نكاحه،...، فأجابها الزوج حسني لطلبها وأبانها من عصمته وعقد نكاحه في مقابلة ذلك كله،...،"[55].

لوحظ في طلاق المخالعة عدم ذكر الأسباب التي كانت تدفع الزوجات لطلبه، كما أن دفع معظم الزوجات مبالغ نقدية مقابل الخلع، يدل على الوضع الاقتصادي الجيد للمرأة آنذاك، وكذلك على مساندة أهلها لها في مقابل حصولها على الطلاق.

### ج- الوصاية:

اهتمت الشريعة الإسلامية برعاية الأطفال الأيتام، وذلك من خلال تعيين وصي أو حاضنة للإشراف عليهم والاهتمام بشؤونهم. وكان يتم التعيين من قبل قاضي المحكمة الشرعية، ويشترط في من يتولى هذا الأمر أن يكون أمينا وعفيفاً، ويمتلك القدرة على إدارة شؤون القاصرين.

والأم هي الأحق بالوصاية في حالات الوفاة أو الطلاق أو غياب الأب لفترة طويلة، وتبطل وصايتها في حال زواجها بآخر، وفي هذه الحالة ينصب القاضي الشرعي وصياً آخر كالجدة أو العم. وتستمر الوصاية على القاصر حتى يبلغ سن الرشد ويكون قادراً على إدارة أموره بنفسه.

وفي الحجة التالية نصّب القاضي الشرعي بمحكمة معان الشرعية، وردة بنت سالم أبو عزام من أهالي وسكان قرية الشوبك وصياً شرعياً على ولديها القاصرين عواد وفاطمة ولدي عودة الله بن سليمان الرواشدة[56]. واشترى الحاج فارس بن حسين بن طالب من أهالي وسكان قصبة معان الحجازية بالولاية الشرعية على أولاده ومحمود وعبد الجليل وعبد الله القاصرين عن درجة البلوغ وتحت ولايته بالأبوة من والدة المشتري المذكور جدة القاصرين لأبيهم السيدة حربا بنت حسين الجنينة الكائنة في القصبة بها فيها من ماء وأرض وغراس[57].

وقد أورد السجل حجة خاصة بوصاية فاطمة بنت حسين أجدم اللوامة من أهالي قرية الشوبك التابعة لقضاء معان على ولديها القاصرين دياب وبشير ولدي علي بن بدران المتوفى، وفرض القاضي نفقة شرعية لكليهما وجميع ما يلزم لهما، وكان مقدارها في كل شهر مجيدياً من مالهما المخلف لهما من أبيهما المتوفى[58]. كما حضرت حجة بنت محسين بن محمد أبو عامر القرمص من أهالي قصبة معان الشامية، وحضر معها الشيخ إبراهيم بن حسين الوصي الشرعي على كل من نجية وفضة وندى القاصرات عن درجة البلوغ، وهن الوريثات لزوجها المتوفى سالم بن أحمد أبو جرى. وذكرت أن عندها وفي ذمتها لهن مبلغاً وقدره ثلاثة آلاف قرش على حساب المجيدي أربعة وعشرين قرشاً مساواة لكل واحدة منهما ألف قرش من تركة والدهم المتوفى[59].

### د- النزاع والخلاف بين السكان:

تناول السجل الشرعي بعض أسباب الخلافات والنزاعات التي كانت موجودة في المجتمع المعاني خلال فترة الدراسة، كالنزاع حول ملكية أرض؛ فقد حضر لمحكمة معان مسلم بن علي ادعيس من أهالي قرية الشوبك ومن عشيرة الملاحيم، مدعياً على سليمان بن خلف من نفس عشيرته، بأنه سيطر على قطعة أرض في منطقة الكتلح خارج قرية الشوبك، ولدى سؤال المدعي عليه سليمان ذكر بأن هذه الأرض وما حولها هي ملك لعشيرة الملاحيم منذ قديم الزمان، وقد تم

تقسيمها مساواة بين أفراد القبيلة، وأنه قد فلحها مدة سنتين، ونتيجة لحدوث خلاف بين عشيرته وعشيرة أخرى قبل تشكيل لواء الكرك، تم جلوهم إلى الكرك، وبعد تشكيل اللواء وانتشار الأمن عاد إلى قريته، ثم قامت الحكومة المحلية بتسليمه جميع أملاكه ومنها هذه الأرض، وأنه ليس للمدعي مسلم أي حق فيها لأنه وجدها خراباً فحرثها مدة أربع سنوات. ولعدم قدرة مسلم على إحضار أية بينة* مؤكدة لدعواه، قرر القاضي بأنه ليس لمسلم أي حق في هذه الأرض[60].

يتضح من خلال ما ورد في الحجة السابقة، أن عدم توفر الأمن والاستقرار كان أهم ما يعانيه المجتمع آنذاك، وهذا بدوره أدى إلى إجبار بعض العائلات على الانتقال من مسكنهم إلى مكان آخر والمعروف بالجلوة[61]؛ ولكن تشكيل الدولة العثمانية للواء الكرك[62]وضع حدا لتعديات بعض القبائل وقطاع الطرق على أهالي القرى والمسافرين؛ مما أسهم في تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة.

وفي حجة أخرى حضر إلى المحكمة الشرعية كل من أحمد بن علي بن حسين كريشان وعيسى بن محمد بن علي، ومحمد بن مرعي بن حسن، وإبراهيم بن عيد بن حسن كريشان، وحسن بن علي بن مرعي، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن مرعي، وسليمان بن محمد بن عيد بن حسن كريشان، وحسن بن محمد بن محمد بن مرعي، وأقاموا دعوى على الأخوين الحاج خليل بن الحاج محمد بن محمد الواد وعلي بن الحاج علي بن الحاج محمد الداوود الحاضرين بالمجلس، وجميعهم من أهالي قصبة معان الحجازية، بأنهم اعتدوا على قطعة أرض خالية من البناء في منطقة الكف ضمن قضبة معان، علماً بأن المدعين كانوا يضعون فيها منذ قديم الزمان أغلالهم، وأن المدعى عليهم منذ ست سنوات اغتصبوا هذه الأرض وبنوا عليها، وقد قدمنا شكوى ضدهم إلى المتصرفية[63] أمرنامة (قرار)، بإعادة هذه الأرض إلينا، لكنهم عرضوا علينا مقابلها ثلاثين ريالاً مجيدياً فرفضنا ذلك، والآن نطالب برفع البناء عن تلك الأرض وإعادتها إلينا فارغة، وعندما سئل المدعي عليهم حول دعوى المدعين، ذكروا بأنهم واضعو اليد على تلك الأرض لأنهم تملكوها من قبل بلدية قضاء معان[64] سنة 1310هـ/1892م "لأنها من فضلة الطرقات العائدة إلى البلدية بمبلغ ثلاثين ريالاً مجيدياً" وبالتالي هي ملكنا وقد قمنا ببناء ثلاثة بيوت عظم عليها مشتملة على مساكن ومنافع شرعية. وبعد الاستماع إلى شهادة الشهود وحلفان اليمين، تم إصدار حكم القاضي ببطلان دعوى المدعين"[65].

وتوضح الحجة أيضا أنه وفي حال فشل صاحب الحق في الحصول على حقه بملكية الأرض، كان يلجأ إلى المحكمة الشرعية وإلى المتصرفية.

وتظهر الحجج الشرعية التي بين أيدينا خلافا من نوع آخر حول ملكية بعض المواشي، إذ ادعى ثلجي بن حسين بن حسن الخوالدة من أهالي قصبة ضانا التابعة لقضاء الطفيلة، على

اسحيمان بن سلامة من عشيرة الحويطات التابعة لقضاء معان، بأنه أخذ من غنمه بالقوة ستاً وستين رأساً، وعشرين رأس ماعز، ولدى سؤال المدعى عليه ذكر وحلف يميناً بأنه لم يأخذ من أغنام المدعي عليه إلا تسعاً وأربعين نعجة وعشرين رأس ماعز هي التي أخذها المدعي من قرية الجربة، وبقي له بذمتي تسع عشرة نعجة، أثنتان منهما أكلهما الذئب، وواحدة ذبحها، وعندما عجز المدعي عن إحضار الشهود وبينة على دعواه، قرر القاضي إلزام المدعي عليه اسحيمان بتسليم التسع عشرة عنزاً الباقية من مواشي المدعى عليه[66].

ويتبين من خلال الحجج الشرعية أن الأوضاع الاقتصادية السيئة للسكان ولجوءهم إلى الدين في بعض الأحيان لشراء احتياجاتهم، كان سببا في نشوء الخلافات والصراعات مع التجار المرابين، ويتم حله عن طريق المحاكم. ومن الأمثلة التي وردت في السجل، الدعوى التي أقامها علي بن محمد الشامي المقيم[67] "دكنجي" بمعان على السيد محمد قرجلي أحد أفراد الزاندرمة[68] البلوك الثالث من طابور الكرك ولاية سوريا بأنه يستحق من محمد مبلغ وقدره ست ماية وخمس وخمسون قرشاً ثمن بضاعة متنوعة كان اشتراها منه. وعندما سئل المدّعى عليه ذكر بأنه عليه للمدعي مبلغ أربعمائة وخمسة وعشرين قرشاً فقط وحلف اليمين على ذلك. لذلك قرر القاضي دفع ذلك المبلغ للمدعي[69].

وفي حجة أخرى أدعى خلف الخطيب وسالم بن سليمان جديع، وحسين بن سليم الرواشدة وسلامة بن موسى، وجميعهم من أهالي قرية الشوبك، على مدير ناحية الشوبك السيد علي أفندي، بأن لهم بذمته أربعة عشر ريالاً مجيديّاً وثلاثة أرباع المجيدي، ثمن شعير وسمنة، وطحين، وماعز[70].

ومن القضايا الأخرى التي أثارها السجل الشرعي: السرقة، وهذا يتضح من خلال الدعوى التي أقامها عبد الكريم بن سيف العبيد من أهالي الكرك، على السيد محمد بن علي الرفايعة من قضاء معان، بأنه فقد بقرته الصفراء منذ ثمانية أشهر عند خروجها من بيته لأجل ورودها على النهر هي ورأسا بقر آخرين، وبعد البحث وجدها لدى المدعى عليه، فطلب منه تسليمها لكنه رفض. وعندما سئل المدعى عليه، ذكر بأنه اشترى هذه البقرة من سلامة بن أحمد الشوبكي بقصبة الطفيلة مقابل خمسة عشر ريالاً مجيديّاً من مدة ثمانية شهور تقريباً، وأنكر دعوى المدعي، وبعد أن أحضر المدعى شهوده، أنكر المدّعى عليه هؤلاء الشهود بأنه لا يعرفهم فتم تزكية الشهود السرية[71]. وفي النهاية قرر القاضي إعادة البقرة إلى صاحبها السيد عبد الكريم، وإعادة الخمسة عشر ريالاً مجيديّاً إلى السيد سلامة بن أحمد الهبابة"[72].

ويشير السجل الشرعي إلى قضية الثأر التي ما زالت موجودة إلى يومنا هذا، وقد عزز وجودها غياب قوانين ضابطة تنظم الحياة العامة آنذاك؛ وغياب الأمن والاستقرار نتيجة ضعف سلطة الدولة العثمانية، ويبدو ذلك من خلال الدعوى التي أقامها سليمان بن سلامة الطورة الوكيل الشرعي لسالم بن عودة الطورة من أهالي قرية الشوبك التابعة لقضاء معان، على ضمرة بنت سالم بن سليمان جديع الطورة، "أنه منذ ست عشرة سنة، كان سليمان جد المدعى عليها قتل رجلاً من عشيرة الرشايدة فأخذ بثأره العشيرة المذكورة فقتلوا والد موكلي. ثم حصل صلح بين العشيرتين على أن يدفع كل قاتل لورثة المقتول الدية الشرعية[73]. وتعهد جد المدعى عليها بدفعها لموكلي الدية عن أبيه المقتول. بنت وهي هذه المدعى عليها من طرف والدها وقبول من طرف وليها موكلي وهو عمها سلامة الطورة، كما دفع أيضاً ألف قرش، وخمسة فرادي قمح وخمسة فرادي شعير، وعشرة رؤوس ماعز وبارودة، وقطعة أرض وشجرتي تين، ونصف دار في قرية الشوبك[74].

يلاحظ مما أورده السجل الشرعي عن النزاعات التي حدثت بين السكان، أنها لم تكن محصورة بين أهالي قضاء معان فقط، بل بين مختلف الأقضية التابعة للواء الكرك آنذاك، مما يظهر وجود نشاط وتبادل اقتصادي واجتماعي بين أفراد المجتمع.

**و- حركة البيع والشراء:**

من المظاهر الاجتماعية والاقتصادية النشطة في المجتمع المعاني كذلك حركة البيع والشراء، إذ يلاحظ بأن من كان يبيع أو يشتري لا بد له أن يوثق ذلك في المحكمة. وشملت حجج البيع والشراء رجالاً ونساءً من سكان المنطقة، ففي حجة وردت في السجل باع عبد الله بن عبيد من أهالي قصبة معان ربع البستان الذي يملكه، والذي هو في قصبة معان في الجهة الغربية من سرايا الحكومة، إلى الحجة وردي بنت عبد الله أبو هندية من أهالي القصبة، والغائبة عن المجلس، بمبلغ قدره اثنا عشر ريالاً مجيديًا بيعاً باتاً"[75].

واشترى السيد محمد بن حامد بن هارون الخطيب بن ذياب بن الحاج محمد بن عبد الكريم الخطيب، وكلاهما من قصبة معان، الدار الكائنة في القصبة بمبلغ قدره ماية وخمسة عشر ريالاً مجيديًا[76] كما باع الشيخ عبد النبي النسعة رئيس بلدية قضاء معان عرصة[77] أرض في قصبة معان بمبلغ خمسة وتسعين قرشاً إلى السيد رفقي أفندي أحد موظفي دائرة تلغراف معان[78].

وفي حجة أخرى باع إبراهيم بن محمد الصياح من أهالي قصبة معان لابنه هويميل الصياح بستان تين وزيتون ورمان ودراق بمبلغ قدره ألفا قرشاً مقبوضة بيد البائع، واشترط في حجة البيع "ما عدا أربعاً وعشرين عرق رمان معلومة في البستان، المذكور، فإنها مخصوصة لبناته مريم وبكرة ودلال وريا"[79].

واشترى إبراهيم ومفلح ابنا عصري بن محمد أبو عودة من أهالي قصبة معان من جدتهما لأبيهما، كل ما هو ملك لها ومنتقل إليها بالإرث من ولدها عصري والد المشتريين وزوجها محمد جد المشتريين جميع ما خصها في منطقة الحسينية من أرض وماء والمشتملة على شجر رمان وتين ودراق وفواكه منوعة وكذلك الدار الموجودة هناك[80].

ووكلت مريم بنت المرحوم إبراهيم أفندي بن عبد الله القرملي من أهالي مدينة دمشق والمقيمة بقصبة معان الحجازية، زوجها نجاتي أفندي بن إسماعيل الأسبارطي، وكالة عامة مطلقة في بيع وفراغ بيتها المكون من غرفتين فوقاني وغرفتين وإيوان ومطبخ تحتاني [81].

كما باع الحاج محمد بن عبد الله بن محمد أبو فانوس جرار من أهالي قصبة معان الحجازية، لابنه الصغير إدريس جميع ما يملك ضمن القصبة المكون "من بيت وحوش سفلي وعلية وسطح علوي، وبستان مشتمل على غراس نخل وتين ورمان ودراق"[82].

يلاحظ وجود حركة بيع وشراء نشطة في قصبة معان، اشترك فيها الرجال والنساء على السواء، وكانت حجة العقار المباع أو البستان تحدد بشكل دقيق جداً، لضمان صدقها وصحتها.

## ي- التركات:

تعتبر قضايا التركات وحصرها من القضايا المهمة التي أوردها السجل الشرعي، وخصوصا تركات من لا وارث لهم، وهذا يظهر عندما توفي أحد اللحامين في قصبة معان، ولم يكن هناك من يرثه فوضع بيت المال يده على التركة. وتبين لنا حجة شرعية ذلك؛ فقد أقام السيد عيسى بن محمد سليمان من أهالي قصبة معان دعوة بأن له بذمة المتوفى محمد موسى أبو سليم اللحام مبلغ تسعة وعشرين مجيدية وثلاث أرباع المجيدية ثمن "أشجار البستان الذي استأجره مني بثلاثين ريالا مجيديّاً دفع منها ربع ريال وبقي بذمته بقية المبلغ، وبما أنه توفي ولا وارث له، لذلك أطالب واضع يده على تركته من جهة بيت المال"مدير مال قضاء معان رفعتلو إبراهيم أفندي، دفع ذلك المبلغ لي". وقد طلب القاضي من المدعي بينة وإثباتاً على حجة دعواه، فأحضر شهوداً وتمت تزكيتهم سراً. وبعد حلف يمين الاستظهار الشرعي[83]، حكم له بصحة دعواه[84].

كما ادعى عودة الذيب من عشيرة العمايرة (الحويطات)، بأن له أمانة عند اللحام عبارة عن 58 رطلاً شامياً من السمن، وبعد الاستماع إلى الشهود قرر القاضي تسليم ذلك السمن له[85].

وادعى كذلك سليم بن فرج الطويل بأن له بذمة اللحام خمساً وأربعين مدّ حنطة وخمسًا وأربعين خشبة وعشرين مد شعير، وأربعاً وثلاثين صاع قمح[86]، كما ادعى الشيخ علي بن حسين بن علي الكراشين بأن له بذمة اللحام كذلك سبع ريالات مجيدي باقي أجرة بيت أستأجره اللحام

منه منذ ثلاث سنوات[87]. وادعى سلامة بن علي بن حسين أبو هلال بأن له بذمة اللحام المتوفى ثمن حمار اشتراه منه بمبلغ سبع مجيديات[88].

**طريق الحج الشامي:**

حظي شرقي الأردن من الشمال إلى الجنوب باهتمام كبير من قبل الدولة العثمانية لمرور قافلة الحج الشامي في أراضيها، لما تمثله من مصدر اقتصادي خصب لها، وقد عملت الدولة أقصى ما بوسعها لتأمين سلامة الحجاج ؛ وذلك من خلال استرضاء البدو وضمان عدم تعرضهم لقوافل الحجاج، وذلك بدفع المرتبات والأعطيات السنوية لهم ولذرياتهم من بعدهم. ومما يوضح ذلك حضور سالم بن علي بن رشيد من عشيرة بني عطية فرقة العقيلات إلى محكمة معان الشرعية وإفراغ جميع أردب الشعير في الجردة إلى الحاضر معه خليل أفندي الشراري وقدره عشرون ريالاً مجيدياً[89].

كما حضر لمحكمة معان كذلك عرسان بن ذياب من عرب الحويطات وأقر إلى الحاضر معه خليل أفندي بن محمد الشلبي في قبض أربعين قرشاً المرتبات له مع اسم إسماعيل من موظفات طلعت الحج الشريف[90].

وهكذا نلاحظ أن الدولة العثمانية خصصت للقبائل التي كانت تقطن على طول طريق الحج الشامي، الأعطيات والهبات السنوية، والتي كانت قيمتها تختلف من شخص لآخر نظراً لمكانته ونفوذه.

**الخاتمة:**

ظهر من خلال الدراسة أن من أهم المظاهر الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تهم المجتمع هي الزواج، والطلاق، والبيع والشراء وظهر من عقود الزواج وحجج الطلاق أن الزواج كان يتم في سن مبكرة، وبخاصة للزوجة وكانت المهور تدفع نقداً، وبعضها الآخر عينيّاً، وربما ذلك لعدم توفر المال اللازم لدفعها نقداً. كما امتاز الزواج بأنه كان تقليدياً، فغالباً لم يكن يؤخذ برأي الفتاة.

ولوحظ من خلال الدراسة أن أهالي قصبة معان والقرى التابعة لها تزوجوا من خارج حدودها، إذ بينت الدراسة وجود علاقات مصاهرة ربطت بين أهالي قضاء معان، وقضاء الطفيلة، وقضاء الخليل في فلسطين.

وخلصت الدراسة إلى بيان بعض أسباب الطلاق في المجتمع آنذاك، وأهمها: مرض الزوج وعدم قدرته على معاشرة زوجته، وضرب الزوج لزوجته، ورفض الزوجة الذهاب إلى مكان إقامة زوجها (النشوز). وكان أكثر أنواعه انتشارا المخالعة.

وأبانت الدراسة عن وجود بعض المشكلات التي عانى منها المجتمع كالخلاف حول ملكية الأراضي، أو المواشي، أو الدّين.

وخلصت الدراسة إلى وجود حركة بيع وشراء نشطة، شملت رجالاً ونساء في المنطقة. كما ظهر كذلك أن عدم توفر الأمن والاستقرار وخاصة قبل إنشاء لواء الكرك، كان من الأسباب التي أدت إلى حدوث النزاعات والخلافات وبالتالي تعدي أحد على ملكية الآخر. ويبين الجدول التالي حالات الزواج الطلاق والخلع، والنشوز، والتركات، والحضانة، والبيع والشراء.

**جدول رقم (1):** الأحوال الاجتماعية في متصرفية معان خلال فترة الدراسة.

| الزواج | الطلاق | الخلع | النشوز | التركات | الحضانة/الوصاية | البيع والشراء |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 9 | 15 | 13 | 4 | 13 | 4 | 34 |

# Aspects of Social and Economic Life in the Mutsarfiah of Ma'an During Late Nineteenth Century and Early Twentieth Century

## Ma'an Sharea Court Records 1316-1326H. / 1898-1908 AC. Source

**hanan S. Malkawi and Eman Hayajneh,** *History Department, The University of Jordan, Amman, Jordan.*
**Saffieh Salamin** and **Reham Amr,** *Researcher.*

**Abstract**

This research aims to study some social aspects such as marriage, divorce, inheritance, and economic activities such as buying and selling in Ma'an in the late nineteenth century and early twentieth century through Sharea court records, which cover the period (1316-1326H./1898-1908AC.). Moreover, this study highlights some of the disputes and conflicts that arose among a limited segment of the population, such as inheritance lawsuits, and disputes of the expropriation of some land or livestock. On the other hand, this research seeks to clarify the part of the economic life of Ma'an such as usury practiced by some merchants.

## الهوامش

(1) سالنامة ولاية سوريا 1286هـ/1869م، دفعة 2، ص110.

(2) سالنامة ولاية سوريا 1301هـ/1883م، دفعة 16، ص189.

(3) حسين حلمي باشا: من أبرز الشخصيات الإدارية في الدولة العثمانية، تولى عدة مناصب إدارية أبرزها رئيس لديوان ولاية سورية، ومتصرفاً للواء الكرك خلال الفترة (1893-1896)، ثم أصبح صدراً، أعظم سنة 1909م. للمزيد انظر مذكرات عودة القسوس، نسخة مصورة لدى الباحث صورت من مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية، ص40-51، وسيشار له فيما بعد القسوس: مذكرات.

(4) سالنامة ولاية سوريا 1310 هـ/ 1892م، ص239.

(5) نوفان الحمود، عمان وجوارها خلال الفترة 1281هـ/1864م-1340هـ/1921م، ط1، عمان، 1996، ص93-94، محمد سالم الطراونه، تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك، عمان، 1992، ص75-78؛ محمد سالم الطروانة: الحياة الاجتماعية في لواء الكرك 1311-1337هـ/1893-1918م، جامعة مؤتة، 2010، ص14-17؛ سليمان موسى: إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن 1921-1946، عمان، ط1، 1990، ص14؛ رؤوف أبو جابر: تاريخ شرقي الأردن واقتصاده خلال القرن التاسع عشر ومنتصف العشرين، ط، 2009، ص24-25، وسيشار له أبو جابر تاريخ شرقي الأردن.

(6) القسوس: مذكرات، ص10-13؛ الطراونة: الحياة الاجتماعية، ص126-7.

(7) مجلة المقتطف، م31، ج2، 1906م، ص176، الطراونة: الحياة الاجتماعية، ص21.

(8) المقتبس، ع559، ص1، الطراونة: الحياة الاجتماعية، ص22.

(9) رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ترجمة أنور عرفات، ج2، المطبعة الأردنية، 1969م، ص46؛ أبو جابر: تاريخ شرقي الأردن، ص30-38، ص45.

(10) الخوة: هي ضريبة دفعها أهل القرى إلى القبائل القوية نظير حمايتهم من الاعتداءات وكانت غالباً أما حبوباً أو مواشي. للمزيد انظر: روكس بن زائد العزيزي، قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية، ج1، عمان، 1974، ص276 وسيشار له العزيزي: قاموس العادات، بيركهارت: رحلات في سوريا الجنوبية، ص46-47.

(11) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم1، ص9، 1316هـ/1898م، ص87، حجة رقم 47، 1320هـ/1902م، ص55، حجة رقم 75، 1318هـ/ وغيرها الكثير.

(12) أبو الشعر، هند غسان، قصبة معان في مطلع عهد إمارة شرقي الأردن سجل مقررات بلدية معان مصدراً (1929 – 1931م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م4، ع، 2، 2010م، عمان، ص64.

(13) سالنامة 1310 هـ/ 1892م، ص239؛ وانظر: أبو الشعر، قصبة معان، ص 65,

(14) أبو الشعر، قصبة معان، ص 65.

(15) المرجع نفسه، ص65.

(16) مجلة الأحكام العدلية، فقه المعاملات في المذهب الحنفي ومعها قرار حقوق العائلة في النكاح المدني والطلاق ـ الافتراق، ط1، 2004م، بيروت، ص19، ص523.

(17) مجلة الأحكام العدلية، ص519.

(18) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم 28، ص26، 1316هـ/1898م.

(19) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 45، ص34، 1318هـ/1900م.

(20) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم11، ص60، 1319هـ/1901م.

(21) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم4، ص679، 1319هـ/1901م.

(22) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 15، ص63، 1319هـ/1901م.

(23) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 18، ص17، 1316هـ/1898م.

(24) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 60، ص45، 1319هـ/1901م.

(25) مجلة الأحكام العدلية، ص 531.

(26) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 54، ص91، 1320هـ/1902م.

(27) عليان عبد الفتاح الجالوي "قضاء عجلون 1864-1918م، عمان، 1994، ص501، وسيشار له فيما بعد الجالودي: قضاء عجلون.

(28) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم، ص69، 1320هـ/1902م، ويذكر أن خضرة عادت إلى المحكمة بعد سنة وتم فسخ نكاحها من زوجها لعدم قدرته على معاشرتها. انظر السجل (1)،، حجة رقم 119، ص131، 1321هـ/1903م.

(29) محكمة الأحكام العدلية، ص536-537.

(30) سجل مجلة الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم6ن ص58، 1319هـ/1901م.

(31) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 1، ص63، 1319هـ/1901م.

(32) مجلة الأحكام العدلية، ص533.

(33) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم111، ص127، 1321هم1902م.

(34) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 117، ص130، 1321هـ/1903م.

(35) الطلاق الرجعي: إذا طلق زوج زوجته بعد الدخول بها يقع الطلاق رجعياً، وهو لا يزيل الزوجة في الحال، وللزوج حق الرجوع إلى زوجته أثناء العدة قولاً أو فعلاً. ولا يتوقف رجوعه على رضاء الزوجة، ولا يلزمه مهر جديد. للمزيد انظر مجلة الأحكام العدلية، ص535.

(36) الطلاق البائن بينونة كبرى: هو الطلاق الذي يزيل الزوجية في الحال، والطلاق البائن المذكور سواء بطلقة أو طلقتين لا يمنع تجديد النكاح/ أما بعد الثلاث طلقات فتحصل به البينونة الكبرى والتي تزول بتزويج الزوجة بعد انقضاء عدتها زوجاً آخر لا بقصد التحليل. وتحل للأول بعد افتراقها من الثاني شرط الدخول ومرور العدة. للمزيد انظر مجلة الأحكام العدلية، ص535-536.

(37) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 68، ص50، 1319هـم1901م.

(38) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 69، ص51، 1319هـ/1901م.

(39) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 31، ص29، 1317هـ/1899م.

(40) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 70، ص51، 1317هـ/1899م.

(41) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 46، ص 34، 1318هـ/1900م.

(42) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 47، ص49.

(43) الخلع هو تطليق الزوج لزوجته مقابل شيء من المال. انظر مجلة الأحكام العدلية، ص539.

(44) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 47، ص34، 1318هـ/1900م.

(45) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 10، ص10، 1316هـ/1898م.

(46) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 33، ص31، 1316هـ/1898م.

(47) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 52، ص40، 1318هـ/1900م.

(48) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 69، ص101، 1320هـ/1902م.

(49) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 71، ص102، 1320هـ/1902م.

(50) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 93، ص 117، 1321هـ/1903

(51) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 100، ص121، 1321هـ/1903م.

(52) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 21، ص66، 1316هـ/1898م.

(53) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 36، ص80، 1320هـ/1902م.

(54) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 20، ص 18، 1316هـ/1898م.

(55) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 52، ص39، 1318هـ/1900م

(56) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم 8، ص59-60، 1319هـ/1901م.

(57) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم 19، ص، 1316هـ/1898م.

(58) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم 72، ص102، 1320هـ/192م.

(59) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم 68، ص100-101|،| 1319هـ/1901م.

*البينة: يتضح من المادة 76 من أحكام المجلة بأن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، والبينة قد تكون سندات أو شهوداً، ويشترط في الشاهد أن يكون عدلاً وأمينا وصادقاً ويتمتع بسمعة حسنة. للمزيد انظر سليم رستم باز: شرح المجلة، 2ج، بيروت، د.ت، ج1، ص51، م2، 1041.

(60) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 18، ص65، 1320هـ،1902م.

(61) الجلوة: هي إجلاء أفراد من عائلة واحدة يرتبطون بدرجة القرابة من الجد الخامس، عن منازلهم ومنطقة سكنهم في حدود اللواء إلى مكان آخر نتيجة حدوث جريمة قتل بين عشيرتين ولا يعودون إلى منطقتهم إلا بعد إجراء صلح عشائري بين طرفي المشكلة وتطبق الجلوة في قضايا جرائم القتل العمد أو جرائم هتك العرض، لذلك عندما تقع هذه الجرائم يلزم أهل المعتدي أن يرحلوا إلى منطقة أخرى درءاً لحقن الدماء، للمزيد انظر جريدة الدستور، 16 يوليو 2009، (الجلوة العشائرية)، الشيخ كامل حيدر أبو عرابي العدوان، وانظر كذلك .www.ammonnews.net/artic.aspxno.45339

(62) لواء الكرك: تم إنشاء هذا اللواء سنة 1894، وتألف من أُقضية السلط، والطفيلة ومعان، إضافة إلى قصبة الكرك، وكان حسين حلمي أول متصرف للواء الكرك. للمزيد انظر الطراونة: تاريخ منطقة البلقاء ص14-15.

(63) متصرفية معان: أصدر السلطان العثماني في أوامره بإنشاء متصرفية معان سنة 1892م، وتكونت من قضائي الطفيلة والكرك وناحية الثمد، ثم نقل مركز المتصرفية إلى الكرك سنة 1894م. انظر الحمود: عمان وجوارها، ص93-94، الطراونة: تاريخ منطقة البلقاء ومعان، ص75؛ والحياة الاجتماعية في لواء الكرك، ص14.

(64) بلدية معان: صدر قانون إنشاء المجالس البلدية في 1867م، وقد تم إنشاء مجالس بلدية في مركز لواء الكرك وكذلك معان والسلط والطفيلة. للمزيد انظر الدستور، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، 2ج، بيروت، 1883م، ج1، ص418-438.

(65) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 26، ص23-24، 1316هـ/1898م.

(66) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 29، ص94، 1316هـ/1898م.

(67) الشامي: من العناصر الوافدة إلى المنطقة من أجل العمل وخاصة في المجال الاقتصادي مما أسهم في تنشيط الحركة التجارية في المنطقة وازدهارها، للمزيد انظر سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان/ سجل1، حجة رقم، ج2، ص3، 1317هـ/1899م. وحجة رقم 3، ص40، 1318هـ/1900م.

(68) الزاندرمة: هي صنف من أصناف قوات الأمن وظيفتها المحافظة على الأمن داخل حدود المدن والقصبات وكذلك مراقبة الحدود، وكان يقيم في لواء الكرك طابور الزاندرقة السادس الذي قسم إلى خمسة بلوكات، للمزيد انظر عبد العزيز عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1944م،

مصر، 1969، ص159؛ سجل قيد الوثائق الشرعية، محكمة معان، سجل1، حجة2، ص157، 1320هـ/1902م.

(69) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 54، ص40، 1318هـ/1900م.

(70) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 35، ص80، 1320هـ/1903م.

(71) تزكية الشهود: إذ طعن المدعى عليه بعدالة الشهود فعلى القاضي أن يتحقق من أمانتهم عن طريق تزكيتهم سراً وعلناً وتعرف (الرقعة المستورة)، ويقوم القاضي بتمرير ورقة مكتوب عليها اسم المدعي والمدعى عليه وأسماء الشهود وشهرتهم ويضعها في ظرف مختوم وترسل إلى من يتم تعيينهم للتزكية وغالباً ما يكونون من أهالي المنطقة المعروفين كالمختار ومعروفين بالصدق والأمانة، للمزيد مجلة الأحكام العدلية، ص461-462 (الفصل السادس في تزكية الشهود) انظر شرح المجلة، ج2، ص1067.

(72) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 57، ص41، 1318هـ/1901م.

(73) الدية: عندما يحدث قتل بين عشيرتين ولا يستطيع المرء الأخذ بثأره، فيطلب الدية حسب الشريعة الإسلامية. والدِّية تسمى (حدّة) و(عُقلة)، لأنها تمنع الدماء أن تسفك. وتكون الدية بين القبائل البدوية عبارة عن مواشٍ وأغنام، وأحياناً تكون الفتاة جزءاً مِن الدية عن القتيل. للمزيد انظر الأرشمندريت بولس نعمان: خمسة أعوام في شرقي الأردن أبحاث أخلاقية، أدبية، قضائية دينية، وزارة الثقافة، 2011م، ص113-114. و سيشار له لاحقاً نعمان : خمسة أعوام .

(74) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم، ص98-100.

(75) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 37، ص80، 1310هـ/1902م.

(76) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 61، ص65، 1320هـ/1902م.

(77) العرصة.: هي الأرض الخالية من البناء وتكون بين حدود العمران، وغالباً ما تكون خلف الدار. للمزيد انظر الدستور، 2ج، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، بيروت، 1883، ج1، ص14-5، دعيبس المر: أحكام الأراضي المنفصلة عن الدولة العثمانية، 1923، ص10.

(78) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، حجة رقم 92، ص117، 1321هـ/1903م.

(79) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 90، ص 116، 1321هـ/1903م.

(80) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 108، ص125، 1321هـ/1903م.

(81) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 114، ص129، 1321هـ/1903م.

(82) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 117، 130، 1323هـ/1903م.

(83) الاستظهار الشرعي: يكون في الدعوى على ميت أو غائب، فمن لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فيطلب القاضي من المدعي اليمين حتى ولو كانت بينة مكتملة، وتعرف (بيمين القضاء) و(اليمين المتممة) كما تسمى بيمين الاستظهار، لأن البينة شهدت لظاهر الأمر فيستظهر بيمين الطالب على باطن الأمر. فقد جاء في أحكام المجلة الحالات التي يطلب فيها يمين الاستظهار، ومنها إذا أدعى أحد على تركة متوفّى بأن له حقاً فيها وأثبت ذلك فيحلفه القاضي بأنه لم يستوف هذا الحق لنفسه ولا لغيره من الميت. للمزيد انظر شرح المجلة، ج2، ص1099-1100.

(84) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 76، ص104، 1320هـ/1902م.

(85) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 77، ص104، 1320هـ/1902م.

(86) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 78، ص105، 1320هـ/1902م.

(87) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 79، ص105، 1320هـ/1902م.

(88) سجل قيد الوثائق، الشرعية/ محكمة معان، سجل 1، حجة رقم 81، ص107، 1320هـ/1902م.

(89) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، 1321هـ/1903، ص135.

(90) سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1، 1319هـ/1901، ص55. وانظر للمزيد كذلك السجل، ص97، ص108، ص6-7.

**قائمة المصادر والمراجع:**

*** السجلات**

- سجل قيد الوثائق الشرعية/ محكمة معان، سجل1ج، 1316-1326هـ/1896-1908م.

*** المذكرات**

- مذكرات عودة القسوس، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية.

*** المصادر**

- الدستور: ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، 2ج، بيروت، 1883م.
- السالنامات العثمانية:
- سالنامة ولاية سوريا 1286هـ/1869م، دفعة 2.
- سالنامة ولاية سوريا 1301هـ/1883م، دفعة 16.
- سالنامة ولاية سوريا 1310 هـ/ 1892م.
- مجلة الأحكام العدلية، فقه المعاملات في المذهب الحنفي ومعها قرار حقوق العائلة في النكاح المدني والطلاق ـ الافتراق، ط1، بيروت، 2004م.

**المراجع:**

باز، سليم رستم: **شرح المجلة**، 2ج، بيروت، د.ت.

أبو جابر، رؤوف: **تاريخ شرقي الأردن واقتصاده خلال القرن التاسع عشر ومنتصف العشرين**، ط1، 2009م.

الجالودي، عليان عبد الفتاح: **قضاء عجلون 1864-1918م**، عمان، 1994م.

الحمود، نوفان: **عمان، وجوارها خلال الفترة 1281هـ/1864م-1340هـ/1921م**.

**رحلات بيركهارت في سورية الجنوبية**، ترجمة أنور عرفات، ج2، المطبعة الأردنية، 1969م.

الطراونة، محمد سالم: **الحياة الاجتماعية في لواء الكرك 1317-1337هـ/1893-1918م**، جامعة مؤته، 2010م.

الطراونة، محمد سالم: **تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك**، عمان، 1992م.

عوض، عبد العزيز: **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، مصر، 1969م**.

المر، دعيبس: **أحكام الأراضي المنفصلة عن الدولة العثمانية**، 1923م.

موسى، سليمان: **إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن 1921-1946م**، ط1، عمان، 1990م.

نعمان، الأرشمند ريت بولس: **خمسة أعوام في شرقي الأردن (أبحاث أخلاقية، أدبية، قضائية، دينية)**، وزارة الثقافة، عمان، 2011م.

*** الجرائد**

- **جريدة الدستور**، عمان، الأردن، 2009.
- **جريدة المقتبس**، دمشق.

*** الدوريات:**

أبو الشعر، هند غسان، قصبة معان في مطلع عهد إمارة شرقي الأردن سجل مقررات بلدية معان مصدراً (1929 – 1931م)، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، م4، ع، 2، عمان، 2010م.

**مجلة المقتطف**، م31، ج 2، 1906م.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 561- 591

# تفاعلية الإنشاد والاستماع في تلقي الشعر العربي القديم

سعيد حسون حسين*

تاريخ الاستلام 2017/3/19 تاريخ القبول 2017/8/8

## ملخص

إن هذا البحث يتناول محورين أساسيين، أحدهما محور نظري يرصد تفاعلية الإنشاد والاستماع في استقبال القصيدة العربية القديمة، وما يتصل بها من مفاهيم ومصطلحات، والآخر إجرائي تطبيقي يحاول تأمل صورة إنشاد الحارث بن حلزة اليشكري لمعلقته التي اشتهرت بحسن إنشادها، ذلك بغية الكشف عن مكونات الإنشاد فيها وتمثيلاتها اللغوية، التي أسهمت في رسم صورة ناجحة لإنشاد القصيدة. وقد اعتمدت الدراسة منهجاً يجمع بين المنظورين الوصفي التحليلي والتطبيقي الإجرائي، ويقوم على استقراء صور الإنشاد القديمة، إذ وجد الباحث أن الإنشاد كان له تأثير كبير في بناء النص القديم، وتشكيل ذخيرته الفنية لتحقيق غايات الإنشاد والتأثير في السامعين، وتوصيل الرسائل الشعرية إليهم.

**الكلمات المفتاحية**: تفاعلية الإنشاد، تلقي الشعر.

## المقدمة

يعود الاحتفاء بإنشاد الشعر، وما يتصل به المتلقي "السامع والقارئ" في النقد العربي القديم إلى مراحل سحيقة، تمتد إلى أولية الشعر وسبل تذوقه، أو ما يعرف بالنقد الشفهي عند العرب، بوصفه منحى نقدياً للأشعار التي تلقى في الأماكن العامة والخاصة في جزيرة العرب وما يجاورها من الحواضر، وعلى وجه الخصوص تلك التي شهدت احتضان الأسواق الأدبية، التي كانت موئل اهتمامهم وشغفهم بالشعر والخطابة منذ العصر الجاهلي.

وفي هذا السياق كان لجمهور الشعر وسامعيه في الجاهلية أسواق أدبية يتبارى فيها الشعراء، وقد أدى هذا إلى "إذكاء روح المنافسة بينهم ونتيجة طبيعية لروح المنافسة كانت الجودة والإتقان والنظر الطويل في القصيدة"[(1)]. وليس بعيداً عن هذا أن يشيع في موروثنا النقدي مصطلح الاستماع أو السّماعية، وما جاءنا من وصف موجز للمحاكمة التي جرت بين

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* كلية اللغات، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

علقمة الفحل وامرئ القيس. وما جلوس النابغة الذبياني للحكم بين الشاعرين، إلا نوع من أنواع السماعية أو القراءة الشفاهية للنص الشعري العربي، وفي تحليل النص، وملء فراغاته من خلال معايير معرفية قد تكون فطرية. وإذا انتقلنا إلى ميدان التأليف المنهجي للرسائل والكتب العلمية نجد أن مصطلحات السماع أو الشفهية في الاستقبال قد بدأ النقاد العرب القدماء يطلقونها على قراء الشعر والسامعين للدلالة على عملية التلقي الشفهي، ومن هذا المنطلق أتت فكرة هذا البحث التي تهدف إلى متابعة تفاعلية الاستماع وإنشاد الشعر العربي القديم وملامح صورها كما كانت تحدث. ويكشف الاستقراء الأولي أن هذا الموروث يشير إلى احتفاء كبير بالسماعية أو الإنشاد المتفاعل بين المنشد والشاعر.

واشتمل البحث على ثلاثة محاور، اهتم **الأول** بالحديث عن مفهومي الاستماع والتفاعلية في إنشاد الشعر وما شهده المفهومان عندما أصبحا مصطلحين لهما مناهجهما واتجاهاتهما في القراءة والتلقي، وتناول **الثاني** تأصيلاً لبعض ملامح تفاعلية الإنشاد وذخيرته في القصيدة العربية، أما **المحور الثالث** فحاول استقراء بعض النصوص الشعرية القديمة وتأمل بعض من صور إنشادها.

**الإنشاد وبناء القصيدة**

كان الشعر فناً شفهياً يلقى لتتلقاه الأسماع، ولذلك فهو يمتلك وسيلتين مدمجتين للتفاعل، الأولى "ذخيرة أو بنية نصية"، تكون مهمتها توصيلية بحثاً عن مغزى أو معنى يشد السامع ويجذبه للحوار معه، وهذا افتراض حتمي أيدته شواهد وروايات كثيرة[2]. والثانية تتضمن سياقا أو ألحانا إنشاديه تحقق استجابة فائقة للنص. لقد كان خط سير القصيدة كما وثقه أحد الباحثين المحدثين يتم على الشكل الآتي:"شفة ← **أذن**"، ثم انتقل بفعل عوامل التدوين والطباعة إلى الشكل الآتي: "يد ← عين"[3]. وهذا يعني أن المزاوجة بين شكل الاتصال الخارجي وبين بنية التوصيل الداخلية قد خلقت على نحو كبير وعياً حضارياً يستجيب كل منهما لحاسة السمع أو البصر في تلقي النص الشعري في أدبنا العربي القديم. وليس من شك أن الإنشاد أو الاستقبال السماعي له أثره في بناء القصيدة الداخلي، إذ كان تعبيراً في المقام الأول عن ضرورات عملية الإنشاد، ولهذا مال بعض الدارسين إلى وصف الشعر الجاهلي بأنه شعر مسموع، وهذا ما سوغ عندهم أيضاً "وجود صور سمعية كثيرة فيه قبل أن توجد الصورة البصرية التي تعتمد اللون، أو التراكيب، أو الشكل، أو الهيئة"[4]. وقد وهم بعضهم عندما ظن أن طبيعة الاستقبال القائمة على الإنشاد أو الشفهية السمعية قد شكلت"آفة خارجية فرضت تقاليدها على القصيدة العربية، فسقطت كل مزايا العين"[5]. ونعتقد أن هذا التعميم ليس مانعاً، لأن الإنشاد كان مهماً في سياقه وإلى اليوم؛ نظراً لتأثيراته الملموسة على صعيد عناية الشعراء بقصائدهم إيقاعاً وقافية، وأن

الطبيعة الشفهية وإن كانت قد افترضت تلقياً سمعياً، إلا أنها لم تمنع العبارة الشعرية في القصيدة الجاهلية من الإيحاء بالقدرة البصرية، أو أن تحمل في تضاعيفها جوانب متنوعة في تركيب الجملة الشعرية بكل ألوانها الحسية والسمعية والبصرية.

إن استعداد الشعراء لأداء متطلبات المتلقي السمعي التي هيأتها ضرورات الإنشاد يكشف لنا تأريخيا أن التفاعل السمعي- القرائي بمصطلحه الحديث، كان أثراً من آثار جمالية الإنشاد، وقد صار ذلك ملمحاً يدل على التلقي السمعي للشعر الجاهلي في نشأته الأولى، حتى بعد ذلك بقرون، إذ استأثر الإنشاد بعمليات توصيل الشعر العربي وتلقيه أو انتقاله بين العرب.

**جماليات إنشاد الشعر**

لقد كان من أثر النشأة الشفهية لتوصيل الشعر العربي القديم أن فرضت على الشاعر قوانين صارمة تحتّم عليه المزاوجة بين الخارج، وهو شكل الاتصال الشفهي السمعي، والداخل المتمثل ببنية التوصيل، كما تطلب ذلك أيضا وعياً حضارياً من الشاعر والسامع أن يعملا معاً من أجل إنجاح عملية التوصيل، وقد كانت تلك العلاقة موثقة وحميمية ولها مدخلان في التراث النقدي، الأول يتمثل بآلية التوصيل أو طبيعة الإنشاد والأداء الشفهي للشعر، فيما كان المدخل الثاني متمثلاً ببنية التفاعل بين النص (القصيدة) والسامع، وهكذا فإن إنشاد الشعر، ولا سيما من الشاعر نفسه، يعدُ أنجع وسيلة توصيل يحققها الشاعر لمستمعيه، لأن إنشاد الشاعر لشعره بنفسه يؤثر كثيراً في مستمعيه، على أن كل إنشاد للقصيدة إنما هو أداء لها وليس القصيدة ذاتها، والمؤدي في عمله هذا يقف على صعيد واحد مع أداء العازف لقطعة موسيقية[6].

وقد انتبه إلى ذلك في وقت مبكر عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، عندما رأى أن قائل الشعر ليس هو من نطق بالكلم وسمعت ألفاظ شعره من فيه، إنما "من حيث صنع في معانيها ما صنع وتوخى فيها ما توخى"[7]. وقد كشفت بعض الدراسات الحديثة أن الجانب الصوتي في الإنشاد يشكل عاملاً مهماً ومؤثراً في النسيج العام للقصيدة، ويمكن لفت الانتباه إليه بوسائل كثيرة، منها أنماط الحروف الصوتية، وأنماط الجناس، والسجع، والقافية، والإيقاع وغيرها[8]. وقد ظلت رغبة الشعراء بالعناية بالنسيج الصوتي لقصائدهم تقف في مقدمة رغباتهم في تحقيق توصيل ناجح لقصائدهم، كما ظلت الصورة المألوفة للتلقي السمعي، وما يتصل بها من تفاعل بين الشاعر ومستمعيه تحظى بالأهمية، حتى قيل إن القصيدة العربية في -العصر الحديث – قد استكملت متطلباتها بأن عاد الإنشاد "ينتعش بسبب اختراع الإذاعة ومكبرات الصوت"[9]. وهذا كما نعتقد ليس قدحاً، وإنما هو تعبير حقيقي عن صلة الشعر بالإنشاد، فالشعر العربي القديم عرف بالإنشاد، وأن عمره الذي لا يتجاوز، كما يرى العلماء، القرنين من الزمان قبل الإسلام[10]، يضارع فعلياً قدم الإنشاد ومعرفة الإنسان له.

وقد اشتهر من شعراء العرب ورواته كثيرون عرفوا بإجادتهم إنشاد أشعارهم والتأثير في سامعيهم، ومما تذكره كتب الأدب عن إنشاد الشعراء أن منهم من كان يحلق رأسه أو يرتدي أزياءً غريبة كما فعل ذلك الشاعر لبيد بن ربيعة عند إنشاده لمقطع شعري أمام النعمان بن المنذر[11]. ومما ذكره صاحب كتاب زهر الآداب من قصة إنشاد أبي السائب المخزومي لقول الخنساء[12]:

وإن صـــــخراً لمولانـــــا وســـــيدُنا وإن صـــــخراً إذا نشـــــتو لنَحَّـــــارُ
وإن صـــخراً لتـــــأتمُّ الهـــداة بـــــه كأنـــَّــــه علـــمٌ فـــي راســـه نـــــارُ

إذ يرى أن أبا السائب كان متيقنا من "أن (الخنساء) لم تكن قالت هذا إلا وهي تتبختر في مشيتها، وتنظر في عطفها"[13]. ومثل ذلك كان يفعل الأعشى، إذ يرى أنه ينظر إلى عِطفه ثم ينشد شعره"[14]. وامرؤ القيس يذكر صراحة أن النساء كن يعجبن بصوته[15]. وكعب بن زهير كان إذا ما أنشد شطراً قال لنفسه: أحسنت وجاوزت - والله - الإحسان[16]. ويبدو أن المنشدين من الشعراء كانوا يعلون في ذلك منزلة إنشادهم لشعرهم، مثلما وعاه علماء الشعر بعد ذلك عند قراءتهم أو دراستهم للأشعار، كما كان يفعل ذلك ابن قتيبة، الذي يرى أن الشعر محتاج إلى السماع[17]. لما يحققه ذلك من أثر في إيضاح المعنى، وتحديد الفروقات الدقيقة في الدلالات المنتجة.

وعلى الرغم من اعتراضات كثير من المدارس النقدية الحديثة، التي تفترض أن الإنشاد يضفي مؤثرات خارجية كثيرة على النص، شأنه شأن علامات الترقيم في الكتابة والإشارات التوضيحية، فإن الإنشاد والإلقاء المنغَّم يفوق الكتابة المقروءة تركيزاً وخصوصية، لأن إشاريته تعتمد في المقام الأول على تنغيم الكلمات وحروفها في بنية القصيدة وليس خارجها، أما المظاهر الأخرى كالترقيم فتفرض على النص طابعاً خطياً مستقيماً، وسمة تتابعية، ووجوداً مكانياً لا يملكه النطق بالكلام [18].

ومن جماليات الإنشاد في العصر الحديث نلمح أن كثيراً من الشعراء ودارسي الشعر، يعلون من أمر إنشاد الشعر وإلقائه، حتى إن بعضهم وجد أنه ما أن يلقي بعض الشعراء شعرهم حتى يفقد الجمهور انضباطه، ثم يبدأ "يهدر كهدير حريق كبير"[19]. ومن شعراء العرب المحدثين من عرف بجودة إلقائه لشعره الشاعر العربي الراحل نزار قباني، وينطبق ذلك على شعراء آخرين مثل الجواهري والسياب ودرويش وغيرهم.

ولعل ما يؤكد ذلك ما يشير إليه الشاعر نزار قباني نفسه، وهو يزكي ميزة الشعر وعلاقته بالإنشاد، إذ يقول "الشعر في الإنسان صوت، وهو في شعرنا العربي خاصة مخزون في حنجرة

الشاعر وآذان المتلقي، فالصوت إذاً قدر للقصيدة الخرساء"[20]، إن نزار قباني يشير صراحة إلى الوجه الإنشادي لإلقاء الشعر، فيراه جزءاً رئيسًا من إبداع القصيدة وولادتها، وقديماً ارتبط الشعر عند العرب بالإنشاد والغناء معا، فكانوا يرونه كما يراه الفرزدق الذي "كان يطرب للجيد منه فضل طرب، ويعجب منه فضل عجب"[21]. وقد وهم بعض المحدثين من المستشرقين الذين جعلوا صلة الشعر الجاهلي بالغناء والإنشاد دليلا على شفهية هذا الشعر وشبهه بالآداب الشعبية عند الأمم الأخرى مثل اليونان واليوغوسلاف والأغاني الشعبية القصصية البالاد[22]. وهو أمر لا يمت إلى الحقيقة بصلة، لأنه يتجاوز حقيقة الاستعمالات المجازية لمفردة الغناء ودلالتها عند العرب، التي منها الفخر بالمواقف والبطولات، أو امتلاء النفس بالإعجاب بالكلام؛ كما يراه الفرزدق، أو غير ذلك، مثلما عدوا غزلهم بصاحباتهم رثاءً وبكاءً غزليا، فالشاعر "يتغزل ليرثي نفسه، لأنه يجد في ذلك التصوير راحة نفسية"[23].

ولم يَتَوَان شعراء العرب، كما لاحظنا، عن لفت الأنظار إلى أهمية إنشاد الشعر، مؤكدين أن الشعر العربي لم يوجد ليقرأ، لأنه "مسموع أكثر منه مقروءاً"[24].

## ذخيرة الإنشاد في القصيدة العربية

عبر الشاعر الجاهلي عن رغبات واضحة تؤكد اهتمامه ببناء إيقاع كثيف في كل أشكال القصيدة وصورها، التي كانت في كل أمثلتها دالة على ذلك الاتزان الإيقاعي المتصل بذلك الانسجام النفسي الذي يتصدر بواعث الذات المبدعة الخالقة للقصيدة، وفي هذا المعنى يعتقد كمال أبو ديب أن الشاعر العربي القديم استشعر بحسه الشعري حركة الإيقاع وتغيراته على الرغم من عدم وجود نظام نظري لتشكلات هذا الإيقاع، فكان أن عبرت الفاعلية الشعرية عند العرب عن نفسها في هذا المجال أصدق تعبير، وكانت حافلة بغنى إيقاعي كبير[25]. وقد نبه نقاد العرب القدماء على هذه الحقيقة أيضاً، في إشاراتهم إلى موضوعات الفصاحة والبلاغة وجريان الطبع، وعلى استلذاذ حالات الانسجام التي تبعث الأريحية في النفس، فوجدوا أن القصيدة العربية التراثية امتلكت ذخيرة سمعية إنشاديه خلّدتها وضربت بجذورها في أعماق السامعين، وكانت تلك الذخيرة متميزة على المستوى السمعي أولاً، ثم البصري ثانياً، ويبدو أن وراء تلك الذخيرة حواضن كثيرة، لعل في مقدمتها طاقة اللغة العربية وميراثها السمعي، إذ إنها لغة اشتقاقية تجري على قياس واحد، فهيأ لها ذلك قدرات سمعية واسعة، وربما ساعدها على ذلك أيضاً حركات الإعراب وعلم العروض والقافية[26]. ولهذا استطاعت أن تخلق لنفسها ذخيرة سمعية متفردة شقت طريقها إلى أذهان السامعين، ولفتت ظاهرة الإيقاع وذخيرته نقاد العرب القدماء والمحدثين حتى وجدوا أن بناء القصيدة العربية وإنشادها قد خلقا قواعد استقبال راسخة لدى المتلقي العربي السمعي، الذي تعود على أمثلة معينة سواء في حالتي التوقع والتأثير، ذلك من خلال سماعه

الدائم، إذ أنضج الإنشاد ذلك السماع ودربه على ذائقة تنبؤيّة يتمكن من خلالها المتلقي من التنبؤ بالشطر الثاني من البيت الشعري، أو القافية التي نظم عليها الشاعر، وقد وهم بعض المستشرقين عندما تصور أن ذلك الغنى في الإيقاع نابع من صيغ أو قوالب صياغية مكررة أنتجها الشعراء عندما كان بعضهم يقتفي أثر بعض في البناء الشعري[27].

أما الجاحظ فيعزو ذلك إلى أن الإنشاد يعد ميزة خاصة في العرب دون غيرهم من الأقوام والأمم؛ نظراً للمآثر والمناقب التي تمتاز بها اللغة العربية، فالجاحظ وهو ينقل ملاحظة الأصمعي عن بعض نساك العرب، الذين كانوا يتحرجون من إنشاد الشعر حتى قال عنهم سعيد بن المسبب إنهم "تنسكوا نسكاً أعجمياً" [28].فهو هنا يرى أن بنية الإنشاد، أو البناء الموسيقي يشكلان أحد أهم مكونات التجربة الشعرية، فالقصيدة العربية القديمة على وفق أحد المحدثين أبدعت شروطها التواصلية وحفرتها في ذهنية المتلقي العربي، وفي أذنيه عن طريق تكرارها الطويل كما تحفر أمواج البحر حركتها في جدار المحارة[29]. وفي ذلك كان التوجه إلى المتلقي في النص القديم يشكل الوجه ذاته في بناء القصيدة. ويمكن تفصيل ذلك في تأمل ناحيتين مهمتين في القصيدة، وإن كانتا عصيتين على التجزئة. وهما لغتها وإيقاعها الموسيقي، اللتان تحكمهما علاقة وطيدة، إذ لا يتخيل وجود إحداهما دون الأخرى.

**لغة القصيدة أو شكلها الفني**

اهتم الشاعر العربي منذ القدم بتحسين لغة القصيدة وتنميقها، ويصح هذا الأمر على عموم الكلام العربي، وكان هذا الاهتمام كما يبدو أحد المرتكزات الدالة على طبيعة التوصيل أو التلقي الشفوي، حتى استقر الشعر في أذهان المتلقين أنه أقدر على التأثير عندما يكون مسموعاً منه حين يكون مقروءاً، وهذه الخاصية ظلت هي المتحكمة في الشعر العربي في كل العصور، سواء أكان ذلك في جاهليتهم أم في إسلامهم[30]. وكان من الطبيعي أن يدفع ذلك الشعراء إلى تجويد قصائدهم.

وقد انتبه النقاد العرب القدماء إلى هذه الجوانب فأولوها عنايتهم فوصفوها وصفاً دقيقاً فاهتموا بالجانب اللغوي للشعر بوصفه جزءاً من سمات شعريته، وهكذا ترسخت في القصيدة ذخيرة لغوية وإيقاعية تتيح للمنشد التأثير في سامعيه؛ لأنه "الغاية من كل قصيدة وإنشاد"[31]. وإذا استقرأنا أوصاف النقاد العرب للجانب الفني سواء في اللغة أو الإيقاع الموسيقي الذي يهيئ للمنشد حلاوة الإنشاد وطراوته سنجدها ضاربة في معظم كتاباتهم، فالجاحظ يرى أنّه "إذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً من التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[32]. ولا نستبعد أن الجاحظ يعني في ذلك قناة الإنشاد والاستجابة السماعية للنص.

وتابع الجاحظ في مسلكه هذا معظم نقاد العرب الذين جاءوا من بعده، إذ نرى القاضي الجرجاني (ت396هـ) يدعو إلى تأمل ما يحدثه الشعر من تأثير في السامعين، فيقرر معلقاً على نماذج من أبيات البحتري[33]:

أجَـدٌك مـا ينفـكُ يسـري لزينبـا خيـــالُ إذا آبَ الظـــلامُ تأوَّبـــا

أو في قوله:

ردي علـى المشـتاق بعـض رقـاده أو فاتركيـهِ فـي اتصـال سهـادِه

إذ يقول الجرجاني: "ثم انظر هل تجد معنى مبتذلاً ولفظاً شهيراً مستعملاً، وهل ترى صنعة وإبداعاً أو تدقيقاً أو إغراباً، ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب إذا سمعته وتذكر صبوة إن كانت لك، تراها ممثلة لضميرك ومصورة تلقاء ناظرك"[34]. إنه يكشف عن رؤية نقدية في تفاعلية التلقي السماعي يشتمل ركناها على ذخيرة الإنشاد التي قوامها الصنعة اللفظية والتأثير النفسي الذي تحققه صورة الإنشاد، التي بها يستحضر السامع أو يرى التجربة الشعرية بأذنيه ويعيها ضميره، وبهذا المعنى يرى إ. ريتشاردز (Richards) أن الأفكار التي تنشأ في أثناء قراءة الشعر هي ذاتها الأفكار التي تحدثها الكلمات "غير أن هناك أفكاراً أخرى لا تقل عنها أهمية، أفكاراً قد تحدثها الصورة اللفظية السمعية مثلما يحدث في حالة الألفاظ التي تحكي الأصوات"[35]. ويتحدث ابن قتيبة[36] عن صورة القصيدة العربية التراثية، فهو يعجب بأغراضها. حتى إن المتلقي السمعي أو الشفهي الذي رصده ابن قتيبة قد "فرض معطياته على النص الشعري المستجيب أصلاً لميزات الشفهية كالموسيقى والإيقاع والصوت وكذلك النبر ومميزاته"[37].

وهكذا فإن جزءاً مهماً من عملية الإنشاد توظف لاستعطاف أسماع الحضور وشدِّهم إلى الإصغاء للشاعر[38]. وقد ظل لهذه الأغراض أثرها في جذب الأسماع، وذلك لتماثل طباع الناس، وليس بعيداً عن هذا الاهتمام بالمتلقي السامع في بنية الأغراض ما يتصل بخواتيم القصائد التي آثروا أن تكون "قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع"[39].

وعلى وفق حازم القرطاجني فإن أهمية اللغة تتيح للشاعر أن يؤسس في خيال السامع "صورة أو صوراً ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالاً من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض"[40].

ووجد ابن الأثير أن ألفاظ الشاعر أبي تمام (ت231هـ) تتخيل له كأنها "رجال ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد"، فيما يرى ألفاظ البحتري "كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي"[41]. فهو يستبطن الأثر النفسي لألفاظ الشاعرين معبراً عن

دلالتها الإيحائية النفسية والسلوكية في ذاته، وقد نبه الفلاسفة المسلمون على أهمية الصياغة الشعرية والمحاكاة، إذ عدوهما وسيلتين مهمتين تؤشران على كيفية التوظيف الحسي المؤثر للغة الشاعرية في المتلقين والسامعين، وهذه الحال نجدها عند ابن رشد (ت595هـ) الذي رأى أن الاستعمال الخاص للغة من خلال المحاكاة (Memesis) يعتمد التصوير[42]. كما يقول في ذلك ابن سينا "إن العرب كانت تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمراً من الأمور تعد به نحو فعل، أو انفعال، والثاني للعجب فقط فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه"[43]. ويفهم من قول ابن سينا أن الأثر النفسي للشعر يتحصل أيضاً من اللذة الناجمة عن الصياغة الشعرية التي تحدث تأثيراً انفعالياً لدى السامع اعتماداً على خبرات كان قد مر بها في حياته.

فاللغة في القصيدة هي القصيدة كلها، وعندما نقول إن الشاعر يهيئ في قصيدته ذخيرة الإنشاد والتوصيل الشعري، فإننا نعني أن الشاعر يعطي حيزاً مناسباً للسامع أو المتلقي في لغة قصيدته، سواء في تكرار أسماء الأماكن المشهورة، أو رموز التاريخ، إلى جانب استعمال الضمائر ومحاكاة أشخاصها، فضلاً عن التنويع في أساليب الكلام الخبرية والإنشائية والتكرار وأشكال الموازنة والتقسيم. ويفهم من ذلك أن القصيدة العربية في عصرها الذهبي الشفهي الإنشادي كانت موجهة لمستمع غالباً ما يكون مخاطباً؛ لأن الشعراء ما كانوا يكتبون شعرهم كما هو اليوم، ولكنهم يرتجلونه وينشدونه، ويتزايد فيض الشعر على ألسنتهم كلما ازداد جمهورهم إصغاءً وذهولاً واستمتاعاً بشعرهم[44]. وربما يستدل على ذخيرة الإنشاد في كثرة ضمائر الخطاب في القصيدة التراثية، وهي حالة تكشف عن وضوح تام على تضمين الشعراء لمستمعيهم في قصائدهم، فإن كثيراً من قصائد الشعر العربي نجدها حافلة بمثل هذه الضمائر ابتداءً من "قفا نبكِ" و"فإنك كالليل الذي هو مدركي" و"أنت الذي إن شئت أشقيت عيشتي" و"عللاني وأسقياني من خمور" و"هم قتلوا أميمة أخي" و"إذا القوم قالوا من فتى" و"تبصر خليلي هل ترى" و"أصاح ترى برقا"، وهكذا تظهر الذخيرة الخطابية للضمائر والأسماء والأمكنة في جميع أبنية القصائد الفنية، ليست الجاهلية فحسب إنما وضعها يشمل جميع الشعر العربي؛ فالقصيدة العربية في عصورها كلها كانت موجهة إلى متلقين تكشفهم البنية اللغوية التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم، وكانت هي البنية المناسبة للإنشاد[45]. لأن الإنشاد يتصل باللغة أو باللفظة وتكوينها وبجرسها المنغم الرنان، وهذا هو الإيقاع الناشئ من الوزن الشعري والقافية واللحن الذي يؤدى فيه الكلام.

## الإيقاع في الشعر

الإيقاع لغة "من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها، وسمى الخليل كتاباً من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع"[46]. ويقرن ابن منظور الإيقاع بالألحان والغناء، وفي هذا

المعنى ربط القدماء من العرب الشعر وإيقاعه باللحن والموسيقى في الغناء، ودرسه آخرون ضمن بحثهم عن تأثيرات الشعر في المتلقين، أو عند مقارنتهم بين إيقاع الموسيقى وإيقاع الأشعار؛ يقول الجاحظ: "وإن وزن الشعر من جنس وزن الغناء، وكتاب العروض من كتاب الموسيقى، وهو من كتاب حدِّ النُّفوس، تحدُّه الألسنُ بحدٍّ مقنعٍ، وقد يُعرف بالهاجس، كما يُعرف بالإحصاء والوزن"[47]. فالجاحظ يوحِّد بين علم العروض والموسيقى سواء في الشكل أو الوظيفة، وعبارته عن الهاجس تدلل على المَلكة سواء في الشعر أو الموسيقى، وهذا التصور نلمحه عند ابن فارس إذ يرى أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف"[48].

أما ابن طباطبا فقد دلل على أهمية الإيقاع الشعري وما يحدثه من لذة واستمتاع، فهو يرى أن "للشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه، واعتدال أجزائه"[49]. وأدرج السجلماسي الإيقاع الشعري ضمن تعريفه للشعر بأنه "الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاه، فمعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية، فإن عدد زمانه مساوٍ لزمان الآخر"[50]. وهكذا فإن تغيير الحركة الإيقاعية للقصيدة عند إنشادها انخفاضاً أو صعوداً أو ارتفاعاً في نغماتها ليس عملاً عبثياً، وإنما هو ارتفاع إلى ذروة في الحركة الداخلية للقصيدة، فالإيقاع الشعري هو أحد أركان البنية الفنية الموسيقية للقصيدة، ويكون نابعاً من اختيارات الشاعر للألفاظ أو ما يسميه القرطاجني "معرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات" التي "لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي بعلم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع"[51]. ويفهم من كلام حازم أن ضروبا من الموسيقى الخفية يوظفها الشعراء في لغة قصائدهم، ولا سيما ملاءمتها للمعنى ومدى ما يضيفه الإيقاع من روح موحية تتناغم مع حاجات النفس الإنسانية.

فالإيقاع في القصيدة مصدره الوزن الشعري واللغة التي من مظاهرها جرس الكلمات، فضلاً عن انسجامها مع الكلمات الأخرى، أو في انسجام الحروف وتناغمها على صعيد البيت الشعري وعموم القصيدة. إلى جانب المعاني التي تدلّ عليها الكلمات والحروف مجتمعة.

أما الإيقاع الموسيقي المرافق للغناء فله صلة عميقة بالشعر والفنون الأخرى، وصلته بالشعر قديمة، وأثبتت الدراسات أن قدامى شعراء العراق، وهم أقدم شعراء العالم كانوا ينشدون أشعارهم منذ الألف الرابع (ق. م) بمصاحبة آلة الموسيقى[52]. وهذا يعني أن هذا التقليد ليس ناجما عن تأثير اليونان والفرس في الموسيقى العربية، ولا نستبعد أن تكون الأجناس الموسيقية "المقامات" التي اشتهرت بها الموسيقى العربية كانت معروفة عند العراقيين القدماء الذين ربطوا بين أشعارهم والغناء من قبل أن يأخذها عنهم اليونان والأمم الأخرى، ولهذا فإن عَلاقة الألحان "الموسيقى" بالشعر قديمة سواء في الإنشاد أو التأليف والصياغة الفنية، إذ تتألف الأوزان

الشعرية، وهي حاضنة الإيقاع الشعري، من تفعيلات معروفة تمثل وحدات موسيقية تتركب من أجزاء خماسية وسباعية، ومنها ما تركب من أجزاء سباعية وتساعية، ومنها ما تركب من خماسية وسباعية وتساعية[53]. وهذه الوحدات "التفعيلات" تكسب القصيدة نغماً مؤثراً يشد المتلقي إلى سماع الشعر.

إن الحركة المتساوية المقدار في الوزن شبيهة التناسب بالحركة المنتظمة للإيقاع الموسيقي، إذ إن كلا منهما يقوم على المبدأ نفسه، وهو التناسب في حركة الأصوات في تعاقبها المنتظم في الزمان. وعلى هذا الأساس، ذهب جابر عصفور إلى أن دراسة الأوزان الشعرية على وفق الفلاسفة هي مهمة العروض والموسيقى على السواء[54]. فالإيقاع الموسيقي بهذا المعنى يقابله نغم الحلوق في الإيقاع الشعري، الذي يعتمد على تقطيع الحروف والكلمات في بناء من الوحدات الصوتية، فيما تكون تلك التنقلات أو التقطيعات في الموسيقى في جانب الأنغام والألحان.

أما المحدثون[55] فقد درسوا الإيقاع بوصفه بنية دالة على شعرية النص؛ لأنه شيفرة (Code) إضافية منبثقة من الأنظمة الصوتية اللغوية، إذ يرى صلاح فضل أن البنية الإيقاعية تؤدي دوراً مركزياً في تجربة الشعرية العربية على مر العصور[56]. وتبدو أهمية البنية الإيقاعية عندما تظهر غريزياً على شكل حركات وسكنات أو أصوات ومقاطع وبنى صرفية محدثة الانتظام المناسب، ومن هنا تكون البنية الإيقاعية ذات تأثير مباشر في المتلقي عند عملية الإنشاد.

أما كمال أبو ديب فيرى في الإيقاع الشعري أنه إحساس يتملك المتلقي بأن ثمة حيوية متنامية تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة، وتكون هذه الحيوية بلغة الموسيقى على شكل فاعلية "تمنح الحياة للعلامات الموسيقية المتغايرة التي تؤلف بتتابعها العبارة الموسيقية"[57]. وبذلك فإن صلة الإيقاع الشعري بالنغم تتجلى في هيمنة أنغام الكلمات على السامع حتى وإن لم يكن يفهم معاني الكلام، وذكر الجاحظ مثالاً على ذلك بكاء (ماسرجويه) من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تؤمن به؟ فقال: "إنما أبكاني الشجا"[58]. وهكذا فإن الإنشاد هو أكثر الوسائل قدرة على العناية بالصوت الذي يفجر الميزات الصوتية للغة، وهو مرتبط بالإيقاع والصوت، ويصف إ. ريتشاردز (I. Richards) الإيقاع في الشعر بأنه "ذلك الخيط من التوقع والإرضاء والدهشة وخيبة الأمل، الذي ينشأ عن نتاج المقاطع والحركات، ولا يصل صوت الكلمات إلى أقوى مفعول له إلا خلال الإيقاع"[59]. إن الشعر العربي في عصوره كلها كان حافلا بالإيقاعات الشعرية التي كان لها في ذاكرة المستمع عوالم وذكريات مدهشة.

**الشكل الصوتي للإنشاد**

وفيما يتصل بالشعر العربي فإن القصائد التي أنشدها شعراء الجاهلية قد أنضجت من دون شك قواعد واضحة للإنشاد أتقنها القدماء من الشعراء والمنشدين، على الرغم من أن صورة

إنشادها لم تنقل إلينا، ونحن وإن كنا قد ألممنا بأهمية إنشاد الشعر العربي، إلا أننا ما زلنا نجهل كثيراً كيف كان منطوق الإنشاد؟ ذلك لأن الشعراء لم يتركوا لنا صوتا مسموعا لذلك الإيقاع الإنشادي أو شكله. ويبدو أن رغبة بعض الباحثين في ربط الشعر بالغناء أو النصب وبالحداء، ربما كان بسبب أنهم يسعون إلى تقريب الصورة الأولى لقواعد إنشاد الشعر العربي. فكأنّ الشعر لا يتصور عندهم إلا إذا كان منشداً بصورة الحداء، وأن الحداء لا يقل – كما تذكره كتب الأدب – أهمية عن الغناء أو الإنشاد في جذب الانتباه أو التأثير في الإبل، إذ ربما تتلف الإبل أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر بذلك لفرط افتتانها بالحداء[60]. وثمة صلة أخرى للشعر العربي بالغناء أبعد من التأثير في السامعين، فقديما قال الشاعر حسان بن ثابت في بيته المشهور[61] :

تغنَّ بالشعر في كل شعر أنت قائلُهُ  إن الغناء لهذا الشعرِ مضمارُ

ولعل حسان كان يقصد من وراء قوله أن هناك بعدا إبداعيا من غناء الشاعر لشعره، إذ يستطيع تدبر جوانب النقص أو القصور فيه، فيعمد إلى علاجه أو إصلاحه، فهو "ميزان الشعر" كما فهمه المرزباني[62]. وفي حديث الشاعر الجواهري عن غنائه بالقصيدة قبل إنشادها ما يثبت صحة منحى حسان في أهمية الغناء في قياس القصيدة وتماسك فكرتها وكلماتها، اذ يقول: "لا أقدر أن أقول كملت قصيدتي إلا بما أغني بها... وأعيدها إلى أن يستقيم البيت في ذهني بالغناء"[63]. ونحن لا نشك أن للشعر المنشَد – شأنه شأن الموسيقى - ألحاناً خاصة في إنشاده تختلف باختلاف الأمم والأزمنة والأمكنة، وفيما يتصل بشعرنا العربي فإن الشعراء العرب تميزوا عند إنشاد أشعارهم بألحان خاصة، إذ إن المنشدين من الشعراء يعمدون عند إنشاد قصائدهم إلى خرق مقامات الأصوات التقليدية سعياً منهم إلى بناء وضوح بيّن في الأصوات والحروف، ومن ثم الكلمات والتراكيب المعبرة عن دلالاتهم الشعرية المنتجة لتحقيق أكبر أثر في السامعين. فالإنشاد بهذا المعنى يتشكل من ركنين أساسيين هما: الصوت ومقامه، وهو ما يسميه علماء الأصوات النغمة (Note)، التي تأخذ شكلها النغمي لحظة تشكل الحروف والكلمات، عندها يكتسب الكلام الشعري مقامه الصوتي[64]. وما دمنا لا نمتلك صورة صوتية لإنشاد أولئك الشعراء فإننا نعذر أنفسنا لأننا لم نستطع استعمال التقنيات الحديثة في مجال التحليل العلمي بوساطة أجهزة القياس الصوتية، مثل: جهاز (Sowned Oscilloscopes)، أو الراسم الطيفي (Spectrograph) الذي يمكّن الدارس من تحليل الأصوات ورسمها بهيئة موجات توضح العبارات وما يحصل فيها من ذبذبات صوتية تمثل إيقاعات حروفها وشكلها الصوتي ارتفاعاً وانخفاضاً سواء في حالات التنغيم أو النبر، ولحظات الصمت أو حالات الهمس والشدة وما يماثل ذلك من دلالات وحالات نفسية. ولهذا فإننا سنعمد إلى تجريب طريقتين الأُولى: تأمل القصائد التي تركت تأريخاً من

الإعجاب بإنشادها من شعرائها، أما الثانية: فستكون من خلال تأمل سمات بعض أصوات شعرائنا المحدثين وعلاماتهم المميزة في الإنشاد، وربما سيكون ذلك ملاذنا في رسم بعض ملامح صورة إنشادية تتساوى مع صورة إنشاد شعراء العرب القدماء.

إن الأمر الذي لا نشك فيه أن الشاعر لم يكن يكتب أشعاره على نحو ما يصنعه الشعراء اليوم، لأنه كان ينشده ارتجالا. فالقصيدة التي ينشدها الشاعر مرتجلاً تختلف عن القصيدة التي تبتعد عن لحظة الإبداع الأولى، وما دام الإنشاد قديما جداً شأنه شأن الشعر فإن الشعراء لم ينشدوا أشعارهم -على نحو ما يصنع الشعراء اليوم- عندما يؤدون قصائدهم قراءة، وهم يظنون أنهم ينشدونها، فلا قيمة لقراءة الأشعار من دون أن تؤدى ارتجالاً أو حفظاً تاماً، وربما كانت لفظة "أنشد" أكثر دلالة على الحفظ، والأداء الشفهي من أن تكون قريبة المعنى من دلالة الغناء أو النشيد، ويبدو أن ملكة الحفظ سمة مميزة من سمات الشعراء المجيدين، وهناك قصص وحكايات كثيرة توثق ملكات الشعراء القدماء في حفظ أشعارهم، وهذا كان شأن المنشدين أيضاً، من ذلك حكاية الشاعر أبي تمام الذي كان ذا ملكة كبيرة في سرعة حفظه للشعر وحدة ذكائه وسرعة بديهته، وكان يحفظ مائة ألف مقطوعة شعرية[65]. ومن المحدثين ما كان يعرف به الجواهري من ذاكرة حافظة سارت به إلى الإنشاد، وكان متأثراً بحداة البدو، فكانوا يتلون عليه سبعة أبيات أو ثمانية فيعيدها على الفور[66]. ومن هنا قالوا إن الشاعر ينبغي أن لا يتوقف أو يتلكأ في الإنشاد؛ فالشاعر الحارث بن حلزة اليشكري لم تذكر المظان أنه كان أفضل شعراء الجاهلية في إنشاد شعره، لكن قصيدته المعلقة اشتهرت بأنها من النتف النادرة، وأنه أنشدها مرتجلا من وراء سبعة حجب، وهو يتوكأ على قوسه، حتى دميت كفه من فرط العصبية والغضب[67].

وما دمنا لا نمتلك الصورة السمعية لقصيدة اليشكري، فإن تأملنا لصورة إنشادها سيعتمد على ملاحظات إحصائية أجراها الباحث لحروف القصيدة ومقاطعها وصيغ كلماتها الصرفية وأبنيتها الأخرى، فضلاً عن ظاهرة أصوات المد واللين وهي "الألف والواو والياء" ودلالاتها في الدراسات القديمة والحديثة، إذ استنتج بعض الدارسين أن صفات النبر لا توجد في العربية إلا في هذه الأصوات؛ لمناسبتها لطبيعة النبر في الكلمات والحروف، سواء في حالة الشدة أو القوة، أو في حالتي الارتفاع والانخفاض في أصوات الحروف والكلمات، ومع ذلك فإن هذا المنحنى يبقى أيضاً محدوداً؛ لأن هناك سمات جمالية لا تتصل بالصورة السمعية للإنشاد فحسب، بل هناك جماليات كثيرة في الإنشاد القديم تتمثل في طريقة التنغيم التي تميز كل صوت من أصوات القصيدة وعلاقته بالأيدي والرأس وأحياناً بالعصي والأقواس التي يتوكأ عليها المنشدون مثلما فعل الحارث بقوسه التي أدماها، إذ إن هذه المكملات كما أثبت الدرس الحديث تسهم كثيراً في خلق أو نضج التأليف اللحني للإنشاد[68]. وإذا ما تتبعنا إنشاد قصيدة الحارث فسنجد أن الإنشاد من خلف تلك الأستار والحجب لم يمنع الشاعر من تحقيق غايته، وما كان له ذلك إلا لأن الشعر ليس

سوى كلمات مختارة "يقصد بها الشاعر إلى أن يهز الأذن هزاً أقوى"[69]. وأن جمال الإنشاد- في الأعم الأغلب- يتأسس من تشكيلات صوتية قوامها السبب والوتد والفاصل، وهي تعمل عادة بأسلوب الساكن والمتحرك، ولكن الحارث في قصيدته قد غيّب ذلك باعتماده على المقاطع المفتوحة، التي كانت مهيمنة على نغم إنشاده لقصيدته، فقد حرص على أن تكون المقاطع المؤلفة من حرف صامت + حرف علة معلماً أو شكلاً إنشادياً مناسباً ودالاً، وقد شكلت هذه المقاطع المفتوحة فاعلية إنشاديه تكررت في أماكن عدة من قصيدته.

يفتتح الحارث قصيدته بمقطع يفجر فيه غضبه الشديد على الرغم من إيقاع القصيدة الشديد البطء الذي هيأه البحر الخفيف، الذي يتميز بوقفات السكون، إذ شكل ذلك مظهراً من مظاهر الثراء الإيقاعي أو في تنويعه، لأن الزحافات تعمل، إذا ما أحسن استعمالها، على تعديل صور التفاعيل وإيقاعاتها الموسيقية وبما يحقق تتوبع النغمة الموسيقية ولا سيما البحور المتشابهة[70]. وبذلك يقول الحارث[71] :

آذنتـــــنا ببينِهـــــا أســـــماءُ ... ربَّ ثـــاوٍ يُمـــَلُّ مـــنه الثَّـــواءُ
بعـــد عهـــدٍ لنـــا ببُرقـــةِ شَـــمّا ... ءَ فـــأدنى ديارهـــا الخَلصـــاءُ
لا أرى مـــن عهـــدت فيهـــا فـــأَبكي الـــ ... ـــيـــومَ دَلهـــاً؛ ومـــا يَـــرُدُّ البُكـــاءُ؟
وبعينيـــكَ أَوقـــدت هنـــدُ النَـــا ... رَ أُصـــيلاً تُلـــوى بهـــا العَليـــاءُ
أوقَـــدتها بـــينَ العَقيـــقِ فشَخصيـــ ... ـــنِ بعُـــودٍ كمـــا يَلـــوحُ الضِّـــياءُ
فتَنـــوَّرتُ نارهـــا مـــن بعيـــدٍ ... بخَـــزازٍ، هيهـــات منـــك الصِّـــلاءُ

إن أول ما يلفت نظرنا في قصيدة الحارث المعلقة أنه وظَّف كثيراً النبر والتنغيم وباقي التلوينات الصوتية كالأوزان الصرفية للكلمات، والمدّات في مقاطع قصيدته وجملها؛ ففي المقطع الأول يبدأ الشاعر بحشد الأسماء والمواقع، محققاً بذلك وقعاً نفسياً باهراً في استثمار الأسماء وإيقاعاتها الصوتية منذ البيت الأول الذي اشتمل على ست مدّات (أذنتنا، ببينها، أسماء، ثاوٍ، الثواءُ)، ولو تتبعنا المدّات في البيت الأول والأبيات الأخرى لوجدنا أن هناك زخما كمياً بالمقاطع الممدودة، وهي مقاطع لها وظيفتها المهمة في الإنشاد ولا سيما لغتنا العربية، وهي أداة زمنية، بمعنى أنها مؤلفة من مجموعات صوتية مقطعة تمثل حركاتها وسكناتها تتابعاً زمنياً يعبر دائماً عن دلالات معنوية.

إن البيت الشعري كما هو معروف يشكل وحدة إنشادية مكتملة في القصيدة، يبدأ مع بداية نواة الوزن الشعري "التفعيلة"، وهي كما فهمها علماء العروض "نواة موسيقية" ذات أداء محدود لكن وظيفتها تتفجر في إطار البيت الشعري، الذي يشكل أيضا وحدة مكتملة فنياً وإبلاغياً، ولا سيما في القصيدة العربية القديمة[72]. ففي المقطع الشعري الأول لمعلقة الحارث

تتفاوت درجات الإنشاد فيها من خلال ازدحامها بالمقاطع الطويلة، وحتى المقاطع القصيرة[73]، إن المقاطع المفتوحة في الكلمات "الأسماء، الثواء، شماء، فأدنى، ديارها، الخلصاء، العلياء" قد شكلت جذراً لموسيقى أبيات افتتاح القصيدة، وقد نالت تلك الكلمات التي أسَّستها المقاطع المفتوحة على مدة أطول من غيرها في بناء إنشادها، وهي ظاهرة جمالية أتقنها الحارث، ويسميها المختصون بعلم الأصوات المسافة الصوتية، التي تكون المقاطع فيها مسموعة بمدد زمنية يقررها المنشد[74].

ففي الأبيات الثمانية الأولى نلحظ "44" مقطعاً طويلاً مفتوحاً، أي بواقع خمس مدّات في الأقل في البيت الواحد، وبذلك فإن كثرة المدود الطويلة في المقطع أسهمت في تجويد أصوات حروف اللغة ورسخت الدلالات، فضلا عن تحقيق المبالغة، فعندما نقرأ البيت الأول:

| | |
|---|---|
| آذنتنا / ببينِها / أسـماءُ/ | رب ثاوٍ/ يُملُّ منـ / ـه الثَـواءُ |
| فاعلاتن متفع لن فـالاتن | فاعلاتن متفع لن فـاعلاتن |

نجد أن كثرة المدود قد أنضجت دلالات مشحونة بالمعاني والصيحات المناسبة التي تنسجم مع وجع الشاعر، فهو في حالة انفعال وتوتر، ولذلك نظن أن الشاعر كان ينشد البيت على الرغم من غضبه لكي يتيح له تمثيل الدلالة الشعرية أصدق تمثيل، فضلاً عن رغبته في تنغيم الأصوات وهو في معرض الافتتاح بالغزل الرمزي، فمحبوبة الحارث في القصيدة "أسماء" وهي إحدى صاحباته التي يتغنى بها في شعره، ومنهنَّ "هند"، كما سنرى في مقاطع القصيدة، أمّا "أسماء" هنا فجاءت مقرونة باسم أم الملك، ولذلك فإن دلالتها شديدة الوضوح، مما يجعلنا نميل إلى أن الشاعر أعطى لهذه المدّات وقعاً كبيراً في السامعين من خلال استغلال جذوتها الإمتاعية. وقد هيأت الحروف الصائتة، وهي حروف المد والحركات القصيرة، للشاعر قدرة على تضخيم مناسب لكلماته استجابة لما توفره الحروف الصائتة التي ينطلق معها الهواء انطلاقاً تاماً، ولهذا فالكلمات في أبيات الشاعر كانت متميزة بالوضوح وتسمع بكامل صفاتها بخلاف الحروف الصامتة، ويبدو أن ذلك كان سلوكاً اعتمده الشاعر حتى في المقاطع المغلقة والقصيرة، التي تكون عادة ثقيلة، وقد تختفي في الإنشاد على السامعين[75]. غير أن الحارث عمل على أن تكون الحروف الصامتة في قصيدته قابلة للتنغيم والترنم، وقد حرص على أن تكون مشحونة بدلالات قوية حافلة بالإشارة واللمحة فضلاً عن الانفعال الذي يستجيب لمعطيات الصور الشعرية، وقد تجلى ذلك في الأبيات الآتية:

| | |
|---|---|
| وبعينيـكَ أَوقـدت هنـدُ النَّـا | رَ أُصـيلاً تُلـوى بهـا العَليـاءُ |
| أوقَـدتها بـينَ العَقيـقِ فشَخصيـ | ـنِ بعُـودٍ كمـا يَلـوحُ الضـياءُ |
| فتَنـوَّرتُ نارهـا مـن بعيـدٍ | بخَـزازٍ، هيهـات منـك الصَّـلاءُ |

ونعتقد أن المقاطع المفتوحة في قصيدة الحارث لم تكن قد أنشدت بسمت واحد في إطالة مقام سمعها، بل إن هناك مقاطع كان إنشادها قصيراً مع أنّها طويلة مفتوحة، لأنها كانت على وفق مقام الإنشاد في الإطالة أو القصر والارتفاع والانخفاض كما هو الشأن في هذه الأبيات الثلاثة، إذ كان إنشادها قصيراً؛ لأنها شكلت ارتكازاً غنائياً، وما يؤكد ذلك أيضاً غناها بالمقاطع القصيرة والمغلقة، فضلاً عن أن أصوات مخارجها كانت متنوعة، وجاءت حروفها خالية من الأصوات أو حروف الهمس، والهمس على وفق صاحب اللسان هو ما همس من الفم ولا غور له في الصدر، فيما يتسم الجهر من الحروف برفع الصوت[76]. عدا حروف (ت، ك، ش)، فقد تكرر الأول خمس مرات، والثاني ثلاث مرات، وهما حرفان عدّهما الدارسون مجهورين في النطق، وتكرر حرف الشين مرة واحدة، وكانت مخارج الحروف الباقية كالآتي: النون بواقع إحدى عشرة مرة، وهو أعلى حروف الأبيات تكراراً لما له من قدرة على حمل المعاني الوجدانية التي تناسب "هند" الدالة على ملوك الحيرة، فأسعفته النون على تنغيم كلماته، وكرر حرف الشين، وهو حرف مهموس. وهذا يعني أن الحارث تحاشى الحروف المهموسة التي كما يرى إبراهيم أنيس لا يسمع لها رنين[77]. وهذا يدلل على أن الشاعر فعلاً قد ارتجل قصيدته، وكان مأخوذاً بدافع الإنشاد عندما تحاشى الحروف أو الأصوات المهموسة التي لا تؤمن له الوضوح، وكان ذلك مناسباً للظرف الإنشادي للقصيدة وقد ضربت على الشاعر سبعة حجب. وهكذا كانت المقاطع الطويلة المفتوحة وسيلة اعتمد عليها الحارث في إنشاد قصيدته؛ لأنها تؤمن له الإشارة الواضحة وتشد الانتباه وتطرب لها الأذن، وهي أيضاً مناسبة للتعبير عن خلجات القوة، بخلاف المقاطع المقفلة والقصيرة التي تعمق الانكسار أو النكوص، ولهذا كانت المقاطع المفتوحة عند الشاعر مبثوثة في معظم مقاطع قصيدته، وكانت أيضاً مجاله المناسب في نبر المقاطع والكلمات كما سنرى. ويبلغ الإمتاع بالمدود في مقطع الحارث ذروته عندما يبدأ الشاعر بذكر أسماء الديار، التي أشبعها مداً وتقطيعًا مستفيداً من ترجيع السكنات والحركات لبحر الخفيف، إذ يقول الشاعر[78]:

بعـــدَ عَهـدٍ لنـــا ببُرقـةِ شـمّـــا ... ء فأدنـــــى ديـــــارَها الخُلصـــــاء
فالمُحيّـــا/ فالصفـــاحُ / فأعلـــى ... ذي فتـــــاقٍ / فعـــــاذبٌ / فالوفـــاءُ
فريـــاضُ القطـــا / فأوديـــةُ الشُـــر ... بَـــبِ / فالشعبتـــانِ / فالأبـــلَّاءُ

لا شك في أن أسماء الديار تشكل في النص رموزاً عميقة الجذور مفعمة بدلالات الوفاء والمحبة. ونرى أن إنشادها كان قريباً جداً من إنشاد الشاعر الجواهري لقصيدته المحفوظة بصوته التي أنشدها قبالة جلالة ملك الأردن الراحل الحسين بن طلال رحمه الله، ومنها الأبيات الآتية، إذ يقول الجواهري بصوته [79]:

يـا ابـن الهـواشم مـن قُـريشٍ أسلفـوا جـيلا بمَدرَجـةِ الفَخـار، فَجيـلا
نسلـوك فحـلا عـن فحـولٍ قدَّمـوا أبـداً شهـيدَ كَرامـةٍ وقتيـلا
للـهِ درُّكَ مـن مُهيـبٍ/ وادعٍ نِسـر/ يطارحُـه الحمـامُ هَـديلا
يـا ابـن الَّـذينَ تنزَّلـت ببيـوتِهم سُـورُ الكتـابِ، ورُتِّلـت تَـرتيلا

إذ تباطأ الجواهري في الإنشاد وهو يقطّع البيت االثالث كما صورنا ذلك بالخطوط بين تفعيلاته، والشأن ذاته في البيت الأخير، إذ تظهر فيهما الفطرة الإنسانية السليمة حتى إن المقاطع الصوتية تخرج منسجمة مع الجهاز الصوتي فلا يشعر مع خروجها بإيقاعها الجميل بأية صعوبة. إن إنشاد الحارث لأبياته بدءاً من "بعد عهد لنا" قد جاء مشحونا بجلجلة أسماء الأماكن المقسّمة والمقطّعة وبجهارة التفعيلات المنغّمة والمنعّمة، وهذا يجعلنا نظن أن الحارث يعبّئ مقاطعه الشعرية بتشكيلات صوتية لها نشاط جمالي يدعو المستمع إلى أن يدرك من خلالها ذلك النشاط الذي له علاقة كبيرة بالنظام الموسيقي، فالشاعر يصنع من الزمن وحروف الكلمات دلالة معينة، شانه في ذلك شأن تشكيل الموسيقى للأصوات في الزمن، وتشكيل الرسم للألوان في المكان، إذ لكل منها دلالاته [80].

إن ذلك كله يكشف لنا السر في لجوء الشاعر الجواهري إلى إظهار التقطيع الصوتي لتوزيع التفعيلات أو حركة المقاطع مؤلفاً منحى إنشادياً يمزج فيه بين موسيقى الشعر وبين نغم الكلمات وموسيقاها في إنشاد منغّم، إذ لمسنا في إنشاد الجواهري قدرته على أن يذيب الحركات والسكنات حتى كأنها قد ذابت في أصوات النغم فيتجلى الإنشاد في قمة تشكله وإمتاعه، وربما فعل الحارث ذلك في إنشاده لأبياته الثلاثة الأخيرة من المقطع الافتتاحي؛ إذ ساعده ذلك على خلق تناغم للمقاطع بعضها ببعض لتحدث تأثيراً كبيراً في نفس السامع، إذ يرى علماء النفس أن هذا الميل إلى إظهار تناغم المقاطع المتحركة القصيرة والطويلة[81] وتماثلها له تأثيره في السامعين، لأنه يخلق ميلاً غريزيّاً في كل كتلة مكونة من عدة مقاطع"[82].

إن الحارث وظّف المقاطع اللغوية توظيفاً مناسباً ونجح في تمثيل الدلالة الشعرية وتحقيق الانفعال، وفي ذلك يرى سيبويه أن العرب يوظفون حروف المد في تنغيم أصواتهم فهم "أمّا إذا تَرنَّموا فإنَّهم يُلحقون الألفَ والياءَ والواوَ ما يُنوَّن وما لا ينون، لأنهم أرادوا مَدَّ الصوت... وإنَّما ألحقوا هذه المَدَّة في حروف الروي، لأن الشّعر وُضع للغناء والترنُّم، فألحقوا كلَّ حرف، الذي حركته منه"[83]. وتظهر الصفات الجمالية لأثر المّدات أيضا في قافية قصيدة الحارث بروزاً واضحاً، والقافية على رأي الخليل تبدأ من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يسبقه فتح مع حركة الحرف الذي قبل الساكن[84].

أما ظاهرة النبر (Stress)، والتنغيم (Intonation) فتتجلى في إنشاد قصيدة الحارث جلية وواضحة. ويلجأ الشعراء - في الأعم الأغلب - إلى الضغط على مقاطع أو كلمات محددة أو حرف واحد قصير، أو قد يطيل الشاعر زمن النطق بالبيت الشعري الواحد، وقد يكون النبر مخصوصاً بكلمة واحدة، إذ يرتكز على إطالة نطق تلك الكلمة أو تضخيمها، وهذا في أوضح حالاته. والنبر في الشعر يرتبط على وفق كمال أبو ديب بطبيعة التجربة الشعرية للشاعر، وتؤدي كذلك حروف المد دورها في وضوح النبر أو تقويته لما لها من دور في وضوح المعنى، ولهذا توصل الباحث إلى أن النبر في اللغة العربية يرتبط في كل أحواله بكثير من حروف المد[85]. ونرى أن النبر في قصيدة الحارث يكاد يكون ملمحاً بارزاً، وهو منتظم في أصوات حروف كثيرة شكلت عبارات موسيقية مبثوثة في القصيدة، ففي المقطع الآتي وهو في مسرد الفخر ومدح الملك، يقول الشاعر[86]:

لا يقيمُ العَزيـزُ بالبَلدِ السَّهـــ ... ـلِ، ولا ينفَـــعُ الذَّليـــلَ النَّجـــاءُ
ليـس يُنجي مَوائِـلاً من حِـذارٍ ... رأسُ طـــودٍ أو حَـــرّةٌ رَجـــلاء
فملكنا بذلـكَ الـنَّاسَ، حتَّى ... ملـــكَ المُنـــذِرُ بـــنُ مـــاءِ السَّمـــاءِ
إنَّ عَمـــراً، لَنا لَديهِ خِـلالُ ... غيـــرَ شَـــكٍّ فـــي كلّهِـــنَّ البَـــلاء
مَلـكٌ مُقسِـطٌ وأفضَلُ مَن يَمـــ ... شـي، ومـن دُونِ مـا لديـهِ الثَّـنَاءُ
إرَميُّ بمثلِه جالَتِ الجِّـــ ... نّ فآبـــــت لخَصـــــمِها الاِلاءُ
مَن لنـــا عنـــدَه من الخير آيا ... تٌ ثـــلاثٌ فـــي كُلُّهِـــنَّ القَضـــاء

فقد نبر في "حتى" و"ملك المنذر بن ماء السماء" و"الرب" و"الشهيد" "ملك" و"اضطلع" أما الأبيات "إن عمراً" و"ملك مقسط" و"إرمي" فكانت مفعمة بالنبر والتنغيم، ففي البيت الأول كانت لفظة "خِلالُ"، إذ كان حرف الخاء مرتكز النبر، وقد جاء حرف "الخاء" وهو من حروف الإطباق والتفخيم قوياً تلاه في القوة مقطع المد "لالْ" وهو مقطع طويل مفرد الإغلاق، أدى فيه حرفا الخاء واللام صعوداً ملحوظاً في نغمة الإنشاد، وقد ساعد على ذلك حرف اللام، وهو من حروف الذلاقة، ويتولد من طريق الشفتين وأسلَة اللسان، ويكون نطقه أو إنشاده مفعماً بالخفة والسهولة ومستجيبا ًلحالتي الإبلاغ وصفات الغضب والتوتر، وقد أدى التنغيم المصاحب لمواقع النبر في المقطع بعداً إيقاعياً في التشكيل الإيقاعي والنفسي فضلاً عن اللغوي؛ لأن التنغيم يسهم في إطالة الصوت بغية التغني بالعبارات والإيماء بمعانيها، وقد تهيأ ذلك للحارث في أبيات المقطع التي كشفت عنه معاني الرضا والانبساط والانشراح، وهي ملائمة لشخص الملك عمرو بن هند والإنباء عن مواقفه؛ فهو "ملك مقسط وأفضل من يمشي" إذ جاء الإنشاد حافلا بنغمات هادئة تستجيب لحالة الرضا، مثلما لمحناه في الأبيات "وبعينيك أوقدت هندُ النار"، إذ إن

التنغيم ينبغي أن يكون منطوقاً، أو منشداً بدرجات محسوبة بدقة على وفق مقام الكلام لإظهار دلالات الكلام إن كانت في حالة الغضب أو حالة الرضا والفرح [87].

واللافت في إنشاد الحارث لقصيدته أنه أكثر فيها من التنغيم، ليس في مقاطع النسيب أو الفخر بقومه والرضا حسب، إنما كان شأنه أيضا في أساليب الكلام، وظهر ذلك في الدلالة على المعاني الخبرية التي ربما تختلف عن إنشاد دلالات الاستفهام والنداء والتهكم والسخرية، ففي الاستفهام تكون نغمات الإنشاد عادة منخفضة، كما هو شأن بعض الجمل الخبرية، لكن الحارث لم يستقر فيها على مستوى نغمي اعتدل فيه إنشاده ؛ لأن معظم جمل الاستفهام في القصيدة كان الشاعر يتهكم فيها بأعدائه ويسخر منهم، ولهذا كانت الموجات العالية من نصيب رفضه لأعذار خصومه وسخريته منها. لقد جاء التنغيم في إنشاد الحارث موزعاً على دلالات التراكيب، وكانت قصيدته حافلة بجمل الاستفهام والنداء والتعجب إذ يقول:

لا أرى مـــن عهـــدْتُ فـــأبكى الـــ  يـــوْمَ دلْهـــاً، ومـــا يَـــرُدُّ البُكـــاءُ؟

وقد وردت في القصيدة ثماني جمل استفهامية بعضها كان متصلاً في ثلاثة أبيات متتالية أو بيتين كما في قوله "أعلينا" البيت 44 و"أم علينا" البيت 45 و"أم جَنايا" البيت 46 و"أم علينا" البيت 47 و"أم علينا" البيت 49 و"هل نحن لابن هند رعاء؟" البيت 59، ونستبعد أني كون الحارث قد أنشد هذه الألفاظ بالموجه أو النغمات الهابطة، لكن تنغيمه لهذه الجمل كان مرتفعاً؛ لأنه كان مستجيباً للشدة والاستنكار والانفعال. ومن التنغيمات اللافتة في القصيدة ما نلحظه في جمل النداء والأمر والتعجب؛ لأن مثل هذه الجمل، كما يرى الباحثون، تستوجب الإنشاد أو النطق بنغمات عالية؛ لأنها تهدف إلى لفت الانتباه عليها[88]. أما الملاحظة المهمة الجديرة بالإشارة فتتمثل في قدرة الشاعر على توفير كثير من شروط الإنشاد التي هيأت تنوعاً واتساعاً في صور الإنشاد، والذي يتجاذب فيه الهدوء والشدة والإيهام والتنغيم، إذ يبدو في الأبيات الأولى من المقطع المذكور آنفاً هادئاً وواثقاً بقومه حتى إذا كان في البيت الثالث تبدلت نبرة الإنشاد؛ يقول:

فملكنـــا بـــذلك النّـــاسَ حتَـــى  ملـــكَ المُنـــذرُ بـــنُ مـــاء ِالّسـماء

إذ نعتقد أن طبيعة الإنشاد لهذا البيت كانت ذات لحن مميز لا سيما إنشاد شطره الأول وحتى نطقه بالأداة "حتى" التي جاءت منبورة، وليس بعيداً أن تكون بداية لسكتة طويلة أراد فيها تحقيق إحدى غايات الإنشاد المهمة، وهي شد الانتباه إلى ما سيقول، صحيح إننا نستطيع عند سماع النظام الخاص لمقاطع القصيدة أن نتوقع ما سيأتي من المعاني، بسبب المران الكافي على سماع هذا النظام الخاص في مقاطع الوزن كما يرى إبراهيم أنيس[89]. لكن صفة عدم التوقع والإيهام التي نشير إليها هنا لها صلة كبيرة بالإنشاد، بل هي نتيجة من نتائجه كما يوضح ذلك

النقاد المحدثون في إشاراتهم إلى أهمية بروز ما لم يكن متوقعاً في السياق حتى يكون هذا البروز "بمثابة المنبه الذي يجلب انتباه السامع ويشد انتباهه"[90]. وفي ذلك يرى محمد المبارك أن الصوت والإيقاع اللذين تحتويهما عملية الإنشاد الشعري بإمكانهما أن يحققا المفاجأة للسامع[91]. إن جرس النبر في شطر البيت عند الحارث ووضوح المعنى - كما نظن- قد هيأ للشاعر أن يصنع شكله الخاص في الإنشاد، أو أن يحدث سكتة طويلة تمهيداً لما سيقول في الأبيات من دلالات مثل: "وهو الرب" و"ملك أضلع" و"إن عمراً" و"ملك مقسطٌ" و"إرميَ" و"من لنا عنده" فهذه الأبيات أحدثت تبدلاً مهماً في إنشادها. ونستطيع أن نجزم أن إنشاد هذه الأبيات كان حافلا بضروب التنغيم والتنعيم والنبر، ومن يسمع إنشاد الجواهري لقصيدته في الملك الراحل الحسين رحمه الله يلحظ ذلك الإيهام وعدم التوقع، وتلك السكتة التي خيمت على الحاضرين، لكنها كانت إيذاناً لبدء إنشاد باهر ومتميز، كما في الأبيات الآتية. يقول الجواهري بصوته من بحر الكامل[92]:

حُجَجُ مَضت، وأُعيدُهُ في هاشمٍ ... قَولاً نَبيلاً، يستميحُ نَبيلا
يا ابنَ الَّذينَ/ تنزّلت/ ببيُوتِهم ... سُور الكتابِ / ورتّلت تَرتيلا
الحاملينَ /من الأمانةِ ثِقلَها ... لا مُصعِرينَ/، ولا أصاغِرَ مِيلا
والطَّامسينَ/ من الجَهالَةِ غيهَباً ... والمُطلعِينَ/ من النُّهى قِنديلا
والجَّاعِلينَ/ بيوتَهُم/ وقبورَهُم ... للسَّائِلينَ/ عن الكرامِ دَليلا
شَدَّت /عُرُوقَكَ من كرائمِ هاشمٍ ... بيضُ/ نَمينَ خَديجَةً وبَتُولا
وحَنَّت عليك من الجُدُودِ ذُؤابةٌ ... رعَتِ الحُسينَ وجعفراً وعَقيلا
هذي قُبُورُ بني أَبيكَ ودورُهم ... يَملأنَ عُرضا في الحِجاز وطُولا

إن الجواهري استعمل المدات استعمالاً رائعاً، كما استعمل النبر في تقليب معانيه وتوضيحها، إذ مدّ ونبر في الكلمات "لا مصعرين" و"لا أصاغر" و"الطامسين" و"من النهى" و"كرائم هاشم" ونبر في الكلمات الآتية "قنديلاً" و"شدت" و"بيض"، مثلما حرص على أن يكون الإيقاع كله لجرس الكلمات، ثم بدأ بسكتة بدت طويلة ومفاجئة بعد قوله "رعت الحسين وجعفراً وعقيلا "، حتى ظن السامع أن المعنى فد انتهى، وأن الشاعر ليس لديه جديد ليقوله، لكنه يفاجئ السامعين بقوله:

هذي قبورُ بَني أَبيكَ ودورُهُم ... يملأَنَ عرضاً في الحِجازِ وطُولا

وأبدل كلمة الحجاز في الإعادة بالعراق. وكان إنشاده للبيت بعد السكتة الطويلة إنشاداً منبوراً في جميع مقاطعه، وكانت أصابع الشاعر متناغمة مع صوته وهو يضخّم كلماته بهمة ونشاط، حتى كأن سكتته ألهمته ذلك النشاط. ونعتقد أن هناك كلمات في مقاطع كثيرة كان الحارث

قد عمد إلى نبرها على غرار إنشاد الجواهري؛ لأن النبر وسيلة ناجعة لتحقيق زيادة في وضوح جزء من أجزاء الجملة في السمع، إلى جانب أنه يكسو الكلام كله ويكسبه خواص تنبئ عن معناه ومراد الشاعر، أو مضمون كلامه سواء كان ذلك في التأثير بالمجاورة كما في حالات الإدغام، أو في استطالة حروف اللين إذا وقعت بعد حرف مجهور كما في كلمة المآب مثلا.

وهكذا فإن إنشاد الشعر يختلف من شاعر إلى آخر، مثلما يختلف من زمان إلى آخر؛ بما يتخلله من خصائص وقدرات إبداعية وحالات نغمية متنوعة، كما تفرض الموضوعات نفسها في الإنشاد، فيتنوع الانشاد تبعاً لتنوع الموضوعات، لهذا فإن أية دراسة تطبيقية لإنشاد الشعراء المحدثين مثل درويش والجواهري وقباني وعبد الرزاق عبد الواحد وغيرهم ممن تملأ أصواتهم الشبكة العنكبوتية، ستكون مفيدة لترسيخ طرائق الإنشاد، مثلما سيكون ذلك مهما في إحصاء تلك الطرائق ودروسها الممتعة.

**نتائج البحث**

لقد كشف البحث عن رؤية عميقة لدى الشاعر العربي القديم في إدراك ما للأصوات من وظائف دلالية تبرز قدرته على التواصل مع المستمع والتعبير عن تجربته، وقد فتح هذا الاهتمام الباب واسعًا لفن إنشاد الشعر العربي القديم، ولأجل ذلك فإن البحث كشف عن أن نصوص القصائد القديمة قد جاءت حافلة بالإشارات والدلالات المستنبطة من شفهية الاستماع، وقد حتّم ذلك ظهور مزايا فنية داخلية، "ذخيرة أو بنية نصية"، تكون مهمتها توصيلية داخلية بحثاً عن مغزى أو معنى يشد السامع ويجذبه للاستماع والتأثر بالقصيدة والتفاعل معها، وقد فرض ذلك على الشعراء التنويع في طرائق الإنشاد، فشعر المعارك يختلف عن الغزل، والمديح والفخر يتقاطع مع الهجاء؛ لأن كلا منها ينسجم مع أصوات بعينها، إن كانت رقة أو عنفا، ومرجع ذلك إلى الأصوات وصفاتها ووقعها في الأذن، فهي لا تخلو من أغراض ووظائف في سياقات الجمل وفي أذن المستمع. لقد مارس الشاعر القديم فن التجويد وأحوال نطق الكلمات وأشكال المد والنبر والتفخيم والتنغيم، ومدرسته حافلة بدروس علم الأصوات وصلته بعلم الدلالة غنية، ولا نستبعد أهمية الإنشاد في بناء أو إنضاج نظرية متماسكة لتعليم السليقة في اللغة العربية، التي صارت لها نظريات تهدف إلى تعليمها وإتقانها، وقد تبين في أثناء تحليل إنشاد قصيدتي الحارث والجواهري أن الشاعرين نجحا في توصيل المعاني التي أرادا توصيلها إلى المستمعين على وفق الحالة النفسية التي عاشها الشاعران، وكانت القصيدتان حافلتين بذخيرة الإنشاد سواء في تنسيقات الحروف أو حسن نغماتها لتوجيه المعاني التي رامها الشاعران. وأكد البحث أهمية دراسة طرائق الشعراء المحدثين في الإنشاد لما له من أهمية في إحياء صور فن الإنشاد، والعناية الفائقة بالصوت الذي يفجر الميزات الصوتية للغة.

# The Interaction of Chanting and Listening in Receiving Ancient Arabic Poetry

**Saeed H. Hussein,** *College of Languages, Baghdad University, Baghdad, Iraq.*

## Abstract

This research tackles two main aspects: the first is the theoretical pivot that serves to observe the interaction of the chanting and listening in the reception of ancient Arab poem and the related concepts and terms. The other pivot is an applied one where the researcher attempts to meditate the image of chanting of Al-Harith ben Hiliza Al-Yashkri and its linguistic counterparts, which contributed to drawing a successful picture of the chanting of poems. The study used an approach which combines two perspectives: the analytic descriptive and the applied methodologies, based on the reading of the ancient chanting. The researcher found that chanting had a great effect on the construction of the ancient text and the formation of the artistic repertoire to achieve the purposes of chanting and the effect on listeners, and delivering the poetic message to them.

**Key words**: Interaction of chanting, Reception of Poetry.

## الهوامش

(1) طه، هند حسين: النظرية النقدية عند العرب، العراق، دار الرشيد، 1981، ص 36. ومن بين تلك الأسواق سوق عكاظ الذي كان من أهم الأسواق في الجاهلية، يجتمع فيه الناس من قبائل عدة، واشتهر النابغة الذبياني بكونه يحكم فيه بين الشعراء.

(2) ابن قتيبة، محمد بن مسلم: الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1967، ص74 -76. يعد ابن قتيبة أحد النقاد الذين اهتموا بأقسام القصيدة العربية، ونبه بمصطلحات عصره على دوافع توصيلها إلى السامعين، اذ يرى أن مقصد القصيد ابتدأ بذكر الديار والدمن والظاعنين ووصل ذلك بالنسيب ليصرف إليه القلوب.

(3) الصكر، حاتم: بعض مشكلات توصيل الشعر من خلال شبكة الاتصال المعاصرة، بغداد، دار الحرية للطباعة، مهرجان المربد الشعري السابع، 1986، ص 3 -4.

(4) إبراهيم، صاحب خليل: الصورة السمعية في الشعر العربي الجاهلي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص5.

(5) الصكر، حاتم: بعض مشكلات توصيل الشعر، ص 8.

(6) ويلك، رينيه، ووارين، أوستن: نظرية الأدب، ترجمة: محمد عصفور، مطبعة خالد الطربيشي، 1972، ص 186.

(7) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998، ص363.

(8) ويلك، رينيه: نظرية الأدب، ص 188.

(9) الكبيسي، طراد: "الشعر والكتابة القصيرة النقدية"، بغداد، دار الحرية للطباعة، مهرجان المربد الشعري السابع، 1926، ص10.

(10) الجاحظ، عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، ج1، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط1، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1965، ص 74.

(11) المرتضى، علي بن الحسين: أمالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ق1، ط2، مصر، دار الكتاب العربي، 1967، ص 191.

(12) شيخو، لويس: أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، المطبعة الكاثوليكية، 1896، ص 79 - 80.

(13) القيرواني، إبراهيم بن علي أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، شرح وضبط: زكي مبارك، ط4، بيروت، دار الجبل، 1872، ج4، ص 79، 80.

(14) الأصبهاني، أبو الفرج: الأغاني، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، بيروت، دارإحياء التراث العربي، والقاهرة، مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1963، ج 9، ص 117.

(15) الكندي، امرؤ القيس بن حُجر: ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، القاهرة، دار المعارف، 1984، ص 106.

(16) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح (ت850هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1953، ص 130.

(17) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 82.

(18) هوكز، ترنس: البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة: د. ناصر حلاوي، ط1، بغداد، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية، 1986، ص 125.

(19) ماكليش، أرشيبالد: الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، مراجعة: توفيق صالح، بيروت، منشورات دار اليقظة العربية، 1963، ص 65.

(20) قباني، نزار: عن الشعر والحنين والثورة. بيروت، منشورات نزار قباني، د. ت، ص 33.

(21) المرتضى: علي بن الحسين، الامالي، ص 60.

(22) مونرو، جيمز: النظم الشفوي في الشعر الجاهلي. ترجمة، فضل بن عمار العماري، ط1، الرياض، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، 1987، ص18.

(23) إسماعيل، عناد غزوان: المرثاة الغزلية في الشعر العربي، ط1، بغداد، مطبعة الزهراء، 1974، ص 9.

(24) عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، منشورات دار الثقافة. 1983، ص221.
(25) أبو ديب، كمال: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن، ط2، دار العلم للملايين. 1981، ص43.
(26) عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1993، ص19.
(27) جيمز مونرو: النظم الشفوي في الشعر الجاهلي، 1987، ص 26.
(28) الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط5، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1985، ص 202.
(29) الهاشمي، علوي: فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، ط1، مملكة البحرين، وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني، 2006، ص 82.
(30) أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية، د.ت، ص 155.
(31) المبارك، محمد: استقبال النص عند العرب. ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2999، ص9.
(32) الجاحظ: البيان والتبيين، ص83.
(33) الصيرفي، حسن كامل: ديوان البحتري. مصر، دار المعارف، مجلد1، 1964، ص 169، 27.
(34) الجرجاني، عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط4، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1966، ص 26.
(35) ريتشاردز، أ، آ: مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، المؤسسة العصرية العامة للتأليف، 1961، ص 182.
(36) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 74-76.
(37) المبارك، محمد: استقبال النص عند العرب، ص117.
(38) ابن طباطبا العلوي: محمد بن أحمد، عيار الشعر. تحقيق: محمد زغلول سلام، ط3، القاهرة، منشأة المعارف، د. ت، ص 5.
(39) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج 1، 2000، ص 211-212.
(40) القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، دار الكتب الشرقية، 1967، ص 89.
(41) ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1960، ص252.
(42) عبدالكريم، ألفت كمال: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 984، ص 73.
(43) القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 63.

(44) سعيد، جميل: "الشعر والإنشاد"، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، المجلد 56، 1967، ص14-59.

(45) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. تحقيق وتعليق، عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط6، 1963، للتحقق من ذلك يمكن الإشارة إلى قصائد المعلقات وما فيها من ذكر للضمائر والأمكنة والمخاطبين، سواء كانوا من الشخوص الحية أو الرموز الجامدة.

(46) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. مصر، دار المعارف، د. ت، مادة وقع.

(47) الجاحظ، عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، ج2، ص 160-161.

(48) ابن فارس، أبو الحسين بن زكريا: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، القاهرة، المكتبة السلفية، ص 230.

(49) ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص 53.

(50) السجلماسي، أبو محمد القاسم: المنزع البديع، تحقيق: طلال الغازي، ط3، الرباط، مكتبة المعارف، 1980، ص 218.

(51) القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 226-227.

(52) كريمر، صموئيل نوح: السومريون، ترجمة: فيصل الوائلي، بيروت، مكتبة الحضارة، د. ت، ص 294.

(53) القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 227.

(54) عصفور، جابر: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، المركز العربي للثقافة والعلوم، 1983، ص369.

(55) تشاندر، دانيال: أسس السيميائية، ترجمة، طلال وهبة، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008، ص 252، ويراها المؤلف مجموعة من الممارسات التي يألفها مستعملو وسيلة الاتصال التي تعمل ضمن إطار ثقافي واسع.

(56) فضل، صلاح: أساليب الشعرية المعاصرة. دار قباء، د ت، ص19.

(57) أبو ديب، كمال : في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص230.

(58) الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ط2، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، 1966، ج4، ص192.

(59) إسكندر، فائز: النقد النفسي عند ريتشاردز، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت، ص133.

(60) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، طبعة الحلبي، 1376هـ، 1، ص275.

(61) عرفان، وليد: ديوان حسان بن ثابت، لندن، سلسلة جب، 1971، ص 7-8.

(62) المرزباني، محمد بن عمران: الموشح في مآخذ العلماء على الأدباء، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، ص1963، ص39.

(63) الجواهري، محمد مهدي، 2011. اليوتيوب، "الجواهري - الغناء". متاح على الإنترنت. https://www.youtube.com/watch?v=czYJkfWZU2M (تأريخ الدخول 23 /9 /2016).

(64) علي، نجاة: فن الإلقاء بين النظرية والتطبيق. ط3، الدار المصرية اللبنانية، 2003، ص31.

(65) نعمان، خلف رشيد: شرح الصولي لديوان أبي تمام. ط1، بغداد، سلسلة التراث، 1977، 1، ص23.

(66) الجواهري، محمد مهدي: مذكراتي. ط1، بيروت، دار المنتظر، 1999، ص 69 -70.

(67) اليشكري، الحارث بن حلزة: الديوان، صنعه: مروان العطية، ط1، دمشق، دار الإمام النووي للنشر والتوزيع، وبيروت، دار الهجرة، 1994، ص 55.

(68) صلاح، يوسف عبد القادر: في العروض والإيقاع الشعري، ط1، دار الأيام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1997، ص 178.

(69) جويو، جان ماري: مسائل فلسفة الفن المعاصر، ترجمة: سامي الدروبي، ط2، بيروت، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1965، ص 79.

(70) أبو السعود، سلامة: الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء للطباعة، د. ت، ص6.

(71) اليشكري، الحارث بن حلزة: الديوان، ص 66-67، دلهاً: باطلاً، خزاز: جبل أوقدت فيه نار تحشد قبيلتي بكر وتغلب في مواجهة الأحباش عندما كانت القبيلتان متوحدتين.

(72) صلاح، يوسف عبد القادر: في العروض والإيقاع الشعري، ص156.

(73) أبو ديب، كمال: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص396، المقطع القصير: هو كل حركات حرف صامت تحرك بحركة قصيرة، كالسين مثلاً مع الفتحة والضمة والكسرة سَ- سِ- سُ. أما الطويل فمنه ما هو مفتوح، وهي الحروف الملحقة بحروف المد الطويلة " لا – ذو- لي"، والمغلق هو المتحرك بحركة قصيرة ووليه سكون مثل لَنْ.

(74) سلطان، منير: الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الغنائي، مصر الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، 2000، ص 122.

(75) عبد الغفار، حامد: أصوات اللغة العربية، ط3، مكتبة وهبة، 1996، ص 28.

(76) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، همس وجهر.

(77) أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر العربي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص 22.

(78) اليشكري، الحارث بن حلزة: الديوان، ص 66 -67.

(79) الجواهري، محمد مهدي: 2014، قصيدة "يا سيدي أسعف فمي". متاح على الإنترنت ps://www.youtube.com/watch?v=F95DUWvmmf8 (تأريخ الدخول 21 /11 /2016).

(80) إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967، ص 47.

(81) المقطع المتحرك يتألف من حرف + صوت لين قصير ويسمى قصيراً، والمتحرك الطويل المنتهي بصوت لين طويل مثل لا، ويسمى طويلاً، والمقطع الساكن المنتهي بالسكون مثل (لَمْ)، والصوت الصامت: أي الذي يحتبس الهواء في أثناء النطق به، مثل صوت الثاء والتاء، والجزئي منه مثل

السين، أما الصائت فهو الذي ينطلق معه الهواء انطلاقاً تاماً، وهو خاص بحروف المد والحركات القصيرة. ينظر: أبو ديب، كمال: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص 396.

(82) عمران، محمود: البنية الإيقاعية في شعر شوقي، مكتبة بستان المعرفة، 2006، ص 50.

(83) سيبويه، أبي بشرعَمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي ودار اللرفاعي بالرياض، 1983 م، ج 2 ص 204-206.

(84) خلوصي، صفاء: فن التقطيع الشعري والقافية. بيروت، ط3، 1966، ص 13.

(85) أبو ديب، كمال: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص 253، 315.

(86) اليشكري، الحارث بن حلزة: الديوان، ص 66، 67، 72.

(87) عبد التواب رمضان: المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، ط3، مكتبة الخانجي، 1997، ص 106.

(88) عبد الحميد، سامي وفريد، بدري حسون: فن الإلقاء، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ج2، د.ت، ص 60.

(89) أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر العربي، ص 13.

(90) صمود، حمادي: التفكير البلاغي عند العرب، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1981، ص 247.

(91) المبارك، محمد: استقبال النص عند العرب، ص 137.

(92) الجواهري، محمد مهدي: 2014، قصيدة "يا سيدي أسعف فمي" متاح على الإنترنت ps://www.youtube.com/watch?v=F95DUWvmmf8 (تأريخ الدخول 21 /11 /2016 ).

## المصادر والمراجع


إبراهيم، صاحب خليل، **الصورة السمعية في الشعر العربي الجاهلي**، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000 م.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح (ت 850هـ)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1952 م.

ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، ج1، 1960م.

ابن فارس، أبو الحسين بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، القاهرة، المكتبة السلفية، 1910 م.

ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، **عيار الشعر**، تحقيق: محمد زغلول سلام، ط3، القاهرة، منشأة المعارف، د. ت.

ابن قتيبة، محمد بن مسلم، **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة، دار المعارف،1967م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مصر، دار المعارف، د.ت.

أبو ديب، كمال، **في البنية الإيقاعية للشعر العربي، نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن**، ط2، دار العلم للملايين، 1981م.

أبو السعود، سلامة، **الإيقاع في الشعر العربي**، دار الوفاء للطباعة، د.ت.

إسكندر، فائز، **النقد النفسي عند ريتشاردز**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

إسماعيل، عناد غزوان، **المرثاة الغزلية في الشعر العربي**، ط1، بغداد، مطبعة الزهراء،1974م.

إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967 م.

إسماعيل، عز الدين، **الأسس الجمالية في النقد العربي**. دار الفكر العربي، 1974م.

الأصبهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، والقاهرة، مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1963م.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط6، 1963م.

أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، القاهرة، مطبعة الأنجلو المصرية د. ت.

أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر العربي**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية،1963م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون،القاهرة، ط2، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، 1966م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط5، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1985م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط1، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1965م.

الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998م.

الجرجاني، عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط4، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،1966م.

الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ترجمة وشرح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني،1974م.

الجواهري، محمد مهدي، **مذكراتي**، ط1، بيروت، دار المنتظر، 1999م.

حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، عالم الكتب، ط3، 1998م.

خلوصي، صفاء، **فن التقطيع الشعري والقافية**، بيروت، ط3، 1966م.

السجلماسي، أبو محمد القاسم، **المنزع البديع**، تحقيق: طلال الغازي، ط3، الرباط، مكتبة المعارف، 1980م.

سعيد، جميل، **الشعر والإنشاد**، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، المجلد 14، 1967م.

سلطان، منير، **الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الغنائي**، مصر، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، 2000م.

سيبويه، أبي بشرعَمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض، 1982م.

شيخو، لويس، **أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء**، المطبعة الكاثوليكية، 1896م.

الصكر، حاتم، **بعض مشكلات توصيل الشعر من خلال شبكة الاتصال المعاصرة**، بغداد، دار الحرية للطباعة، مهرجان المربد الشعري السابع، 1986م.

صلاح، يوسف عبد القادر، **في العروض والإيقاع الشعري**، ط1، دار الأيام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1996م.

صمود، حمادي، **التفكير البلاغي عند العرب**، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1981م.

الصيرفي، حسن كامل، **ديوان البحتري**، مصر، دار المعارف، مجل1، 1964م.

طه، هند حسين، **النظرية النقدية عند العرب**، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، 1981م.

عباس، إحسان، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط4، منشورات دار الثقافة، 1983م.

عبد الحميد، سامي وفريد، بدري حسون، **فن الإلقاء**، الجمهورية العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، د.ت.

عبد التواب رمضان، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، القاهرة، ط3، مكتبة الخانجي، 1997م.

عبد الدايم، صابر، **موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور**، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1993م.

عبد الغفار، حامد، **أصوات اللغة العربية**، ط3، مكتبة وهبة، 1996م.

عبد الكريم، ألفت كمال، **نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.

عرفان، وليد، **ديوان حسان بن ثابت**، لندن، سلسلة جب، 1971م.

عصفور، جابر، **مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي**، المركز العربي للثقافة والعلوم، 1983م.

علي، نجاة، **فن الإلقاء بين النظرية والتطبيق**، ط3، الدار المصرية اللبنانية، 2003م.

عمران، محمود، **البنية الإيقاعية في شعر شوقي**، مكتبة بستان المعرفة، 2006م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، 1376هـ. **إحياء علوم الدين**، طبعة الحلبي، د.ت.

فضل، صلاح، **أساليب الشعرية المعاصرة**، دار قباء، د.ت.

قباني، نزار، **عن الشعر والحنين والثورة**، بيروت، منشورات نزار قباني، د.ت.

القرطاجني، حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، دار الكتب الشرقية، 1967م.

القيرواني، إبراهيم بن علي أبو إسحاق الحصري، **زهر الآداب وثمر الألباب**، شرح وضبط: زكي مبارك، ط4، بيروت، دار الجبل، 1972م.

القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، حقّقه وعلق عليه ووضع فهارسه: النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2000م.

القيسي، نوري والبياتي، عادل جاسم وعبد اللطيف، مصطفى، **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1989م.

الكبيسي، طراد، "**الشعر والكتابة القصيرة النقدية**"، بغداد، دار الحرية للطباعة، مهرجان المربد الشعري السابع، 1986م.

الكندي، امرؤ القيس بن حُجر، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، القاهرة، دار المعارف، 1984م.

المبارك، محمد، **استقبال النص عند العرب**، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999م.

المرتضى، علي بن الحسين، **أمالي المرتضى**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ق1، ط2، مصر، دار الكتاب العربي، 1967م.

المرزباني، محمد بن عمران، **الموشح في مآخذ العلماء على الأدباء**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، 1965م.

نعمان، خلف رشيد، **شرح الصولي لديوان أبي تمام**، ط1، بغداد: سلسلة التراث، 1977 م.

الهاشمي، علوي، **فلسفة الإيقاع في الشعر العربي**، ط1، مملكة البحرين، وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني، 2006م.

اليشكري، الحارث بن حلزة، **الديوان**، صنعه: مروان العطية، ط1، دمشق، دار الإمام النووي للنشر والتوزيع، وبيروت، دار الهجرة، 1994م.

**الكتب المترجمة**

تشاندر، دانيال، **أسس السيميائية**، ترجمة: طلال وهبة، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008م.

جويو، جان ماري، **مسائل فلسفة الفن المعاصر**، ترجمة: سامي الدروبي، ط2، بيروت، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1965م.

ريتشاردز، أ، آ، **مبادئ النقد الأدبي**، ترجمة: مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، 1961م.

كريمر، صموئيل نوح، **السومريون**، ترجمة: فيصل الوائلي، بيروت، مكتبة الحضارة، د.ت.

ماكليش، أرشيبالد، **الشعر والتجربة**، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، مراجعة: توفيق صالح، بيروت، منشورات دار اليقظة العربية، 1963م.

مونرو، جيمز، **النظم الشفوي في الشعر الجاهلي**، ترجمة: فضل بن عمار العماري، ط1، الرياض، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، 1987م.

هوكز، ترنس، **البنيوية وعلم الإشارة**، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة: د. ناصر حلاوي، ط1، بغداد، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية، 1986م.

ويلك، رينيه، ووارين، أوستن، **نظرية الأدب**، ترجمة: محمد عصفور، مطبعة خالد الطربيشي، 1972م.

**المراجع الإلكترونية:**

الجواهري، محمد مهدي، 2011. اليوتيوب، **الجواهري - الغناء**. متاح على الإنترنت. https://www.youtube.com/watch?v=czYJkfWZU2M (تأريخ الدخول 2016/9/23).

الجواهري، محمد مهدي، 2014. قصيدة: **يا سيدي أسعف فمي**. متاح على الإنترنت ps://www.youtube.com/watch?v=F95DUWvmmf8 (تأريخ الدخول21 / 11 /2016.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 593- 614

# تحوّلات الوعي في الرّواية العربيّة بعد النّكسة
# تيسير سبول وغسّان كنفاني أنموذجاً

محمّد سليمان السّعوديّ*

تاريخ الاستلام 2017/5/23 تاريخ القبول 2017/8/8

**ملخص**

تهدف الدراسة إلى قراءة أثر نكسة 1967م على المواطن العربيّ بعامّة، وعلى المواطن الفلسطيني بخاصّة، وستتناول روايتين لشابين عربيين: رواية "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول، ورواية "أم سعد" لغسان كنفاني، وهما عملان يتفقان في الرؤى الكلية ويختلفان في معالجة الحدث الجزئي اليومي؛ فقد وقف كنفاني على حدود المخيم وما آلت إليه الحياة اليومية لفلسطينيٍّ كان يملك أرضه وزمانه، واليوم مشرّد تحت حرّ الصيف وبرد الشتاء في خيمة؛ ولذا وقف مع بندقيته، فتردّد صداها في ساحات النضال. في حين كانت رؤى سبول خارجية ترصد الواقع العربيّ المتشظي من خلال بطل الرواية "عربي"، وكانت أفقية على المستوى السياسي والاجتماعي، بينما جاءت رؤى كنفاني عمودية موغلة في الألم والذكرى؛ لأنه حفرها بالمشاهد اليومية داخل النفس البشرية وداخل مخيّم جسّد بنية اجتماعيّة جديدة غير مألوفة للعربيّ الفلسطيني.

ولعلّ المتأمل في الروايتين يجد أننا نستطيع أن نقرأ تحولات الوعي من خلال مظهرين: المكان وأثره على الزمن النفسيّ الذي يغلف حياة الفرد والمجتمع في التفاصيل اليومية للحياة، خاصة أنّهما استدارا للمكان المغلق الذي كشف زيف الحدث العربيّ المصطنع أمام آلة الحرب الإسرائيلية، ثمّ توظيف الحوار وتيار الوعي في بعض جوانب المتن؛ لاستنهاض المروءة وتفريغ الطاقات الثقيلة التي خلفها الانكسار في مشروع وطنيّ قومي.

**الكلمات المفتاحية:** نكسة، تحوّلات الوعي، المكان، الحوار.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم اللّغة العربيّة، جامعة الطّفيلة التقنيّة، الطّفيلة، الأردن.

**المقدمة:**

تُعنى هذه الدراسةُ بتحولات الوعي في الرواية العربية في بلاد الشام، وتخص الزمن الذي لحق بحرب 1967م، وما أصاب الأمة من نكوص في التجربة، ونكران لواقعها المأزوم، وتشتت في الفكر، وتهتك في الروح. وما كان من الشباب الروائيين وقتئذ إلا أن نهضوا لتصوير هذا الواقع المرير من خلال الكلمة والصورة والطرائق الفنية؛ فأحدثت في نفوسنا ما أحدثته من مراجعات وحوارات وكثير من البكاء، وليالٍ من الصمت.

ولم تكن النكسة مرحلة نمطية في حياة شعوب المنطقة، بل كانت فعلاً مؤثراً على الأرض والفكر ونفس الإنسان فيه؛ ولذلك تحامت هذه الشعوب على ردّها بالوسائل كلّها؛ ومنها الأدب، اعتقاداً منها أنّ الكلمة لها أثر كبير في عقل العربيّ ووجدانه، فتجلّى هذا من خلال أعمال إبداعية روائية كبيرة، أظهرت الواقع المعيش قبل النكسة وبعدها، وقدّمت رؤىً قد نتفق معها أو نرفضها إلا أنها في نهاية المطاف رؤى نابعة من عمق الحدث. وستعالج الدراسة تحولات الوعي في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الشعوب ومستقبلها من خلال دور المكان والحوار في تقييم الواقع والكشف عن الرؤى الجديدة وتطويرها. وستقف على روايتين لتحقيق هذا الهدف هما: "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول الصادرة 1968م[1]، و"أم سعد" لغسان كنفاني الصادرة 1969م[2]. والروايتان متكاملتان في رؤية الحدث؛ فالأولى تمثّل وَقْعَهُ خارج إطار الوطن المحتل (الدول العربية)، فيما عالجت الثانية هذا الوقْع داخل المكان الجديد "المخيّم". ولو تجاوزنا صدورهما المتقارب زمناً، فثمة جوامع بينهما منها: محاولة البحث عن تفسير الحدث أو تقديم الحلول، واتهامهما من بعض الدارسين ببعدهما عن الترابط فنّيّاً، ناهيك عن تقارب المبدعين عمرياً، فقد ولد سبول 1939م، فيما ولد كنفاني 1936م، وصدقهما المؤثّر. وشيء آخر حدث بعد كتابة العملين، وهو موتهما في سن الشباب سبول 1973م، كنفاني 1972م.

وأظهرتْ الدراسة تحوّلات الوعي في محورين: محور خصّ المكان ودوره في هذه التحوّلات، مركزةً على المكان المغلق لدى سبول، والمكان المغلق المعادل، والمفتوح على الوطن المحتل فقط عند كنفاني. ومحور آخر كشف أبعاد الحوارات وأنماطها على المستوى الفردي والجماعي في الروايتين وعلى علمَي الاجتماع والنفس، وما نتج عنها من إظهار للمخبوء النفسيّ والاجتماعي تُجاه قضايا الأمة وعلى رأسها احتلال الأراضي العربية.

وقد تبنّت الدراسة المنهج الأسلوبيّ للوصول إلى النتائج المرجوّة، معتمدةً في هذا كلّه على النصوص المستلة من الروايتين، وتحليل ما يتعالق مع الظاهرة المدروسة. وكما نعلم فإنّ النّصّ حينما ينشأ يمتد ويتطوّر وقد يتفلّت من كاتبه، ولأنّ الثورات ولودة فقد صيغ خطاب جديد بعد

هذه الروايات واستُبدلت الرؤى، وتوقفت كثير من مسارب الحياة؛ دعوةً للتأمّل وتقييماً لمسيرة طالتْ في دروب الهلاك والفقْدِ، وأرجو أن تكون هذه الدراسة واحدة منها.

## 1- بين الروايتَيْن:

إنّ ما يجمع الروايتين من تلاق أكبر مساحة مما يفرقهما، فهما روايتان متزامنتان في الصدور تقريباً، تعالجان موضوعاً واحداً: النكسة العربية في فلسطين وفقدان القدس، والمبدعان شابّان عربيان أفل نجمهما وهما في الثلاثين من العمر، أُخذ عليهما في الروايتين التفكيك في السرد والتشتت في الزمان والمكان، وهو موضوع كبير لا سبيل لإثباته أو نفيه في هذه الصفحات؛ لأنه خارج إطار المعالجة، إلا أن الذي يهمني في الموضوع أنهما تعرضا للنقد الفنّي مع القبول الواسع لهما من جمهور المتلقين على مستوى الوطن العربيّ. كان موقفهما من التراث العربيّ غريباً؛ فقد ساق سبول إلينا نصوصاً تراثية أظهرت "عمق حضور الانهزام والخلل الذي يمدّه الراوي أو الروائي إلى حاضرنا فيشكلان معاً سلسلة من الأخطاء والخلل معمقة"[3]، في حين لم يلتفت كنفاني للتراث بوجهيه الإيجابي والسلبي، وأعتقد أنّه أراد أن ينغمس في واقعه بعمق لعله يصنع شيئاً لقضيته.

### 1-1: "أنت منذ اليوم":

صدرت الرواية، أول مرّة، عام 1968م عن دار النهار في بيروت، وهي من أوائل الروايات العربية التي استلهمت أحداث 1967[4]، وفازت بجائزة الجريدة نفسها في العام نفسه، وهي رواية "بُنيتْ في أغلبها على الاسترجاع بالوقوف عند هزيمة حزيران"[5]، فتضمنت مشاهد في حياة "عربي" جلّها غربة؛ غربة "عن الأسرة، والحزب، والمجتمع برمّته.. لكنّها مشاهد لا تتطوّر من موقف إلى آخر، أي أنها لم تأتِ متسلسلة زمنياً؛ فهي تتوازى حيناً وتتقاطع أحياناً، والروائي يقدّم بذلك تصوّراً جديداً لوحدتي الزمان والمكان بحيث يبدوان ضاغطين على التكوين الذاتي "لعربي" فتمتزجان مع الأحداث الضاغطة، فالخلخلة في الزمن الروائي انعكاس للخلخلة في ذات المثقّف – عربي- الذي يبدو بطلاً ومتفرّجاً في آن واحد"[6]، ولعلّ هذه الرؤية الفنية لم تكن شائعة وقتئذ إلا في حدود ضيقة، ويعدّ سبول من الروائيين الذين أتقنوا هذا البناء "الذي يقوم على ترتيب مشاهد سردية متناثرة في الزمان والمكان، لا تتظافر فيما بينها لتشكيل حكاية تقليدية، إنما لتكوين خطاب يقوم على تنضيد المشاهد وتوزيعها، أكثر ممّا يقوم على بناء سياق متدرج يهدف إلى إنشاء حكاية"[7]. وهي تعبّر عن مأساة وفجيعة عاشها المثقّف العربي بعد هزيمة حزيران[8]؛ وبذلك عكست انخراط وقائع حياة سبول النفسيّة والاجتماعية، على مدار أيامه المتّصلة بأحداث الساعة على الصعيد السياسي"[9].

### 2-1: "أم سعد"

تعد رواية "أم سعد" لكنفاني من الأعمال الروائية التي أحدثت تطوّراً على المستويين الموضوعي والفنيّ حينما صدرت عام 1969م، وتشكّل أم سعد الشخصيّة المحوريّة فيها، وهي شخصيّة متطوّرة انتقلت من أمٍ وربةِ بيت مهجّرة من أرضها إلى شخصيّة فاعلة مؤثّرة، استطاع كنفاني من خلالها أن يُظهر فكرة الكفاح المسلّح لاسترداد الأرض، وقد تعالقت شخصيتها مع سعد ابنها الذي التحق بصفوف الفدائيين، وزوجها الذي رفع رأسه بين الناس بما قدّم سعد من فداء، واستعداد ابنه سعيد للنضال أيضاً. ولم يقف كنفاني عند هذه الشخصيات فقط، بل كان هناك بطل يحاور ويداخل ويسأل، وشخصيات أخرى بسيطة أظهر من خلالها البساطة التي تمثّلت بفضل وليث، والمكر والخداع الذي تمثل بعبد المولى. تفرّد كنفاني في نظرته للقضيّة بأن سلك طريق "التمرّد في "أم سعد" إلى الممارسة الثورية – الكفاح المسلّح الذي يغيّر العلاقات بين الناس في المخيمات ويبدل نفسياتهم"[10]. وإن بدت الرواية مجموعة "عنقودية إلا أنّ نبض إيقاعها من أول خطوة فيها وإلى آخر خطوة تجعلها رواية تشكيل متماسك"[11]؛ ولهذا شكك بعض الدارسين بدخولها فن الرواية بسبب اشتمالها على تسع لوحات[12]، ولعلّهم في هذا وقفوا عند شكل روائي واحد مثّل البدايات، ولم يؤمنوا بأن الرواية كائن حي يتطور ويتداخل.

### 2- تحوّلات الوعي:

### 2-1: المكان في رواية "أنت منذ اليوم"

لعلّ مقولة باشلار بأن "الوجود غير خاضع للتشتت"[13] أساس في فهم المكان فلسفياً، ويلتقي كثيراً مع رؤية أخرى ترى أن دراسة المكان تقوم على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تختلف عنه"[14]. والحديث عن سبول حديث متشعّب في الدراسات العربية المعاصرة، حيث ورد معظمها ضمن مقالات في صحف ومجلات غير محكّمة، ممّا أضفى عليها شيئاً من الاستعجال، وهذا لا ينسحب على الدراسات جميعها، فهناك دراسات خصّت أدبه وروايته "أنت منذ اليوم" وهي ميدان الدرس هنا – برؤى عميقة أظهرت قدرة سبول على كتابة الرواية الحديثة وعِظَمِ الهدف الذي يرمي إليه.

إن المكان عند سبول في روايته "أنت منذ اليوم" جاء مكاناً مغلقاً تجاوز النمطية المعهودة ليمثل الطبيعة، والمسكن، والجسد وعوالم الإنسان الأخرى، واسترجاعات من قصة موسى، وكأنّ سقوط القدس وفلسطين بأكملها 1967م كان محفّز هذه الطريقة من المعالجة، بحيث إن الإنسان العربي يبحث في ذاته وعوالمه وما يحيط به، إلاّ أنه في حقيقة الأمر في مكان مغلق لا يتواءم مع

رحابة المكان قبل 1967م، هذا من جانب، ومن جانب آخر يبرهن أن العربي قد انكفأ على نفسه بعد ذاك السقوط.

تعدّدت الأمكنة لدى سبول في روايته، وأخذ الجسد مساحة واسعة، ولعلّ هذا يُربط بالتضحيات، ففي "أنت منذ اليوم" علاقات غريبة بين الأشياء يبدو في ظاهرها التناقض بل التناظر في كثير من الأحيان، إلاّ أن التبصّر القليل يكشف للمرء أن هذا المبدع كان له عوالمه التي ينسجها في كتاباته فيحاول "الخروج من العالم الفيزيائي بسطوته وتأثيره وقسوته إلى عالم آخر يصعنه الروائي من جديد بخياله"[15]. لقد ركّز على أجزاء معينة من جسم الإنسان وترك أخرى، ركّز على مناطق التفكير والتخطيط والحركة فوقف على: الرأس والظهر، والجمجمة والفم وسويداء القلب، والوجه، والعينين، والوجنة، وكلها أمكنة ضيقة، ضيقةٌ في حجمها وحقيقتها المنظورة، إلاّ أنها عند سبول تعني أوطاناً وأناسيّ وحركة دائبة على وجه أرض كانت يوماً لنا.. وكأنه يفسّر الذي وقع عام 1967م بأنه لم يكن انهزاماً مادياً قدْر ما هو انهزام فكريّ وثقافيّ، ففي مشهد القطة، حاول الأب أن يضرب القطة على الرأس "تبعها وضربها قاصداً الرأس فأصاب الظهر.. واستلقت وجنتها على الأرض، ونفض أنفها مزيداً من الدم، ثم سكنت.. عيناها ظلتا مفتوحتين"[16].

إن المتتبع لهذا المشهد يجده قد ركّز على أمكنة مغلقة تمثل جسد الإنسان؛ ليظهر من خلالها مشهداً اعتيادياً يمثل حالة المواطن العربي الذي أنهك من خلال زمان لم يرض بالقليل من الهزائم. وكأنه جسّد لنا هنا العلاقة المتبادلة بين الزمان والمكان والمستوعبة في الأدب استيعاباً فنيّاً [17].

ولم يغفل سبول عن معالم العمران في روايته فقد ذكر النافذة والمطبخ والصالون، والبوابة الرئيسيّة، والغرفة، والدار، والحاكورة، ومبنى المكتبة، والمقصف، والحديقة، والمتحف، والسرير، والخيام، والمسجد، والمقهى، والمظلّة، والشبر والجزء، والزاوية، ولم يرضَ إلاّ أن تكون اليمنى. وهذا تتبع من الباحث ولكنه سردٌ مذهل من الروائي سبول لهذه العوالم العمرانية التي نتفق على أنها أجزاء متناثرة كل واحدة منها مغلقة، وكأنها تتوافق مع هذا العقل العربي المغلق نحو الحياة والتحرّر والحفاظ على الكرامة... ولا بدّ من شواهد نصيّة تثبت هذا التراجع الذي نتحدث عنه؛ فمنذ البدء يتحدث على لسان البطل عن أبيه:

"رأيته من النافذة واقفاً باب المطبخ وبيده العصا، وينظر شمالاً من حيث أتت، بيضاء منسابة الخطو، وفمها يتلمّظ خشيت أنها قد تدخل الصالون، فقررت أن أخرج"[18].

ويتحدث هنا عن القطّة التي ذكرت سابقاً، فما إن دخلت بيتهم ضربها أبوه على ظهرها ثم رأسها ثانية حتى فارقت الحياة ليظهر قسوة المجتمع من خلال "مشهد سينمائي يصور الحدث ضمن نقل دقيق لحركة القطة"[19].

ولنا أَن نتأمل في النص السابق من أولى سطور الرواية لنتفاجأ بهذا الكم من الأمكنة المغلقة (النافذة، المطبخ، الصالون) وكلّها تدلّ على مكانٍ آمنٍ في المعهود البشري، إلاّ أن سبول قلب هذا كلّه ليبيّن التشظي الذي أصاب الأمة بدءاً من البيت والأسرة الصغيرة؛ فإذا كان العنف ضدّ قطة وادعة تبحث عن مأوى أو حطام يسير، فكيف يكون التعامل مع الإنسان إذاً؟! معتقداً أن روح التسلّط العربية بدأت من هنا؛ من الأب ثم سارت في أُطرٍ حتى اجتاحت كل النُظم، حتى النظم التعليميّة لم تخرج عن دائرة هذا الخراب:

"في الجامعة قال لنا الرفيق الكبير أن نتأهب لنؤدب الشعوبيين.. ما أحببت الرفيق الكبير في الجامعة. أعتقد أنه ليس إلا أحمق كثير الكشف عن أسنانه، فيما يعتقد أنه يضحك، وأظن أنه يحبّ النساء أكثر من الأمة"[20]. ويبدو أنه مشهد يدل على حقيقة القواعد الرئيسة للعمل الحزبي وهي الجامعات؛ فالتفكك والبحث عن فرديّة السلوك ونسيان جوامع الأمّة.

أما على المستوى الديني فقد أظهر الصورة الواقعيّة للمسجد في ذاك الزمن بصورة انتقادية جزئية، لعلّه بهذا النقد يسهم في تحوّل جديد لواقع يمسّ الشريحة الأكبر من الناس:

"كفّ خطيب مسجد الجامعة عن مهاجمة الاشتراكيين والملحدين، وكرّس خطبة لمهاجمة ملابس النساء القصيرة، وأمور أخرى تخصصيّة "[21].

بمعنى أن فعل الاحتلال جعله ينكفئ للداخل، ويصبح أكثر انعزالاً عندما يحصر الإسلام كلّه في اللباس وينسى برامج تكوين الأسرة، والمجتمع والدفاع عن حياض المقدسات، والشعوب المنهوكة بهذه المباشرة التي تظهر قدرة سبول الشاعر قبل أن يكون روائياً[22].

ينتقل سبول بنا بين أمكنة مغلقة في داخل حرم جامعيّ مغلق أيضاً، فمطعم الطلاّب الصغير المكتظ[23] كان موئلاً للقائهم وحديثهم في أمور الوطن، وتحت "سقيفة ما، أعلنوا أنهم ممثلو الشعب، وأنهم لا يريدون الزعيم (ديكتاتور منحرف)، ووعدوا الشعب بنفس الوعد؛ وحدة صحيحة"[24]. حتى في حديقتها كان ثمة صراع بين مَنْ أسماهم (المؤمنين) وزملائهم الآخرين بسبب عدم مراعاة حرمة رمضان، ولذلك تخلع الأغراس وتخرّب.

"في الجامعة يطوف الطلاب المؤمنون، في عيُونهم غضب مهيّأ.

يفحصون المقصف والمطعم والزوايا بحثاً عمّن تسوّل له نفسه شرب الشاي أو التدخين...

لم يرَ خلع أغراس حديقة الجامعة هذه المرّة. وعلم أن الطلاب المؤمنين تصدّوا لأحد المدخنين وضربوه، فاتّحد أعداء الصوم من أعضاء الحزب ومن خصومهم السابقين الشعوبيين وهاجموا المؤمنين"[25].

مشهد يعبّر عن عمق الخلاف بين الطبقة المتعلمة في المجتمع على قضايا فرعية فيما العدو يتربع على الأرض.

## 2-2: تحوّلات الوعي: المكان في رواية "أم سعد"

لا غرابة أَن كنفاني بدأ بالمكان في روايته عندما ربط بين أم سعد وقريتها "الغابسيّة"[26] إحدى القرى الفلسطينية التي طُرِد أهلها عام 1948، وبذلك أراد "صياغة التاريخ، فيتحوّل التاريخ بين يديه في التشكيل الروائي إلى زمان اجتماعي تسييسيّ ثوري[27]، وجعل منطلقه لهذه الرؤية مكاناً مغلقاً في عالمه المحسوس ذا إشارات عميقة في مدلولاته.

ولنا أَن نجمع الخيوط التي تشكّل عالم المكان لديه، فقد اتكأ كنفاني على ذاكرة المهجَّر للربط بين واقع أليم ركنت إليه الشعوب وماضٍ فيه شيء من غبش الرؤى، فهذه أم سعد تذكر كيف سرق الواوي دجاجة فسحبته من تحت سلك شائك وطقطقت رقبته[28]، لقد ركّز كنفاني هنا على المكان الصغير المغلق من جسد الواوي الذي قد نردّه إلى خلفيات كثيرة قد يكون المحتل واحداً منها إن لم يكن المتآمر من أبناء الوطن، ولعل المشهد نفسه حدث في "أنت منذ اليوم" فقد استرجع سبول مشهداً مشابهاً حينما أدخل مشهد القطة التي التهمت قطعة الكتف وكيف كان موقف والد عربي: "رأيته من النافذة، واقفاً بباب المطبخ وبيده العصا تلمّستْ الزوايا وهي تموء بخوف. تبعها وضربها قاصداً الرأس، فأصاب الظهر، تدحرج جسدها مرتين ولاذت بالنافذة.

سمعتُ صوت مخالبها المحتكة بالزجاج، قفزت، فضربها وأصاب الرأس، فنفر دمُها ورشَّ الأرض"[29].

لا يختلف قارئ عن قارئ آخر في أَن المكان لدى كنفاني في روايته "أم سعد" هو مكان مغلق وإذا انفتح لم ينفتح إلاّ على الوطن فلسطين؛ ولذلك تكرّرت بعض الأماكن المغلقة أيضاً في الرواية مثل المخيم، الزنزانة، دار الراوي، قرية الغابسيّة، الحدود، البناية التي عملت فيها أم سعد في لبنان، ثم فلسطين الوطن المحتل المعزول.

لقد أسهمت هذه الأمكنة في تعميق الوعي لدى المتلقي ودوران الأحداث في الرواية؛ فعندما يكون المخيم الفقير مسرحاً لنقاشات وحوارات تمتد فكرياً لكل الأصقاع العربيّة، حتّى مكّنه هذا من أن يصبح نقطة تحوّل العربي الذي فقد كل شيء حتى التراب الذي يحيا فوقه إلى فاعلٍ على

مستوى الفعل اليومي أو العمل المستقبليّ؛ ولذلك ظلّت اللفظة (المخيم) فاعلةً في كل تفاصيل الأحداث، فكُرّرت كثيراً، ومن ذلك حينما سألها: "كيف كان المخيم اليوم؟

وفجأة نظرت إليّ، ثم فرشت كفيها أمامي:

بدأت الحرب بالراديو، وانتهت بالراديو، وحين انتهت قمت لأكسره، ولكن أبا سعد سحبه من تحت يدي. آه يا ابن العم! آه!" [30].

تكاد تكون عباراتها ملخصةً لما جرى ويجري!!

وفي سياق جديد ربط كنفاني بين المخيم وقرية أم سعد (الغابسيّة) التي تمثل الامتداد التاريخي الطبيعي لشخصيتها، فيما المخيم هو الطارئ الجديد الذي أثقل كتفيها وأنهك قواها:

"أم سعد، المرأة التي عاشت مع أهلي في الغابسيّة سنوات لا يحصيها العد، والتي عاشت، بعد، في مخيمات التمزّق سنوات لا قِبَل لأحد بحملها على كتفيه" [31].

وفي هذا الربط دَفْعٌ لعدم الاستسلام لهذا الواقع العنيد، وتحريكٌ للنفس على رفضه مهما ابتعدتْ المسافة أو امتدّ الزمن فيه. لقد أثّر هذا المكان في عقلية ساكنيه وحدّث من نظرتهم للموت والحياة؛ فطائرات العدو تقترب من المخيم؛ فما كان من الناس إلاّ أنهم خرجوا لينظروا إليها ويتابعوها دون وجل:

- "هل كنت هناك؟

- وحدي؟ ماذا تعتقد يا ابن العم؟ وحدي؟ كنّا كالنمل.

كل نساء المخيم وأولاده وشيابه خرجوا كأنهم اتفقوا على ذلك سلفاً، ووقفنا جميعاً هناك. لا نعرف ماذا يتعيّن علينا أن نفعل. وفي الأفق كنا نرى الحرائق، ثم سمعنا محرّك طائرة يجرس عن قرب، فرفعنا رؤوسنا إلى فوق" [32].

ولنا أَن نقف عند عبارة "فرفعنا رؤوسنا إلى فوق"، وأظنها جاءت هنا شموخاً وكبرياء على ما هم عليه من تهجير وفقر وعوز، لقد أظهر هذا المشهد رؤية "الجماهير الفلسطينية في المنفى وصوتها" [33]. حيث تبدّلت المفاهيم لديهم من التّعميم والاتّساع إلى واقعيتها التي تهمّهم. ومن هذا عندما يسأل البطل أم سعد عن ابنها:

"يقطع الحدود إلى أين؟

وشهدت في ركن شفتيها تلك الابتسامة التي لم أرها قط على وجهها، والتي صار يتعيّن عليّ أن أراها هناك دائماً، منذ هذه اللحظة، تشبه رمحاً مسدوداً" [34].

فلم تقدّم أم سعد هنا إجابةً، إنما أَظهرت استغرابها من السؤال؛ لأن إجابته واضحة لا جدال فيها؛ فسعد يقصد الوطن. وبهذا المهد فقد ربطت ثلاثة مجالات مكانية كبرى تحتضنُ كلَّ الأماكن الروائية التي تتوافر عليها الرِّواية الكنفانية: مجال الوطن، مجال المنفى، ومجال الحَدْ"[35].

ومن الأمكنة المغلقة التي حوّلت في وعي الناس لفظتا الزنزانة والحبس؛ لقد أراد المختار أَن يأخذ من سعد ورفاقه توقيعاً يتعهدون فيه أن يكونوا أوادم، ولكنهم رفضوا وطردوه:

" من هم؟

سعد ورفاقه. قال لي المختار إنهم ضحكوا عليه، وإن سعد سأله: شو يعني أوادم؟ قال المختار إنهم كانوا محشورين في زنزانة، وإنهم أخذوا يضحكون جميعاً"[36].

لقد انكشفت لهم الحجب بالممارسة اليوميّة، فأدركوا واقعهم وما عليهم أن يَفْعلوا؛ ولنا في مشهد أم سعد عبرة فهي تصارح البطل علناً:

– أتحسب أننا نعيش في الحبس؟ ماذا نفعل نحن في المخيم غير التمشي داخل حبس، بيتك حبس، والجريدة حبس، والراديو حبس، والباص والشارع وعيون الناس..... أعمارنا حبس"[37].

ولم تكن أُم سعد الفلسطينية سوى امرأة انهكها العمر الصغير المملوء بالجراح؛ فلم ترضَ أن تبقى في العمارة بعدما أخبرتها المرأة اللبنانية الجنوبيّة أن لديها أبناءً وقد طالبت بأن تكون الأجرة سبع ليرات وليس خمس؛ فاستغنوا عنها، فما كان من أم سعد إلاّ أن تركت العمل على فقرها وحاجتها، وهذا تحوّل في الوعي الاجتماعي للحياة:

"يختي، والله لم أكن أعرف، ولم يقولوا لي ... خذي أشطفي بقية الدرج، الله يقطع هالبناية وصحابها، أنا اشتغلت هنا شهراً وثلاثة أيام، وأجرة الأسبوعين الأخيرين لم أقبضها بعد. غداً صباحاً قولي للخواجا إنّ أم سعد سامحتني بالأجرة"[38].

كما هي عادتها أم سعد لقد انتصرت على واقعها المؤلم، فليست البناية إلاّ مكاناً مغلقاً كما هو المخيم وغيره، وقد سمت نفسها على الماديات كلّها؛ فتشردها عن وطنها "تعبير عن القهر القومي، وكونها عاملة مستغلة تعبير عن القهر الطبقيّ، عاملان مترابطان يولدان الظروف الملائمة للوعي ومن ثم البدء في اختراق الواقع"[39].

## 3- تحوّلات الوعي:

### 3-1: الحوار في رواية "أنت منذ اليوم"

يُعرّف الحوار في الرواية على أنه "اللغة المعترضة التي تقع وسطاً بين المناجاة واللغة السردية، ويجري بين شخصيّة وشخصيّة"[40]. وقد تطّور الحوار في الدراسات النقدية ليصبح مصطلحاً جديداً تحت "الحوارية" التي ألحّ باختين على ربطها بالخطاب، لأنّ المعارف جميعها تأخذ شكل الحوار[41]. وما يهمنا هنا الحوار الذي تعدّدت أصواته في "أنت منذ اليوم"، واختلفت مستوياته؛ وتجاوز البناء الروائي للشخصيّة في زمنه بمناقشة مسائل ابتعد عنها كثير من الروائيين؛ فقد أظهرت الحوارات نقده للسلطة الحاكمة، والأحزاب المناهضة، والسلطة الدينية والتفكك الأسري والاجتماعي، وتأنيبَهُ للنفس العربيّة الواحدة.. وكان هذا كلّه من خلال شخصيّة "عربي" بطل الرواية، وتزامن مع هذه الحوارات تحوّلات أصابت الوعي الفردي والمجتمعي المؤسسي. ففي حديثه عن تديّن الشعوب بيّن أن هذا التديّن طقوس منفصلة عن الحياة، لا أثر لها على حركتها وبناء الفرد والأسرة، قبلها وصف الحالة الواقعة بقوله:-

"يقرأ في التاريخ، يحبّ الطيبين، يتخاصم مع السيئين... لماذا يتألبون على الإمام؟ هو ذا واقف بباب الدار غروباً، يشخص بصره إلى السماء، ودموعه تنسكب على لحيته البيضاء، وهو يقول:

يا دنيا غرّي غيري

يا دنيا غرّي غيري

غرّي غيري

قد طلقتك ثلاثاً

لكن المشكلة أن عثمان قد بُشّر أيضاً... [42].

بمعنى أنّ دُنيا فلسطين كاملة ضاعت، وهذا لا يزال عند نفسه، وكأن شيئاً لم يحدثْ، ومن هنا شكّل مفارقة على مستوى السلوك الاجتماعي اليومي، فقد أجرى حواراً على لسان والد عربيّ وأمّه، ليبيّن واقعية البنية العميقة للأسرة العربية، وكيف أن الأب يأكل حقوق الزوجة، وفي الوقت نفسه، يحافظ على الصلاة؟!:

- هذا بيتي، سجّلوه باسمي.
- يا بنت الكلب، من أين لك البيت؟

- أنزلت مزيداً من دموعها وحملقت بغرابة، فخشيت أنها قد تُجن..
- أنت لا تعرف الله. هذا بيتي. مهري.
- قالت بكلام متقطع مثل كلام الأطفال حين يبكون، وشتمها من جديد، وذهب ليؤدي الصلاة[43].

واتّجه من خلال هذا إلى تيار الوعي ليظهر المرمى الذي يبتغيه، والذي يتمثّل بدولة واحدة تجمع كلّ هذا الشتات العربي:

"وقال لنفسه:

أحبّ أن أحمل وشم دولة عظيمة. أنا متأكد من هذا. غير أن الكراسات الحزبية تضجره. لقد عرف أنها متشابهة، ولا معنى لتوزيعها كل أسبوع. يسقط الاستعمار. نعم لكن كيف؟ لم تكن الكراسات مفصّلة، ولم تحمل له الاكتفاء"[44].

ولكنّه في الوقت ذاته ينتقد الحزبيّة المتعدّدة والمتناحرة على هدف واحد؛ إنّ الجدلية المادية بين وضع المجتمع والعمل الأدبي سيحوّل هذا العمل إلى حلبة صراع دائم بين ألفاظ شخوصه وتجاربهم[45]؛ ولنا أنْ نتأمّل في هذا الموقف الجديد الذي أظهر عربي من خلال حواره بغضه للقائد الحزبي في الجامعة:

وعندما كنت أسير مع طالبة شعوبيّة سمراء عرفتها منذ زمن سابق، وأظن أنه كان يحب النساء أكثر من الأمة، التقاني، وكشف عن أسنانه وقال:

- عرّفني عليها
- لماذا يا رفيق؟
- بلا رفيق بلا بطيخ – عرفني عليها... ها ها.
- إنها شعوبيّة
- ما يخالف عيني.. ما يخالف
- لم أعرّفه عليها، ولم أستفد، أنا شخصيّاً، من معرفتها[46].

إن لجوء سبول إلى الحجج من خلال المسير اليومي للحياة يكشف شوقه لبيان هذا السقوط الذي أصاب الأمّة حتى عند مَنْ يدّعي أنه يقاوم من أجلها؛ وذلك أن الأمة لم تُعنَ كثيراً ببناء الإنسان، فقد سحب علينا سنوات طوال عن عصور الظلام وما كنا فيه من فقر عقلي، ولم يقل

أحدٌ للشعوب إن هذا الوصف لا يناسبنا، لكنها كانت عصور النور لدينا (من القرن الخامس حتى العاشر الميلادي)، بمعنى أننا لم نقرأ تاريخنا جيداً:

"عصور الظلمة، أي أنّه كان هناك نور وانطفأ خمسة قرون، ثم عاد واشتعل، وأنت فخور بهذا.(ما عسى أن يهمني أمرهم؟) عمن يتحدث الجنرال؟ عن شعبي وعني أنا. من الذي سأله والاهتمام بأمرنا؟"[47].

## 2-3: الحوار في رواية "أم سعد":

يُعرف الحوار أنّه من عناصر المسرح الرئيسة، وأنّه عمدته وطرفه الذي لا نسمّي المسرح مسرحاً إلاّ به، إلاّ أن الرواية هدفت إليه، ولكن بطريقة مقنّنة يحدّدها كاتبها، ولا شك أن كنفاني من الروائيين الذين ارتكزوا على الحوار بصورة كبيرة لاستجلاء أفكاره، وإيصالها لأكبر شريحة من المجتمعات؛ ولذا اعتمد عليه كثيراً لبثّ تحوّلات الوعي عند الإنسان البسيط في مخيّمه المحصور، أو أبناء وطنه في الداخل الفلسطيني أو على امتداد شعبه العربي الذي يرى فلسطين وطناً ضائعاً. ولو تتبّعنا هذا لوجدناه حقيقة ماثلة من خلال حوارات أطلقها على لسان الراوي أو لسان أم سعد وأبي سعد، ولإظهار هذا سندلّل ببعض المواقف. ففي مشهد جديد، يمثّل الحياة الجديدة التي تحياها أم سعد في المخيّم حيث غشي المخيّم مطرٌ غزير فطاف ليلاً وسألها البطل:

"وابتسمت، ولكنني رأيت شريطاً من الوحل الأحمر يطوّق طرف ردائها وهي تستدير. قلت لها:

ماذا يا أم سعد؟ هل وقعت؟

وبسرعة التفتت إليّ !

- وقعت؟ أم سعد لا تقع. لماذا؟
- ثمّة وحل على تنورتك.

حكّت الوحل بأصابعها الخشنة، ثم تركتها لشأنها حين أحسّت أنّه ما زال طرياً، وقالت:

- طاف المخيّم في الليل.. الله يقطع هالعيشة[48].

وحتى عندما أطالت البكاء كان ردّها واضحاً برهنت من خلاله أن المأساة أكبر من حمل الإنسان:

- ولو يا أم سعد؟ أنت تبكين؟

- أنا لا أبكي يا ابن عمي. أود لو أستطيع. لقد بكينا كثيراً كثيراً.. كثيراً. أنت تعرف. بكينا أكثر مما طافت المياه في المخيم ليلة أمس، وذات صباح كان سعد قد ذهب[49].

إلاّ أنّها ربطت هذا الحوار بذهاب سعد لمقاومة المحتل، بمعنى أنّها ربطت بين دموعها على ابنها ودموعها على التشريد والغربة، فهي "بطل نمطيّ تصنع ذاتها والتاريخ من خلال تعايش مستمر للزمان"[50]. لقد أثار الأمهات كنفاني لإرسال أولادهن لساحات المعارك وعدم الاستسلام لدعوات تثبيط الهمم:

- يا ابن عمي، أريد أن أقول لك شيئاً. لقد ذهب سعد.
- إلى أين؟
- إليهم
- مَنْ
- إلى الفدائيين

وسقط صمت متحفّز فيما بيننا[51].

ولم يقصد هنا أن الصمت بينه وبينها فقط، بل هو صمت يمتدّ مثل نور الفجر في قلوب الأمّهات، وكأنه يرنو إلى "التناوب والتبديل، الموت والتّجدد"[52]، لقد كان كنفاني ذكياً في نسج عباراته، دقيقاً في ترك فراغات لا تملؤها إلاّ قلوب الأمهات الصابرات؛ ولذلك لجأ إلى حوار النفس (تيار الوعي) ليكثّف من مشهد الالتزام بالوطن والفداء من أجله؛ ولذلك تدخّل.

"وكنت ما أزال أنظر إلى كفّيها، منكفئتين هناك كشيئين مصابين بالخيبة، تصيحان من أعماقهما، تطاردان المهاجر إلى الخطر والمجهول.. لماذا، يا إلهي، يتعيّن على الأمهات أن يفقدن أبناءَهن؟ لأوّل مرّة أرى ذلك الشيء الذي يصدع القلب على مرمى كلمة واحدة مني، كأننا على مسرح إغريقي نعيش مشهداً من ذلك الحزن الذي لا يداوى"[53].

ومع هذا كلّه عمّق كنفاني من هذا التحوّل المتدرّج الذي يؤمن بتجرّع الفكرة مثل الدواء للمريض، فهذه أم سعد تحبّ أن ينخرط ابنُها في الكفاح المسلّح من أجل فلسطين إلاّ أنها في الوقت ذاته تحاول أن توصي عليه قادته:

قلت لها:

- لا ضرورة لأن تزوريه هناك، دعيه يتصرّف وحده إن الرجل الذي يلتحق بالفدائيين لا يحتاج، بعد، إلى رعاية أمه.

.....

أتعتقد ذلك حقاً؟ أتعتقد أنّه من غير المفيد أن أذهب إلى رئيسه هناك وأوصيه به؟

وتحيّرتُ قليلاً، مستشعراً التمزّق ينهكها[54]:

وما لبثت غير قليل حتى تحوّلت أم سعد إلى موقف جديد فرحةً تحت الأمطار بسبب أَن المقاومين قد أصابوا سيارةً لعدو، وابنها سعد بينهم:-

"وفي مستنقع الوحل شهدت أم سعد واقفة مثل شارة الضوء في بحر لا نهاية له من الظلام، وقد رأتني قادماً، فلوحت بيديها، كان صوتها أعلى من صوت الرعد المدوي في سقف السماء وانهمر الصدى من كل صوب كالشلال:

أرأيت؟ قلت لك إن سعد سيهدي أمه سيارة[55].

وازدادت حساسية أم سعد تُجاه الأشياء - ومنها الناس- فقد أصابتها الريبة من عبد المولى، عندما كانت في فلسطين قبل الاحتلال وعلت موجة الاسترجاع، وتذكّرت كيف فعل بـ (فضل) الفلاح البسيط وكيف تجاوز حقّه وادّعى البطولة والتحرير؟ وكيف تخلصوا منه؟[56]، وربطت بين هذا كلّه وواقع عبد المولى اليوم الذي لا يقف بجوار أهله وشعبه فقد حرّك كنفاني هذا الحس بصورة كبيرة في قلوب الناس وعقولهم؛ لأن المعركة ليست مع الأعداء الظاهرين فقط، بل هي معركة مع من يقفون بجوارنا وخلفنا وأمامنا في الصفوف وهم علينا. إنّه مشروع حاول بناءه كنفاني في ناشئة المخيم:

"وقلت لها: وما الذي ستفعلينه الآن يا أم سعد؟

ومضت تهزّ رأسها محتارة، ثم اهتدت إلى أول الخيط،

لو ذهبت عند أم ليث وذكّرتها بحكاية فضل وعبد المعطي، أينفع ذلك شيئا؟

- ربّما، ولكن لماذا تتحدّثين وكأنك متأكدة من أهل ليث يفكرون في الكتابة لعبد المولى؟
- لا. أنا لست متأكدة من شيء ولكن لا بدّ أن أفعل شيئاً..." [57].

وكأننا أمام معلّم أو مجرّب يحذرنا الأشياء نفسها التي تقع بين سطور الثورات المكتوبة بالدماء، فثمّة أناس يركبون الفداء عندما يرتفع صوته في قلوب الناس، أو عندما يتحقق شيءٌ من نصر، ولذلك أدركت أم سعد أن فضلاً لو بقي في دنيانا لاستمرّ هؤلاء الدخلاء باستغلاله؛ وهنا يشير إلى الجهل الذي يلفّ حياة الناس والمجتمعات: (والحديث الآن عن فضل):

- "لو ظل في الجبل، يا أم سعد، لما استطاع عبد المولى أن يقيم الحفلة.

- صحيح، لو ظلوا كلهم، ولكن ماذا حدث؟ المسكين فضل ركبوا على ظهره، في المعصرة، وفي الجبل، ثم في المعصرة، ولو جاء إلى المخيم لركبوا أيضاً على ظهره.
- لذلك يريد سعد أن يمنع ذلك؛ هل عرفت الآن، إنه يريد ألا يجعل من ليث فضلاً آخر"[58].

لعلّ كنفاني كان يخشى مما وقع به مؤخراً (مقتله)، فقد طوّر في شخصيّة أم سعد بحيث إنها لا تثق فيما يتهمها زوراً.

- "أجل. أنت لا تعرف شيئاً... ما الذي أستطيع أن أفعله حين يؤشر صاحب سيارة علي، وأنا في ملابسي الرثة وشعري الذي طيّر ريح الطائرة غطاءه ووجهي الملطخ بالرمل والعرق.. ويقول:
- رأيتها تسرق سيارتي؟"[59].

لقد انتهى كنفاني لما أراده من خلال هذه التقنية؛ فجعل الحوار والاسترجاع وتيار الوعي طريقاً لإدراج حقيقة يؤمن بها ويريد أن يؤمن بها غيره وهي أن التحرير يبدأ بالكفاح وينتهي بالكفاح، ولو لم يكن هذا سبيله لما ختم حواراته الباردة بمَثَل مرض الحصبة المعدي، و يقول الفلاحون:"إنّ الحصبة إذا أصابت الولد فهذا يعني أنه بدأ العيش[60].

ويظهر أنّه ربط هذا بالأم لأسباب كثيرة، وأعظمها أن الأم هي التي يُتكأ عليها في إعداد جيل الوعي والتحرّر، إلاّ أنّه لم يخرجها في كل هذا من أمومتها، ويكفي أنها لم ترض أن تتابع عملها عندما علمت أنّها جاءت للعمل في البناية مكان سيدة أخرى لبنانية من الجنوب لديها أطفال كما هي أم سعد، لأنّ سكان البناية يريدون أن يوفّروا (ليرتَيْن).

- "كانوا يعطونني سبع ليرات. أنا امرأة عندي أربعة أولاد وقالوا لي سبع ليرات كثير... وجعلوني أنا أقطع رزقك. الله يقطع رزقهم![61].

**الخاتمة:**

توصّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات:

1. الروايتان تعالجان موضوعاً واحداً: النكسة العربية في فلسطين وفقدان القدس، كانت معالجة سبول على المستوى الفكريّ أفقية بينما جاءت عند كنفاني عمودية.
2. لم يَسِر المبدعان على طريق الرواية العربية وقتئذ فنيّاً، فأُخذ عليهما التفكيك في السرد والتشتت في الزمان والمكان، إلا أنّ هذا جاء منسجماً مع الواقع المعيش الذي تعالجه الروايتان.
3. شخصية "عربي" كانت المعادل للمواطن العربي في رواية سبول، في حين كان "المخيّم" المعادل للوطن المحتل في رواية كنفاني.
4. جاء المكان مغلقاً عند سبول في "أنت منذ اليوم"؛ فتجاوز النمطية المعهودة ليمثل الطبيعة، والمسكن، والجسد وعوالم الإنسان الأخرى، فبدا التشظي الذي أصاب الأمة بدءاً من البيت والأسرة الصغيرة إلى المجتمع الكبير.
5. ربط سبول وكنفاني المكان المغلق بالقهر والحزن على ما فات من حقوق، وجعلا منه نقطة انطلاق نحو الزمن الجديد من خلال نقد الواقع الاجتماعي والسياسي عند سبول، وانفتاح الكفاح المسلح من المكان المغلق نحو الوطن لدى كنفاني.
6. تحوّلت "أم سعد" المواطنة البسيطة في قريتها "الغابسيّة" إلى شخصية مناضلة في "المخيّم" لا تكتفي بتغيير حياتها وحياة أبنائها فقط، بل تدفع الآخرين للتغيير والنّضال.
7. أظهر الحوار في الروايتين الزيف الذي تعاني منه الأمة قبل النكسة بإطلاق التهم وتبني الأفكار الضيقة، ففي رواية "أنت منذ اليوم" كشف سبول زيف المكنون الحزبيّ والصراع على السلطة من خلال الدعوة القومية، وتقسيم المجتمعات خاصة الجامعات والمؤسسات الوطنية إلى قوميين وشعوبيين، في حين بيّن كنفاني الإهمال بمفهوم الإنسان داخل الوطن المحتل قبل النكسة، والتجاوز عن توعيته للعدوّ القادم.
8. هناك أعمال متعدّدة تحتاج إلى قرارات مقارنة في الموضوع نفسه، ولعلّ هذا يشمل معظم الأعمال الروائية التي تلت النكسة. ففي مثل هذه القراءات تُستجلى الأفكار والفنّيّات، خاصة أنّه كلما ابتعد الزمن تتضح الرؤية.

# Shifts in Awareness of the Arabic Novel after the "Naksa": Tayseer Sbol and Ghassan Kanafani as Models

**Mohamed S. Al-Sauodi,** *Arabic Department, Technical University of Tafīla, Tafīla, Jordan.*

## Abstract

The study aims to critically read the effect of the "Nakba" (the day of the Setback) in 1967 on Arab citizens in general and on Palestinian citizens in particular. Moreover, this study will deal with two novels written by two young Arabs: Tayseer Sbol's *You Since the Day* and Ghassan Kanafani's *Un Saad* both of which share a similar vision but differ in handling the daily minor event. For example, Kanafani stood on the border of the Camp contemplating on how the daily life has changed for displaced Palestinians who used to own his land and time; hence supporting armed struggle. On the other hand, Sbol's vision was horizontal, dealing with the situation of fragmented Arabs represented in "Arabi," the protagonist of his novel. Kanafni's vision was vertical, colored with pain and memory as he was able to delve deeply into the human psyche and inside the Camps representing new social structures not familiar to Arabs as well as Palestinians. Critically reading these two novels, one can read awareness shifts through two aspects: space and its effect on the psychological time that shapes the lives of individuals and society in everyday life, especially both novelists resort to closed places which, in turn, expose the hypocrisy of Arab position facing Israeli armed forces; employing dialogue and raising awareness in some parts of the texts so as to boost people's courage and self-esteem that are deeply repressed due to the Nakba and the failure of the National Project.

**Key words**: Nakba (Setback), Awareness Shifts, Space, Dialogue.

## الهوامش

(1) سبول، تيسير، أنت منذ اليوم، منشورات وزارة الثقافة، سلسلة إبداعات أردنية، الأردن، 2007.

(2) كنفاني، غسان، أم سعد، دار منشورات الرمال، قبرص، 2013.

(3) مراشدة، عبد الباسط، التراث في رواية "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج 12، ع1، الأردن، 2007، ص161.

(4) إبراهيم، عبد الله، في التجربة الإبداعية لتيسير سبول: البنية السردية في رواية "أنت منذ اليوم"، فصول، مج 14، ع2، مصر، ص243.

(5) الرواشدة، سامح، الشعرية في السرد في رواية "أنت منذ اليوم"، مؤتة للبحوث والدراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 15، ع8، الأردن، 2000، ص95.

(6) ماضي، شكري، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1978، ص54.

(7) إبراهيم، عبد الله، في التجربة الإبداعية لتيسير سبول، ص243.

(8) ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص56.

(9) محمود، فايز، تيسير السبول ورواية "أنت منذ اليوم"، الموقف الأدبي، ع107،108 نيسان، سوريا، 1980 ص108.

(10) ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص89.

(11) ياغي، عبد الرحمن، الخروج من دائرة الشخص إلى أفق (الشخصية) في رواية (أم سعد) لغسان كنفاني، المجلة الثقافية، ع43، الجامعة الأردنية، 1998، ص19.

(12) ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص175.

(13) باشلار، غاستون، جماليات المكان، تر. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط6، بيروت، 2006، ص24.

(14) قاسم، سيزا، بناء الرواية، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 11984، ص103.

(15) الرواشدة، السرد في رواية "أنت منذ اليوم"، ص96.

(16) سبول، "أنت منذ اليوم"، ص3.

(17) باختين، ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر. يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص5.

(18) سبول، أنت منذ اليوم، ص3.

(19) مراشدة، عبد الباسط، التراث في رواية "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول، ص155.

(20) سبول، أنت منذ اليوم، ص16.

(21) سبول، أنت منذ اليوم، ص25.

(22) الأزرعي، سليمان، الكلمة والرصاصة، دراسة في حياة وآثار الأديب تيسير السبول، وزارة الثقافة،، ط1، كتاب الشهر172، سلسلة كتب ثقافية، الأردن، 2013، ص136.

(23) سبول، أنت منذ اليوم، ص24.

(24) المصدر نفسه، 24.

(25) المصدر نفسه، ص31.

(26) ذهني، سهام، في ذكرى النكبة، الرواية إلهام للمقاومة: القدس: تحولات الزمان والمكان، المجلة، ع14، الإصدار الثاني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2013، ص7.

(27) ياغي، عبد الرحمن، الخروج من دائرة الشخص إلى أفق (الشخصية) في رواية (أم سعد) لغسان كنفاني، ص19.

(28) كنفاني، "أم سعد"، ص34.

(29) سبول، أنت منذ اليوم، ص3.

(30) كنفاني، "أم سعد"، ص12

(31) المصدر نفسه، ص21

(32) كنفاني، "أم سعد"، ص43

(33) ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص176.

(34) كنفاني،"أم سعد"، ص14

(35) بسيسو، عبد الرحمن، بنية المكان في الرواية الكنفانية، الجديد، ع6، 2015، ص4.

(36) كنفاني،"أم سعد"، ص16

(37) كنفاني،"أم سعد"، ص18.

(38) المصدر نفسه، ص60.

(39) ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص177.

(40) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص176.

(41) تودوروف، تزفيتان، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، تر. فخري صالح،، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1996، ص199.

(42) سبول، "أنت منذ اليوم"، ص8.

(43) المصدر نفسه، ص35.

(44) المصدر نفسه، ص12.

(45) يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافيّ العربيّ، ط2، المغرب، 2001، ص142.

(46) سبول، "أنت منذ اليوم"، ص16.

(47) المصدر نفسه، ص46.

(48) كنفاني، "أم سعد"، ص27-28.

(49) المصدر نفسه، ص28.

(50) درّاج، فيصل، الشعب- البطل في التاريخ بين "أم سعد" غسان كنفاني و"عجوز" أفنان القاسم، شؤون فلسطينية، ع49، 1975، ص126.

(51) كنفاني، "أم سعد"، ص22.

(52) باختين، ميخائيل، شعرية دوستويفسكي، تر. جميل التكريتي، مراجعة حياة شرارة، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص81.

(53) كنفاني، "أم سعد"، ص23.

(54) المصدر نفسه، ص25-26.

(55) المصدر نفسه، ص32.

(56) المصدر نفسه، ص52-53.

(57) المصدر نفسه، ص54.

(58) المصدر نفسه، ص55.

(59) المصدر نفسه، ص45.

(60) المصدر نفسه، ص73.

(61) المصدر نفسه، ص60.

**المصادر والمراجع:**

إبراهيم، عبد الله، في التجربة الإبداعية لتيسير سبول: البنية السردية في رواية "أنت منذ اليوم"، **فصول**، مج 14، ع2، مصر.

الأزرعي، سليمان، **الكلمة والرصاصة، دراسة في حياة وآثار الأديب تيسير السبول**، وزارة الثقافة،، ط1، كتاب الشهر172، سلسلة كتب ثقافية، الأردن، 2013.

باختين، ميخائيل، **شعرية دوستويفسكي**، تر. جميل التكريتي، مراجعة حياة شرارة، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

باختين، ميخائيل، **أشكال الزمان والمكان في الرواية**، تر. يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

باشلار، غاستون، **جماليات المكان**، تر. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط6، بيروت، 2006.

بسيسو، عبد الرحمن، **بنية المكان في الرواية الكنفانية**، الجديد، ع6، 2015.

تودوروف، تزفيتان، ميخائيل باختين، **المبدأ الحواري**، تر. فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1996.

درّاج، فيصل، **الشعب - البطل في التاريخ بين "أم سعد" غسان كنفاني و"عجوز" أفنان القاسم**، شؤون فلسطينية، ع49، 1975.

ذهني، سهام، في ذكرى النكبة، الرواية إلهام للمقاومة: **القدس: تحولات الزمان والمكان**، المجلة، ع14، الإصدار الثاني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2013.

الرواشدة، سامح، الشعرية في السرد في وايت أنت منذ اليوم، **موتة للبحوث والدراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 15، ع8، الأردن،2000.

سبول، تيسير، **أنت منذ اليوم**، منشورات وزارة الثقافة، سلسلة إبداعات أردنية، الأردن، 2007.

قاسم، سيزا، **بناء الرواية**، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1984.

كنفاني، غسان، **أم سعد**، دار منشورات الرمال، قبرص، 2013.

ماضي، شكري، **انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1978.

محمود، فايز، **تيسير السبول ورواية "أنت منذ اليوم"**، الموقف الأدبي، ع107، 108 نيسان، سوريا، 1980.

مراشدة، عبد الباسط، التراث في رواية "أنت منذ اليوم" لتيسير سبول، **مجلة جرش للبحوث والدراسات**، مج 12، ع1، الأردن، 2007.

مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرواية**، (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.

ياغي، عبد الرحمن، الخروج من دائرة الشخص إلى أفق (الشخصية) في رواية (أم سعد) لغسان كنفاني، **المجلة الثقافية**، ع43، الجامعة الأردنية، 1998.

يقطين، سعيد، **انفتاح النص الروائي: النص والسياق**، المركز الثقافيّ العربيّ، ط2، المغرب، 2001.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 615- 631

# ما بعد موسم الهجرة إلى الشمال
# قراءة نقديّة في سيرة إشراقة مصطفى حامد الذاتيّة (الدانوب يعرفني)

غسان إسماعيل عبد الخالق *

تاريخ الاستلام 2017/10/15 تاريخ القبول 2018/2/27


## ملخص

يطمح هذا البحث، إلى تسليط الضوء على سيرة ذاتية نسوية عربية لافتة، من حيث الشكل والمضمون والأسلوب؛ فقد تميّزت الكاتبة السودانية إشراقة مصطفى حامد من خلال سيرتها الذاتية (الدانوب يعرفني) بسرد تجربتها الشخصية والسياسية والعلمية والثقافية، من منظور إنساني فسيح، بعيد عن التعصّب أو التجريح، رغم الظروف المريرة التي اختبرتها على امتداد سنوات طويلة. وقد عمل الباحث على استقراء هذه السيرة وتحليلها من منظور نقدي، فأبرز ما فيها من سمات إبداعية وافرة، ولم يدّخر وسعًا للتأشير على بعض المآخذ الأسلوبية والمضمونية فيها.


## ما بعد موسم الهجرة

أطلقت رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"[(1)] للطيب صالح، سيلاً من الروايات والسِّير الذاتيّة والسِّير الروائية التي تراهن على إعادة سرد إشكاليات العلاقة بين الشرق والغرب أو الشمال والجنوب أو الذكورة والأنوثة[(2)]، كما أعادت للأذهان سلسلة من الاشتباكات الروائية السابقة مع هذه الإشكاليات[(3)].

وإذا كان أدب الرحلة قد تمازج في هذه الاستعادات والاشتباكات، مع أدب السيرة في إطار السرد الروائي من جهة، وإذا كانت المرأة قد مثّلت حجر الرحى في كل هذه الاستعادات والاشتباكات من جهة ثانية[(4)]، فإن السيرة الروائية التي نقاربها في هذا البحث تمتاز بأنها تنحّي مفهوم الاقتصاص الحضاري المستند إلى الفحولة الجنسية[(5)]، لتُحِلّ محلّه منظور التفهم الحضاري المستند إلى وحدة المعاناة الإنسانية ووحدة المصير الإنساني، شرقًا وغربًا، رغم كل ما قد يشتمل عليه هذا المنظور من إدانة أو لوم أو عتب، على مركزية الغرب التي راكمت عبر قرنين من الزمان، العديد من الصور النمطية السلبية عن الشرق العربي.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، عمان، الأردن.

ولو افترضنا أن أدب السيرة نهر متدفق تضجُّ على ضفته اليمنى ذاتُ الكاتب وأناهُ وتضجُّ على ضفته اليسرى ذاتُ المجتمع وهمومه، فإن سيرة الكاتبة السودانية إشراقة مصطفى حامد التي تدثّرت بهذا العنوان اللاّفت (الدانوب يعرفني)[6]، يمكن أن تجسّد هذا التعانق الحقيقي بين الذات والموضوع. إن هذا الرأي لا يلغي – طبعًا- حقيقة اشتمال بعض السِّير على هذا التعانق[7]، ولكنه يتطلّب أن نستدرك فنقول إن منسوب هذا التعانق لا يسامت المستوى الذي تم بلوغه في (الدانوب يعرفني)، سواء على مستوى الشكل أم على مستوى المضمون أم على مستوى الأسلوب.

## موجز (الدانوب يعرفني)

ولدت إشراقة مصطفى حامد في مدينة "كوستي" بالسودان عام 1961، لأسرة فقيرة لكنها على حظ كبير من المشاعر الوطنية والانشغالات الثقافية. وقد شجّعها رجال الأسرة ونساؤها على مواصلة تعليمها الثانوي والجامعي، حتى حصلت على درجة البكالوريوس في الصحافة والإعلام من جامعة أم درمان بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف. لكن انخراطها في صفوف الحزب الشيوعي واليسار وجمعيات حقوق الإنسان، حال دون تعيينها مساعدة بحث وتدريس في الكلية التي تخرجت منها؛ فبادر أقاربها وأصدقاؤها للتبرع لها بنفقات السفر إلى النمسا في العام 1993.

وفي "فيينّا" اجتازت إشراقة كثيرًا من التجارب الواقعية المؤلمة والمفرحة، فعانت الجوع والفقر والأرق والاكتئاب والكدح والخوف الشديد من إمكانية الفشل في تعلّم اللغة الألمانية، ومن ثم الاضطرار إلى العودة للسودان. لكنها بعد معاناة شديدة جدًا، اجتازت اختبارات اللغة والتحقت بجامعة "فيينّا"، وحصلت منها على الماجستير ثم الدكتوراه. وقد واصلت خلال دراستها نضالها من أجل حقوق الإنسان بوجه عام ومن أجل حقوق المرأة وحماية البيئة بوجه خاص، كما واصلت تجاربها الكتابية في الشعر، ونشطت على صعيد نشر مقالاتها في الصحف العربية والأجنبية. وقد أتاح لها التدريس في الجامعات النمساوية والاحتكاك بأبرز المثقفين والفنانين النمساويين، فرصة الترجمة من الألمانية إلى العربية وبالعكس، كما أتاح لها فرصة العمل مستشارة لحكومة النمسا وبعض المنظمات الإنسانية.

الإقامة في "فيينّا"، أتاحت لها أيضًا فرصة الاطلاع عن كثب على واقع الهجرة سلبًا وإيجابًا، فتعمّقت في تشخيص مواقف اليمين المتطرّف المناوئ للمهاجرين، كما تعمّقت في تشخيص مواقف الوسط الديمقراطي والليبرالي المتعاطف معهم. وقد أكسبها هذا التوق للتعمّق خبرة إنسانية عالية وقدرة كبيرة على التأمل والتفلسف، في ضوء النماذج البشرية التي عرفتها عن قرب؛ فخبرت مشاعر التعاطف الإنساني النبيل والعميق لدى كل الأطراف، كما خبرت مشاعر الكراهية والتمييز الأعمى لدى كل الأطراف أيضًا. ومع أن تجاربها المؤلمة قد فاقت تجاربها المفرحة كمًا

ونوعًا، إلا أنها ظلّت متمسكة بإمكانية القيام بتعديلات جوهرية في الصور النمطية المتبادلة، ونجحت في تنفيذ العديد من المشاريع الثقافية والتنموية بين النمسا وبعض الأقطار العربية، وفي مقدمتها السودان.

وعلى الرغم من الثراء الذي تتسم به سيرتها الذاتية - على الصعيد الشخصي - قبل السفر إلى النمسا وبعد الوصول إليها، إلا أن انخراطها في العمل العام قد أربك – على الأرجح - حياتها العائلية، فنراها تلمِّح لزوجها ولأبنائها ولانفصالها عن زوجها تلميحًا وليس تصريحًا. وبوجه عام، فإنها تبدو في هذه السيرة الذاتية، راضية عما أنجزت وحققت ونالت من جوائز عديدة. كما تبدو راضية بكونها مواطنة نمساوية، رغم مشاعر الحسرة والمرارة التي تجتاحها كلما جاءَت على ذكر موطنها الأصلي السودان[8].

**(الدانوب يعرفني) من حيث انتسابها لأدب السيرة**

تبدو إشراقة مصطفى حامد في هذه السيرة، مدركة تمام الإدراك، حقيقة شروط العقد التي يجب الوفاء بها بين كاتب السيرة وقارئها من حيث: التوجّه له بضمير المتكلّم، والعمل على اكتساب ثقته وتعاطفه عبر زخّات متوالية من المباوحات والمصارحات العفوية والحميمة[9]، والحرص على إبقاء الضوء مسلّطًا على الذات دون مبالغة أو تضخيم. ليس هذا فحسب، بل هي تدرك أن أدب السيرة يمثِّل في المحصلة الأخيرة جيبًا من جيوب معطف الرواية، فلا تدّخر وسعًا لتوظيف مهاراتها السردية كليًا وجزئيًا؛ أعني أنها لم تدّخر وسعًا للاعتناء ببناء الإطار السردي العام لسيرتها فحافظت على تماسكه واطّراده من جهة، كما أنها من جهة أخرى لم تدّخر وسعًا لتأثيثه بالعشرات من القصص الفرعية الثانوية التي اضطلعت بمهمة تصليب المعمار الكلي لهذه السيرة الروائية التي تعالت مدماكًا فوق مدماك، حتى بلغت ستة وعشرين طابقًا أو فصلاً، كل فصل مُيّز بعنوان فرعي وختم بعبارة بارزة لافتة وزركشت حاشيته اليمنى بإشارة أو تنويه أو توضيح: (كثير من الحكايات والضحكات يعود صداها كل ليلة وتمتزج بحكايا من الماضي البعيد. أحد الطلاّب لم يكن مهتمًا بالقراءة والمذاكرة فقد حدّد خطته بأن يتزوج من نمساوية ويعمل، وليس مهمًا أن تكون عجوزًا أو شابة.. حوار طريف بلغة مكسَّرة بحلاوة الألسن المختلفة، عن العلاقات والأحلام والأهداف. الشابة التي تتكلم العربية اعترضت على فكرته الانتهازية حول الزواج، فإذا انبنى الزواج على غير حب كيف سيكون حال الأطفال؟ إذا كانت زوجة الأحلام غير مسلمة فماذا سيكون دين الأطفال؟ وأردفت: "الأوروبيات متحرّرات كثيرًا، يشربن السجائر والخمور على الملأ، وحتى العلاقات الخاصة يقمنها في الشارع")[10].

**(الدانوب يعرفني) من حيث المضمون**

اختارت الكاتبة - على صعيد المضمون- الجوهري والمؤثِّر والمُلْهِم، وأعرضت عن الهامشي والثانوي والمتاح، قدر الإمكان. فسيرتها ليست مجرّد سيرة نسوية عربية فحسب، أو مجرّد سيرة نسوية عربية تقدّميّة، بل هي سيرة نسوية عربية تقدّميّة عالمية في الوقت نفسه؛ أي أنها تقدم نموذجًا لنضال امرأة عربية مسيّسة دفعت ثمن مواقفها هجرة طوعية وقسرية في آن واحد، عن وطنها الذي أثخنته حراب الاستعمار، باتجاه إحدى أبرز عواصم الغرب المستعمِر، فلم تستكِن لتصنيفاته أو تحيّزاته، بل واجهتها وعملت على دحضها أو تصويبها أو تعديلها في عقرها، ونجحت أيضًا في استقطاب العديد من المناصرين والمتعاطفين والأصدقاء على امتداد رقعة الكرة الأرضية؛ من أميركا اللاتينية وشرق آسيا وأوروبا الشرقية فضلاً عن أوروبا الغربية وقارة أفريقيا: (متعبة روحي لحد التلاشي، وجسدي منهك وخائر... اللعنة! ما الذي يجبرني على أن أقوم بهذا العمل، عاملة نظافة لدى أسرة عربية، يحاولون تنميق هذه "المهنة" بالقول إني مربية للأطفال، يصطك سؤال جدّتهم التي جاءت لزيارتهم: "شوف البنت دي أخذت الزبالة"! نعم أخذتُها وقمت بتنظيف الطوابق الثلاثة، الحمامات تلمع من النظافة ليطيب لكم الجلوس فيها طويلاً حين يصاب أحدكم بالتخمة. ردَّدتُ في سرّي!! لعنت هذا العمل ولعنت "الشلنات" اللاتي لا يغنين من جوع، أتماسك حين تهاجمني بحنان قاس وجوه أهلي وأحلامهم بأن تتغير الحال يومًا ونكون "زي الناس")[11].

والحق أن كاتبة هذه السيرة تمثِّل نموذجًا للثورة العاقلة الموضوعية المعتدلة، سياسيًا وإيديولوجيًا واجتماعيًا؛ فهي وإن عبّرت بجرأة واضحة عن تناقضها مع النظام السياسي القائم في السودان وحمَّلته مسؤولية إيقاف وتيرة الديمقراطية والتنمية والتنوير، وهي رغم شعورها العميق بالمرارة جرّاء استبعادها من التعيين في كلية الإعلام رغم أنها أحرزت المرتبة الأولى في دفعتها، لأسباب تتعلق بنشاطها السياسي والثقافي، إلا أنها لا تدّخر وسعًا لتوصيف هذا التناقض توصيفًا موضوعيًا متجرّدًا، دون تجريح أو إسراف في الهجاء. بل إنها لا تدّخر وسعًا لتحميل الاستعمار الغاشم والرأسمالية المتوحشة والعولمة الطاحنة نصيبها من المسؤولية عن إفقار إفريقيا والإفريقيين، عبر استنزاف ثرواتها وثرواتهم ودعم الأنظمة السياسية الديكتاتورية في هذه القارة المجروحة من جهة أو إخضاعها وإخضاعهم لشروط الغرب وإملاءاته من جهة ثانية: (كيف تركتني أرحل كما رحل مئات النساء وآلاف الرجال؟ الهجرة التي لم تكن في السيرة السودانية معروفة كما عرفها التاريخ ما بعد انقلاب الإنقاذ. كان السودانيون قبلها يسافرون إلى الخليج وليبيا والعراق لهدف معيّن ومحدّد بفترة زمنية، وحالما يكتمل بناء البيت وما يحقق بناء أسرة يعودون إلى حضن الوطن. والسودانيات يسافرن لأجل العلم والدراسات العليا ثم يعدن إلى الديار أو يرافقن أزواجهن. تغيّرت الحال بعد الانقلاب العسكري بقيادة الإسلاميين في يوم الجمعة 30 يونيو

1989، وعبر سياسة التشريد والتمكين كان نصيبي مثل نصيب الآلاف من الناشطات والناشطين، فقد ضاقت الدنيا؛ الإحالة للصالح العام والاعتقالات والتضييق، ولم يتم تعييني في الجامعة التي تخرجت منها بدرجة مرتبة الشرف في الإعلام لنشاطي السياسي في الجبهة الديمقراطية)[12].

والكاتبة التي تمرَّدت على اللّباس التقليدي للمرأة السودانية والتحقت بصفوف الحزب الشيوعي بوجه خاص وصفوف اليسار بوجه عام، لا تدّخر وسعًا لبثّ أشواقها الروحية المتأصِّلة وتأكيد إيمانها العميق بالله وتوقيرها الشديد للإسلام ونبي المسلمين (محمد صلى الله عليه وسلّم) وكبار الصحابة (علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه)، بل إنها لا تدّخر وسعًا أيضًا لتبجيل (السيد المسيح عليه السلام)[13] بوصفه رسولاً للسلام والمحبة التي جاء الإسلام لتأكيدهما وتعظيمهما. وعمومًا، فهي على هذا الصعيد تبدو مقتنعة بأن كل الأديان والعقائد تمثل صيغًا مختلفة لتأكيد حقيقة وجود الله ونشر الحق والخير والجمال: (سأبهجك يا جدّي فلا تغضب.. وعليك باختيار من ترغب في أن تحكي لهم ما حدث في هذه الجزئية، ولكن رجاء لا تحكيها لأمي حليمة.. حين عدت يا جدي إلى البيت، أول ما قمت به وعزمت عليه ألا أتخلى عن الصلاة مطلقًا، وأنت تعرف أنني ومنذ صغري كنت أداوم عليها شهورًا ثم أكف عنها وأعود إليها في حالات ضعفي لأتوازن.. واظبت عليها رغم الأسئلة التي تنخر عقلي، ورغم بحثي عن إجابة للسؤال الأزلي حول الوجود. بكيت كثيرًا على "المصلاة" وناديت الله تعالى بعلوّ الانكسار الذي أصابني: "يا خالق الكون، أنر طريقي" وردّدت قول الحلاّج: "يا معين الضّنى عليَّ، أعنّي على الضّنى")[14]. كما يذكر لها، رغم كل الاختبارات الروحية المؤلمة التي تعرَّضت لها أكثر من مرة، ورغم كل ما أحاط بها من مغريات ودواع للاستغراق في أجواء اللهو والمتعة والمجون، أنها لم تنزلق باتجاه الاستعراض العدمي أو العبثي المبتذل – كما فعل بعض من قطنوا "فيينّا" من المثقفين العرب - وظلت متمسِّكة برصانتها ورزانتها وعقلانيتها ورسالتها الإنسانية الجادة.

ولا شك في أن موقفها المتوازن تجاه الرجل – مع أن قضية الدفاع عن حقوق المرأة المسلوبة تمثل أبرز التزاماتها- يبدو أكثر مواقفها جدارة بالتقدير؛ فرغم تأكيدها حقيقة إسهام الرجل الإفريقي في اضطهاد المرأة الإفريقية وسلبها حقوقها المدنية وتهميشها، إلا أنها لا تدخر وسعًا للتعبير عن تعاطفها العميق مع هذا الرجل، بوصفه ضحية أدوار ووظائف وثقافات اجتماعية سائدة، عمل الاستعمار والإفقار والتجهيل على قولبتها ضمن أطر وصور نمطية تحتاج إلى إلغاء أو تصويب أو تعديل، سواء حينما تستخدم من جانب اليمين الأوروبي لتعميق مشاعر الكراهية للمهاجرين، أو حينما تستخدم من جانب منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان بحسن نية.

ولعل أقوى الأسباب التي أدت بكاتبة السيرة إلى اتخاذ هذا الموقف المتوازن تفكيرًا وتعبيرًا، يتمثَّل في حقيقة أن كل الرجال الذين كان لهم أدوار في حياتها؛ جدها وأبوها وأشقاؤها وأصدقاؤها، قد كانوا نبلاء ومضحِّين ومسالمين، فنجت لذلك من الوقوع في أسر تلك الحكاية

المتداولة في الكتابات النسائية، أعني حكاية الرجل الوغد الغاشم القاسي الأناني.. إلخ: (صورة الرجل الإفريقي لا تختلف عن صورة إفريقيا في الذهنية الأوروبية، وأثناء تناولي لموضوع التنظيمات كان لا بدّ من الوقوف عند التنميطات عن الرجل المهاجر عمومًا، والرجل الإفريقي على وجه الخصوص، فقد لعب الحزب اليميني النمساوي دورًا كبيرًا في هذا المجال، بخاصة إبان الانتخابات، واندفعت بعض الصحف النمساوية لتشويه صورة الرجل الإفريقي وتقديمه على أنه مروّج وبائع للمخدّرات. أما المرأة الإفريقية فتتمتع بحسب ما صوّرتها تلك الذهنية، بعجيزة كبيرة وصدر يسع الكون. غير أنها تلبس المزركش من الفساتين، وهي مختونة، وتثير الشفقة. ما يدعو للتأمل ما قاله لي أحد الذين أجريت مقابلات معهم، بأن ما يميز المرأة الإفريقية أنها "جيدة في السرير"، أما المرأة الأوروبية فـ"جيدة في المكتب"... ولكن ما زالت تلك الصور النمطية عن الرجل الإفريقي تشغلني، وكنت أضمّن ذلك في كل محاضرة أشارك فيها، وقمت بتحليل صورة الرجل الإفريقي وفقًا للمادة التي قمت بتجميعها: عنيف، فقير، مضطهد للمرأة، تاجر مخدّرات. وما يقال عن جسمه الفارع والسيقان الجميلة لرجال كينيا، وأنهم شبقون، ولهم أعضاء تناسلية كبيرة. وأذكر أن إحداهن سألتني عن حقيقة ما يشاع عن كبر العضو التناسلي للرجل الإفريقي، وهي صورة لا تختلف في ما تنطوي عليه من تشويه، عن تلك التي يرسمونها للمرأة الإفريقية)[15].

## (الدانوب يعرفني) من حيث الأسلوب

وأما على صعيد الأسلوب، فلم تدّخر إشراقة مصطفى حامد وسعًا لتفعيل إيقاع السّرد عبر المراوحة بين الاسترجاع والتداعي وتوظيف تقنية التقطيع السينمائي والوصف والحوار و(شعرنة) لغة السرد، بما في ذلك استدخال الصور الشعرية المسهبة باستعاراتها وكناياتها ومجازاتها؛ ففي موازاة رحلتها شمالاً باتجاه النمسا وما يكتنف هذه الرحلة من مفاجآت ومفارقات، ثمة استعادات لأحداث وذكريات وشخوص ومواقف من السودان، إلى الحد الذي نشعر معه بأن ثمة (كاميرا) تتنقّل على نحو مدروس بين مشهد هنا ومشهد هناك. وقد حرصت كاتبة السيرة على اطّراد هذه الثلاثية: (**الآن – هناك – تصوير سينمائي**)، في كلّ الصفحات التي أفردتها لسرد تجربتها القاسية والمثمرة في آن واحد، بعد الوصول إلى فيينا والاستقرار فيها: (بدأت أستعيد توازني شيئًا فشيئًا، وسأواصل لك الحكاية يا جدّي، فلا تذهبوا بعيدًا كما غافلتموني وأنا أواجه منفى ذاتي، ورحلتم. سأحكي لك رحلتي التأمليّة، وكل ما ترغبون فيه، سأحكي لكم عمّا يحدث في ضفّتنا هذي؛ لكنني أخاف عليكم من الألم، فالحياة هنا صارت مؤلمة وقاسية وغبية وبلهاء)[16].

ولم تغفل عن أهمية الوصف العام أو الخاص بدقة واعتناء بالغين، فاستفاضت في وصف الميادين والشوارع والمباني، وظلت وفية لقارئها الفضولي؛ فأخذت بيده وأجلسته على مقاعد

الحدائق، ودعته لمجالستها في أكثر من مقهى، ودلفت معه إلى طوابق المباني وحجراتها، وأرته ألوان الجدران والستائر، مستحضرة ما يمكن استحضاره من حوارات مقتضبة – وأنّى لمهاجر لا يتقن الألمانية أن يحظى بحوارات مطوّلة في سني هجرته الأولى؟!- جرت في الممرات أو الشوارع أو المكاتب أو قاعات الدرس. وقد نفّذت كل هذه الإجراءات الأسلوبية، بلغة شعرية تفيض بالصّور والتشبيهات والاستعارات والكنايات والمجازات، دون أن تقطع الحبل السّردي الذي يصلها بالقارئ النّهم المتحفّز، والذي لن يتردّد في إدارة ظهره للسّارد، إذا ما أحس بأن هذه الشعرية قد فاضت عن حدّها حتى حجبت الأحداث أو الحكايات أو المواقف، فهو في المحصّلة الأخيرة مُولَع بالمغامرة السردية، ولو أراد الدهشة الشعرية لطلبها في دواوينها: (ورغم أنني أدرس بالتياع وحب كبير، إلا أن اللغة تعاندني وتقف صخورها بين عقلي وقلبي، أريد أن أحبها ولكن! الأشجار في الطريق تحدّثني عن سيرة شهوتها وعن مقاومتها، وتبتسم لي أوراقها التي بدأت تتفتّح بألوان متدرّجة. تحدّثني كلّما أتيتها في حديقة "بريغتا بلاتز" التي أعبرها كل يوم في طريقي إلى المدرسة، لغتها، لغة الأشجار حنون، فيها من حنان الأمهات ومن ضحكة شجر النيم والنخيل، فيها الكثير. الروز الذي سيتفتّح قريبًا، والربيع يتبختر بجمال نحو مواسم التفرهد وتفتّق الأشواك، تفتحت في قلبي جهنمية الإرادة، إرادة تحدّي قسوة الشتاء ومقاومتها)[17].

إن الحديث عن الأسلوب، يستدعي بالضرورة الوقوف أمام العتبات النصية للسيرة[18]، وبوجه خاص العتبة الرئيسة لها وأعني بها العنوان: (الدانوب يعرفني؛ الوجه الآخر لسيرة الأنهار)! فللوهلة الأولى يتبادر لذهن القارئ السؤال التالي: لماذا (الدانوب يعرفني)؟ وليس (النيل يعرفني)؟ وأحسب أن كاتبة السيرة تعمّدت إحداث هذا التساؤل، عبر الإصرار على العنوان الأول، تأكيدًا لرغبتها في شدّ انتباه القارئ لحقيقة أنها أُبعدت وأُقصيت عن وطنها وعن نهرها (النيل)، إلى درجة أنها لم تعد تعرفه وأنه لم يعد يعرفها، وأنها التحقت جسدًا وروحًا وذاكرة، بوطن ونهر آخر هما النمسا والدانوب. ومما يزيد من وقع مفارقة العنوان على وجدان القارئ، صورة الكاتبة السمراء وهي توشّح الغلاف الخارجي لسيرتها إلى جانب عنوان لا يحيل إلى إفريقيا أو السودان، بل يحيل إلى أوروبا والنمسا. لكن العنوان الفرعي الشارح يضطلع بمهمة تلطيف القسوة التي تثوي في عمق هذه المفارقة، لأنه لا يخلو من مسحة عزاء وتهوين على الكاتبة وعلى القارئ في آن واحد؛ فالمهم عند الكاتبة أن تنتمي جسدًا وروحًا وذاكرة لنهر ما، لأن هذا الانتماء يمثل تعويضًا كافيًا عن أي انتماء، فالأنهار في المحصلة الأخيرة – كما ترى الكاتبة- تتشابه وتتكامل، وما علينا إلا أن نُحكم ارتباطنا بواحد منها.

وإذا كانت كاتبة السيرة نجحت إلى حد ملحوظ في ترسيخ المفارقة الأبرز في هذه السيرة، فقد جانبها التوفيق حينما استهلت هذه السيرة بأربع مقدّمات لكتّاب آخرين[19]، لم يدّخروا وسعًا لتسليط الأضواء على الجوانب التي رأوا أنها جديرة بالتنوير في شخصية وسيرة الكاتبة، لكنهم –

في تقديري- أفسدوا على القارئ متعة الوصول الذاتي إلى الزوايا البعيدة والمتوارية في تجربتها، فكانوا – فعلاً- كمن وضعوا العربة أمام الحصان! إذ تكفّلت مقدّماتهم بتبديد كثير من الغموض والفضول اللذين يمثّلان – فيما أرى- الدافعين الرئيسين لتجشّم عناء القراءة عند قرّاء السيرة الذاتية. ولو أن كاتبة السيرة اكتفت بالشكر والإهداء – رغم إسهابهما الملحوظ - لحافظت على الاكتناز المطلوب الذي لا ينبغي تبديده أو التفريط به، وبخاصة لأنها ختمت سيرتها الروائية هذه بسيرة مهنية (C.V) دقيقة، اضطلعت إلى حدّ بعيد بملء الفجوات التي اعتورت السيرة الأدبية، سواء لأسباب فنية أم لأسباب شخصية حالت دون سدّ هذه الثغرات فظلّت غامضة في ذهن القارئ.

على أن هذا الثّلم في بنية السيرة التي يجب أن تقدّم نفسها بنفسها للقارئ، لم يمتد إلى العتبات الثانوية أو العناوين الفرعية للفصول، فجاءَت متساوقة متناغمة كما لو أنها أبيات متتابعة في قصيدة طويلة على هذا النحو: (سيرتي – الغريبة- الخطوة الأولى- بدايات الاكتشاف- عشب على صخرة اللغة- المعادلة- الطريق- هزيمة اليأس- وجع الروح- اليقين- ذاكرة العنقريب[20]- الوعي الفاعل- دوائر الغضب- ينابيع المقاومة- نزف الكينونة- نوافذ- الوطن- الحب في المهجر- بيت الغريبة- إلزا قرية الشموس- عذابات الوجود- سيرة الموت- النمسا- الإبداع- أشواق البُنّ والأمكنة- يتيمة في غربتي- نعم أنا هنا)! ولو تأمّلنا هذه العناوين الفرعية بعمق، لأمكننا استنباط العديد من العلاقات الثاوية بينها. وللتدليل على ذلك فسوف نكتفي بإيرادها مرة ثانية على هذا النحو:

*(سيرتي/ الغريبة/ الخطوة الأولى/ بدايات الاكتشاف/ عشب على صخرة اللغة/ المعادلة)؛ فهذه السلسلة من العناوين الفرعية تبرز معنى البحث عن الذات ودلالته وقسوة الارتطام الأول ثم التوقف عند مفترق الطرق.

*(الطريق/ هزيمة اليأس/ وجع الروح/ اليقين)؛ وهذه السلسلة أيضًا تبرز معنى النهوض ودلالته مجددًا والإصرار على متابعة المشوار وصولاً إلى الشعور بالرضى عن الذات.

*(الوعي الفاعل/ دوائر الغضب/ ينابيع المقاومة/ نزف الكينونة/ نوافذ)؛ وهذه السلسلة كذلك تبرز معنى ثورة الوعي ودلالته وتمرده وآلامه وصولاً إلى استقراره على حال التأمّل.

**مأساة الهوية الملتبسة في (الدانوب يعرفني)**

كم كانت هذه السيرة ستبدو ناقصة لو أنها لم تتصدّ لسؤال الهوية ولم تعمل على الإجابة عنه. لكنها – ولحسن الحظ - تصدّت له بشجاعة كبيرة وأجابت عنه بشجاعة أكبر؛ فمأزق الهوية – وفق كاتبة السيرة - يتمثّل في تغوّل الخصوصية العربية على حساب الخصوصية الإفريقية، وهذا لا يعني أنها تقف من العروبة موقفًا مضادًا، بل هي ترى أن الهوية السودانية سوف تستقر

وتتوازن لو أن الأنظمة السياسية المتعاقبة قد اعتنت بالخصوصيتين معًا، بحيث يكون السوداني قادرًا على التواصل مع محيطه وثقافته الإفريقية كما هو قادر على التواصل مع محيطه وثقافته العربية.

لقد أفضى هذا العَرَج في هوية السوداني إلى فجوة مؤلمة، تتمثَّل أبرز أعراضها في أنه يعرف عن المشرق العربي وعواصمه وأحداثه أكثر مما يعرف عن أريتيريا وأثيوبيا والصومال[21]، وفي أنه لم يتمكن من التواصل مع نصفه الأكثر زنوجة – جنوب السودان - فخاض صراعًا مريرًا مع نفسه وصل حد الإقصاء والإلغاء والتهميش والتجاهل ومن ثم الانفصال التام، ولو أنه عُلِّم ودرِّب على معرفة تقبّل وتفهّم نصفه الآخر لما حدث ما حدث. لهذا كلِّه فقد واظبت كاتبة السيرة على أن تجيب كلَّ من يسألها عن موقعها الجغرافي من السودان بقولها: من وسط السودان! حتى تغلق باب الاستطراد غير المحمود الذي قد يترتب على قولها إنها من الشمال أو من الجنوب: (الأسئلة التي تعود إلى التنميط والمفاهيم المعلّبة التي ينبغي أن أحشد فيها. من الشمال يعني مسلمة وعربية، من الجنوب يعني مسيحية إفريقية، فكنت أقول: "أنا من وسط السودان"، من دون أن أوضِّح لهم أين تقع "كوستي" ولكنها كانت محاولة لحماية نفسي من التنميط، وتجنب نظرة الاتهام التي أُحسها بأننا مسؤولون عما يحدث في الجنوب، إذ سرعان ما أتحول إلى مذنبة ومسؤولة عن تاريخ كامل كان أول من لعب فيه هو المستعمر وسياسات الحكومات التي تلت الاستقلال)[22].

ومع ذلك فقد ظلت كاتبة السيرة تدفع ثمن هويتها الملتبسة المتداخلة؛ هويتها العربية الإفريقية الأوروبية، هويتها الإسلامية الماركسية الليبرالية، لسنوات طويلة، وعلى نحو مؤلم جدًا؛ فهي في عين السوداني الشمالي خائنة لعروبتها، وهي في عين السوداني الجنوبي عدوة لإفريقيتها، وهي في عين الأوروبي الشمالي ليست أكثر من مهاجرة دخيلة متطفّلة. وهي في عين العربي المشرقي أو المغربي مارقة متمرِّدة على ثقافتها وحضارتها وأصلها وجذورها.

بعيدًا عن هذه التفريعات وقريبًا من أرض الواقع، فقد حدث أن بادرت الكاتبة للتواصل مع بعض مواطنيها السودانيين الشماليين فأعرضوا عنها، وحدث أن مدّت يدها لمصافحة نساء ينتمين لجنوب السودان – ظنًا منها بأن قضية المرأة تَجُبّ جراح السياسة - فلم يصافحنها[23]، بل إن بعض النساء العربيات المشرقيات شكّكن بعروبتها لمجرّد أنها سمراء البشرة ورغم أنها كانت الداعية الأولى لعقد اللقاء الذي شهد هذه الواقعة المُفْجعة: (اجتمعنا في مقهى معهد "الإفرويشن" بالحي التاسع بـ "فيينّا" وأنا لم أكمل بعد عامي الأول؛ كنا نساء إفريقيات من دول مختلفة، وقد لقيت الفكرة ترحيبًا شديدًا، وفرحت أكثر حين تحمسن لمقترحي بأن يكون اسم المنظمة "وانجا" في "تويجات الدم"، فقد كنت قرأتها في السودان قبل سنين طويلة وهي نموذج للمرأة المناضلة. كلمة "السودان" هذه كانت كافية لأن تقول إحدى الزميلات المجتمعات: "ولكنك لست إفريقية ولا نريد معنا عربًا"! بعد عام شاركت مع عدد من الأخوات العربيات في

تكوين أول رابطة للمرأة العربية في النمسا، وجاء الحكم نفسه من ناشطة عربية أثناء مناقشة ساخنة في وجهات النظر بأنني لست عربية. لحظتها انفجرت بالبكاء الحار أمام المجموعة وكانت أولى المواجهات الصارخة مع ذاتي: أين أنا؟ هل هناك كيان اسمه "الإفروعربي" لأنتمي إليه؟)[24]. ولكن الأقسى من كل ما تقدّم، تمثّل في ذلك التمييز المُضْمر الذي مورس تجاهها من طرف رفيقاتها الأوروبيات اللواتي ينتمين لتيارات يسارية وتقدّمية، فقد دفَنَّ عداءَهن لها تحت طبقة سميكة من الإلحاح على الإجراءات واستكمال التفاصيل الخاصة بالبيانات والنماذج المتصلة بدعم بعض المشاريع التنموية في السودان[25].

وإزاء كل هذه التقاطعات الشائكة في مربّع الهوية، تعمد كاتبة السيرة إلى تضميد جراحها بالإنسانية هوية وموقفًا وسلوكًا، فهي الهوية الوحيدة –وفق وجهة نظرها- التي يمكن أن تتكفل بتذويب كل التصنيفات والتحيزات: (هل كان من السهل أن أفتح جراحاتي كإنسان.. كإمرأة، وكوطن لرياح التغيير ولشمس الآخر بكل سطوتها ومعرفتها وجبروتها؟ أن أفتح عقلي للمعرفة بلا حواجز ومتاريس، وأن يزداد نهمي لتمهيد الدروب الشائكة؟ كيف أبحرت في نهر عذاباتي الذي تلوّن بدماء ذاتي واجتراحاتها حين واجهتها بسؤال: من تكون؟! كيف تسامت ذاتي عن حواجز البشرة وملامح البشر؟! كيف كسرت حاجز الخوف من الآخر، وكيف تعلّمت منه وتعلّم منّي أن ننبت فينا إنساناً؟ قصة امرأة من بلاد بعيدة موغلة في "أدغالها" و"فقرها" و"تخلّفها". هكذا واجهت صورتي في مرآة "الغرب")[26].

وإذا كانت كاتبة السيرة قد وجدت في (الإنسانية) إجابة مريحة عن كل أسئلة هويتها الحضارية والثقافية وتناقضاتها وتعقيداتها، فإنها لم تدّخر وسعًا أيضًا للإقرار ببعض الجوانب التي قد يعدّها البعض ضعفًا وخوارًا في الهوية الأنثوية، فلم تتردد في الإفصاح عن لحظات انهيارها ونوبات بكائها الطويلة الكثيرة، إلى درجة يصعب معها على القارئ أن يتخيلها غير باكية لأسباب ذاتية أو لأسباب غيرية أو لأسباب موضوعية. ولكن القارئ المدقِّق سرعان ما يدرك حقيقة أن كاتبة السيرة لم تسرد كل هذه البكائيات عبثًا، بل إنها أوردتها اقتناعًا منها بأن البكاء يمثل في حد ذاته لغة تعبير واحتجاج وجسرًا ضروريًا لإعادة تأهيل الذات والتصالح مع الواقع القاسي، فهو جزء من الإنسان بوجه عام وجزء من الأنثى بوجه خاص؛ إنه ليس عيبًا ولا عارًا، بل هو تأكيد لإنسانية الإنسان ولرقّة المرأة: (ينبغي أن أسرع حتى لا تفوتني المحاضرة بالجامعة. أتلكّأ في السير بفعل الإنهاك الذي نخر عظم روحي، أجلس على مقعد على الطريق الخاوية بعد أن أمسحه من الجليد المتراكم، وحين يقلّ عدد المارة بهذه الطريق المعزولة الآمنة أجلس لأبكي بحرقة كل أحلامي، أنتحب وتنتحب معي قصائدي التي آويتها وريدًا بعيدًا في بؤبؤ نجمة لا تطل على هذه السماء الملبّدة بالغيوم، فصّ الملح الذي انحدر من عينيّ اختلط بفصوص الجليد التي انهمرت

من السماء. البكاء يغسلني، يصحّيني، ينادي حفيف دفء ما، أرتعش له بكل الحنين وأجترح عذاباتي.. هذا المكان في تلك البقعة المتصحّرة ينتمي إلى تلك الآهات والدموع السخيّة)[27].

والغريب في هذه السيرة، أنها تعجُّ بكثير من لحظات الخوف والانهيار، لكنها تخلو - على نحو مثير للتساؤل - من الإفصاح عن هوية الحبيب أو هوية الزوج، رغم أن كاتبة السيرة تؤكد - عرَضًا – أنها أحبَّت وأنها تزوجت وأنها أنجبت ابنين وأنها انفصلت عن زوجها[28]. وأيا كان سبب هذا التحرّز، فإن هذا الإحجام عن الخوض في تفاصيل الحياة العاطفية أو الزوجية، سيظل أبرز المآخذ على السيرة وكاتبتها، وبخاصة لأن الكاتبة لم تتردد في الإفصاح عن كثير من التفاصيل الأنثوية الحميمة. ولا يدانيه من المآخذ القليلة على هذه السيرة سوى المبالغة الملحوظة في تصوير المعاناة التي لحقت بالكاتبة جرّاء صعوبة ومأساوية تعلّم اللغة الألمانية، وجنوح لغة الكاتبة في الفصلين الختاميين باتجاه السرد التقريري الوظيفي[29].

## حسم الخيار النهائي في (الدانوب يعرفني)

الأغرب في هذه السيرة يتمثل في الخيار النهائي لكاتبة السيرة؛ فهي رغم كل إنجازاتها الأكاديمية والنضالية والإنسانية في النمسا، والتي تؤهلها للعودة إلى السودان محمولة على أكف أصدقائها وزملائها وأقاربها، إلا أنها تختار الاستقرار في النمسا بوصفها وطنًا وملاذًا، دون أن تغفل عن الرثاء لوطنها الفقير المتعثِّر. ومع أن العتبة الأولى لسيرتها (الدانوب يعرفني) يشي بهذا الخيار إلى حد بعيد، إلا أن الموضوعية تملي علينا الاعتراف بأن أملاً ما قد ظل يراودنا بأن تعود كما عاد (مصطفى سعيد) في (موسم الهجرة إلى الشمال)، وأن تصلح ما أفسده ذلك الفاتح السوداني الذي اقتحم لندن بعقله وفحولته[30]، ما اضطره إلى العودة إلى قريته البسيطة الوادعة مهدّمًا، رغم الخاتمة المفتوحة التي تسرد بضمير الراوي ولا تخلو من رسيس تمسّك بالحياة وضرورة البدء من جديد: (استقرّت السماء واستقرّ الشاطئ، وسمعت طقطقة مكنة الماء، وأحسست ببرودة الماء في جسمي. كان ذهني قد صفا حينئذ، وتحدّدت علاقتي بالنهر أنني طاف فوق الماء ولكنني لست جزءاً منه، فكرت أنني إذا مت في تلك اللحظة فإنني أكون قد متُ كما ولدت، دون إرادتي. طوال حياتي لم أختر ولم أقرّر. إنني الآن أختار الحياة. سأحيا لأن ثمة أناسًا قليلين أحب أن أبقى معهم أطول وقت ممكن، ولأن عليّ واجبات يجب أن أؤديها، لا يعنيني إن كان للحياة معنى أو لم يكن لها معنى. إذا كنت لا أستطيع أن أغفر فسأحاول أن أنسى. سأحيا بالقوة والمكر. وحرّكت قدمي وذراعي بصعوبة وعنف حتى صارت قامتي كلها فوق الماء. وبكل ما بقي لي من طاقة صرخت، وكأنني ممثِّل هزلي يصيح في مسرح: "النجدة... النجدة")[31].

إن إشراقة مصطفى حامد لا تتردّد في مواجهتنا بالحقيقة المرّة: لم تعد أوروبا مفتونة بالفاتحين السُمر ولم تعد مستعدة للتسامح معهم، ولم تعد المأساة تتمثَّل فقط في ضرورة تسوية

الحساب مع أوروبا بوصفها امرأة لعوبًا، بل إن المأساة تتمثل الآن في أن المُستعْمِرِ والمستَعْمَر قد أصبحا شركاء في تبديد إنسانية الإنسان، بهذا القدر أو ذاك: (من أكون؟ هل يغيّر الجواز النمساوي لون بشرتي ولغتي وديني؟ اسمي وشقاوة ضفائري التي تشير إلى خريطة امرأة جميلة ومعتّقة بسيرة التواريخ الأليمة، تواريخ المقاومة والتحدي، اسمها إفريقيا؟ هل سيُنطق اسمي بسهولة من دون أن تكون القاف كافًا في لثغة لسان؟... هوية أم هويّات؟ هويات، هويات تتصالح في فضاءات "القلم"، الكتب والكتابة، الكتب التي فتقت ذهني على شموس من كل بلاد العالم، الهوية الإبداعية حيث أجد نفسي بلا قيود وبلا متاريس، والهوية السياسية التي توحّد رؤيتنا حول ما يحدث في العالم، وأنخرط حتى هديل القلب وأمامي أفق الإنسانية العريض، الأفق الذي يؤكد أن الأرض وطن للجميع وأن الحدود رسمها الإنسان)[32].

لقد كان متوقّعًا أن تختم الكاتبة إشراقة حامد سيرتها الذاتية، بالدعوة إلى التفاؤل والتمسّك بالأمل والإصرار على مواجهة الواقع القاسي، رغم كل ما يمور به هذا الواقع من تحديات وخيبات. قلت: كان متوقّعًا؛ لأنها بدت، منذ سطور سيرتها الأولى، وفي أعمق أعماقها، مقاتلة عنيدة، يصعب أن تستسلم، حتى لو ظهرت لنا ضعيفة من آن لآخر. ومع أنني لا أجزم بأن الغاية الرئيسة المبتغاة من كتابة السيرة الذاتية هي التظاهر بالقوة أو الدعوة إلى مواجهة تحديات الحياة بشجاعة مطلقة – لأن هناك من حالت ظروف حياتهم دون إمكانية اضطلاعهم بأدوار بطولية بالمعنى التقليدي السائد للبطولة - إلا أن الإنسان في هذا العالم القاسي بوجه عام، والإنسان العربي في عالمه المضطرب القلق الطاحن بوجه خاص، هو في أمس الحاجة لِسِيَر ذاتية مُلْهِمَة، تعمق إحساسه بجدوى النضال اليومي من أجل تحسين مستوى معيشته في الحد الأدنى، وتزرع له أجنحة يمكن أن يحلّق بها باتجاه الحرية والعدالة والمساواة واحترام الذات في الحد الأعلى. ومع ضرورة تأكيد أهمية الالتصاق بالصدق الواقعي، فإن الإنسان العربي آخر من يحتاج سيرًا ذاتية محبطة. ولذلك فليس غريبًا أن تنثر الكاتبة بين يدي قرّائها العديد من المقولات / الخلاصات / الحِكَم... التي يمكنني أن أختار منها ما يلي[33]:

* 24 عامًا كسبت فيها ما كسبت، وفقدت ما فقدت.

انكسرتُ ألف مرة... نهضتُ ألفي مرة.

خُذلتُ وما زلت أُخذَل..

غنّيتُ وبكيت وشدا قلبي للحياة..

* 24 عامًا معيارها عندي ليس الكسب والخسارة.. بل ما تعلّمته وما أزال أتعلّمه. أفضل ما تعلّمته لم يكن في الجامعات التي عبرتها بلهفة ورغبة في المعارف.. ما تعلمته كان من الحياة.. من الشارع.. من الناس.. تعلمت كثيرًا وجُرحت كثيرًا.

* 24 عامًا وحقيبة متوسطة الحجم ما زالت تفوح بروائح القصاصات والبهارات وحكايات الهوى الأول.. الحقيبة التي ظلّت في انتظار عودتي إلى تلك البلاد.

وحتى نظهر للقارئ الأهمية الاستثنائية التي انطوت عليها هذه الخاتمة، فسوف نكتفي بالإحالة إلى إحدى أبرز السِّير الذاتية العربية، التي اشتملت على قصة نجاح شخصي وعلمي مدوِّية، لكن كاتبها مع ذلك – ربما بسبب ضياع وطنه وضغط سنوات الشيخوخة - آثر أن يختمها على نحو مؤلم وحزين. يقول إحسان عباس في ختام سيرته: (وخير ما أختم به هذا الفصل قول شاعر العربية الكبير محمود درويش:

(ههنا حاضر.
لا زمان له
..... وفي
أي وقت وقعنا عن الأمس فانكسر
الأمس فوق البلاط شظايا يركبها
الآخرون مرايا لصورتهم بعدنا)[34]

ويؤكد إحسان عباس هذا الموقف المتشائم من الحياة، رغم مسيرته الشخصية والأكاديمية الحافلة بالإنجازات، فيقول من قصيدة له، مشبهًا الحياة بحبيبة خائنة:

(إن التي من أجلها تموت
إنسانة يابسة أو شجرة
تصوّحت فيها الغصون اليانعة
جفّ العطاء في عروق حبها
كأنها قد نسيت كلّ الليالي الرّائعة
واحتقرت قلبك حين لم تعد في قلبها
خانتك؛ خانت عهد حبٍّ
كنت مخطئًا ظننت إنه ليس يموت)(35).

## خاتمة

نخلص من هذه القراءة النقدية إلى القول بأن إشراقة حامد قد استوفت في (الدانوب يعرفني) معظم شروط السيرة الذاتية الناجحة والمؤثّرة، سواء على الصعيد الأدبي الإبداعي أم على الصعيد الاتصالي مع القارئ. وقد عزّزت هذه الجدارة عبر العديد من التقنيات الأسلوبية اللافتة، مثل: الاسترجاع والتداعي والقطع السينمائي والوصف والحوار وشعرنة السرد، كما حازت قدرًا كبيرًا من المصداقية عبر تصوير تقلّبات الذات ومراوحتها بين لحظات القوة والضعف والاعتدال الملموس على صعيد المواقف السياسية والأيديولوجية والجندرية. وإن كان التحرّز من الإفصاح عن تفاصيل الحياة العاطفية أو الزوجية، والإسهاب في تصوير المعاناة التي اشتمل عليها تعلّم الألمانية، والميل إلى الوصف التقريري في الفصلين الختاميين، تمثل أبرز المآخذ على هذه السيرة، فإن اتجاه كاتبة السيرة لحسم هويتها من منظور إنساني سيظل أكثر معالم هذه السيرة إثارة للتساؤل والمناقشة.

# After Migration to the North: Reading in the Biography of Ishraqa Hamid (Danube Knows Me)

**Ghassan Ismael Abdelkhaleq,** *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Arts, Philadelphia University, Amman, Jordan.*

### Abstract

This research aims to shed some light on a remarkable Arab feminist biography in terms of form, content and style. The Sudanese writer, Ishraqa Hamid, was distinguished by her biography (Danube Knows Me) when she narrated her personal, political, scientific and cultural experiences from a human perspective and far from fanaticism or prejudice despite the difficult circumstances that she has experienced over many years. The researcher explores and analyzes this biography from a critical perspective, highlighting the creative features without denying few stylistic or thematic defects.

## الهوامش

(1) نشرتها مجلة حوار في عام 1966، ثم أصدرتها دار العودة في كتاب في العام نفسه.

(2) نذكر على سبيل المثال لا الحصر: رواية (على الدنيا السلام) لذي النون أيوب التي صدرت في عام 1971، ورواية (برهان العسل) لسلوى النعيمي التي صدرت في عام 2007.

(3) بدأها طه حسين في عام 1934 برواية (أديب)، وتلاه توفيق الحكيم في عام 1938 برواية (عصفور من الشرق)، ثم مهّد الطريق سهيل إدريس في عام 1953 برواية (الحي اللاتيني)، وكاد الطيب صالح يتمّه في عام 1968 برواية (موسم الهجرة إلى الشمال)، ثم ألحق به نجيب محفوظ إزاحة كادت تكون حاسمة في عام 1983 عبر روايته (رحلة ابن فطومة)، لكن علاء الأسواني أعاد تمهيده في عام 2007 عبر روايته (شيكاغو). انظر: غسان عبد الخالق، بساط الريح، ص118.

(4) المرجع السابق، ص119.

(5) محمد شاهين، تحوّلات الشوق، ص72.

(6) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني؛ الوجه الآخر لسيرة الأنهار، دار الآن ناشرون وموزّعون، عمّان، 2017.

(7) انظر على سبيل المثال: حسن عليان، أثقل من رضوى؛ مقاطع من سيرة ذاتية، ص11-38.

(8) تم استقاء موجز سيرة الكاتبة استنادًا إلى السيرة المهنية (C.V) التي ختمت بها سيرتها الذاتية بوجه خاص، وإلى سيرتها الذاتية المكتوبة بوجه عام. انظر: إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص350-353.

(9) انظر: عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص134-138.

تيسير مشارقة، البعد الاتصالي للسيرة الذاتية، ص36-42.

(10) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص81-82.

(11) المرجع السابق، ص101-102.

(12) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص39.

(13) ما ورد بين قوسين مقتبس من كلام الكاتبة.

(14) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص132-133.

(15) المرجع السابق، ص193، 219-220.

(16) المرجع السابق، ص133.

(17) المرجع السابق، ص73.

(18) انظر: سامح الرواشدة، إشكالية التلقّي والتأويل، ص97.

بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص38.

موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقّي، ص161.

(19) وهم على التوالي: خميس بن راشد العدوي، نجيب نور الدين، ساريتا جينماني، وجعفر العقيلي.

(20) استثنينا (العنقريب) من السلسلة الثانية، نظرًا لأن دلالته غامضة عند غير السودانيين، علمًا بأنه يعني المقعد الخشبي الطويل الذي يُستخدم أيضًا كسرير.

(21) المرجع السابق، ص233.

(22) المرجع السابق، ص225-226.

(23) المرجع السابق، ص191.

(24) المرجع السابق، ص224-225.

(25) المرجع السابق، ص189.

(26) المرجع السابق، ص228.

(27) المرجع السابق، ص104-105.

(28) المرجع السابق، ص45، ص231-232، ص347.

(29) المرجع السابق، ص320-329.

(30) محمد شاهين، تحوّلات الشوق، ص24.

(31) الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ص171.

(32) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص235-236.

(33) المرجع السابق، ص345-349.

(34) إحسان عباس، غربة الراعي، ص267.

(35) إحسان عباس، غربة الراعي، ص271.

## المراجع


إحسان عبّاس، **غربة الراعي، سيرة ذاتية**، دار الشروق، عمّان، 1996.

إشراقة مصطفى حامد، **الدانوب يعرفني، الوجه الآخر لسيرة الأنهار**، دار الآن ناشرون وموزعون، عمّان، 2017.

بسام قطّوس، **سيمياء العنوان**، وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 2002.

تيسير مشارقة، **البعد الاتصالي للسيرة الذاتية**، بحث منشور ضمن أعمال ملتقى جامعة آل البيت الثقافي (أدب السيرة والمذكّرات في الأردن)، 1990.

حسن عليان، أثقل من رضوى؛ مقاطع من سيرة ذاتية، بحث منشور ضمن كتاب "**دراسات في أدب السيرة الذاتية**"، دار فضاءات، عمّان، 2016.

سامح الرواشدة، **إشكالية التلقّي والتأويل**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمّان، 2001.

عبد العزيز شرف، **أدب السيرة الذاتية**، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1992.

غسان عبد الخالق، **بساط الريح**، دراسات تطبيقية في أدب الرحلات، وزارة الثقافة، عمّان، 2015.

الطيب صالح، **موسم الهجرة إلى الشمال**، دار العودة، ط2، بيروت، 1969.

محمد شاهين، **تحوّلات الشوق في موسم الهجرة إلى الشمال**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.

موسى ربابعة، **جماليات الأسلوب والتلقّي**، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، 2008.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 633- 667

# بلاغة دالّ الصوت (الرباعيّ المضاعف) في تجربة السيّاب الشعريّة[1]

فايز عارف القرعان*

تاريخ الاستلام 2018/1/7 تاريخ القبول 2018/3/4

## ملخص

تناولت هذه الدراسة بلاغة الدالّات الرباعية المضاعفة ذوات البعد الصوتي في تجربة السياب الشعرية، كونها تشكل ظاهرة في الاستعمال اللغوي. وتعاملت معها من بعدين: الأول البعد المدلولي، والثاني البعد الدلالي. وكشفت عن الآليات البلاغية التي اتكأت عليها هذه التجربة في إنتاج هذه الدالّات للدلالة في المستوى العميق، فوجدت أنها استثمرت مجموعة من المدلولات التي تنتجها هذه الدالّات، هي: الخفوت والانخفاض، والعلو، والتتابع الصوتي، والانبعاث، والكثرة. وقد أنتجت بهذه المدلولات مجموعة من الدلالات السياقية، هي: الخفاء، والكشف، والانتشار، والحركة، والشعور، والانبعاث، مستخدمة في إنتاجها آليات: الاستعارة (الاستعارة التشخيصية، والاستعارة التجسيدية)، والمجاز المرسل (المجاز التشخيصي)، والكناية، وتراسل الحواس، والترجيع، والتضمين اللغوي.

**الكلمات المفتاحية:** الرباعي المضاعف، الدالّات، المدلولات، الدلالات، الآليات البلاغية، البعد الصوتي.

## مقدمة:

لعل القول إن استعمال السياب الدالّات ذات الأصل الرباعي المضاعف يشكل ظاهرة لافتة للنظر في تجربته الشعرية قول يعود إلى فترة متقدمة قد تزيد عن ثلاثين عامًا[2]، ذلك أن الدراسات النقدية واللغوية التي تعاملت مع تجربته رصدت هذه الظاهرة، وتناولتها بالدراسة من بعض جوانبها كونها ظاهرة لغوية. ويبدو لي أن هذا الاهتمام بها يكتسب صدقًا موضوعيًا؛ لأنها تشكل ظاهرة استعمال لغوي واضحة في تجربته الشعرية. وإذا ما قسناها- كمِّيًّا- بسائر الدالات التي استعملها في هذه التجربة من حيث أصول جذورها، فإننا نجد صدق هذه الملحوظة؛ ذلك أن إحصاء عدد الدالات ذات الأصول الرباعية في كامل أعماله الشعرية المنشورة[3] دلنا على أن ما

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

يقرب من (أربعمئة وثلاثة وستين) دالًا قد وردت فيها، وقد توزعت هذه الدالات على نوعي الرباعي:

1- الرباعي المضاعف الذي بلغت جذوره اللغوية (واحدًا وستين) جذرًا، وردت مكررة في (مئتين وسبعة وأربعين) موضعًا؛ أي بنسبة (52%) من المجموع الكلي.

2- الرباعي غير المضاعف الذي بلغت جذوره اللغوية (ثمانية وثلاثين) جذرًا، وردت مكررة في (مئتين وستة عشر) موضعًا؛ أي بنسبة (47%) من المجموع الكلي.

وتزداد موثوقية صحة هذه الملحوظة إذا ما عرفنا أن هذا المجموع الكلي للرباعي يشكل ما نسبته (15,4%) من مجموع الجذور التي استعملها السياب في هذه الأعمال اعتمادًا على إحصائية عبد الكريم حسن، التي أشار إليها في دراسته لشعر السياب إذ أحصى (ثلاثة آلاف) جذر لغوي[4].

وإذا ما استعرضنا الدالات الرباعية المضاعفة، التي استعملتها تجربة السياب، فإننا نلحظ أنها تشكلت في خمسة أبعاد موضوعية، تفاوتت أعدادها ومواضع تكرارها فيه، وهي على النحو الآتي:

| رقم | البعد | مجموع الدالات | مجموع التكرار | النسبة المئوية لمجموع الدالات | النسبة المئوية لمجموع التكرارات |
|---|---|---|---|---|---|
| **1** | البعد الصوتي | 20 | 129 | %32.80 | %52.27 |
| **2** | البعد البصري | 19 | 45 | %31.14 | %18.22 |
| **3** | البعد الحركي | 19 | 62 | %31.14 | %25.1 |
| **4** | البعد اللمسي | 02 | 09 | %3.28 | %3.6 |
| **5** | البعد الوجداني | 01 | 02 | %1.64 | %0.81 |
| | **المجموع** | **61** | **247** | **%100** | **%100** |

نلحظ- من قراءة الجدول- أن دالات البعد الصوتي أخذت نسبة عالية (32,80%) بالقياس إلى مجموع كل دال من دالات الأبعاد الأخرى من ناحية، وأن تكراراتها قد أخذت نسبة عالية (52,27%) بالقياس إلى مجموع تكرارات الأبعاد الأخرى من ناحية أخرى.

إن المؤشر المتقدم لكثرة استعمال ظاهرة الرباعي المضاعف في تجربته دعاني للوقوف على هذه الظاهرة الأسلوبية، التي تدخل في دائرة الانتقاء الذاتي للشاعر من المعجم اللغوي، الذي توفره اللغة ليصبح اختيارًا ذاتيًا يوجهه بحسب غاياته الدلالية في تجربته. ولكنني أقف في هذا

البحث على دالات البعد الصوتي وشعرية استعمالها وحدها دون دالات الأبعاد الأخرى؛ حتى لا يطول[5].

لا بدّ لي من أن أشير إلى أن ثمة درسات سابقة حاولت أن تفسر هذه الظاهرة لدى السياب، منها محاولة عبد الكريم حسن، التي فسّرها بالحالة المرضية[6]. ووقف عليها إبراهيم السامرائي في حديثه عن الظاهرة الصوتية في تجربة السياب وأشار إلى ظاهرة استعمال السياب الفعل الرباعي المضاعف، الذي رأى فيه قوة تحفيزية للإيحاء في النصوص الشعرية من ناحية، وأنه استخدام في غير ما هو مألوف في كتب اللغة[7]. كما وقف عليها إبراهيم العطية في حديثه عن ظاهرة الرباعي في تجربة السياب وعزاها إلى طلب الموسيقا الداخلية للمفردة، وإن كان قد جعل احتمال حالة المرض التي أشار إليها عبد الكريم حسن سببًا مقبولاً لتفسيرها[8].

وقد أشار صلاح فضل إلى هذه الظاهرة في حديثه عن الترجيع في "أنشودة المطر" وأشار إلى محاولات تفسير هذه الظاهرة ورأى أنها لا تستطيع أن تكشف عن حقيقتها؛ لأنها تربط بين ظواهر غير متجانسة؛ أي أن في ربط الكلمات بصيغها الصرفية والدافع الحياتي ابتعادًا عن الواقع الأدبي، ورأى أن تفسيرها المناسب ينبغي أن يتعلق بطبيعة النسيج اللغوي والاتجاهات الأسلوبية الشائعة في تجربة السياب[9].

كما وقف حسن ناظم على هذه الظاهرة في دراسته مجموعة "أنشودة المطر" وحاول أن يفسرها بوصفها ظاهرة صوتية، بعد أن أحصى منها (أحد عشر) تكرارًا، ورأى "أنّ التعليق الشائع على مثل هذه الكلمات يحاول أن يستنبط منها إيقاعًا متمخّضًا عن تماثل الأصوات المنتظمة فيها، بيد أن هذا لا يبدو كافيًا على الإطلاق، فتكرار الأصوات على الصيغة التي هي عليه إنما هو متطلب دلالي وإيقاعي في آن واحد، ويكشف الفحص الفيلولوجي عن أن زيادة الصوت على الفعل الثلاثي ليكون رباعيًا إنما يمثّل تقوية لدلالته، فضلًا عن تمخّض الجانب الإيقاعي الذي يصعد من قوة الشحنة التأثيرية، بفعل تصاعد طاقة التعبير"[10]. ويبدو لي أن هذه المحاولة التي استفادت من البعد الإيقاعي لدالات العمل الشعري تقترب من الفكرة النقدية التي تربط بين الظاهرة الصوتية والدلالية المتولّدة منها؛ لذا نجده في دراسته يحاول أن يربط بين هذه الأصوات المتكررة بسياقاتها الأسلوبية، فرأى أن تجربة السياب في أنشودة المطر تحقق التماثل الظاهر في المستوى الصوتي في بنية الكلمة المفردة على مستوى التماثل، الذي يتحقق على مستوى المقطع الشعري[11]. ولا شك في أننا ندرك مدى اقتراب حسن ناظم من رؤية صلاح فضل، وإن لم يكن الأول قد أحال إليها.

إن ما تقدم من محاولات تفسير هذه الظاهرة اللغوية لا يبدو لي كافيًا للكشف عن فاعلية دالاتها في تجربة السياب الشعرية وجمالياتها؛ فتفسير عبد الكريم حسن بكونها حالة مرضية تقع

خارج استعمال اللغة الأدبية، وتفسير السامرائي بكونها استثمار أصوات الطبيعة في اللغة الأدبية هو ابتعاد عن فهم صلب الوظيفة التي يؤديها النص في مجال الخطاب الأدبي.

وأما تفسير صلاح فضل في نظرته إلى مجموعة "أنشودة المطر" كونها ترتبط بالنسيج اللغوي والاتجاهات الأسلوبية، وتفسير حسن ناظم في دراسة مجموعة "أنشودة المطر" كونها ظاهرة صوتية وهي مطلب إيقاعي ودلالي، فهما تفسيران لهما وجاهتهما، ولكنهما عملان جزئيان لا يغطيان كامل تجربة السياب؛ إذ لا بدّ من نظرة كلية لاختبارها والكشف عن جوانبها المختلفة التي تشكلت فيها.

يبدو لي أن تناول هذه الظاهرة في الخطاب الشعري عند السياب يقتضي أن ننظر في مفردة الرباعي المضاعف كونه دالًا يحمل مدلولًا خاصًا به أو معنى معجميًا من ناحية، وكونه دالاً ينغرس في بنية تركيبية يتحرك فيها ضمن شبكة علاقاتها السياقية التي تنتهي به إلى إنتاج دلالات في بنيتها العميقة تعتمد في كثير من الأحيان على آليات بلاغية مختلفة، وأن هذا الوقوف يجب أن يكون في كامل تجربة السياب؛ لأن ذلك يكشف عن جميع الملابسات الخطابية فيها، ويكشف عن كيفية تحركها داخل التراكيب، وعن الآليات التي استعملتها التجربة لتوليد دلالاتها الكلية، ما يكشف عن الجانب البلاغي التأثيري لهذا النوع من الاختيار اللغوي من قائمة العناصر المعجمية وإسقاطها على محور التركيب.

### 1-0 المدلولات المعجمية لدالات البعد الصوتي

عند استعراضي استعمال دالات البعد الصوتي في تجربة السياب الشعرية[12] وجدت أنها استعملتها في مدلولات صوتية مختلفة، هي: الخفوت والانخفاض، والعلو، والتتابع الصوتي، والانبعاث، والكثرة. وتفصيلات هذه المدلولات على النحو الآتي:

كان **مدلولا الخفوت والانخفاض** أكثر استعمالاً في تجربة السياب من المدلولات الأخرى؛ إذ قاربت نسبة تكرارهما ما يزيد عن خمسين بالمئة من مجموع استعمال المدلولات الأخرى، علاوة على أن الدالات التي استخدمتها كانت تسعة، هي: (**غمغم، ووسوس، ودندن، وهسهس، ووشوش، ولجلج، وتمتم، وسقسق، وحمحم**).

وكان أكثر هذه الدالات استعمالاً **لمدلولي الخفوت والانخفاض** هو دال (**غمغم**)، الذي يعني"الكلام الذي لا يبين"[13] يقول السياب:"الليل، والسوق القديم/ خفتت به الأصوات إلا **غمغمات** العابرين"[14]، نلحظ أن الصياغة الشعرية استعملت دال (**غمغمات**) بمدلول الخفوت المتعلق به معجميًا، وزاد هذا الدور وضوحًا بتعليقه بالدال (العابرين)، الذي جعله يشترك مع

دالات الصياغة الشعرية بإنتاج دلالة سياقية مؤداها الغموض وعدم الوضوح في المكان ووقوعه في ظلمة الليل. ولعل لاختيار دال (غمغمات) أهمية خاصة كونه ينتج بعدًا صوتيًا بتناغمِ حروفه المكررة، الأمر الذي يتوافق مع الخفوت والغرابة والحزن.

ويأتي بعده الدال (**وسوس**)، الذي يعني: "تكلّم بكلام خفيّ مختلط لم يبيّنه... وصوّت في خفاء"[15]، من حيث تكرار مواضعه في هذه التجربة، يقول السياب: "أين الصبايا **يُوَسْوِسْنَ** بين النخيل/ عن هوىً كالتماع النجوم الغريبه"[16] لعلنا نلحظ أن الدال (**يُوَسْوِسْنَ**) يؤدي مدلوله على الوجه المعجمي دون أن تضاف إليه هوامش دلالية؛ ذلك أن حديث الصبايا كان ينبعث خافتاً من بين أشجار النخيل ومتضمناً موضوع الهوى، الذي تماثل في صفاته مع الوسوسة، فهو هوى يشبه النجوم البعيدة التي يلتمع ضوؤها في سماء بعيدة، وحتى تؤكد الصياغة الشعرية بُعد هذا الالتماع جعلت نجومه غريبة عن سمائها.

وقد استعملت أيضًا دال (**دندن**)، الذي يعني "تكلّم بصوت خفيّ يُسمع ولا يُفهم"[17]، في بعض المواضع، وإن كان بتكرار أقل من الدالين السابقين، يقول السياب مخاطبًا "منزل الأقنان": "وكم مهد تهزهز فيك: كم موت وميلادِ/ ونار أوقدتْ في ليلة القرّ الشتائيه!!/**يدندن** حولها القصّاص: "يُحكى أن جنيه..."[18] نلحظ أن دال (دندن) جاء مؤديًا دوره المدلولي من خلال إسناده إلى الفاعل (القصاص)، الذي يقوم بدور سارد الحكاية عن الجنية وسط طقس يبعث على الخوف والحيرة من حركة الحياة والموت في "منزل الأقنان". ولا شك في أن هذا المدلول يتوافق مع الحالة النفسية التي تطبق على الشيوخ والأطفال بحيث يسمعون ويخافون مما سمعوا مع غياب المعاني لذهولهم وحيرتهم.

كما استعملت الدال (**وشوش**) الذي يعني "تكلّم كلامًا خفيًا، أو كلامًا مختلطًا لا يكاد يُفهم"[19] في مواضع منها، يقول السياب:"وهي المفلية العجوز وما **توشوش** عن "حزام"[20]. يأتي هنا الدال (**يوشوش**) مستعملاً بمدلول الخفوت بإسناده إلى الفاعل (العجوز) التي تروي قصة عروة ابن حزام وعفراء، دون إضافة أي دلالات هامشية إليه، وهو بهذا يتماثل مع الدالات السابقة.

وقد استعملت الدال (**سقسق**) بمدلوله الصوت الضعيف، يقول ابن منظور: "سَقْسَقَ العصفور: صَوَّت بصوت ضعيف"[21] وقد علقته الصياغة الشعرية عند السياب بفاعله الحقيقي العصافير، يقول السياب:"وتملأ رُحبةَ الباحه/ ذوائبُ سدرةٍ غبراءَ تزحمها العصافيرُ/ تعدّ خطى الزمان **بسقسقاتٍ**"[22]لا شك في أننا نلحظ أن الدال (**بسقسقات**) قد تعلق بالعصافير التي هي صاحبة مدلول صوت السقسقة الضعيف.

كما استعملت دال (**حمحم**) بمدلول الانخفاض في الصوت، يقول ابن منظور: " الحَمْحَمة والتَّحَمْحُم عَرُ الفرس حين يُقَصِّر في الصَّهيل ويستعين بنفَسه؛ وقال الليث: الحَمْحَمة صوت البِرْذَوْنِ دون الصوت العالي، وصَوتُ الفرس دونَ الصَّهيل"[23]، وقد علقته الصياغة الشعرية عند السياب بفاعله الحقيقي الخيل، يقول السياب:"الخيل من سأم **تحمحم** وهي تضرب الحوافر/ حجر الطريق"[24] أسندت الصياغة الشعرية - كما نلحظ - الدال (تحمحم) إلى فاعله الحقيقي (الخيل) وذلك من أجل إنتاج مدلوله المعجمي.

**1-1**

يأتي **مدلول العلو** (الصوت من حيث نبرته علوًا)؛ بعد مدلول الخفوت من حيث كثرة الاستعمال في تجربة السياب. وقد ظهر هذا المدلول في دالين, هما: (**قَهْقَه، وكَرْكَر**). وقد استعملتهما بمدلوليهما في مواضع حينًا، وأضافت إليهما هوامش دلالية في مواضع أخرى حينًا آخر.

وقد أكثرت من استعمال دال (**قهقه**) بمدلوله المعجمي الذي يعني ترجيع الضحك واشتداده، يقول ابن منظور:" قَهْقَه يُقَهْقِه قَهْقَهَةً إذا مدَّ وإذا رجَّع... ابن سيده: قَهْقَه رجَّع في ضَحِكه، وقيل: هو اشتدادُ الضَّحِك"[25]، يقول السياب:"شبعان أغفى، وهي جائعة تلمّ من الرياح/ أصداء **قَهْقَهة** السكارى في الأزقة، والنباح/ هنا وهناك: ها هو ذا زبون/ هو ذا يجيء- وتشرئب وكاد يُلمس... ثم راح"[26]، نلحظ أن صياغة السياب قد غرست الدال (**قَهْقَهة**) في بنية تركيبية مستعملة مدلوله (الصوت العالي القادم من بعيد) وذلك من خلال إظهار قدرة البغيّ على سماع أصداء الأصوات المنبعثة من قهقهات السكارى، الذين تتصيدهم كون أصحابها (السكارى) زبونًا مناسبًا لها.

كما استعملت الدال (**كَرْكَر**) كثيرًا[27] بمدلوله المعجمي الضحك الذي يشبه القهقهة، جاء في المعجم الوسيط: "كَرْكَرَ: ضَحِك ضَحِكًا شبه القهقهة، ويقال: كركر في الضحك: أغرب فيه. وكركرت النارجيلة: اضطرب ماؤها فكان له صوت يشبه الكركرة"[28] يقول السياب:"تلقّاه، في الباب، طفلُ شرود/ **يكركر** بالضحكة الصافيه"[29]، لا شك في أننا نلحظ أن الصياغة الشعرية، هنا، استعملت الدال (يكركر) بمدلوله المعجمي، الذي يرتبط بالضحك العالي، وهو يصدر هنا من طفل سعيد بعودة أبيه من العمل.

**1-2**

ويأتي **مدلول التتابع الصوتي** بعد المدلولين السابقين من حيث كثرة الاستعمال في تجربة السياب، وقد ظهر هذا المدلول في أربع دالات، هي (**ولول، ووهوه، وزمزم، وصلصل**)، وقد جاء استعمال الدالات الثلاثة الأولى في إنتاج الدلالة دون أن تستعملها في مدلولها المعجمي، في حين استعملت دال (صلصل) من غير تكرار في مدلوله المعجمي. وقد تمثل مدلول التتابع فيها جميعاً، فالدال (ولول) يشير إلى تتابع الصوت المتضمن معنى الويل، يقول ابن منظور:"وفي حديث فاطمة، عليها السلام: فَسَمع **تَوَلْوُلَها** تُنادي يا حَسَنان يا حُسَينان؛ الوَلْوَلةُ: صوتٌ متتابع بالوَيْل والاستغاثة، وقيل: هي حكاية صوت النائحة"[30]، وكذلك يتوفر مدلول التتابع في الدال (زمزم)، يقول ابن منظور: "ابن سيده: وزَمْزَمَةُ الرعد تتابُعُ صوته، وقيل: هو أَحسنه صوتاً وأَثْبَتُهُ مطرًا"[31]، ويقترب من مدلول الولولة الدال (وهوه)، يقول ابن منظور: "الوَهْوَهَةُ: صياح النساء في الحُزْنِ. ووَهْوَه الكلبُ في صوته إِذا جَزِعَ فردَّده، وكذلك الرجل"[32] فالترديد في الصوت هو تتابع فيه، ويقترب الدال (صلصل) من هذا المدلول أيضاً، يقول ابن منظور: "وصلَّ اللِّجام: امتدّ صوته، فإن توهمت ترجيع صوت قلت صلصل وتصلصل؛ الليث: يقال صلّ اللجام إذا توهمت في صوته حكاية صوت صلْ، فإن توهمت ترجيعًا قلت صَلْصَلَ اللجام، وكذلك كل يابس يُصَلْصِلُ"[33] فمعنى التتابع يتضمن معنى ترجيع الصوت. وقد استعملته الصياغة الشعرية بهذا المدلول، يقول السياب:"محارٌ **يصلصل** في ساقيه"[34]، لا شك في أن اسناد الدال الفعلي (**يصلصل**) إلى الفاعل (محار) هو استعمال لصوت الصلّة التي تصدر من يابس يتصف صوته بالصلصلة،؛ فالمحار - كما في سياق المقطع الشعري - يصدر صوتاً يعتمد الترجيع الذي يقود إلى إدراك صوت التتابع، كونه مادة يابسة.

**1-3**

ويأتي **مدلول الانبعاث الصوتي** بعد المدلولات السابقة من حيث كثرة استعمالها في تجربة السياب، وأقصد بالانبعاث الصوتي الصوتَ المنبعث من الأشياء ذاتها أو من حركتها إذا تحركت، وقد استعملت لها الصياغة الشعرية أربعة دالات، هي: (**جلجل، وقعقع، وخشخش، وزفزف**) وقد استعملت الثلاثة الأولى منها في مدلولها المعجمي دون إضافة دلالات هامشية لها، وأما الدال الأخير (**زفزف**)، فقد أضافت إليه دلالة هامشية هي الدلالة الشعورية التي سأتحدث عنها في موضعها من البحث.

وقد استعملت الدال (**جلجل**) في الإشارة إلى السحاب في حال إحالتها إلى الرعد؛ إذ إن السحابة توصف بصوت رعدها وهو الجلجلة؛ يقول ابن منظور: "الجَلْجَلة: صوت الرعد وما

أشبهه. والمُجَلْجِل من السحاب: الذي فيه صوت الرعد"[35]، يقول السياب:"أتعلم السحابة المرعدة المبرقة **المجلجله**/ بأن ماءها سيستحيل غيمة إليها مقبله...؟"[36]، نلحظ أن الصياغة الشعرية أطلقت الدال (**المجلجلة**) على السحابة لتعطيها صفة مستمدة من صفة صوت الرعد المجلجل، وذلك بعد أن أشارت إليه في الدال (مرعدة)، دون أن تضيف إليه هوامش دلالية.

كما استعملته للإشارة إلى الجرس بصوته المرتفع عند تحريكه أو ضربه، يقول السياب:"وذلك **المُجَلْجِل** المرنّ من بعيد:/ لمن، لمن يدق "كونغَاي، كونغَاي"؟"[37]نلحظ أن الدال (**المُجَلْجِل**) أشار إلى الجرس المرنّ دون أن تضاف إلى مدلوله الصوتي الناتج من الجرس هوامش دلالية.

واستعملت الدال (**قعقع**) لتصف صوت السلاح عند تحريكه، ذلك أن "القَعْقَعة: حكايةُ أَصوات السِّلاحِ والتِّرَسةِ والجُلُودِ اليابسة والحجارة والرَّعْدِ والبَكْرةِ والحُليِّ ونحوها"([38]) يقول السياب: "ولا لمعة من سراج تبين/ سوى **قعقعات** السلاح/ وعصف الرياح"([39])، نلحظ أن الصياغة الشعرية استعملت الدال (**قعقعات**) في مدلوله اللغوي وذلك بإضافة دال السلاح إليه، ولم تستعمله في هوامش دلالية إضافية، مع أنها استعملته لتدلّ به على معنى الحروب بطريقة آلية الكناية التي لا تجعل هذا الاستعمال يفارق دلالته المعجمية. كما استعملته للتعبير عن صوت النار[40]، وعن صوت تصدع المنازل[41]، وعن صوت الرعد[42]، واستعملت الدال (**خشخش**) لتصف الصوت المنبعث من حركة الأشياء التي تحركها "**خشخشة** كف أبرص"[43].

**1-4**

ويأتي **مدلول كثرة الصوت** آخر قائمة المدلولات في تجربة السياب من حيث كثرة تردده في مواضعها من ناحية، ومن حيث تنوع دالاته من ناحية أخرى، إذ لم يرد إلا في دال واحد هو (**ثرثر**)، الذي يعني الكثرة في الكلام، يقول ابن منظور: "رجل ثَرْثارٌ وامرأَة ثَرْثارَةٌ وقوم ثَرْثارُونَ؛ وروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أَنه، قال: أَبْغَضُكُمْ إِليَّ الثَّرْثارُون المُتَفَيْهِقُونَ؛ هم الذين يكثرون الكلام تَكَلُّفاً وخروجاً عن الحق"[44]، وقد استعملته في مدلوله في مواضع حيناً، وأضافت إليه هوامش دلالية في مواضع أخرى حيناً آخر، يقول السياب: "يمر بي الشيوخُ والشبّانُ/ **يثرثرون**: يدها فوق يدي/ وعينها.." ويُنفث الدخانُ!"[45]، نلحظ أن الصياغة الشعرية استعملت الدال (**يثرثرون**) بمدلوله اللغوي، وذلك بإسناده إلى فاعله الأصلي (الشيوخ، والشبان) لتحقيق معنى كثرة الكلام الذي يحقق مدلول الهذر، يقول الزمخشري: "رجل ثرثار: مهذار"[46]، والهذر هو الكلام العابر الذي لا يُلتفت إليه، ويقول ابن منظور: "الهَذَرُ: الكلام الذي لا يُعْبَأُ به"[47]، وقد

جعلته هذه الصياغة هذرًا بغرسه في سياق شعري ينتج دلالة الفراق من خلال تصوير الذات الشاعرة، وقد دفنت في التراب؛ لتبدأ حياتها الأبدية، وهي لحظة تحقق الحياة الفعلية للإنسان بعد الموت، في حين أن الشيوخ والشبان يمارسون هذرهم وباطلهم، وقد مثل هذا الهذر مقول القول "يدها فوق يدي وعينها..." وقد أشار التركيب "ويُنفث الدخان" إلى هذا الهذر.

## 2-0 إنتاج الدلالة

إن الكشف عن الدلالات التي تنتجها الدالات في أية تجربة شعرية يجب أن يتم من خلال اختبار البنية العميقة التي تنتجها البنية التركيبية؛ بمعنى أن يكون الكشف عن هذه الدلالات من خلال السياق البنائي الذي يشغله هذا الدال ويتفاعل معه. فالدالات المستعملة في النصوص تشكل بذاتها علامات تحمل مدلولات ذهنية عند مستعملي اللغة، يقول بول كوبلي وليستا جانز في حديثهما عن دي سوسير: "ما يطلق عليه سوسير المدلول لا ينفصل عن الدال في أية علامة، وهو بالفعل يولده الدال. هذا مفهوم ذهني"[48]. وعند تلقي هذا الدال يستدعي المتلقي - بغير قصد - مجموعة من المدلولات التي أنتجها مستعملو اللغة؛ لأن هذا الدال لا يمكن فهمه إلا من خلال الاستعمال، يقول كلود جيرمان وريمون لوبلون: "إن الكلمة لا يتضح معناها إلا من خلال الاستعمال، وبناء على هذا يمكن القول: إن معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها"([49])، وبذلك تكون حاملة صلات فكرية وذهنية لمستعملي اللغة في المجتمع اللغوي، وتكون مختزنة كثيرًا من الترابطات المعرفية والموضوعية المتجانسة أو المختلفة في الوقت نفسه، ولكن عند استعمالها في النص الشعري فإن الخطاب الشعري يؤطرها لتصبح ذات خصوصية فيه (النص الشعري) وتعكس بالتالي فيه ذاتية الشاعر. وفي هذا يقول (ميشال لوغورن): "من السهل الوصول إلى المصادر الأدبية أكثر من غيرها، ولكنه يجب ألا نكتفي بهذه المصادر فقط، فالأوساط التي يعيش فيها الكاتب، والسياق التاريخي وكل الفاعليات الإنسانية، وكذلك المشاهد تقدم أيضًا صورًا تفسّر غالبًا بالشكل المحسوس للتشبيه، ولكن باستطاعتها بعض الأحيان أن تظهر بشكل استعارات حية وغريبة بصورة خاصة، ومن جهة أخرى، يستمد الكاتب غالبًا من عالمه الداخلي التماثلات التي تسمح له بالتعبير عن نظرته للعالم"[50]. إن تدخل الذات المبدعة في تشكيل هذه الدالات بوصفها آتية من مصادر الذات الشاعرة، تصبح مطبوعة بطابع هذه الذات فتكون خاصة بها وضاربة في جذورها النفسية والذاتية؛ لذا فإنها تحمّلها قدرًا كبيرًا من الطاقات الدلالية والنفسية قد تبتعد بها عن واقعها الحياتي لتدخل بالتالي في الخطاب الشعري، يقول ساسين عساف عن الكلمة: "الكلمة - الفكرة يجب ألا تبقى صورة ذهنية مجرّدة ولكن يجب أن تحمّل بزخم إنساني ناتج عن تجربة. والكلمة تمثل الأشياء لا كما هي، بل كما يكون وقعها في النفس. من هنا ارتباط اللغة الشعرية بالمعاناة الشعورية"[51].

يبدو لي أن الكشف عن فاعلية الدال في الخطاب الشعري يفرض على الباحث أن ينتبه إلى مسارين: مسار يقود إلى ملاحظة المخزون الذاتي للدال، سواء من جهة المتلقي أم من جهة المبدع الذي يهضم هذا المخزون في تجربته، ومسار يقود إلى ملاحظة التحولات الدلالية التي يتخذها هذا الدال داخل النصوص، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنوعية التجربة ونضوجها. وقد أشار إلى مثل هذه الملحوظة عفت الشرقاوي في قوله: "وهكذا تظل الألفاظ في النص الأدبي مشدودة في اتجاهين: إلى الخارج: أي نحو القارئ بمخزونه التراثي والذاتي المرتبط بها، وإلى الداخل: أي نحو السياق الذي يحاول الفنان من خلاله أن يوظف هذا المخزون التراثي توظيفاً موضوعيًا يتم به الكشف الجديد عن الحياة"[52]؛ لذا فإن البحث في الدور الدلالي الذي يولده الدال الرباعي في الخطاب الشعري لا يمكن إدراكه في صورته الدقيقة من خلال النظر فيه في بنيته التركيبية منفصلة عن السياقات التركيبية التي تحيط به؛ "لأنه كائن لفظي يتحرك ضمن بنية سياقية تنتظم مفرداتها علائق بنائية تحكم حركة الدلالة التي تقدمها هذه البنية، وبالتالي فإن اللفظ داخل هذه البنية لا يستطيع بمفرده أن يقدم دلالة ما، وإن كان في بنية استعارية ذات فاعلية في إنتاج الدلالة"[53].

وقد تنبه الدرس الحديث إلى مسألة الكشف عن الدلالات الداخلية في النصوص وعن كيفية إنتاجها فيها بالاعتماد على استعمال الدال ومدلوله فيها، يقول صلاح فضل: "إن الدراسات الحديثة للأسلوب تنزع إلى إحلال النموذج الدلالي محل النموذج المنطقي وهو يعتمد على أساس مخالف له، إذ يركز على كيفية أداء العبارة لدلالتها باعتبارها رسالة يبثها مرسل ويتلقاها مستقبل ويفك شفرتها لإدراك دلالتها، ويمكن بتحليل هذه العملية الكشف عن الأبنية السطحية والعميقة معًا خلال التوصيل دون الاحتكام المسبق إلى المقولات الذهنية التي تعجز عن احتضان منطق اللغة نفسها ولا تستطيع قياس ذبذباتها الحرارية الكامنة في كل تعبير على حدة"[54]. ولا شك في أن الخطوة الأولى في الكشف عن هذه الدلالات يجب أن تبدأ بالتحرك من المستوى السطحي للأبنية النصية إلى المستوى العميق، من غير إهمال التفاعل الذي يتم بين المستويين باتجاهين متعاكسين؛ بمعنى أن الدلالات تنشأ بطريقة التحولات الخارجية والداخلية، فتسير مرة من الخارج (المستوى السطحي) باتجاه الداخل (المستوى العميق)، وأخرى تسير من الداخل إلى الخارج وهكذا بحيث تكون هذه الحركة آلية لتفاعل المستويين. فاستعمال الدال ومدلوله في المستوى السطحي من الكلام يخلّص الدال من عمومية مدلولاته لمدلول يُخلص لرسالة النص ويندمج معها ليبدأ تفاعله مع غيره من مدلولات الدالات الأخرى، ويوضع كل ذلك في إطار آليات النصوص التعبيرية التي تنتج بها دلالاتها المختلفة في المستوى النصي العميق، ما يجعل المتلقي يتكئ على التأويل الدلالي الذي يمكن العمل عليه في البنيتين: السطحية والعميقة، بوصف البنية العميقة هي التي تقوم بالدور الرئيس في إنتاج الدلالة[55] بعد تخليص الدال من مدلولاته المختلفة.

ولدى استعراضي دالات الرباعي المضاعف في أبنية الخطاب الشعري لدى السياب وجدت أنها أنتجت ست دلالات هي: (دلالة الخفاء، ودلالة الكشف، ودلالة الانتشار، والدلالة الحركية، والدلالة الشعورية، ودلالة الانبعاث) وذلك باستعمال خمس آليات توليد دلالية، هي: آلية الاستعارة موزعة على الاستعارة التشخيصية، والاستعارة التجسيمية، وآلية المجاز المرسل التشخيصي، وآلية تراسل الحواس، وآلية التضمين، وآلية الترجيع. وأتحدث عن هذه الدلالات وآليات توليدها معًا.

**2-1**

كانت أولى هذه الدلالات (**دلالة الخفاء**)، التي تنقل مدلولات البعد الصوتي على اختلاف مستوياتها إلى مستويات الخفاء والزوال بحسب ما تقتضيه البنية الشعرية في مستواها العميق مستلهمة هذا من التجربة الشعرية عمومًا. وقد أنتجها خطاب السياب الشعري بآلية الاستعارة عند استعماله الدال (**هسهس**) الذي يعني "أحدث صوتًا خفيًّا"[56] في قوله:

"البردُ **وهسهسةُ** النارِ
ورمادُ المدفأةِ الرّملُ
تطويه قوافل أفكاري.
أنا وحدي يأكلني الليلُ"[57]

نلحظ أن الصياغة الشعرية ولّدت دلالة الخفاء بالتحول من دال (**حسيس**) الذي هو صوت النار إلى الدال (**هسهس**) الاستعاري؛ وذلك اعتمادًا على آلية الاستعارة التي تقوم على مبدأ التحول والإحلال بين طرفيها (المستعار له والمستعار منه) وهو تحول ينطلق من آلية التشبيه وفعلها على المستوى الذهني والحسي. وقد أشار (دومارسيز Dumarsias) إليه في مفهومه للصورة الاستعارية يقول إنها: "صورة ننقل بوساطتها، وبإيجاز، المعنى الخاص لاسم إلى معنى آخر لا يناسبه إلا بالاعتماد على تشبيه في الذهن... فاللفظة المأخوذة بالمعنى الاستعاري تفقد معناها الخاص، وتكتسب معنى جديدًا لا يمتثل في الذهن إلا من خلال المقارنة التي نعقدها بين المعنى الخاص لهذه اللفظة، وما نقارنها به"[58]. فالدال (حسيس= المستعار له) يتخلى عن الحضور في الصياغة الشعرية محتفظًا بمدلوله فيها لصالح الدال (هسهس= المستعار منه) الذي يعمل على إنتاج الدلالة من خلال مدلوله ومدلول الدال السابق؛ وذلك من أجل إعطاء إيقاع صوتي يتوافق مع الموقف السياقي في المقطع الشعري، ذلك أن هذا الخفاء يتوافق مع قدرة الأفكار على تناسيه وإقصائه من التأثير فيها، ويتوافق أيضًا مع الوحدة التي تعيشها الذات الشاعرة في الليل.

وقد استثمرت تجربته إنتاج هذه الدلالة باستخدام آلية المجاز التي تتكئ على التحولات التي تحدث بين العوالم المتباعدة أو المتقاربة التي تمثلها أطراف بنية المجاز، وذلك على مستوى المخيلة التي يمتلكها المبدع، وقد أشار إليها (لوغورن) في معرض حديثه عن الصورة، يقول: "الصورة عنصر محسوس يستقيه الكاتب من خارج الموضوع الذي يعالجه، ويستخدمه بغية توضيح قصد أو للوصول إلى شعور القارئ بوساطة الخيال"[59]. فالخيال عامل أساسي في التكوين المجازي أو الاستعاري؛ لأنه يقوم بتنظيم العلاقة بين السياقين اللذين ينتمي إليهما كل طرف من طرفي المجاز أو الاستعارة، وتعمل هذه العلاقة على التقريب بينهما، مع أن هذين السياقين قد يكونان متباعدين أو متقاربين، وقد رأى (أوكتافيو باث) أن التقريب بين المتباعدات ناشئ عن فعل الصورة يقول: "الصورة تقرّب أو تجمع حقائق متناقضة، ومتباعدة ومختلفة"[60]. ويبدو أن الصورة التي تقوم على مثل هذا التشكل تأخذ قوة انفعالية على حد تعبير (بيار ريفيردي): "بقدر ما تكون العلاقات بين واقعين متقاربين بعيدة وصحيحة، تصبح الصورة أقوى، وتكتسب قوة انفعالية وواقعًا شعريًا"[61]. وتمر هذه التحولات أحياناً عبر ملاحظة السياقات الحسية أو المعنوية التي ينتمي إليها طرفا المجاز أو الاستعارة - حضورًا وغيابًا - وإيجاد نوعية العلاقات التي تجمع بينهما، ويتجلى هذا التحول في ثلاث آليات، هي: التشخيص والتجسيم، وقد أشار إليها عبد القاهر الجرجاني يقول: "فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، ولا رونق لها ما لم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجمة ما لم تكنها، إن أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون"[62]. فالجرجاني رصد التحولات بصورة دقيقة بين الطرفين المتحولين، إذ أشار إلى تحويل الجمادات إلى عالم الأحياء، وتحويل المجردات والمعاني إلى عالم الحس عبر التجسيم، وهو لا شك يتحدث عن التحولات التي تتم بين طرفي الاستعارة، وقد أخذت هذه التحولات مصطلحات قارة في الدراسات النقدية والبلاغية الحديثة، منها الصورة التشخيصية والصورة التجسيمية، وقد نعت (م. أنطون) الأولى "الصور ذاتية المركز Egocentriques... النازعة بذاتها نحو تشخيص عناصر العالم الخارجي وحتى نحو شخصنتها"[63]، ونعت الثانية "الصورة كونية المركز Cosmocentriques النازعة نحو تجسيم مفهوم ما، أو كائن أخلاقي ما"[64].

ويمكننا أن ندرك إنتاج هذه الدلالة (**دلالة الخفاء**) باستعمال المجاز التشخيصي، في قول السياب:

"بعيدًا عنك، في جيكور، عن بيتي وأطفالي
تشدُّ مخالبُ الصّوان والأسفلتِ والضّجرِ
على قلبي، تُمزِّق ما تبقّى فيه من وترِ
يدندن: يا "سكون الليل، يا أنشودة المطر""(65)

إن التحول بين دالي (**يدندن**) و(يرنّ) يولد دلالة الخفاء التي تسعى لإنتاجها التجربة الشعرية، هنا، وذلك أنها أسندت الفعل المضاعف (يدندن) إلى الفاعل (وتر) الذي تمزق؛ لتكشف عن صوته الرنان الذي لا يؤدي وظيفته على الوجه المطلوب، وحتى تعمق هذه الحال أدخلت الدال المحذوف (يرن) في الفعل الإنساني، وهو فعل الغناء الذي يمكن أن نقدره بـ (يغني)، لتؤول به إلى التشخيص؛ ما يكسب استعمال الدال (يدندن) إيقاعًا ودلالة متوائمين مع الموقف السياقي؛ ذلك أن المقطع الشعري يسعى إلى الكشف عن الحالة الشعورية التي تعانيها الذات الشاعرة التي وقع عليها الألم بسبب صعوبات الغربة والبعد عن "جيكور"، فتوافقت معها إيقاعية الدندنة الرتيبة التي تبعث على الضجر من قسوة الحياة في الغربة.

وتختار تجربة السياب أيضًا دال (**وسوس**) لإنتاج **دلالة الخفاء** من خلال آلية التشخيص الاستعارية، يقول السياب:

"يا نهر عاد إليك من أبد اللحود ومن خواء الهالكين
راعيك في الزمن البعيد، يسرّح البصر الحزين
في ضفتيك ويسأل الأشجار عندك عن هواه
أوراقها سقطت وعادت ثم أذبلها الخريف
وتبدلت عشرين مره.
هيهات يسمع، إذ **توسوس** في الدجى، أصداءَ آه
بالأمس أطلقها لديك ترنُّ في جرس الحفيف"(66)

نلحظ أن الصياغة الشعرية قد أسندت الدال (توسوس) إلى الدال (النهر) بوساطة الضمير المستتر المقدر بـ (أنت) الذي يعود إليه. والصياغة في هذه الإحالة تستعمل آلية التشخيص الاستعاري لإنتاج دلالة الخفاء؛ وذلك باستبدالها دال (**توسوس**) بدال (**تعجّ**) الذي هو وصف لصوت النهر في جريان مائه، وهي بهذا تمارس إنتاج دلالة الخفاء التي اتخذت الإنسان مجالًا لها على وفق آلية التشخيص لتكون دلالة تكشف عن فاعلية النهر وقدرته على الفعل الإنساني في

ظلمة الليل الساكن، وهو فعل يطغى على كل فعل صوتي في هذه الظلمة؛ لذا فإن فعل الوسوسة قد طغى على (أصداء آه) لا يستطيع (راعيك) أن يسمعها.

كما اختارت الدال (**وشوش**) لإنتاج هذه الدلالة من خلال التشخيص أيضًا، يقول السياب:

"وفي أبد من الإصغاء بين الرّعدِ والرّعدِ
سمعنا، لا حفيفَ النخل تحت العارض السحّاح
أو ما **وشْوَشتْه** الريحُ حيث ابتلّت الأدواحْ،
ولكنْ خفقةَ الأقدام والأيدي"[67]

لعل استبدال الصياغة الشعرية الدال (وشوشته) بدال صوت الريح (الدوي أو الحفيف) يكشف لنا عن تعميقها دلالة الخفاء من خلال آلية التشخيص الاستعارية؛ وذلك أن اختيار الوشوشة - بما فيها من إيقاع صوتي رتيب متكرر ينعكس على ما تنتجه هذه الريح بفعلها الإنساني من صوت خفي - يتناغم مع السياق الذي صنعه النص للمقطع الشعري، الذي رسم حركة صوتية خفية ناتجة من حفيف النخل وحفيف الريح الساقط على أغصان الأدواح، وهي حركة توسطت حركتين صوتيتين مرتفعتين هما الصوت المرتفع الناتج من صوت الرعد، والصوت المرتفع الناتج من وقع الأقدام وتصفيق الأيدي.

واستعملت تجربته، بالإضافة إلى التشخيص، آلية تراسل الحواس لإنتاج هذه الدلالة، وتراسل الحواس هو: "وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطي المسموعات ألوانًا، وتصير المشمومات أنغامًا، وتصبح المرئيات عاطرة"[68]، وقد اختارت لها دال (وسوس)، يقول السياب:

"والنور منفلتًا من الأهداب.. تثقله الطيوبُ،
قلقًا كمصباح السفينة راوحته صبا لعوبُ،
وتخافق الأظلال في دعةٍ، **ووسوسةُ** الحريرِ"[69]

نلحظ أن الصياغة الشعرية قد اعتمدت الاستبدال الاستعاري الذي أحلّ دال (وسوسة) محلّ دال (ملمس)؛ لتعبر به عن نعومة الإحساس عند ملامسة الحرير، والاستبدال هنا اعتمد على التشخيص وتراسل الحواس معًا بإحلال حاسة (السمع) محل حاسة (اللمس). والصياغة الشعرية بهذا التراسل والاستبدال الاستعاري حوّلت مدلول (ملمس) الذي يقود إلى النعومة والاسترخاء إلى مدلول الخفوت الذي يحمله الدال (وسوسة) كونه صفة إنسانية شخصت الدال (الحرير) ليكون هذا المدلول دلالة سياقية ناتجة من اختيار دالها من قائمة العناصر اللغوية المتاحة في المضاعف.

كما استعملت الدال (**دندن**) لإنتاج هذه الدلالة بالاعتماد على تراسل الحواس والتشخيص معًا أيضًا، يقول السياب:

"وذكرتُ كلَّتنا يهفُّ بها ويسبحُ في مداها
قمرٌ تحيّرَ كالفراشة، والنجومُ على النجوم
**دنْدَنْ** كالأجراس فيها، كالزنابق إذ تعوم
على المياه... وفضَّضَ القمرُ المياها"[70]

نلحظ أن الصياغة الشعرية استبدلت استعاريًا الدال الصوتي (**دندنْ**) بالدال المحذوف (**لمعن**) لتعبر عن دلالة الخفاء التي تمارس تكوّنها على المستوى السياقي انطلاقًا من تصور ما يقع على دال (كلتنا) من أشياء البيئة المحيطة بها، ذلك أن القمر يظهر من خلال ثقوبها متحركًا متماوجًا كأنما هو فراشة تروح وتجيء حيرى، تشاركها النجوم التي ظهرت بضوئها المتلألئ المتقطع مظهر الإنسان الذي يصوت بدندنة تكاد لا تبين فحواها. ولا شك في أن إحلال حاسّة السمع محل حاسة البصر تعميقٌ لدلالة الخفاء التي يمارسها الإنسان.

**2-2**

وقد أنتجت تجربة السياب دلالة أخرى تتضاد مع الدلالة السابقة وهي (**دلالة الكشف**)، إذ نقلت مدلول الخفوت من كونه مناسبًا لدلالة الخفاء السابقة إلى دلالة الكشف ومستعملة لتحقيقها آلية التشخيص الاستعاري، وذلك في استعمال الدال (**يوسوس**)، يقول السياب:

"لقد فتّح الآن زهر الشتاء
ليملأ تنوره بالشّذى والضياء،
أنار وجوهًا وأخفى وجوهًا، فسال الأصيل
ينثّ سنابله الدافئة،
وسمراء تُصغي إلى الشاي فوق الصِّلاء
**يوسوس** عن خيمةٍ في العراء
وعن عيشة هانئة"([71])

إن استعمال الصياغة الشعرية هنا دال (يوسوس) بدلاً من دال (الغلي) الذي هو صوت الشاي يدخل موضوع الشاي في التشخيص بإعطائه الصفات الإنسانية من حيث الصوت (يوسوس)، وفي الوقت نفسه ينقل إنتاج الدلالة إلى آلية الاستعارة، وذلك أن الوسوسة حلت محل صوت الغليان فمارست دور القول، ولكنه قول لا يحمل صفة الخفوت التي تدل عليها الوسوسة بل هو صوت كاشف لموضوعه ومؤشر إليه؛ فوسوسة الشاي (فوق الصلاء) كاشفة ومشيرة إلى

مكانها (خيمة في العراء). وتدخل الصياغة الدال (توسوس) بهذا التوجيه الدلالي في عملية تضمين المدلولات؛ وذلك على وفق (آلية التضمين) التي تعني تضمين فعل معنى فعل آخر، يقول ابن هشام: "قد يُشربونَ لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضميناً، وفائدته: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين"([72])، فالدال (يوسوس) تضمن مدلول الدال (أشار) والدال (أومأ)؛ ذلك أن الشاي كان يمارس فعل الإشارة إلى المكان ويكشف عن حاله، فهو يثير الانتباه إلى الخيمة في العراء ويكشف عن الهناءة في هذه الخيمة.

**2-3**

وقد أنتجت هذه التجربة دلالة جديدة، هي (**دلالة الانتشار**) باستعمال مختلف المدلولات التي ينتجها المضاعف، كما في استعمال دال (**غمغم**)[(73)] بالاعتماد على آلية تراسل الحواس وآلية الاستعارة معًا، يقول السياب:

"وبدا الجنازُ، وراح يشهق وهو يدنو في ارتخاءْ،
الأوجه المتحجرات يضيئها الشفق الكئيب،
**والغمغمات** الخافتات من انفعال أو رياءْ،
والنعشُ يحجبه غطاءْ"([74])

استثمرت الصياغة الشعرية، هنا، مدلول خفوت الصوت وسط مشهد جنائزي يتواءم معه، وقد عمقت هذا الخفوت بدال (الخافتات) الذي يضفي بمدلوله صفة عدم بينونة الصوت الصادر من الغمغمات. ولكن هذه الصياغة عمقت فاعلية خفوت الصوت المغمغم بإزاحة مدلول الدال (الغمغمات) الصوتي إلى دلالة بصرية تتمثل في البعد المكاني، وذلك بفعل الدال (يضيء) الذي أسند إليه دال (الغمغمات)، فالغمغمات تقوم بدور الانتشار الذي يمارسه في الأسطر (الشفق الكئيب)، فهي غمغمات تكسو فعلها الصوتي (الأوجه المتحجرات) كما يكسو الضياء وجه المكان، ولكنها غمغمات صادرة عن مشاعر متناقضة من (انفعال- صادق) و(انفعال كاذب - رياء)، وبنقل دلالة الصوت (السمعية) إلى دلالة الضوء (البصرية) تكون قد أكسبت الصوت الذي لا يبين فاعلية الإطباق على المكان (الأوجه المتحجرات) لتعمق تحجر هذا المكان وتتوافق في الوقت نفسه مع الهوامش الدلالية التي أنتجها الدالان (الشفق الكئيب) اللذان يقومان بالفاعلية نفسها لدالي (الغمغمات الخافتات).

وتعمق تجربته مدلول الخفوت لهذا الدال (**غمغم**) بالاعتماد على تراسل الحواسّ أيضًا؛ لتؤول بدلالة الانتشار إلى حركة الهدوء في الانتشار، يقول السياب:

"وحين أسير في الزحمه
أصغِّر كلّ وجه في خيالي: كان جفناها
**كغمغمة** الشروق على الجداول تشرب الظلمة،
وكان جبينها.. وأراك في أبد من الناسِ
موزّعة فآه لو أراكِ وأنت ملتمّه"([75])

علقت الصياغة الشعرية دال (غمغمة) بدال (الشروق)، الذي ينتمي لمجال حاسة البصر (موضوع الضوء تحديدًا)؛ لتنتج هوامش دلالية جديدة، فبتراسل الحاستين (السمعية والبصرية) تؤول دلالة الخفوت من مستواها السمعي إلى مستوى بصري – ضوئي (الشروق) لتتعمق وتتحول إلى دلالة **الانتشار الهادئ**، وذلك أن البنية قد استعملت التشبيه لاحتضان هذا التراسل بين الحواس، وإنتاج دلالة سياقية كبرى هي دلالة التلاشي بتصغير كل شيء؛ فكل (وجه) يتحول (بالتخيّل) صغيرًا ليظهر وجهها جليًا وسط الزحام، ويقوم (جفناها) بفاعلية الانتشار والإطباق على سواد العينين، الذي يتلاشى من هذه الفاعلية مستمدًا إياها من فعل الشمس في نشر ضوئها على جداول المياه، وهي بهذا تؤكد دلالة الانتشار وتعمقها من البعد البصري.

كما استعملت تجربة السياب مدلول الخفوت بالاعتماد على آلية (**الترجيع**) لتنتج هامشًا دلاليًا جديدًا ضمن دلالة الانتشار هو (**دلالة الانتشار السريع**). والترجيع هو "أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأخصر لفظ فينزل في البلاغة أحسن المنازل وأعجب المواقع"([76])؛ وذلك أنها جعلته أداة حوارية تكشف عن المواقف الشعرية المختلفة، وإن كان الأسلوب الترجيعي الذي يؤديه مقتصرًا على جانب واحد من طرفي الحوار، يقول السياب:

هبّت تغمغم: "سوف نفترق" روح على شفتيك تحترق
صوت كأن ضرام صـــــاعقة يندلح فيه.. وقلبي الأفق[77]

نلحظ أن الدال (تغمغم) قام بمدلوله الصوتي الخافت مقام فعل القول (قال) ليبدأ بإنتاج حوارية الترجيع التي ظهرت في التركيب "سوف نفترق" وهو ترجيع صادر من الدال (روح) الذي علّق بالتركيب "على شفتيك تحترق"، فهذه الروح في طريقها إلى الانفجار بفعل الاحتراق. وقد رصدت الصياغة الشعرية، هنا، بنيتين متقابلتين ترصدان الحركة الدلالية لدال (تغمغم)؛ جاءت الأولى في البيت الأول، والثانية جاءت في البيت الثاني. وقد شكل الدال (تغمغم) بمدلوله (الخفوت) في البنية الأولى محور الربط بين الفعل (هبّت) والفاعل (روح). وقد حدد طبيعة الحركة الصادرة من الفاعل وهي حركة مفاجئة بعد سكون، ولكنها حركة مقيدة بالبطء والسلاسة التي يفرضها مدلول (الخفوت). ويقابله التركيب الثاني بعلاقة تضاد تظهر في البعد الدلالي؛ فهو يتصل

بالتركيب الأول سياقيًا ليكون مفسرًا وموضحًا لمدلول الغمغمة، وقد بنته الصياغة الشعرية على وفق آلية التشبيه، فجعلت مفسِّرَه الأول (صوت) وهو (مشبه)، فالغمغمة صوت يحمل تركيب "سوف نفترق" يوضحه المشبه به "ضرام صاعقة ينداح فيه " وهو المفسِّر الثاني الذي يضيف الهامش الدلالي الجديد؛ فالصوت يأخذ صفات الضرام الذي تخلفه صاعقة البرق الحارقة التي تمتد منتشرة في مساحة المكان بحركتها السريعة الملتهبة. من هنا تبدأ علاقة التضاد في التكوين بين مدلول دال (تغمغم) وهو الخفوت الذي يقتضي الانحسار الصوتي في مساحة مكانية ضيقة ودلالة الانتشار السريع في مساحة مكانية واسعة، وقد مثلت الشفتان "روح على شفتيك تحترق" المكان الضيق الذي مارست الغمغمة خفوتها فيه، والقلب "قلبي الأفق" المكان الرحب الواسع الذي مارست الغمغمة هامشها الدلالي فيه.

كما استثمرت مدلول العلو في الدال (**كركر**) لإنتاج دلالة الانتشار في المكان الذي يمارس فيه صوت العلو فاعليته؛ وذلك من خلال الاتكاء على الاستعارة التي تبنيها هذه التجربة بوساطة التشخيص وتراسل الحواس معًا، يقول السياب:

"ووفيقة تنظر في أسف
من قاع القبر وتنتظر:
سيمرّ فيهمسه النَهرُ
ظلًا يتماوج كالجرس
في ضحوة عيدْ،
ويهفّ كحبات النَفسِ.
والريحُ تُعيد
أنغام الماء (وهو المطرُ)
والشمس **تكركر** في السعفِ"(78)

يرصد المقطع لحظتين متقاطعتين: الأولى تتصل بوفيقة وهي لحظ انتظار ملؤها الأسف لقادم لا يأتي، والثانية تتصل بفعل النهر والريح والشمس. فسطح النهر يتكسر بأمواجه الرقراقة التي تشبه الصوت الهامس، والريح تردد أصوات حبات المطر المتساقط على وجه الأرض، والشمس تخترق بأشعتها المنتشرة سعف النخيل. لا شك في أننا نلحظ في هذا التقاطع أن ثمة مفارقة يرصدها المقطع مؤداها الكشف عن صخب الحياة مقابل هدوء القبر وكآبته، وقد جاء الدال (**تكركر**) بمدلوله (العلو) ودلالته السياقية الناتجة من الاستبدال اللغوي الذي وقع بوساطة الاستعارة- معمقًا هذا الصخب الحياتي بفرضه حركة الانتشار التي تبلورت بإدخال شعاع الشمس المدرك بالبصر في عملية السمع؛ وذلك من أجل إعطاء هذا الشعاع دفقة من هوامش العلو

الصوتي. وقد تأكدت هذه الدلالة بإدخاله في عالم الأحياء (عالم الإنسان)، واختيار الكركرة العالية له صفة جديدة لتزيد من الصخب فوق الأرض، وتضيف إليه مفارقة في الموقف بين الكركرة الساخرة والانتظار المشوب بالأسف. وكأنما يؤكد المقطع انتشار هذه الكركرة الساخرة حتى طغت على لحظة الانتظار.

كما استثمرت مدلول التتابع الصوتي لإنتاج دلالة الانتشار([79])، كما في استعمال الدال (يولول) يقول السياب:

"كيف انطلقت على طريقٍ لا يعود السائرونْ
من ظلمةٍ صفراء فيه كأنها غَسَقُ البحارِ؟
كيف انطلقتِ بلا وداع فالصغار **يولولون**،
يتراكضون على الطريق ويفزعون فيرجعون
ويسائلون الليل عنكِ وهم لعودكِ في انتظار"([80])

نلحظ أن الصياغة الشعرية استعملت الدال (**يولولون**) مع الصغار بدلاً من الدال المتوافق مع أصوات الصغار المناسب لسياقه اللغوي الذي هو (يصرخون)، ذلك أن هذا الدال (ولول) لا يستعمل في الأصل مع الصغار (الأطفال) لأنه يؤول بمعناه اللغوي إلى النساء؛ فالولولة "هي حكاية صوت النائحة"([81])، إن هذا الاستعمال يأتي من قبيل (آلية التضمين). فلو دققنا في هذا الدال، لأدركنا أن الصياغة الشعرية استثمرت هذا التضمين لإنتاج مدلولين: الأول ناتج من الفعل الأصلي (يصرخون)، وهو مدلول علو الصوت وارتفاعه، والآخر ناتج من مدلول التتابع الصوتي المتضمن صوت النائحة، ولعل هذا التضمين يزيد البنية الشعرية كثافة في إنتاج الدلالة؛ لأن التضمين اللغوي هو "إعطاء مجموع معنيين؛ وذلك أقوى من إعطاء معنى فذٍّ"([82])، وهو بهذا يزيد قوة إيحائية للدلالة المستهدفة وهي دلالة الانتشار التي تحققت من تعليق الدال (يولولون) بالفاعل الصغار الذين يمارسون فاعلية التحرك المنتشرة في أنحاء المكان وهم يمارسون فعل الصوت (المشحون بالولولة) في الوقت نفسه، فهم (يتراكضون على الطرقات) و(يرجعون) ويشحنون صوتهم المولول والمتسائل وفعلهم بالفزع والخوف.

كما استثمرته (مدلول التتابع) لإنتاج دلالة الانتشار التي تمارس فاعلية الامتداد المكاني([83]) باستعمال الدال (وهوه) كما في قول السياب:

"وألهبَ كل ألواح الزجاج الزُرق في الظلماءْ
فنوَّر غرفتي، إيماضُ برقٍ ثمّ رشَّ مدارجَ الأفقِ
نُثار من حُطام الرعْد فارتعشتْ له الأصداء
وحفَّ، على الدجى، غابٌ من الأمطار والأزهار والورقِ،

وكنتُ أصيح من أرقي
ومن مرضي: "أريد الماء!"
وتخنق صوتي الظمآن **وهوهةُ** الدّجى والماء"([84])

يرصد المقطع الشعري دلالة الانتشار الممتدة باستعماله الدال (**وهوهة**) متعلقًا بدالي (الدجى، والماء). وهو بهذا يغرسه في سياقين: الأول استعاري، والآخر تضميني؛ يتحقق الأول بإبدال الوهوهة بإطباق ظلمة الدجى على الأفق، على وفق آلية تراسل الحواس بين البعدين الصوتي والبصري، والآخر بتضمين مدلول الصوت التتابعي المشحون بالقلق المستمد من أصوات الكائنات الحية في مدلول صوت خرير الماء؛ ذلك أن الوهوهة كما يشير إليها ابن منظور هي "صياح النساء في الحُزن. ووهوه الكلبُ في صوته إذا جزع فردَّدَه، وكذلك الرجل. ووهوهَ العَيْرُ: صوَّتَ حول أتُنِه شفقةً"([85]).

فالصياغة الشعرية ترصد من بداية المقطع مجموعة من العناصر الموضوعية التي تحقق فاعلية الانتشار التي حققها فاعلان، هما: لمعان البرق (إيماض برق) الذي كشف ألواح الزجاج الزرق، وهزيم الرعد (نثار من حطام الرعد) الذي امتدّ إلى (مدارج الأفق) فاستجابت له الأصداء، وقد طال ما وقع على الأرض من مطر وما فيها من زهر وأشجار. إن هذا الانتشار تقابله الصياغة الشعرية بحالة الذات الشاعرة التي انحسرت بمرضها فتطلب الماء (أريد الماء!)، ولكن فاعلية صوتها تثبطه الوهوهة بفاعلية الامتداد المكاني؛ إذ إن الإبدال الذي تحقق بين البعد البصري (انعدام الرؤيا بفعل الدجى) والبعد الصوتي (فعل التردد والتتابع) أدّى إلى سلب قدرة الذات على تحقيق مطلبها من المكان الذي تتوفر فيه عناصر الحياة (الماء، والأزهار، والأشجار)، وزادت هذه السلبية بتحويل فعل الماء إلى فعل التتابع السالب الناتج من الوهوهة من خلال تضمين معنى الوهوهة في معنى الخرير؛ الأمر الذي يجعل الماء عنصرًا فاعلاً في عدم قدرة الذات على تحقيق ما تريد.

**2-4**

وتستثمر تجربة السياب مدلولي الخفوت والعلو في إنتاج دلالة جديدة، هي (**دلالة الحركة**) التي التي تؤول إلى التلاشي والزوال، ولتحقيقها استعملت مدلول الخفوت في الدال (**غمغم**) بالاعتماد على التشخيص وآلية الاستعارة، يقول السياب:

"أمس... في الأمس الذي لا تذكرينه
ضوأ الشطآن مصباح كئيب.. في سفينة
واختفى في ظلمة الليل قليلًا فقليلا،

وتناءت، في ارتخاء وتوانِ
**غمغمات** مجهدات، وأغاني
وتلاشت، تتبع الضوء الضئيلا"([86])

غرست الصياغة الشعرية دال (**غمغمات**) في سياق شعري يقود إلى دلالة التباعد الزمني (الذكريات) التي تجعل الأحداث غير ظاهرة الملامح في تفصيلاتها الدقيقة والتي تكاد تختفي من الذاكرة؛ ما يجعل هذه الذكريات تقود إلى الإحساس بالكآبة والحزن، فجعلها تخيم على المكان والصوت والحركة، فمصباح السفينة كئيب يتلاشى مع السفينة في ظلمة الليل، تتبعها (الغمغمات) الخافتات في التلاشي، وقد عمقت معنى الخفوت بتشخيصها؛ إذ أخذت فاعلية الإنسان المجهد الذي يتحرك بصعوبة وأتبعتها بصوت (الأغاني) الذي تبدد بتبدد الضوء الخافت (الضئيل)، فالغمغمات تستمد خفوتها من معنى التعب الذي يطبق على الجسد ويشل حركته؛ ما يجعله يدخل في دلالة الحركة الموضعية (السكون).

كما اختارت دال (**قهقهات**) من دالي العلو لإنتاج هذه الدلالة، يقول السياب:

"سأهواك حتى.." نداء بعيد
تلاشت؛ على **قهقهات** الزمان
بقاياه. في ظلمة.. في مكان،
وظل الصدى في خيالي يعيد:
"سأهواك حتى سأهوى" نواح
كما أعولت في الظلام الرياح،
"سأهواك حتى.. سـ.." يا للصدى
أصيخي إلى الساعة النائية:
"سأهواك حتى.." بقايا رنين
تعدين * دقاتها العاتية،
تعدين** حتى الغدا،
"سأهواك" ما أكذب العاشقين!
"سأهوا.." نعم.. تصدقين"([87])

نلحظ أن صياغة السياب الشعرية علقت دال (قهقهات) بدال (الزمان) منتجة به تجسيد الزمان وتشخيصه؛ لإظهاره بمظهر فاعلية صوت الإنسان العالي المتقطع الذي يمتد عبر طاقة الزمان البعيدة الأزلية، فوضعته في سياق النداء البعيد وبقاياه التي تلاشت في هذا الامتداد. ولا شك في أن التلاشي الذي أصاب بقايا النداء يستمد طاقته من فاعلية القهقهات التي تتردد في

لحظات الزمان التي مارستها على الصوت المنبعث من بعيد. وقد أسقطت البنية هذا التلاشي على دالات الصياغة الشعرية على المستوى الصوتي- الإيقاعي، وذلك بممارسة الحذف في عبارة النداء البعيد (سأهواك حتى)؛ إذ تكرر هذا التركيب في المقطع ست مرات أصاب الحذف منها أربعًا، وذلك على النحو الآتي:

1- "سأهواك حتى.." نداء بعيد
2- "سأهواك حتى سأهوى" نواح
3- "سأهواك حتى.. سـ.." يا للصدى
4- "سأهواك حتى.." بقايا رنين
5- "سأهواك" ما أكذب العاشقين!
6- "سأهوا.." نعم.. تصدقين"

جاءت العبارة البعيدة على امتداد الزمان مكونة من دالي (سأهواك) و(حتى) وهي عبارة غير مكتملة المضمون إذ إنها تبين دلالة الهوى المستقبلية المرتبطة بالغاية التي حددها دال (حتى) ولكنها غاية مجهولة الماهية؛ بمعنى أن ماهيتها متلاشية عند الذات الشاعرة المتلقية الذي كشف عنها السطر (وظل الصدى في خيالي يعيد) ومع نقصان هذه العبارة فإن البنية التركيبية مارست عليها حذفًا جديدًا بوساطة فاعلية حركة قهقهات الزمان المتقطعة فحذفت في السطر الثاني ("سأهواك حتى سأهوى" نواح) دالي (ك حتى) وفي السطر الثالث ("سأهواك حتى.. سـ.." يا للصدى) حذفت (أهواك حتى) وفي السطر الخامس ("سأهواك" ما أكذب العاشقين!) حذفت (حتى) وفي السطر السادس (سأهوا.." نعم.. تصدقين) حذفت (ك حتى)؛ ما جعل دلالة الحركة المتلاشية تنعكس على المستوى الصوتي.

**2-5**

وتستثمر هذه التجربة مدلولي الخفوت والعلو في إنتاج دلالة جديدة، هي (**دلالة شعورية**) تقود إلى معنى الخوف، فاستعملت دال الخفوت (غمغمات) لإنتاج هذه الدلالة على وفق آلية المجاز المرسل، يقول السياب:

"ألا يأكل الرعبُ منا الضلوعْ
إذا ما نظرنا إلى ظلّ تينه،
تهدهدها **غمغماتٌ** حزينه؟
ألا يأكل الرعب منّا الضلوع؟"([88])

فدال (غمغمات) يقوم بفعل (تهدهدها) الذي وقع على دال (تينة)؛ ليقودها (التينة) إلى حالة الشعور المنبثقة من الحزن البطيء، الذي يرشح منها. فظهر الصوت الخافت، الذي يصدر من

حركة هذه التينة مشخصًا بتشربه دلالة الشعور الحزين ومتعالقًا بحالة الرعب، التي يمثلها التركيب الاستفهامي (ألا يأكل الرعب منّا الضلوع؟)؛ فحالة الرعب التي يولدها ظل التينة الحزينة سبغت مدلول الخفوت لدال (غمغمات) بالحزن الذي أطبق على سياق المقطع الشعري بأكلمه.

كما تستثمر مدلول العلو لإنتاجها أيضًا في استعمالها دال العلو (**قهقهة**)، يقول السياب:

أصيخي! أما تسمعين الرنين تدوّي به الساعة القاسية؟؟
أصيخي.. فهذا صليل القيود **وقهقهة** الموت في الهاوية!
زمان.. زمان- يهــز النداءُ فؤادي.. فأدعوك؛ يا نائية
أصيخي! أما تسمعين الرنين تدوّي به الساعة القاسية!؟[89]

علقت الصياغة الشعرية دال (**قهقهة**) بالدال (الموت) مستثمرة آلية الاستعارة التجسيدية لإنتاج دلالة شعورية منبثقة من السياق الكلي للأبيات الشعرية؛ وذلك من خلال خلق حالة تضاد سياقية بين ثنائيتين هما (البعد والقرب) وهما ثنائيتان متوزعتان على الذات الشاعرة (القريبة) والأخرى (البعيدة)، وتتخلل هذه الثنائية دالات البنية الشعرية محدثة حالة من الشعور بالقسوة والخوف أمام جبروت القهقهة؛ فمدخل الأبيات بالدال (أصيخي) يكشف عن حالة من الصخب الذي تعيشه المخاطبة (الأخرى) وقد انصرفت إلى الأصوات من حولها؛ لذا جاء دال الأمر بالإنصات إلى صوت (الرنين) المدوي المنبعث من (القيود) وهو صوت تلبسته قسوة الزمن (الساعة القاسية). ولا شك في أن هذا الرنين على ما فيه من مدلول العلو يشكل صوتًا خافتًا بالنسبة لها فهي تمثل طرف (البعد).

ويأتي دال (**قهقهة**) ليعمق تحول مدلول العلو إلى دلالة الخفوت بارتباطة بدال الموت، الذي أخذ حيزًا في مكان سحيق (الهاوية) ليخلق حالة من التضاد مع مدلولات البنية الشعرية، وينتهي إلى تأكيد الدلالة الشعورية، التي تضغط على الذات الشاعرة، وذلك باللجوء إلى استثمار دلالة الدال (زمان)، التي تشير إلى الماضي المتوافق مع دلالة خفوت الصوت، والاقتران بالنداء الذي أوقع فاعلية الخوف على الذات (فؤادي) ليعمق الدلالة الشعورية التي تنتهي إلى القسوة.

وتستثمر مدلول الانبعاث الصوتي باستعمال الدال (**زفزف**) لإنتاج دلالة شعورية، يقول السياب:

وصفصافة مخضوبة الرأس بالسنا تراع **بزفزافٍ** من الريح مُعولِ
تبينُ كعذراء من الريف أقبــلت بجرَّتها من دافق المــاء سلسلِ[90]

نلحظ أن الصياغة الشعرية استعملت الدال (زفزاف) من خلال آلية الاستعارة التشخيصية؛ وذلك بإكساب هذا الدال، الذي هو صوت الريح الذي يعتمد في إنتاج مدلوله على الانبعاث مما تحركه من الأشياء([91]) – إكسابه صفة إنسانية تتعلق بمشاعر الحزن والألم بدلالة القرينة (معول). فصوت الزفزفة أثار مكامن الخوف لدى شجرة الصفصاف؛ ما جعلها تدخل في عملية التفاعل مع صوت الريح، وقد نفذت الصياغة هذا التفاعل بإدخال هذه الشجرة (الصفصاف) في آلية استعارة تشخيصية أخرى، ذلك أن حركة هذه الصفصافة كانت تستمد صفتها من معاني الخوف الإنسانية (تراع)، وقد عمقت هذه المعاني الإنسانية في البيت الثاني الذي أدخل موضوعها في بنية التشبيه التي استدعت صورة العذراء الريفية التي تحمل جرتها المليئة بالماء.

**2-6**

وتنتج التجربة **دلالة الانبعاث**، التي تتكئ على دال العلو (**كركر**)، يقول السياب:

"فأنا وأنت نسير حتى تتعبين([92])

"ماء أريد أليس في الصحراء غير صدى وطين؟"

**وتكركر** الصحراء عن ماء وراء فم الصخورِ

فأظل بالكفين أسقيك المياه فترتوين

أسقي صداك فترتوين"([93])

نلحظ أن الصياغة الشعرية غرست الدال (تكركر) في سياق تركيبي يرصد حالة القحط والجفاف وسط بيئة صحراية ليس فيها سوى "صدى وطين"، ويرصد حالة إنسانية وصلت حدّ التعب والعطش والحاجة إلى الماء في هذه البيئة القاسية، وقد فعّلت دور هذا الدال في إنتاج معاني الانبعاث في ذلك الوسط المميت فاستعملت آليتي **التضمين والاستعارة**.

ظهرت آلية التضمين في تضمين دال (تكركر) مدلول الدال (تكشف) ويقوم مقامه، فكأنما التركيب يرصد تركيبًا مسكوتًا عنه وهو (وتكشف الصحراء عن...)، وظهرت آلية الاستعارة التي استعملت التشخيص باستعمال دال الحالة الإنسانية (تكركر) لتضفي على الصحراء الفعل الإنساني بإنتاج الفعل الإيجابي الذي يؤول إلى دلالات البعث والحياة والنماء وربطتها بمدلول الضحك والعلو في الصوت؛ ما جعل السياق التركيبي يتحول من دلالاته التي تشير إلى القحط والجفاف إلى دلالات الانبعاث والحياة والنمو من خلال فاعلية إسقاء الصدى حتى ارتوت المخاطبة (أنت) فانبعثت قواها من جديد.

كما أنتجت دلالة الانبعاث والتجدد باستعمالها دال الانخفاض (**سقسق**) يقول السياب:

"بالأمس كنتُ إذا كتبتُ قصيدةً فرحَ الدمُ

**فأغمغم**

وأهم ما بين الجداول والأزاهر والنخيلْ
أشدو بها، أترنَّمُ:
زادٌ لروحي منذ **سقسقةِ** الصباح إلى الأصيل"([94])

نلحظ أن الصياغة الشعرية علّقت الدال (سقسقة) بالصباح، وهو تعليق قائم على آلية الاستعارة بإبدال صوت العصافير بصوت الكائنات الحية (الناس) وحركتهم في بداية انبعاث النهار صباحًا للتعبير عن بدء انبعاث الحياة اليومية، وقد استثمرتها الصياغة لتعزيز دلالة انبعاث الفرح لدى الذات الشاعرة لحظة كتابة القصيدة (إذا كتبتُ قصيدةً فرحَ الدمُ) فيتواءم الانبعاثان، ويتحدان في ذات الشاعر، ويشاركان في مدّها بالـ (زاد) لروحه.

ولكن تجربة السياب تعدل عن استعمال دال العلو في إنتاج دلالة الانبعاث إلى دلالة **تثبيط الانبعاث** باستعمال الدال (قهقه) يقول:

"وكيف لو أفقتُ من رقاديَ المخدَّرِ
على صدى الصور، على القيامة الصغيرة:
يحمل كلّ ميِّتٍ ضميرَه
يشعُّ خلف الكفن المدثَّرِ،
يسوق عزرائيلُ من جموعنا الصّفر إلى جزيره
قاحلةٍ **يقهقه** الجليد فيها،
يصفر الهواء في عظامنا ويبكي"([95])

ترصد التجربة هنا دلالة الانبعاث التي تبدأ بإفاقة الذات الشاعرة من الرقاد (المخدّر)على (القيامة الصغيرة)، وقد رسمت ملامح انبعاث الأموات الذين يسوقهم (عزرائيل) إلى (جزيرة قاحلة) يكسوها الجليد ويمخرها الهواء العاصف، وقد استثمرت الدال (يقهقه) ليكون بديلاً عن فعل الجليد بتغطية أرض الصحراء وقدرته على تجميد الحياة فيها، وذلك باستعمال الآلية الاستعارية التي تعتمد على **تراسل الحواس** لتصل إلى أقصى طاقات التعبير الدلالي؛ إذ إن حلول دال الصوت العالي (يقهقه) وما يحمل من هوامش دلالية للضحك العالي الذي قد يصل إلى لحظة الاستهزاء والسخرية محل فعالية الجليد على شلّ حركة الأحياء في الصحراء نتيجة البرودة الشديدة، التي لا تتوافق مع الانبعاث، الذي يحتاج إلى دفء المكان- إن حلوله يكشف عن فاعلية هذا الدال في إنتاج دلالة تثبيط الانبعاث ومنع أدائه الفعلي بإعادة الحياة إلى الجسد (الميت) من جديد. ولعلنا نلحظ أن هذا الإبدال ودلالته انعكست على اللحظة الشعرية التي رصدت انبعاث البكاء من صوت الهواء الذي يمخر العظام.

# The Sound-Indicator Eloquence of the Forms of the Fourfold Dual-Compounded In the Poetic Experience of Al-Sayyab

**Fayez Al-Qur`Aan,** *Department of Arabic Language, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

## Abstract

This study deals with the eloquence of the fourfold indicators being dually-compounded and having phonetic dimension in the poetic experience of Al-Sayyab, which is believed to form a clear phenomenon in the linguistic use. The study deals with this phenomenon in terms of two dimensions: the meaning dimension and the indication one. The study attempts to discover the rhetorical mechanisms on which that experience depended to make these indicators produce meanings in the deep level. The study has found that Al-Sayyab`s experience invested a number of meanings which were produced by the means of those fourfold indicators. Such meanings were: Fading and Subsidence, Altitude, Phonetic Succession, Origination and Multitude. The fourfold indicators produced by the means of those meanings a number of contextual indications, such as Hiddeness, Exploration, Spreading, Movement, Feeling and Origination. Some rhetorical mechanisms were used by Al-Sayyab to produce those indications. Such mechanisms are as follows: the Metaphor (both the personalizing and the materializing ones), the Transmitted Figurative Expression (the personalizing figurative expression), the Indirect Expression, the Senses Exchange and the Linguistic Implication.

## الهوامش

1) نشر بدعم من جامعة اليرموك.

2) انظر على سبيل المثال: د. عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م، ص41. والدكتور خليل إبراهيم العطية، التركيب اللغوي لشعر السياب، الموسوعة الصغيرة، العدد 183، سلسلة ثقافية تصدرها وزارة الثقافة- دائرة الشؤون الثقافية والنشر، دار الحرية للنشر- بغداد، 1986م، ص92. والدكتور صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب بيروت- لبنان، ط1، 1995م، ص59. وحسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2002م، ص97وما بعدها.

3) ديوان بدر شاكر الشياب، دار العودة- بيروت، 1974م.

4) الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، ص33.

5) للباحث دراسة أخرى (مخطوطة) تتناول دالات الأبعاد الأربعة الأخرى في تجربة السياب، اقتضى فصلها عن هذه الدراسة متطلبات المساحة في المجلات العلمية.

6) انظر: الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، ص41.

7) انظر: لغة الشعر بين جيلين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط2، 1980م، ص222-223، وص225-226.

8) انظر: التركيب اللغوي لشعر السياب، ص93.

9) أساليب الشعرية، ص70-73.

10) البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب، ص137.

11) المرجع السابق، ص137-138.

12) انظر لتعرف هذه الدالات في الملحق في نهاية الدراسة.

13) انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، دون تاريخ، مادة (غ م م).

14) الديوان، مجموعة "أزهار وأساطير- قصيدة: في السوق القديم" ج1 ص21، وانظر أيضًا على سبيل المثال لا الحصر: المجموعة نفسها " قصيدة: في السوق القديم"ج1 ص23، 24، وقصيدة:لقاء ولقاء "ج1 ص97، ومجموعة "منزل الأقنان – قصيدة: هرم المغني"ج1 ص307، ومجموعة "أنشودة المطر – قصيدة: المومس العمياء"ج1ص554، ومجموعة " شناشيل ابنة الجلبي– قصيدة: في انتظار رسالة"ج1 ص613، ومجموعة " قيثارة الريم– قصيدة: اللعنات- على شيرين"ج2 ص406.

15) المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى ورفاقه، مجمع اللغة العربية، طبعة دار الدعوة، إستانبول- تركية، 1989م، مادة (وس وس).

16) ديوان بدر شاكر السياب، مجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: جيكور شابت" ج1 ص206.

17) المعجم الوسيط، مادة (د ن د ن).

18) الديوان، مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: منزل الأقنان" ج1 ص279.

19) المعجم الوسيط، مادة (و ش وش).

20) الديوان، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: غريب على الخليج" ج1 ص 277-278.

21) لسان العرب، مادة (س ق س ق).

22) الديوان، مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: منزل الأقنان" ج1 ص 318-319

23) لسان العرب، مادة (ح م ح م).

24) الديوان، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: المومس العمياء" ج1 ص 515-516.

25) انظر: لسان العرب، مادة (ق هـ ق هـ).

26) الديوان، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: المومس العمياء": ج1، ص526،، وانظر على سبيل المثال: مجموعة "شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: من ليالي السهاد- ليلة في رباريس": ج1، ص621، والمجموعة نفسها- قصيدة: حميد" ص699، ومجموعة "قيثارة الريح- قصيدة اللعنات" ج2، ص387.

27) انظر على سبيل المثال لا الحصر: الديوان، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: أنشودة المطر" ج1، ص475، والمجموعة نفسها- قصيدة: مدينة بلا مطر" ج1، ص491، وقصيدة: المومس العمياء" ج1، ص513، ومجموعة "شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: خلا البيت" ج1، ص630، والمجموعة نفسها- قصيدة: نسيم من القبر" ج1، ص674

28) المعجم الوسيط، مادة (ك رك ر).

29) الديوان، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: الأسلحة والأطفال" ج1، ص565، وانظر على سبيل المثال: المجموعة نفسها - قصيدة: أنشودة المطر" ج1، ص475، ومجموعة "شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: نسيم من القبر" ج1، ص674.

30) لسان العرب، مادة (و ل ول).

31) المرجع السابق، مادة (ز م ز م).

32) المرجع السابق، مادة (و هـ وهـ).

33) المرجع السابق، مادة (ص ل ص ل).

34)الديوان، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: الأسلحة والأطفال" ج1، ص563.

35) لسان العرب، مادة (ج ل ج ل).

36) الديوان، مجموعة" المعبد الغريق- قصيدة: الغيمة الغريبة" ج1 ص141، وانظر مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: سفر أيوب" ج1 ص272.

37) المصدر السابق، مجموعة" أنشودة المطر- قصيدة من رؤيا فوكاي-هياي" ج1 ص357، وانظر المجموعة نفسها- قصيدة: الأسلحة والأطفال" ج1 ص582.

38) لسان العرب، مادة (ق ع ق ع).

39) الديوان، مجموعة" أنشودة المطر- قصيدة: الأسلحة والأطفال" ج1 ص587.

40) المصدر السابق، مجموعة" منزل الأقنان- قصيدة: ربيع الجزائر"ج1 ص238.

41) المصدر السابق، مجموعة" أنشودة المطر- قصيدة: المومس العمياء" ج1 ص548.

42) المصدر السابق، مجموعة" شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة جيكور أمي" ج1 ص658.

43) المصدر السابق، مجموعة" أنشودة المطر- قصيدة: من رؤيا فوكاي- حقائق كالخيال" ج1 ص365.

44) لسان العرب، مادة (ث ر ث ر).

45) الديوان، مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: الشاهدة" ج1 ص285. ومجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: المومس العمياء" ج1 ص513.

46) أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، 1409هـ - 1989م، مادة (ث ر ر).

47) لسان العرب، مادة (هـ ذ ر).

48) علم العلامات، بول كوبلي وليستا جانز، ترجمة: جمال الجزيري، مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، العدد 549، الطبعة الأولى، 2005م 9 ص17.

49) علم الدلالة، كلود جيرمان وريمون لوبلون، ترجمة: الدكتورة نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس- بنغازي، ليبيا، ط1، 1997م، ص44.

50) لوغورن، ميشال: الاستعارة والمجاز المرسل، ترجمة: حلا. ج. صليبا، مراجعة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت- لبنان, ط1, 1988م, ص178-179.

51) عساف، ساسين، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1402هـ- 1982م، ص15.

52) الشرقاوي، د. عفت: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، 1981م، ص154.

53) الموضوعة الاستعارية في شعر السياب، الليل نموذجاً، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 141هـ- 2010م، ص125.

54) فضل، د. صلاح: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م، ص256-257.

55) انظر: علم الدلالة، كلود جيرمان وريمون لوبلون، ص110-111.

56) المعجم الوسيط، مادة (هـ س هـ س).

57) الديوان، مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: سفر أيوب" ج1 ص266، 268. وانظر: مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: الأسلحة والأطفال" ج1 ص563.

58) مورو: الصورة الأدبية، ترجمه عن الفرنسية وقدّم له: د. علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع- دمشق، 1995م، ص39.

59) الاستعارة والمجاز المرسل: ص23.

60) البستاني، صبحي: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع. دار الفكر اللبناني،، بيروت- لبنان، ط1، 1986م، ص11.

61) لوغورن، ميشال: الاستعارة والمجاز المرسل، ص182.

62) الجرجاني: أسرار البلاغة،. تصحيح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1398هـ-1978م، ص33.

63) مورو: الصورة الأدبية، ص59.

64) المرجع السابق: ص59.

65) الديوان، مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: سفر أيوب" ج1 ص254، وانظر أيضًا: مجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: صياح البط البري" ج1 ص175، ومجموعة " شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: سلوى" ج1 ص678.

66) المصدر السابق، مجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: يا نهر" ج1 ص170. وانظر المجموعة نفسها قصيدة: النبوءة الزائفة ص158، ومجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: المومس العمياء" ج1 ص551، ومجموعة "شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: أحبيني" ج1 ص641.

67) المصدر السابق، مجموعة ""أنشودة المطر- قصيدة: مدينة بلا مطر" ج1 ص491، وانظر: المجموعة نفسها - قصيدة: المومس العمياء" ج1 ص519، ومجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: خذني" ج1 ص244.

68) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهة، 1997م، ص395.

69) الديون، مجموعة ""أنشودة المطر- قصيدة: المومس العمياء" ج1 ص556. وانظر: مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: سفر أيوب" ج1 ص269-270.

70) المصدر السابق، مجموعة "شناشيل ابنة الجلبي - قصيدة: في انتظار رسالة" ج1 ص612. وانظر: مجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: حنين روما" ج1 ص149-150، وص150. الكِلّة: ستر رقيق مثقّب يُتوَقى به من البعوض وغيره.

71) المصدر السابق، مجموعة "شناشيل ابنة الجلبي، قصيدة: خلا البيت" ج1 ص631.

72) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، لبنان، 1411هـ- 1991م، ج2 ص791.

73) انظر على سبيل المثال لا الحصر: الديوان: مجموعة "أزاهير وأساطير- قصيدة: نهاية" ج1 ص91، ومجموعة "المعبد الغريق، قصيدة: الأم والطفلة الضائعة" ج1 ص156، ومجموعة "أنشودة المطر، قصيدة: المومس العمياء" ج1 ص520، ومجموعة "شناشيل ابنة الجلبي، قصيدة: متى نلتق؟" ج1 ص682، ومجموعة "قيثارة الريح، قصيدة: اللعنات – على شيرين" ج2 ص406.

74) الديوان، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: المومس العمياء"، ج1 ص553.

75) المصدر السابق: مجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: الأم والطفلة الضائعة" ج1 ص155-156،

76) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1402-1982م، ج3، ص152، وانظر في تفصيلات هذه التقنية: معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج2، ص124 وما بعدها.

77) الديوان: مجموعة "أزهار وأساطير- قصيدة:لن نفترق"، ج1، ص52، وانظر على سبيل المثال: مجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: نهاية" ج1، ص91، وقصيدة "لقاء، ولقاء" من المجموعة السابقة، ج1، ص97، ومجموعة "قيثارة الريم"- قصيدة اللعنات- على شيرين" ج2، ص406.

78) المصدر السابق، مجموعة "الغريق- قصيدة: شباك وفيقة (1)" ج1 ص118-119، وانظر المجموعة نفسها- قصيدة: أم البروم" ج1 ص131-132.

79) المصدر السابق، مجموعة "أنشودة المطر- قصيدة: المخبر" ج1 ص341، والمجموعة نفسها- قصيدة: الأسلحة والأطفال" ج1 ص582، ومجموعة "أزهار وأساطير- قصيدة: أغنية قديمة" ج1 ص72.

80) المصدر السابق، مجموعة "شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: الباب تقرعه الرياح" ج1 ص616.

81) لسان العرب، مادة (و ل ول).

82) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي االقاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان- الرياض، ط1، 1998م, ج3، ص581.

83) انظر: الديوان، مجموعة "قيثارة الريح- قصيدة: اللعنات" ج2 ص395، والقصيدة نفسها، ص369-370، وقصيدة اللعنات- على شيرين ص413، ومجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: منزل الأقنان" ج1 ص279.

84) المصدر السابق، مجموعة "شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: من ليالي السهاد- ليلة في العراق" ج1 ص625، والمجموعة نفسها- قصيدة: جيكور أمي" ج1 ص658، ومجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: سهر" ج1ص213، والمجموعة نفسها- قصيدة: المعبد الغريق"ج1 ص181، ومجموعة "أعاصير- قصيدة: دجلة الغضبى" ج2 ص464، ومجموعة "قيثارة الريح- قصيدة: اللعنات" ج2 ص392.

85) لسان العرب، مادة (و هـ وهـ).

86) الديوان، ج1 ص40-41.

87) المصدر السابق، مجموعة "أزهار وأساطير- قصيدة: نهاية " ج1 ص89-90.

*) رواية الديوان: تحدين دقاتها العاتية، ولعل تعدين هي الصواب لتوافقها مع الدلالة التركيبية.

**) رواية الديوان: تحدين حتى الغدا، ولعل تعدين هي الصواب لتوافقها مع الدلالة التركيبية.

88) الديوان، ج1 ص682.

89)) المصدر السابق، مجموعة "أزهار وأساطير- قصيدة: سجين" ج1 ص80،، وانظر المجموعة نفسها- قصيدة: "أساطير " ج1 ص34.

90) المصدر السابق، مجموعة "البواكير- قصيدة: المساء الأخير" ج2 ص157.

91) يقول ابن منظور: "زَفَّت الريحُ زَفِيفاً وزَفْزَفَتْ: هَبَّتْ هُبُوباً لَيِّناً ودامت... والزَّفْزفةُ: تحريك الريح يَبِيسَ الحشيش... وزَفزَفتِ الرِّيحُ الحَشِيشَ: حَرَّكَته...الزَّفزفةُ: حنين الريحِ وصوتها في الشجر، وهي ريح زَفْزافَةٌ وريح زَفزَفٌ". لسان العرب، مادة (ز ف ز ف).

92) كذا وردت في الديوان.

93) الديوان، مجموعة "شناشيل ابنة الجلبي- قصيدة: ليلى" ج1 ص723، وانظر المجموعة نفسها . قصيدة: أحبيني" ج1 ص641، ومجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: حدائق وفيقة" ج1ص127.

94) المصدر السابق، مجموعة "منزل الأقنان- قصيدة: هرم المغني" ج1 ص 307.

95) المصدر السابق، مجموعة "المعبد الغريق- قصيدة: الوصية" ج1ص220.

## المصادر والمراجع

### المصادر:

السياب، بدر شاكر، **ديوان بدر شاكر السياب**، دار العودة – بيروت، المجلد الأول، 1971م.

السياب، بدر شاكر، **ديوان بدر شاكر السياب**، دار العودة – بيروت، المجلد الثاني (البواكير)، 1974م.

### المراجع:

البستاني، صبحي، **الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع**. دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان، ط1، 1986م.

الجرجاني، الإمام عبد القاهر، **أسرار البلاغة في علم البيان**. تصحيح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1398هـ-1978م.

جيرمان، كلود، وريمون لوبلون، **علم الدلالة**، ترجمة: الدكتورة نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس - بنغازي، ليبيا، ط1، 1997م.

حسن، عبد الكريم، **الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1409هـ - 1989م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان - الرياض، ط1، 1998م.

السامرائي، إبراهيم، **لغة الشعر بين جيلين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط2، 1980م.

الشرقاوي، عفت، **بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، 1981م.

عساف، ساسين، **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1402هـ- 1982م.

العطية، خليل إبراهيم، **التركيب اللغوي لشعر السياب**، الموسوعة الصغيرة، العدد 183، سلسلة ثقافية تصدرها وزارة الثقافة - دائرة الشؤون الثقافية والنشر، دار الحرية للنشر- بغداد، 1986م.

العلوي اليمني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1402-1982م.

فضل، صلاح، **أساليب الشعرية المعاصرة**، دار الآداب بيروت - لبنان، ط1، 1995م.

فضل، صلاح، **علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته**. منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م.

القرعان، فايز عارف، **الموضوعة الاستعارية في شعر السياب، الليل نموذجاً**، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، 141هـ- 2010م.

كوبلي، بول، وليستا جانز، **علم العلامات**، ترجمة: جمال الجزيري، مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، العدد 549، الطبعة الأولى، 2005م.

لوغورن، ميشال: **الاستعارة والمجاز المرسل**، ترجمة: حلا. ج. صليبا, مراجعة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت - لبنان, ط1, 1988م.

مصطفى، إبراهيم، ورفاقه، **المعجم الوسيط**، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى ورفاقه، مجمع اللغة العربية، طبعة دار الدعوة، استانبول - تركية، 1989م.

مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1403هـ - 1983م.

ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت - لبنان، دون تاريخ.

مورو، فرانسوا، **الصورة الأدبية.** ترجمه عن الفرنسية وقدّم له: علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع - دمشق، 1995م.

ناظم، حسن، **البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب**، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2002م.

ابن هشام الأنصاري، عبد الله، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، لبنان، 1411هـ- 1991م.

هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهة، 1997م.

## ملحق

### جدول بدالّات البعد الصوتي المستعملة في تجربة السياب

| العدد | الدالّ | مجموع تكرار الدالّ | النسبة المئوية لتكرار الدالّ |
|---|---|---|---|
| 1 | غمغم | 25 | %19.40 |
| 2 | وسوس | 19 | %14.70 |
| 3 | قَهْقَه | 17 | %13.23 |
| 4 | كركر | 13 | %10.09 |
| 5 | دندن | 12 | %9.30 |
| 6 | ولول | 6 | %4.70 |
| 7 | وهوه | 5 | %3.90 |
| 8 | ثرثر | 5 | %3.90 |
| 9 | هسهس | 4 | %3.10 |
| 10 | سقسق | 3 | %2.30 |
| 11 | وشوش | 3 | %2.30 |
| 12 | قعقع | 3 | %2.30 |
| 13 | صلصل | 3 | %2.30 |
| 14 | زمزم | 3 | %2.30 |
| 15 | جلجل | 2 | %1.55 |
| 16 | حمحم | 2 | %1.55 |
| 17 | زفزف | 1 | %0.77 |
| 18 | تمتم | 1 | %0.77 |
| 19 | خشخش | 1 | %0.77 |
| 20 | لجلج | 1 | %0.77 |
| | المجموع | 129 | %100 |

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 669- 686

# تقنيات السرد السِّيَرِالذّاتيّ وأبعاده: "الطيب صالح نموذجاً" دراسة نظرية تطبيقية

فايز صلاح عثامنة *

تاريخ الاستلام 2018/2/11 تاريخ القبول 2018/4/4


## ملخص

تتمحور الدراسة حول تقنيات السرد السِّيَرِالذّاتيّ وأبعاده، التي تتسم بها تجربة الروائي الطيب صالح وتمتاز بها عن غيرها من التجارب الأخرى في سرده السِّيَرِالذّاتيّ، كتقنية: الاسترجاع والاستباق والتلخيص والحذف...إلخ، وكالأبعاد الوظائفية المتمثلة في: الزمان والمكان واللغة والعنوان...، وهذه التقنيات والأبعاد الوظائفية المهمة في دراسة النص السردي أضحت ضرورة ملحة لكل بحث سردي نقدي.

اتبع الباحث منهجاً يقوم على استقراء النصوص السردية ـ بشكلها العام ـ مستخدماً مقاربة سردية في تجلية التقنيات وتموضعها في مختلف أعمال الطيب صالح، التي شكلت لديه جملة من الانطلاقات الفنية في محتوى نصوصه السِّيَرِالذّاتيّة، واشتملت على محاور فنية عدة تغري القارئ في التقصي والتتبع لكثير من الموضوعات السردية؛ بتقنياته ووظائفه المختلفة. ولعله من المناسب الحديث عن هذا التركيب الفني للعنوان والمكون من: السرد كموضوع مستقل؛ يقابله السيرة الذاتية بتجلياتها وأبعادها الفنية، بمقاربة فنية للعلاقة المميزة التي تربط السرد (التقنيات) بجانب السيرة الذاتية (الوظائف)، وهو ما نهدف إليه في مسعانا لهذه الدراسة التي توفق وتقارب النصوص بعضها من بعض.

إن موضوع الدراسة موضوع مركّب؛ أي السيرة الذاتية في اشتباكها مع فن السرد هذا من جهة، ومن جهة ثانية: فإن ثمة تركيباً تكوينياً آخر في هذه الدراسة هو الجمع بين النظرية والتطبيق يتمثل في عنوان الدراسة، وهي: الشخصية الساردة ومواضعاتها الفنية؛ ومقاربة فنية للسرد كمرتكز أساسي في تبيان الجوانب الفنية لدى السارد؛ وكذلك السِّيَرِالذّاتيّ وعلاقته الفنية بتلك العناصر الثلاثة، التي انتظمت جميعها وشكلت عنوان البحث الدال، وهو: **تقنيات السرد السِّيَرِالذّاتيّ وأبعاده: "الطيب صالح نموذجاً".**


**الكلمات المفتاحية:** السرد، القصة القصيرة، السرد السِّيَرِالذّاتيّ، التقنيات، الأبعاد (الوظائف).

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* كلية الآداب، جامعة الملك فيصل ـ المملكة العربية السعودية.

**المقدمة**

تتسم تجارب الطيب صالح الروائية بسمات عدة، ولعلّ أبرزها: الحس الجمعي، المتمثل في مرحلة الطفولة وبداياته في حاضره وماضيه وبحثه عن المكان وديمومته. وهي موضوعات تحفل بها مؤلفاته لكنها متفرقة قلما تجتمع في بوتقة واحدة، وما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات ويجعلها أكثر إقناعاً وتأثيراً؛ التوقف عند الجانب التطبيقي من خلال جمع هذه العناصر الفنية والبحث عنها بدراسة التركيب الفني لها، عبر اقتفاء أثرها في أعمال الطيب صالح وجمعها وتبيانها من خلال الدراسة التطبيقية للسارد ذاته.

تبرز تقنية الاسترجاع Prolepse في مناح عدة داخل النص السردي لديه، يعتمد عليها السارد الذاتي في عملية البناء، وتتضمن أغلب الموضوعات السردية السِّيَرِالذاتيّة، الآتية: "المكان الحلم؛ عالما تسوده العدالة، والمحبة، والمساواة، فلا يضطهد، الشخوص والعائلة والأسرة حيث الدفء الحميم للعلاقات الإنسانية، موضوعات الحاجة والعوز والمعاناة...؛ جل هذه الموضوعات تغري الباحث في الاستقصاء وتجلية تلك العناصر من خلال عملية البحث والتقصي الفني لمجمل أعماله المتعلقة بهذا الخصوص.

ومن المناسب الإشارة إلى محور بارز، هو توظيف الشخوص Characters، وإدارة الحوار في قوالب عدة: فنجد أن البطل نفسه السارد، هذه التقنية جاء بها لتحيين الخطاب السردي Narrative Discourse لإدارة الحوار بتعدد الشخوص بشخص واحد، هو: البطل والمؤلف والسارد (التطابق)، تظهر جدية العمل السردي السِّيَرِالذاتيّ وحقيقته وتلك ملامح عامة، تتباعد وتلتقي معاً عند نقطة معينة ومشتركة، تقرب العمل وتأخذ به منحى السرد السِّيَرِالذاتيّ.

حاول البحث الاستجابة لمقتضيات الحال، متوقفاً عند نقاط محددة بعينها دون غيرها تم تجليتها من قبل باحثين سابقين على مستوى الموضوع والمصدر؛ اقتصر البحث على موضوعات لم تغط بشمولية متخصصة من قبل ـ فيما يتعلق بموضوع الدراسة ـ يعد ذلك طبيعيا لكاتب بحجم الطيب صالح، وما يعلل ذلك يعود لتنوع موضوعات السارد وعمق دلالتها؛ اجتمعت لديه صفات عدة جعلته متميزاً في عطائه، وموضوعاته المختلفة التي طرقها من خلال مسيرته الإبداعية، التي توازي حجم الجانب العلمي والعملي الذي وصل إليه، لذلك فلا بد من التقصي الدقيق والجدة وتمحيص النصوص وسبر موضوعات بعينها؛ تخدم البحث في تقديم ما يستفاد منه بهذا الخصوص.

### 1 . 1 الوظائف Function

### 1. 2 التقنيات Techniques

عُدت رواية: "موسم الهجرة إلى الشمال" من أبرز الروايات في القرن العشرين وأميزها على مستوى الوطن العربي؛ لما حوته من جوانب إبداعية، تصويرية، سردية، واصفة العلاقة بين الشمال والجنوب بكل تفاصيلها سواء كان ذلك سلباً أم إيجاباً، وقد تناول كثير من الباحثين العرب أعمال الطيب صالح الروائية بالبحث والتنقيب،[1] وأثمرت دراساتهم وتوجهاتهم عن الطيب صالح نتاجًا علميًّا قيّمًا في حقل الدراسات السردية والنقدية: "ويشير صلاح البندر في مقدمة كتاب أحمد محمد البدوي المعنون، بـ: "تقديم ـ ينابيع الألفة، إلى نزوع البدوي للربط بين نصوص الطيب صالح وسيرته الذاتية. يقول البندر عن ذلك النزوع: "الدكتور البدوي، الباحث والناقد في إهاب واحد، لا يدور حول أعمال الطيب ولكن يستعرضها في بساطة وترتيب تاريخي إلى القارئ، يركز على استجلاء علاقة التداخل الحميم بين إنتاجه الأدبي وسيرته الذاتية، وكأنه يريد أن يقول إن حياته هي مصدر عالمه الأدبي"[2].

سيقوم البحث بتجلية تلك الظواهر المتعلقة خصوصا بـ: "السردية السِّيَرِالذّاتيّة" Narrative of Autobiography، كمقاربة فنية[3]، والتي تعين الباحث في استجلاء النص والتعرف على كثير من بواطن الأمور لدى الطيب صالح، وخاصة التطبيقية منها التي وردت في رحاب الجنادرية وأصيلة [4]، وكذلك أعماله الروائية التي وردت في الآثار الكاملة[5]: "ويرى البندر أن معرفة السيرة الذاتية للطيب صالح ضرورية لتفسير وإدراك أبعاد مساهماته، والتي لم ندركها بشكل كاف وجلي نتيجة للجهل بالكثير من حياته المثيرة، حين يقول في الصفحة نفسها: "وإن كان من الضروري فهم مسارات حياة الطيب صالح حتى يمكننا أن نفسر وندرك أبعاد مساهماته، فإن كل ما نعرفه عنها مصدره الطيب نفسه. لذلك ليس من المستغرب أننا ما زلنا نجهل كثيرا من المثير عن حياته وما زلنا على الرغم من اجتهادات النقاد والبحاث لا ندرك بعد الأبعاد الكاملة لقصصه ورواياته..."[6].

### حضور الشخصيات في استشراف الحدث: Attend the characters in the event

يشكل حضور الشخصيات في أغلب الأعمال السردية الذاتية مرتكزاً رئيساً في بناء السرد السِّيَرِالذّاتيّ، وعنصراً فاعلاً في تحريك الأحداث والأقوال الشخصية، وأبرز ما تتسم به تلك المحاور حرية الحركة وتناوبها باستمرار وحضورها الفاعل في أماكن عدة، ويعد ذلك طبيعياً في بنية العمل السردي..، لكن ما يلفت النظر في هذا المجال، تقنية الذات الفاعلة وحضورها؛ فأينما حل البطل/الراوي العليم بالأحداث، تجد تلك العناصر في مناح متعددة داخل النص السردي، فهي

ترتبط معاً برابط ونسق روائي واحد دون انفكاك، يوظفها السارد بطريقة فنية؛ مما يشي بأن السارد يراقب ويلحظ تحركاتها وحضورها الفاعل. ولذلك، فقد استحضر الطيب صالح تلك المحاور في أغلب رواياته السِّيَرِالذَاتيَة، قائلاً: "لا أظن أن أحداً في هذا العصر، شاعراً أو ناثراً، وقف على أطلال العالم القديم في نجد، ذلك العالم الذي تقوضت أركانه تحت وطأة التقدم والعمران، كما وقف الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري. ما من أحد بكى بكاءه، ولا أحد رثى رثاءه... "[7].

يستحضر السارد المشاهد والصور التي تعتمد على البوح الصريح المعلن؛ فتبدو الشخصية في هذا الاستدعاء المكثف، على درجة من الوعي بواقع الحال، إذ إن السارد يشكل بها منطلقاً إلى فضاءات أخرى يوسع "المحكي السردي Narrator"[8] كي يبني نصاً متماسكاً ومتسقاً في الوقت ذاته. وهو بهذا الاسترجاع السردي Analeps، يتحدث عن أحداث شخصية ليست عامة، وهذا ما يؤكد خاصية تموضع الكاتب في حلقة السرد السِّيَرِالذَاتيّ؛ فهل استفاد السارد مما أفادت منه الدراسات السردية السابقة: "بأن السرد يقوم على دعامتين أساسيتين لا ثالث لهما، أولاهما: أن يحتوي على قصة، وثانيتهما: أن يتم بطريقة تحكي تلك القصة وتسمى هذه الطريقة سرداً..."، وهو ما سيتم تجليته في الصفحات القادمة.

يتحدث السارد عن الكتابة والكاتب والمبدع ولمن يكتب، كل هذه الموضوعات يجعل منها نقاطاً محورية ينطلق منها لتوطيد النص والبحث عن ديمومته، قائلا: "الكاتب يخاطب الناس جميعاً، ولكنه يكتب بصفة خاصة لأناس "مختارين" قد يعرفهم وقد لا يعرفهم، ولكنه يعلم أنهم إذا سمعوا أرهفوا السمع، وإذا نظروا دققوا النظر، وإذا ناداهم صوت محب، استجابوا له بمحبة، دون قيد ولا شرط..."[9]. يعزز السارد من مكانة الشخصية المتحدث عنها "شخصية التويجري" ويزيدها نماءً كي يعطي للسرد بهجة ونماء"[10] فيقدم السارد في حديث التذكر، جزءاً مستقلاً لكل شخصية رئيسية من أبطال الرواية بالاستذكار، إذ يختفي السارد خلف تلك الشخصيات في استدعاء الأمكنة والأحداث والوقائع، وتبدو أصوات الشخصيات واضحة في حبكة السرد وتبيان وجهات نظر مختلفة ومتداخلة معاً، يأتي ذلك عن طريق السارد العليم بالأحداث والأفعال: وهذا ما يؤكد لنا أن السرد والسيرة الذاتية يقيمان في المنطقة التي تفصل بين الخيال والحقيقة...، يؤدي السارد لعبة فنية معقدة ـ إن لم تكن محيرة ـ تقوم على تعدد الأصوات، وتعدد الأمكنة، بالإضافة إلى تعدد المستويات الزمنية Narrative Time، فيلجأ إلى الكتابة لعلها تخرجه مما هو فيه وتحرره من القهر والاضطهاد والغربة، ومن خلال هذا الطرح، يتأكد أن السارد هو نفسه البطل الروائي وهو الشخصية الرئيسية في مدار- الرواية كاملة.

يأتي المؤلف السارد بفنية الاستدعاء المحوري لشخصية البطل، المثقفة والعالمة ببواطن الأمور ليزيد من معمارية السرد؛ كتقنية فنية يوظفها في توقها بالبحث وإقامة علاقة حميمة مع

الطرف الآخر: "فالراوي هنا هو السارد الأنا، وهو شاهد على كل أحداث الرواية ووقائعها، ولكنه ليس محور الأحداث، ولا حتى طرفاً مباشراً فيها..."[11].

واعتماداً على ما سبق، ذهب الطيب صالح في سرده السِّيَرِالذّاتيّ إلى رواية أحداث حقيقية حدثت له في حياته الشخصية، قدم سرده بشكل واقعي ضمن كتابة إبداعية تدور حول حياته الذاتية وتاريخ شخصيته، بتفاعله مع شخصيات أخرى داخل المجتمع الذي يعيش فيه؛ وهو بذلك يلجأ إلى ضمائر أخرى لتخفيف حدة ضمير المتكلم وتجنب شعور القارئ بالانحياز، لكن بشرط أن لا يشعر القارئ وهو يتابع السرد في رواية السيرة الذاتية بتحولات مفاجئة بين ضمير المتكلم وضمائر أخرى، حتى لا يتحول النص السردي لسيرة "غيرية" Biography بدلاً من السيرة الذاتية Autobiography أو الشخصية لذات العمل نفسه..[12]؛ فقد عزز من دور الشخصيات الفاعلة بشكل منظم لافت للنظر كون تلك العناصر ـ الشخوص ـ تعتبر مهمة من عناصر البناء السردي وهي التي تشكل جوهر العمل الروائي، وهي كذلك جزء من جوهر العمل الإبداعي الذي يظهر براعة الكاتب في خلق الشخصيات وتفاعلاتها وكوامنها الذاتية: سواء تلك الملامح الخارجية للشخصية؛ أو بنية الملامح الداخلية، وقد تمثل ذلك في استحضاره لشخصية غازي القصيبي، قائلاً: "وعندما تألق الدكتور غازي القصيبي أدبياً وفكرياً في رياضنا ـ وهو متألق في غفلة منا وراء البحار ـ قلت: عوضي في التنافس على معارف الخواجات أنني أبزه بتراثيتي... وأما الجانب الآخر فأشاركه من خلال الكتب المترجمة في الإشراف على أدب وفكر الخواجات وإن كانت له ميزة الإشراف على ما لم يترجم من الأصول..."[13].

قدم الطيب صالح جملة من الأحداث، ورصد لشخصيات ولعلاقات معينة، تحكمها مجموعة من الروابط السردية، التي تُكَوِّنُ عالمَ الرواية. والولوج إلى عالم الرواية يكون انطلاقاً من الرموز التي يُشكلُها السرد، وبهذا يتحول مفهوم السرد من عرض للأحداث إلى نظام من التواصل، فيتدخل السرد في الأخبار، والتراجم، والروايات وغيرها من الأجناس الأدبية ومختلف الخطابات، ويتمحور السرد بالتالي في العرض المقنع لشيء حدثَ أو قد يحدث...[14]، يعني هذا أن السارد لديه حنكة في استعمال تقنية السرد Omission Techniques، وقدرة على تخليق الشخوص وتقمص شخصياتهم وتحريكهم في المناخات القصصية والروائية، وهذا يعطي السرد والسارد أهمية وفاعلية إيجابية على الصعيد النصي في التحرك والانطلاقة الفنية؛ بما يخدم طبيعة الأدب في توافقه النوعي بتصنيفه في مجالات أدبية صرفة، وذلك يحيل إلى أن النص السردي الذاتي لدى بعض الرواة يعد وحدة كلية متجانسة، تنطلق من هذه الوحدة تقنيات حديثة مختلفة تنبني الرواية على أساسها، كتقنية الحلم ويتكاثف السرد السِّيَرِالذّاتيّ ويزداد بهجة ويصبح فاعلاً داخل النص، وعن طريق ذلك يتأسس الاغتراب لديه وتبرز قيمته كمحتوى مضموني للرواية كاملة؛ فالمكان والحلم والاغتراب واستدعاء الشخوص..[15]، يجمعها السارد السِّيَرِالذّاتيّ بصورة واحدة هو

الواقع الداخلي والخارجي لعالمه، وهذه التقنيات يصبها في بوتقة واحدة ونوع أدبي واحد هو: السرد الروائي الذاتي في الأدب العربي الحديث، وبهذه المرتكزات يكون بعض رواة السرد الذاتي قد واكبوا حركة التطور والإبداع على الصعيدين المحلي والعربي أمثال الطيب صالح.

**استرجاع المكان والحلم من خلال الواقع الاجتماعي: Retrieve place and dream**

إن استرجاع العناصر السابقة أعلاه للسارد السِّيَرِالذّاتيّ مهم لجلب الواقع المعيش واستدعائه ضمن إطار محدد زمنياً، إذ يعد المكان ركناً مهماً ومرتكزاً أساسياً في الاعتماد عليه في طبيعة السرد، يقول الطيب صالح: "كنت في الخرطوم أعمل في التجارة، ثم لأسباب عديدة، قررت أن أتحول للزراعة، كنت طول حياتي أشتاق للاستقرار في هذا الجزء من القطر، لا أعلم السبب، وركبت الباخرة، وأنا لا أعلم وجهتي، ولما رست في هذا البلد، أعجبتني هيئتها، وهجس هاجس في قلبي: هذا هو المكان، وهكذا كان، كما ترى..."[16]. لوحظ أن السارد في جلبه للواقع المعيش يؤرخ لتلك الأمكنة بما يستحضره من مشاهد وصور تؤكد وتعزز طبيعة السرد وجديته، ولديه طبيعة خاصة تتميز بها طريقة سرده الذاتية، وتختلف عن طرق السرد الأخرى، يستخدم فيها تقنيات السرد الذاتي، مثل: الزمان والمكان والشخصيات، ويكوّن من هذه الوظائف والتقنيات مادته الفكرية من أجل بناء نص أدبي سير ذاتي، يعتمد فيه على "السردية الحديثة Modern narrative"[17] من استنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية، واستخراج النظم التي تحكمها وتوجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسماتها، وتعنى كذلك بمظهر الخطاب السردي Narrative Discourse أسلوباً وبناءً ودلالةً.

صور الطيب صالح الواقع الحياتي وترجم أفعال المجتمع وأحداثه في سرد شيق لكل تفاصيل الحياة، لوحظ ذلك في رواية: "موسم الهجرة الي الشمال"[18] التي عبر فيها عن الواقع الاجتماعي للقرية في السودان، وأبرز فيها حنكة الرجل الشرقي ودوره من خلال السيطرة الذكورية التي تمثلت في جوانب وصور اجتماعية عدة، بثها الراوي داخل الرواية موضحاً بذلك نظرة المجتمع للمرأة؛ وهي لا تملك حقها من زواج وتعليم بدعوى الفهم الخاطئ للقوامة. ومثل هذا يحسب للراوي في انتصاره وتبيانه لقضية اجتماعية محورية في الوطن العربي.

يشكل المكان أهمية قصوى للسارد وللمحتوى السردي Narrative Content بشكله العام، من خلال تكثيفه للوصف العام لطبيعة الأمكنة المسترجعة Recovered Places، إذ يستعيد السارد طفولته الماضية بعرضه للمشاهد والصور في تحول الوصف بشكل سريع، وانتقاله من مشهد إلى آخر؛ ليدل على طبيعة النوع والعمل الأدبي، ويزيد من مركزية الحضور إلى الأماكن المسترجعة في مجمل أعماله الروائية، فيستحضر أمكنة ذات معالم واضحة، يبرز حدود المكان العام منطلقاً نحو الأقوال والأفعال بترجمتها في النص السردي.

عند تتبع ماهية المكان المتحدث عنه وجمالياته، يلاحظ في تلك النصوص رغبة في الاسترجاع وتجلياته، يتحقق ذلك ببثه لأحلام اليقظة، التي كان يعيشها في ذلك المكان، وذكره لأحاديث عامة وخاصة على اعتباره جزءاً أساسياً مهماً في رواية الأحداث وتوثيقها، ولتبيان مدى التأثر والتفاعل مع ذلك المكان، ويعتبر كذلك عنصراً محورياً في ثبت الأحداث والحقائق، مما يكسب شخصية السارد تنوعاً وحضوراً متميزاً. يحدد منطلقا للسرد المكاني Spatial Narrative، بالقول: "ذات ليلة، خلال مهرجان الجنادرية الأخير، حلمت أنني بأرض خلاء بالمدينة المنورة. لم تكن المدينة كما أعرفها. وإذا شجرة ضخمة كأنها شجرة زيتون، عظيمة الجذع، ممتدة الفروع متدلية الأغصان. وإذا عرق من عروقها، ظاهر على الأرض، منتفخ في شكل بيضاوي، عليه بياض كأنه الجير . وإذا صوت يهتف بي: "هذا قبر الرسول صل الله عليه وسلم"[19] والسارد بهذا الاستحضار يمزج الحلم بالواقع المكاني الدال والمعبر عن حالة الدهشة والاستغراب: "عجبت أن الرسول مدفون في أصل شجرة. ثم إذا أنا في الحرم النبوي، في الروضة الشريفة كما أعرفها، إلا أن الضريح كان في موضع المنبر"[20].

إن لدى السارد حدساً بتغيير المكان والانطلاق إلى مكان أرحب وأوسع؛ تغيير الواقع الممزوج بالمرارة والشقاء منطلقا نحو الأفضل في الخروج من الفضاء الضيق إلى المكان الأوسع وذلك عن طريق مادته الاسترجاعية الحلمية Recovery وتلك تقنية فنية تحسب له: "ثم إذا أنا في لندن، في حفل من تلك الحفلات التي كنت أرتادها زمان الجهالة، منذ نحو ثلاثين عاماً. أخلاط من الناس رجالاً ونساءً. ووجدتني أجلس بجوار فتاة لبنانية، لم تخبرني أنها لبنانية، ولم أسألها، ولكني كنت موقنا في حلمي أنها لبنانية"[21].

إن ما ذكر أعلاه؛ يقوم على علاقة تنبني على التأثر والتأثير معاً في تشكيل وعي الإنسان بوجوده وفكره وهويته، ينطلق إلى تشكيل المكان السردي،قائلاً: "إن مثل هذا التصوير ليوحد توحيداً عميقاً بين الإنسان والمكان، إنه يجعل الإنسان في القرية جزءاً من المكان الطبيعي من حيث خضوعه لقوانين الكون... وبذا فإن المشاهد المكانية في الرواية ليست مجرد تصوير أو وصف خارجي، بل هي مشاهد ستحكم الأحداث وستحدد ملامح الشخصيات وهنا تكمن أهمية المكان في كونه يشكل إطاراً عاماً لحركات وأفعال الشخصيات في الرواية..."[22].

تحدِث استرجاع الأمكنة لدى السارد، أزمة على الصعيد الداخلي، تحرك لديه رغبة أكيدة في الخروج من الدائرة الضيقة المغلقة إلى المكان الرحب والأوسع، يلجأ إلى الحلم للخروج من تلك الحالة التي تقوده نحو النجومية والإبداع. "بلى ومثلي يصبو إذا تنسم الريح، من أعالي بعلبك! هذا، وقد سألت الدكتور محمد أبو ليلة، الأستاذ في جامعة الأزهر إن كان يعرف تأويل الأحلام. قال "نعم، فأنا متخصص في تأويل الأحلام". قصصت عليه من رؤياي الجزء المتعلق بضريح

المصطفى صلّ الله عليه وسلم"[23] وبالفعل كانت ردة فعل الدكتور أبو ليلة بالإيجاب نحو تطلعات السارد.

يستحضر السارد السِّيَرِالذّاتيّ Self-Narrator مجموعة من الأمكنة الطبيعية، منوعاً في حضور الفضاء المكاني Spatial Space بشكل عام، وهذا يعود لطبيعة السرد المنوع من الوقائع والمشاهد، إذ إنه يستحضر مقطوعات يبدأ بها ثم ينتهي منها في الحال، ولم يكن بها امتداد متسلسل فثمة عنصر بارز في سرده الروائي Narrative Narration يتمثل في إلحاحه المسهب على العنصر المكاني، وهذا الحس يعيده إلى أمكنة طفولته الأولى ليكتب ويبدأ بسرده الروائي؛ فيشكل المكان ركناً أساسياً وأهمية بالغة في عملية السرد الذاتي وخاصة في مرحلة الطفولة داخل نطاق القرية ـ كما سبق القول ـ وانطلاقاً من ذلك، فإن الراوي يجد متعة في الحديث عن تلك الأمكنة والمحيط البيئي الراسخ في الذهن، وذلك نتيجة للذكرى الأولى العزيزة على قلبه، تجد الوصف المكثف للقرية بسهولها ووديانها وأشجارها وأدق تفاصيلها؛ ووصف لمشاهد كثيرة كانت تحدث آنذاك، فهو يحقق من خلال هذا السرد: التوافق الحسي الذي يستعيد من خلاله ذاكرة المكان والزمان معاً Memory of place and time.

نستنتج مما سبق: أن للأمكنة أهمية بدلالاتها العميقة في بنية النص السردي من قبل السارد، وتبعاً لمعطيات ذات أهمية استحضر السارد كثيراً من الأحداث والأفعال؛ فقد لوحظ أنه يربط الماضي بالحاضر من خلال الاسترجاع الدال في جلب الصورة الحقيقية لتلك الأمكنة خاصة القرية، لتأخذ دورها في تشكيل مرتكزات أساسية في اكتمال عناصر السرد الذاتي، والذي بدونه تفقد الكتابة لذتها، فقد قام السارد في مجمل أعماله الروائية المتحدث عنها باستحضار المكان الدال، ويبرز دوره الواضح في التأثير في سلوك كثير من الشخصيات المتحدث عنها بتفسير ميولهم ورغباتهم وإدارة الحوار ما بينهم: "تذكرت ليلة سهرناها في مطعم "خان مرجان" الجميل. كان يومئذ وكيلاً لوزارة الإعلام، يلبس زياً عسكرياً ـ مثل سائر كبار موظفي الدولة ـ لا يناسبه ولا يخيل عليه العسكري المحترف، الزي كأنه جزء من جسمه، مثل جلده. كان كاتباً روائياً مجيداً وإنساناً لطيفاً مهذباً. وكان واضحاً لي أنه يكبت في نفسه ألماً عظيماً بسبب تلك الحرب..."[24]

يصف الكاتب بهذا الاستحضار علاقة الشخصيات بالمكان الدال والمعبر، موظفاً من خلال ذلك تقنية الاسترجاع Recovery Technology والمشاهد الحوارية Dialogue Scenes التي غالباً ما تعتمد على الوصف The Description، وإذا سلم بهذا الوصف وهذه الأقوال، فذلك يقدم بناءً سردياً معمارياً تقنياً تتم فيه المزاوجة: ما بين حضور المؤلف والشخصيات، التي تؤدي دوراً محورياً يستفيد منها المتلقي.

**توظيف التقنيات السردية: Narrative Techniques**

إن وجهة النظر الخاصة فيما طرح من تساؤلات واستفسارات في مقدمة البحث، دارت حول تبني السارد جملة من المرتكزات الرئيسة التي تنبني عليها البنية السردية Narrative Structure وتنضوي تحت عباءتها ـ وخاصة التقنية منها ـ من خلال إقامة السارد جملة من المواقف والنتف السردية الحقة، محققاً بذلك الرؤية The Narrative Vision، أو وجهة النظر، أو لحظة التنوير ـ سمها ما شئت ـ كي يقدم للمتلقي نصاً سردياً ذاتياً، بمختلف تجلياته وأطره النظرية والتطبيقية، التي جاءت على النحو الآتي:

يعتمد الكاتب في مجمل استحضاره السردي على تقنية الاسترجاع Recovery technology [25] (الماضي)، يبني كثيراً من العتبات النصية في سرده السِّيَرِالذاتيّ، يسير فيه قدماً نحو النص بمجمله العام والخاص نحو التقنيات الأخرى المكملة لبعضها، ومن الاسترجاعات التي ظهرت في عمله الروائي: "كانت أياماً جميلة، وكان أجمل ما فيها أننا نحن أعضاء اللجنة ـ وكان عددنا قليلاً ـ تعارفنا معرفة حقيقية، فكرياً وإنسانياً. أما ماذا بقي من ذلك الجهد؟ الله أعلم"[26] يعتمد الكاتب بهذا الاسترجاع السردي[27] على أفعال الماضي والمضارع في نقل الحدث بفنية واقتدار، وظفها في مناح عدة من جلبه للأحداث والأقوال والأفعال. مستخدماً وظيفة اللغة متمكناً منها جيداً باعتبارها ركناً مهماً في عملية البناء السردي Narrative Construction [28]، وقد بدا ذلك واضحاً في مجمل مداخلاته واستحضاره لمختلف الأقوال والأفعال في نصوصه الروائية المتحدث عنها... وثمة إقراراً بحاجة القصة القصيرة إلى تطوير لغتها، وهو ما ينبغي أن يظهر في نقدها، بما يقوم به النقاد من نقد، ينبغي أن يتضمن نقد آليات الاتساق النصي في أعمال كتاب القصة القصيرة، بناءً على أنّ ثمة تأثيراً عميقاً لمناهج العلوم الإنسانية لا سيما العلوم اللغوية في الاتجاهات النقدية الحديثة، وهو ما أشار إليه الدكتور عبدالله أبو هيف[29] معرجاً على قول القائلة: "لا يمكن أن يفعل في القارئ فعل السحر إلا إذا أحكم بناء العمل القصصي، وأحكمت صنعة اللغة فيه بحيث توجه نحو خدمة هذا البناء"، هذا هو الأساس الجمالي لأي عمل قصصي، وعلى الكاتب بعد ذلك أن يختار النظام الذي يراه لروايته أو قصته، كما يحق له أن يتحرك باللغة على المستوى الواقعي أو الرمزي، أو على مستوى التعبير بالألم الساخر، أو يخرج بين هذه المستويات جميعها إن شاء...[30].

وقد لوحظ في تمثله لتقنية الاستباق Anticipating والاستشراف Prolepse، في قوله: "على المستوى العربي يشكل المهرجان مجالاً للتداول الفكري والمعرفي، سواء عبر الندوات أو عبر اللقاءات الحية في ردهات الفندق بعد انفضاض الجلسات (...) وعلى المستوى الدولي يشكل المهرجان أفقاً للتواصل بين الثقافات لأنه يتناول قضايا تستأثر باهتمام الإنسان المعاصر

بصرف النظر عن انتماءاته المختلفة..."[31]. فيما سبق يستحضر السارد تقنية الاستباق، ويمهّد لأشياء ستحصل فيما بعد؛ بالتلاقح الفكري والمعرفي على المستويين العربي والدولي، وهذا بدوره يقدم وعياً حياً لمنجز ثقافي تراثي، يدلل بهذه التقنية على أهمية المهرجان ومعطياته والغاية التي انعقد من أجلها.

استخدم السارد تقنية أخرى: إيقاع السرد Rhythm of Narration؛ الزمن من حيث البطء والسرعة في ذات النص السابق وهي تقنية الحذف: Ellipse (تسريع السرد) وهو الفراغ الذي جاء بين الجمل ولم يأت ذلك عبثا، وإنما أسهم في تسريع حركة السرد، وقد يستطيع القارئ المتابع أن يستشف كثيراً من مثل هذه التقنية في مجمل أعمال الرواية للطيب صالح[32].

واستخدم السارد أيضًا تقنية المشهد Scene في مواطن عدة لتعميق تقنية الحوار Technical Dialogue قائلاً: "... هبّ طلال حيدر من مقعده وقبّل جبهة الشيخ. ولما خرجنا قال لي "أنا حبيّت الشيخ هيدا من كل قلبي. شو هادا الإنسان؟ أنا بحياتي ما شفت حدا متله"[33]. لقد أسهم هذا المشهد في إبطاء حركة السرد وتعطيل الحكي بشكل ملحوظ، وإن كان ذلك بشكل مؤقت نبه إليه الكاتب من خلال وقفاته السابقة والمتلاحقة أحياناً أخرى، فعاد وبدأ السرد منتظما في حركاته الأخرى: الاسترجاعية والاستباقية والاستذكارية في مواطن عدة.

يعود السارد بتعطيل حركة السرد مرة أخرى في استخدامه لتقنية: الوقفة Pause مقدماً ذلك كلوحات فنية تصويرية وصفية، بتقديمه لمشهد الأحداث المسترجعة: "في نحو عشر سنوات، خطت البلدة خطوات واسعة. أصبحت مدينة جميلة، تتميّز على كثير من المدن بالذوق والحس الجمالي الذي تشاهده في اللوحات الجدارية التي يتركها فنانون عالميون، تعبيراً عن حبهم لأصيلة، وتقديراً للوقت الجميل الذي قضوه بين أهلها. كذلك تلمس هذا الذوق، في الكورنيش الواسع الذي يزدحم بعد الغروب بأهل البلدة وزوارها"[34].

لقد رسمت الوقفة مشهداً واقعياً للبيئة التي دارت فيها الأحداث في المكان: "أصيلة" وتم تصويره بمشاهد وصفية؛ تقدم المكان كجزء مهم في حركة البناء السردي وتموضعاته الذاتية لدى الكاتب نفسه. وقد دمج الكاتب تقنية أخرى لذات التقنية بفنية واقتدار، وهي تقنية الخلاصة Sommaire، قائلاً: "في نحو عشر سنوات خطت البلدة خطوات واسعة..."[35].

وخلاصة القول: إن السمة البارزة والواضحة الدلالة في أغلب الأعمال السردية، التي تناولها الروائي "الطيب صالح" متمركزة في استرجاع المكان الدال على طبيعة الأحداث، إذ إنه يحتل ركناً أساسياً ويشكل الإطار الماضي للحدث السردي Narrative event بكل مفرداته، وتعدد دلالته الاجتماعية والنفسية في رسم معالم السرد، من حيث إبراز العديد من الجوانب المسكوت عنها في النص الروائي، ويتجلى ذلك عبر العلاقة الوثيقة بين المؤلف/السارد والمكان؛ وذلك ما

يأمل الباحث حصره بمسألة التطابق وميثاق السيرة الذاتية Conformity and narrative charter اللذين حددهما لوجون[36] في كتابه، ووضع حدوداً أربعة لجنس السيرة الذاتية على اعتبار أنها جنس قائم بحد ذاته، هي: شكل اللغة والموضوع المطروق ووضعية المؤلف وتطور الحكي؛ وبذلك حوّل دراسة الأدب إلى ما يشبه معادلات علمية صارمة، تنفي الاختلاف والتنوع والفرضيات الممكنة، وتعوزها المرونة اللازمة التي تنظر إلى الإبداع الأدبي على أنه متطور ولا يستقر على حال.

**خاتمة:**

وضحت الدراسة أن بنية السرد، قامت على دعامتين أساسيتين، هما: تشكيل محتوى القصة، من خلال الوقائع والأحداث والأفعال التي تناولها البحث للأعمال المدونة؛ والأخرى: تفعيل مادة الحكي عن طريق السرد، ووضع القارئ بصورة الأمر الواقع: كراوٍ ومرويٍّ له؛ وارتباطهما معاً من خلال رؤية تسمى في عالم السرد، بـ: التبئير أو وجهة النظر أو زاوية الرؤية، كما ذكر من قبل.

وفي ميزة أخرى تتعلق ببنية الفضاء السردي، نجد ارتباط البنية المكانية بالبنية الزمنية عميقة الدلالة؛ بنيت على علاقة وطيدة داخل النص، فقد لوحظ جانب إبداعي يتجلى في ربط النسق الزمني مع المكاني لإظهار الواقع كما تم تصويره.

تلك هي أبرز المرتكزات والمحاور الرئيسة التي يفصح عنها البحث والتي تم تجليتها، واعتمد عليها في كيفية بنية النص؛ وجمع الوظائف والتقنيات في بوتقة واحدة؛ بمقاربة السرد الروائي مع السِّيَرِالذَاتيّ في روايات الطيب صالح.

# Narrative Techniques and Dimensions of Autobiography: "Al-Tayyib Saleh as a Model" Theoretical and Applied Study

**Fayes Salah Athamneh,** *Faculty of Arts, King Faisal University, Saudi Arabia.*

## Abstract

This study deals with narrative techniques and dimensions that characterize the autobiography of AL-Tayyib Saleh. Techniques used include analepsis, prolepsis, summarization, and ellipsis. Functional dimensions are embodied time, place, language and address. These techniques and functional dimensions are critical in studying a narrative text, and have become a significant need for every critical narrative research.

The researcher has followed inductive-based methodology research in clarifying these techniques in different narrative works of by Al-Tayyib Saleh. These techniques shaped artistic starts in the content of his autobiographical narratives, as well as created artistic axes that tempt the reader for tracking and tracing the techniques and functions of many other narrative texts. Perhaps it is appropriate to talk about the artistic structure of the title of this study, which consists of: Narration as independent subject versus the Autobiography and its artistic dimensions that tempt researchers to investigate them through artistic approximation to the distinguished relationship that connects the narrative techniques with the artistic functions of the autobiography; an overlapping relationship that enriches the text and distinguishes it from other literary texts, which is our aim of this study.

The subject of this study is a combined subject; it deals with the autobiography in connection with narrative arts. On the other hand, there is a formative structure that combines between Theory and Practice; namely, the autobiographer and his artistic narrative style, and narration as a methodology and basic method in clarifying and revealing the artistic aspects of the autobiographer, besides the autobiography and its relationship with the aforementioned factors, all of which shaped the title of this study: **Narrative Techniques and Dimensions of Autobiography "Al-Tayyib Saleh as a Model".**

**Keywords**: Narrative, Short Story, Autobiography Narrative, Techniques, Functional Dimensions.

**الهوامش**

1 ـ الطيب صالح أو ***"عبقري الرواية العربية"***كما جرى بعض النقاد على تسميته، وُلِدَ عام 1929 في إقليم مروي شمالي السودان، في بيئة متواضعة، تعتمد على الزراعة وتعليم الدين، وقد أمدته هذه البيئة بعزيمة وإصرار لأن يكون مبدعا في أكثر من موضع، وأمدته بعزمه، وصبره ورغبته العارمة في التعليم، انتقل من الدراسة فيها إلى الدراسة في لندن من بَعْدُ، وهو يتطلع إلى تلك المدينة التي تزخر بالمتناقضات، وقد تجلى له ذلك وساعده في إخراج جملة من الروايات الإبداعية. كتب الطيب صالح العديد من الروايات التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة، وهي: «**موسم الهجرة إلى الشمال**» و«**عرس الزين**» و«**مريود**» و«**ضو البيت**» و«**دومة ود حامد**» و«**منسى**». الطيب صالح، **الآثار الكاملة**، ط2، 1972م.

2 ـ أحمد محمد البدوي، **الطيب صالح.** دراسة نقدية، بريطانيا: دار كمبردج للنشر، ص:7، 2010م.

3 ـ للمزيد بهذا الخصوص، انظر حميد لحمداني، **بنية النص السردي**. أسهب بخصوص المقاربة الفنية للسرد...ص:13، وما بعدها. وكذلك انظر، محمد بوعزة، **تحليل النص السردي:** تقنيات ومفاهيم...الفصل الثاني، الرواية والسيرة الذاتية، ص:32، والرؤية السردية، ص:71.

4 ـ الطيب صالح، **مختارات، في رحاب الجنادرية وأصيلة**. الرياض: دار الريس، ط،1، 2005م.

5 ـ الطيب صالح، **الآثار الكاملة**، ط2، 1972م.

6 ـ نفسه، ص: 7، 8

7 ـ انظر الطيب صالح، **في رحاب الجنادرية وأصيلة**، ص:11

8 ـ انظر جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مادة الحكي الذاتي. ص:35، 2003م.

9 ـ المرجع السابق، ص:12

10 ـ للمزيد بهذا الخصوص، قدم نبيل حداد قراءة وافية لطبيعة الشخوص ودلالتها العميقة...، انظر نبيل حداد، **الينبوع الأول: رواية "سلطانة" لغالب هلسا**. ص: 142، وما بعدها، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات"، مج14، ع1، 1996. وكذلك انظر مارتن والاس، **نظريات السرد الحديثة**. ص: 152، ت: حياة محمد، ط.1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

11 ـ انظر نبيل حداد، **بهجة السرد الروائي**. إربد، عالم الكتب الحديث، ص:103، 105، 106. 2009م.

12 ـ لا مشاحة في أن ميل كاتب السيرة الذاتية إلى إيراد وقائع صحيحة في مجملها هو أمر مهم في البناء الموضوعي للسيرة من ناحية، كما أنه أمر بالغ الأهمية لإقامة جسور من الثقة بينه وبين المتلقي من

ناحية ثانية، إذ لولا جسور الثقة هذه لغدت السيرة الذاتية عبثا في عبث لدى المتلقي... للمزيد انظر علي فهمي، **السيرة الذاتية ومعايير الثقة**. ع162، ص:163، 1996م.

13 ـ الطيب صالح، **في رحاب الجنادرية**. ص:71.

14 ـ للمزيد انظر كولن ولسون، **فن الرواية**. الفصل التاسع، ص:181، وما بعدها. 2008م.

15 ـ لم تتوقف الشخصية، منذ بروب، عن فرض القضية نفسها على التحليل البنيوي للقصة. فالشخصيات، من جهة أولى (وبغض النظر عن الاسم الذي نسميها به: درامية، شخصية، عامل) تشكل مخططا ضروريا للوصف. وإن "الأفعال" المروية لتتوقف. ويمكننا أن نقول إنه ليس ثمة قصة واحدة في العالم من غير شخصيات، أو على الأقل من غير "فواعل". ولكن هذه "الفواعل"، من جهة أخرى، وهي جد عديدة، لا يمكن أن تكون لا موصوفة، ولا مصنفة باسم مصطلحات "الشخصيات".... للمزيد انظر رولان بارت، **التحليل البنيوي للقصص**. ص:62 وما بعدها، ط2، 2002م.

16 ـ الطيب صالح، **الآثار الكاملة:** موسم الهجرة إلى الشمال. ص:14، 1972م.

17 ـ للمزيد انظر، فايز عثامنة، **السرد في رواية السيرة الذاتية العربية**. ص:17 وما بعدها.

18 ـ تحدث فيها عن قضايا إنسان العالم الثالث وهمومه وآلامه وأفراحه وأتراحه وعن قضية الهجرة والمهاجرين، تناول قضايا كثيرة ومهمة تخدم المجتمعات الإنسانية وتركز على إنسانية الإنسان، وتناول كذلك هيمنة العالم الغربي على العالم العربي، تناول قضايا اجتماعية جمة، مثل: ختان المرأة وحرية تقرير المصير... للمزيد انظر الطيب صالح **الآثار الكاملة، موسم الهجرة إلى الشمال**.

19 ـ المرجع السابق، **في رحاب الجنادرية وأصيلة**. ص:19.

20 ـ نفسه، ص:19.

21 ـ المرجع السابق، ص:20.

22 ـ للمزيد انظر زياد الزعبي، **المكان ودلالاته في رواية العودة من الشمال**. أبحاث اليرموك: سلسلة الآداب واللغويات، ص ص:210 ـ 211، 1994م.

23 ـ المرجع السابق، **في رحاب الجنادرية وأصيلة**. ص:24.

24 المرجع السابق، ص:111.

25 ـ **الاسترجاع:** مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة... أنظر **المصطلح السردي**، جيرالد برنس. ص:25، 2003م.

26 ـ المرجع السابق، **في رحاب الجنادرية وأصيلة**. ص:125.

27 ـ للمزيد انظر، فايز عثامنة: **السيرة الذاتية في الأردن ـ الذات والإطار الاجتماعي**. ص:27 ـ 61، 2007م.

28 ـ تنبع أهمية اللغة من مقدرتها في التحكم بإنتاج الملفوظات الفردية من الكلام، وتعد هدفا رئيسيا في كل السرديات من وصف السرد وإعادته مرة أخرى، إذ إن أغلب الأعمال السردية عملت على اشتقاق الكلمات من الواقع المعيش، من لغة الشارع وعامة الناس في أسلوب أدبي ضمن وثائق اجتماعية، بلغة أدبية واقعية سمتها التشخيص الموضوعي والصدق الذاتي والابتعاد عن التصنع والتخيل... انظر فايز عثامنة، **السرد في رواية السيرة الذاتية العربية**، فصل، الأبعاد الفنية في السيرة الذاتية، اللغة. ص:137، وما بعدها، 2014م.

29 ـ للمزيد انظر **النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد**، عبدالله أبو هيف، ص: 169، 237 ـ 238، 252، 430، وفي آليات النقد الأدبي، عبدالسلام المسدي. ص:11

30 ـ للمزيد انظر ، **الوعي النقدي السردي بآليات الاتساق النصي**... فايز عثامنة، مجلة: أماراباك: الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مجلة علمية عالمية فصلية محكمة مج8 ع26، ص:55 وما بعدها، 2017م.

31 ـ المرجع السابق، **في رحاب الجنادرية وأصيلة**. ص:121

32 ـ للمزيد انظر، «**عرس الزين**» و«**مريود**» و«**ضو البيت**» و«**دومة ود حامد**» و«**منسى**». الطيب صالح، **الآثار الكاملة**، ط2، 1972م.

33 ـ المرجع السابق، **في رحاب الجنادرية وأصيلة**. ص:133.

34 ـ نفسه، ص:149.

35 ـ نفسه، ص:151.

36 ـ للمزيد انظر فيليب لوجون وعمر حلي، **السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي**. ص:22 ـ 23، 1994م.

## قائمة المصادر والمراجع والدوريات

### المصادر والمراجع:


بارت، رولان، **التحليل البنيوي للقصص**. ت: منذر عياشي، ط2، باريس: دار لوسي، 1997م.

باشلار، غاستون، **جماليات المكان**. ت: غالب هلسا، ط.3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978.

البدوي، أحمد محمد، **الطيب صالح** - دراسة نقدية، بريطانيا: دار كمبردج للنشر، ص:7، 2010م.

برنس، جيرالد، **المصطلح السردي**، ت: عابد خزندار. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 2003م.

بوعزة، محمد، **تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم**. ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م.

حداد، نبيل، **بهجة السرد الروائي**. ط.1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2010م.

رووكي، تيتز، **في طفولتي**: دراسة في السيرة الذاتية العربية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ص: 283، 284، 2002م.

شاكر، عبد الحميد وآخرون، **رجع الأصداء** في تحليل ونقد السيرة الذاتية لنجيب محفوظ. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.

صالح، الطيب، **الآثار الكاملة**: موسم الهجرة إلى الشمال، عرس الزين، دومة ود حامد، ضو البيت. ط2، 1972م

صالح، الطيب، **مختارات، في رحاب الجنادرية وأصيلة**. الرياض: دار الريس، ط،1، 2005م.

عثامنة، فايز، **السرد في رواية السيرة الذاتية العربية**. عمان: دار الوراق 2014م.

عثامنة، فايز، **السيرة الذاتية في الأردن ـ الذات والإطار الاجتماعي**. عمان: أمانة العاصمة ـ الدائرة الثقافية،2007م.

العيد، يمنى، **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**. بيروت: دار الآداب، 1988م.

القاضي، محمد وآخرون...، **معجم السرديات**. ط1، تونس: دار محمد علي للنشر، 2010م.

لحمداني، حميد، **بنية النص السردي:** من منظور النقد الأدبي. ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991م.

لوجون، فيليب، **السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ**. ت: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، 1994م.

مارتن، والاس، **نظريات السرد الحديثة.** ت: حياة محمد، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

مراشدة، عبد الرحيم، **الفضاء الروائي**: الرواية في الأردن نموذجا. ط1، عمان: وزارة الثقافة، 2002.

ميهوب، محمدآيت، **الرواية السيرذاتية في الأدب العربي**. ط1، عمان: دار كنوز المعرفة، 2016م.

نصير، ياسين، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**. دمشق: دار نينوى، 2009م.

نويل، جان، **التحليل النفسي والأدب**. [د.ط]، ت: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، 1997.

أبو هيف، عبدالله، **النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2000م.

ولسون، كولن، **فن الرواية**. بيروت: الدار العربية للعلوم، 2008م.

اليوسفي، محمد لطفي، **فتنة المتخيل**. المجلد الثالث، د ن، 2002م.

**الدوريات:**

إبراهيم، عبد الله، **بناء السرد في الرواية الأردنية المعاصرة**. أفكار، ع135، ص ص: 33ـ 56. 1999م.

جبر، مريم، **من بهجة السرد إلى بهجة النقد**: قراءة في المنهج والرؤية لدى الدكتور نبيل حداد في إصداراته الأخيرة. ص: 3، الدستور الثقافي، الجمعة 10 ربيع الثاني 1431 هـ، الموافق 26 آذار 2010.

حداد، نبيل، **أزمة الشخصية المحورية بين العام والخاص في ثلاث روايات من الأردن**. ص: 232، مؤتة للبحوث والدراسات: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج10، ع2، 1995.

حداد، نبيل، الينبوع الأول: **رواية "سلطانة" لغالب هلسا**. ص: 127، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات"، مج14، ع1، 1995.

ربي، الحبيب الدائم، **الأرض وزينب**: ثلاث مقاربات لـ (التناص والتخطي). فصول، ع4، مج6، 1986. ص ص:155ـ166.

الزعبي، زياد، **المكان ودلالاته في رواية العودة من الشمال**. أبحاث اليرموك: سلسلة الآداب واللغويات، مج12، ع2، 1994

عبد الحميد، شاكر، **الحلم والكيمياء والكتابة.** فصول، مج7، ع2/1، ص ص: 160. 169، 1987م.

عبد الحميد، شاكر، **الموت والحلم في عالم بهاء طاهر**. فصول، مج12، ع2، ص ص:180. 203، 1993م.

عثامنة، فايز، **الوعي النقدي السردي بآليات الاتساق النصي**...، مجلة: أماراباك: الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مجلة علمية عالمية فصلية محكمة مج8 ع26، ص:55 وما بعدها، 2017م.

فهمي، علي، **السيرة الذاتية ومعايير الثقة**. مجلة القاهرة، ع162، ص:163، 1996م.

اللواتي إحسان، **السرد بضمير المتكلم في نماذج من القصة القصيرة**...، مجلة أبحاث اليرموك/ سلسلة الآداب واللغويات 2004م.

**المواقع الإلكترونية**

https://ar.wikipedia.org/wiki /الطيب_صالح/

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 687- 700

# قتل الأب الشعريّ
# قراءة في تجربة الشاعر حبيب الزيودي

إسماعيل سليمان المزايدة*

تاريخ الاستلام 2018/2/11 تاريخ القبول 2018/6/10


## ملخص

تهدف الدراسة إلى مناقشة ظاهرة قتل الأب الشعريّ في تجربة الشاعر حبيب الزيودي، وهي ظاهرة لم تأخذ مساحتها في الدرس النقديّ اليوم، علماً أنها شائعة منذ العصور الأولى للشعر، لكنها تجلّت اليوم بفعل تقارب الأزمنة والأمكنة وانتشار التقانة الحديثة. وستتناول الظاهرة من خلال ثلاثة محاور: الثورة على نقاد الشعر، والثورة على الأب الشعريّ (عرار)، والثّورة على رؤية الانتحار عند (تيسير السبول).

وخلصت الدراسة إلى أنّ حبيب الزيودي اختط لتجربته طريقاً فلسفيّاً ميّزه عن غيره في الرؤى الخاصة بالكون والإنسان، كما اعتمد على صياغات لغوية، وطرائق فنيّة بعينها في ثورته على الأب الشعريّ؛ منها التكرار، وترادف المفردات، والجمل الاسمية، حيث سجّل انتصاره على عرار والسبول، بل صور لنا رضاهما عن تجربته الشعرية، ونظرته نحو الحياة والكون.


**الكلمات المفتاحية:** الأب الشعري، الثورة، النّقّاد، الانتحار، حبيب الزيودي.

## توطئة:

لا شكّ أنّ ثورة الابن على أبيه موضوع سابق في رؤيته، إلا أنه جديد في البحث الأدبي اليوم؛ لانتقال الظاهرة من المستوى الاجتماعيّ البسيط إلى مستويات ثقافيّة وفكريّة، شكّلت أبعاداً جديدة كان لها أثر واضح على جوانب الحياة الأخرى، منها الإبداع، خاصةً أنّنا واجهنا تعدّداً في الحركة الشعريّة نوعاً وكمّاً، فاختُزلت تجارب شعريّة كثيرة، وبُثّتْ مشاهد متراكمة من الحياة بين كلمات الشعراء، وفي الزمن نفسه لا نغفل عن واقع عام يحكمنا بين العزلة والتّشريد، والقهر والتهجير منذ مئة عام، علاوة على استبداد قيّد نموّنا.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* شعبة اللّغة العربية، مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

ولقد كان لحركة الحياة السريعة في القرن العشرين دور كبير في فتح أفق في أمكنة، وتوليد أزمات قاسية في أمكنة أخرى؛ ولعلّ هذا الانتقال الاجتماعي الاقتصادي المؤثّر أسهم في انطلاقة جديدة على مستوى الإبداع، وجعل "الصفة الرئيسة التي تميز المدنية عن الحياة البدائية، هي الإبداع؛ فالحياة البدائية يسودها التقليد، بينما يسود الإبداع الحياة المدنية، ومن الممكن القول إن المدنية والقلق صنوان لا يفترقان"[1].

ولهذا كلّه حاولنا، نحن البشر، البحث عن تفسيرات لهذا الجنوح البشريّ؛ فأصبنا كثيراً، لكننا أخطأنا؛ حينما أرسلنا لأنفسنا حبال التأويل، فبالغنا في فهم أسطورة "أوديب على أنها رمز لثورة الابن على سلطة الأب في الأسرة الأبوية، وليس على أنها رمز لاتحاد محرّم بين الأم وابنها"[2]. إن التردد من قبل الابن نحو الأب أو الإقدام المفاجئ يكشف "لحظة تأزّم في العلاقة بالذات والعلاقة بالآخر على السواء، وقد يكون من الطبيعي أن تفضي إلى تفعيل الرغبة في قتل الأب التي تصبح في هذه الحالة جزءاً من عملية نقد الذات ومساجلتها في اتجاه إعادة بنائها، ومن أجل انطلاقة تحديثية جديدة"([3])، وعلى هذا الأساس فإن "قتل الأب في التحليل النفسي، وهكذا في النقد الأدبيّ والحضاري والمعرفيّ، لا يعني، بحكم رمزيته، الإعدام والإبادة والمحو، بل يعني تماماً عكس ذلك، أي منع العدم"([4]).

ولذا؛ جاءت هذه الدراسة لتستجلي هذه الظاهرة عند الشاعر حبيب الزيودي (1963-2012) وتأثّره بالشاعرين عرار (1899-1949)، وتيسير السبول (1939-1973)، ثم الثورة عليهما؛ فثار على أبيه الشعريّ (عرار) وزناً وقافية ودلالة وارتباطاً بالأرض والموروث، بعد أن كان في شبابه "يحاول أن يبعث الشاعر، أن يرفعه رمزا وطنيا، أن يستعيد صورته؛ ليعبر عن وطنيته، أو رفضه، أو ضياعه"([5]). وانتزع إرادة الحياة من (السبول)؛ فتجاوز فكرة الانتحار، وأسس رؤية خاصّة به ارتبطت بعشب الأرض وشمسها، بمعنى أنه ممتدّ مع حركة الزمن وتقلباتها، ولن يخضع للقرار السريع المرتبط بالانتحار.

واعتمدت هذه الدراسة المنهج الاجتماعي النفسيّ، حيث رأى الباحث أنّه حاور ثلاثة شعراء كبار من ثلاثة أجيال متلاحقة، وطرق موضوعاً جديداً في النقد الأدبيّ، ولن أقول أبدا: إنّ العمل مكتمل. فلا بدّ من محاورة رؤى البحث، لاستدراك ما قد فات.

## 1. الثورة على نقاد الشعر

إذا كان النقد هو "الحكم"، وهو تفكير عقليّ لا يسلّم بأي تقرير دون التساؤل أول الأمر عن قيمة هذا التقرير([6])، فإن حبيباً نظر إلى هؤلاء النقاد من خلال هذا المفهوم النقدي؛ فوقف منهم موقف المشكك في سلوكهم النقديّ؛ لأنه رأى فيهم معول هدم لتجربته الشعرية، بعد أن كانوا يكتبون فيه قصائد الغزل إعجابا وإطراء، حيث يقول عنهم: "كانوا يداعبون غروري حين

كنت غضاً طرياً؛ لكنهم تبرموا في وجهي وانقضوا على زهو قصيدتي حين شبت على الطوق"([7])، لأنهم لم يأتوا بنقد علمي حقيقي يمس هذه التجربة، بل حاولوا تشويهها كسراً لطموحه وموقفه من الكون والإنسان. لعل فكرة الثورة على التراث الشعري في تجربة حبيب تعد ملمحاً شعورياً ظلّ يلحّ عليه، فعادةً يرنو الشاعر إلى محاولة شعرية فارقة في الإنتاج الشعري، تفكّ عنه قيود الموروث الشعري الذي أسهم في كينونته الشعرية، لا سيما أن حبيباً عانى من بعض النقاد الذين حاولوا إبقاءه في ثوب تجارب شعرية سابقة، خاصة عرار؛ مما دفعه لأن ينتهج خطّاً شعرياً جديداً بثورته على ذلك كله، حيث شكّل ذلك الموقف من قبل حبيب انتصارا للتجربة الشعرية الأردنية التي لحقت عرارا، ودفاعا عن جيل بأكمله من الشباب الشعراء، عندما حاول بعضهم "الوقوف بإنجازاته عند أفق عرار، حتى غدا واقعا أو قريبا من الواقع، أنّ جميع من جاؤوا بعد عرار هم هوامش ثقافية وإبداعية على المتن العراري"([8])؛ لذا نهض حبيب يبحث عن مكانة تليق به، وتميزه عمن سبقوه من شعراء، في محاولة جادة وصعبة في آن معا في إثبات تفرده الشعري:

**يحتار في لغتي النقاد إن طربوا**

**وإن تماهوا مع الإيقاع أو وجموا**

**أقول للشعر وثّق كل ما نظموا**

**قبلي وإن شئت مزّق كل ما نظموا**

**أقول للحاجب المذعور قد سقطت**

**عنك الستور وبان الشحم والورمُ([9])**

والمتأمل في هذه المقطوعة يرى أن حبيبا قد ذكر النقاد بلفظة صريحة تحمل في طياتها سخطه على من ألبسه هذه التهمة التي يرفض، حتى إنّه لجأ إلى الخفوت الشعري لبرهنة ذلك حينما يقول: (أقول للشعر)، وكأنه أدخل نفسه في حوار مع هؤلاء، وخرج من دائرة القلب إلى دائرة العقل والمحاججة (أقول، وثّق، مزّق)، من أجل أن يبتعد عن هؤلاء النقاد ومقولاتهم الجاهزة.

وملمح الثورة هنا يتجلّى بفعل الأمر الذي جاء على صيغة (فعّل)، (وثّق، مزّق)، بمعنى أنه لا يحفل بأبوة شعرية اتّهم بها، ولا برأي نقديّ لا يرى تفرّده وجدّته على المستوى الشعري. ويمتد في هذه الحوارية ليواجه علانية هؤلاء الحجاب المذعورين، فيستعين عليهم بروح المتنبي بأنهم (شحم وورم)، حيث يعريهم ويثبت للناس تعالي روحه، وسقوطهم المروع.

وفي مشهد جديد عاد حبيب إلى صومعة الشعر غير مكترث بما يقوله النقاد؛ عاد للدهشة التي أحدثها شعره، والسحر الذي نثره على جمهور الشعراء الشباب:

**حطمت أصنامي وصحت بصمتها أنا عبد شعري**

**أنا عبد أوجاعي وإيقاعي وقافيتي وبحري**

**عبد الحروف تسيل من قلبي بفاصلة وسطرِ**[10]

لقد علت موجة الأنا عند حبيب لتحطيم آراء هؤلاء، فلجأ لإبراز ضمير المتكلم (أنا)، في بيتين متتاليين ختم بها البيت الأول وبدأ بها البيت الثاني، (أنا عبد شعري/ أنا عبد أوجاعي)، وقد ربط الضمير (أنا) بلفظة (عبد)، ليرتب ذلك بصورة متتالية (عبد شعري، أوجاعي، إيقاعي، قافيتي، وبحري)، وكلها تشكل المواد الأولية لأي تجربة شعرية تسعى إلى فرض نفسها على الواقع الشعري المعاصر، والثورة على التراث تمثلاً لنفور من الأسطورة التاريخية التي تقول بالتبعية الشعرية.

ثم بعد ذلك يفصل بتفوقه بأنه عبد الحروف التي تتكون منها الكلمات، وأنه مطلٌ على الفاصلة والسطر، أي أنه يمتلك أدوات الكتابة المرئية وغير المرئية، بل يذهب إلى أكثر من ذلك بإثبات قدرته الشعرية تلك في حالتيها المعروفتين (المطبوع والمنظوم).

وفي موقف جديد تناغم حبيب مع شخصية هؤلاء النقاد؛ من أجل متابعة حياته اليومية وما يترتب عليها من التزامات، فأظهر لهم سلوكاً يوميا لحظيّاً، وأخفى حقيقة نفسه تجاه حبّه لعرار:

**نصبوا خيامك ليس حبا فيك واجتثوا خيامي**

**قد أنكروا زهوي علي وحاربوني في طعامي**

**ولذا قتلتك في نهاري واحتضنتك في منامي**

**وشممت عطرك في ثيابي واتقادك في ضرامي**[11]

ولجأ حبيب هنا إلى إظهار عدة صور متناقضة: صورة النقاد الذين قدموا عرارا بصوتهم الجديد مدحا وإغناءً للتجربة الشعرية العربية الأردنية، وفي حقيقة الأمر هم لا يبتغون من هذا سوى تحييد تجربة حبيب وطنيا وعربيا؛ لأن العامة والخاصة رأت في تجربته امتدادا لعرار الشاعر الثائر؛ ولذلك شكل صورته في هذا من عناصر البيئة المحيطة بالبيت الأردني (الخيام)، مستخدما التضاد في بنائها (نصبوا- اجتثوا)، نصبوا خيامك ليس حبّا فيك واجتثوا خيامي.

أما الصورة الثانية فقد شكّلها من خلال الوقوف بين موقفه الداخلي من عرار الشاعر القدوة، وموقفه من الحياة وحاجته لأسباب العيش فيها؛ فلجأ من جديد للتضاد (قتلتك - احتضنتك)، وهي صورة أقرب للأبوة ودفء الفراش، خاصّة إذا تعالق مع هذا كله عطر الأبوّة في الثّياب.

والصورة الأخيرة موقفه من هذا كله، وهي تمثّل روح حبيب وقلقه وتعاليه على هؤلاء جميعا من نقاد وشعراء ومحبطين، وتعمق "حس التفوق من جانب، وبصمم المحيط وحسده وعدوانيته من جانب آخر، ولذا فقد كان الشاعر متأهبا للثأر منه"(12).

وفي موقف جديد، يحاول هذه المرّة الثورة على النقاد من خلال ما يقدمون في محاضرات الدرس النقدي، ويعني عدداً من النقاد الذين يتجاوزون جماليات النصوص وينصبون خيامهم على عثراتها، ويجتثون خيام إبداعه وقمحه ووجعه النبيل، حباً في غمزه أمام تلاميذهم؛ ليخرج عن المألوف في الحوار الثقافي، ويلصقهم بمهنة أخرى بعيدة كل البعد عن نقد الشعر وأصوله:

**اقرأ قصيدي لا تكن كمعلم النقد الحديث**

**يُغامز الطلاب وهو يدلهم في الدرس عن ثغرات شعري**

**فقل له اعمل دليل سياحة، للسائحين**

**ودعك من نثري وشعري([13])**

وهنا يصوّر حبيب مغالاة النقاد في محاولة الانتقاص من تجربته، وتجاوز ما تفرّد به من إبداع؛ ولذلك يربط إيقاعه بالقمح، وقدرته الشعرية بالخيام المنصوبة عزّة وكبرياءً. ثم يعاود نعتهم بالسخف النقدي والضحالة الفكرية، وأن الناس تتوهم عليهم الإبداع والنقد، ومع ذلك فهم اشتهروا على حساب شعره، وهو الذي صنع لهم هذا المجد، ثم انقلبوا عليه منكرين المعروف والاحترام الذي كان يبديه لهم:

**لا قلب للخطباء والنقاد أصحاب**

**البلاغة كي يمسّ شغافهم صوتي**

**ويبلغهم مرامي**

**فرحوا بما نهبوه من إيقاع قمحي**

**واطمأنوا عندما هدموا خيامي**

**أغوتهم الألقاب حين تورموا شحماً**

**وأغوتهم مكاسبها انصرافا**

**عن كلامي([14])**

## 2. الثورة على (عرار)

لعلَّ التّقاربَ الّذي يلمحُه المتلقي بين تجربة عرار الشّعريّة وتجربة حبيب هو الملمح الذي أشار له هارولد بلوم بأن "العودة القوية للأموات تأتي من خلال تفرّد الصوت الجديد أو اللون الجديد، ولو في جزء على الأقل من مواقفنا ولحظاتنا"([15])، وهو الذي استوقف كثيراً من النّقاد عند التّجربتين، وهو الّذي دعا جلّهم يتحدثون عن أثر عرار في شعر حبيب، وعدّه نبتا جديدا لهذه الشجرة العرارية([16])، وهنا كانت مشكلة جيل كامل من الشعراء الذين جاؤوا بعد عرار و"عاشوا مشكلاتهم - إما هي هي التي عاشها عرار، وإما ما أفرزه عصرهم - بالهرب منها واللجوء لشاعرهم: استغاثة مرة، ومناجاة أخرى، وترداداً لما قاله من رموز بشرية، أو مكانية، أو مشكلات حياتية ثالثة"([17])، بل إنّ منهم مَنْ رأى حبيباً ظلاً لعرار، وهذا ما جعله يتخلص منه، "ولو توهّماً، بكتابة قصيدة يقنع نفسه بأنها تتجاوز القصيدة الأم"([18])؛ ولذلك كله فقد استثمر حبيب مناسبة مئوية عرار بقصيدة يعلن من خلالها انفصاله الشرعي عن أبوّة أرهقته كثيراً، علماً أنّه لا يرى ذلك أبوّةً أو ظلالاً قَدْر ما يراه تميّزاً لشخصه ولحالته الإبداعية، بأنّه مَن استجاب لتجربة عرار وأحياها؛ وهي "أشبه بالتمرّد والعصيان... ونبرة جديدة، وأسلوب مختلف، وصوت مرتفع يصرخ في وجه من كان همهم التعلق بعرار، ولوك ما قاله، بحيث باتت أشياؤه، ورموزه، ونماذجه الإنسانية والمكانية مبتذلة لكثرة ترددها على الألسن، وفي كل القصائد. وأصبح التعلق بعرار - أسلوبا وطريقة، شاعرا وإنسانا - مظهرا من مظاهر الاستجداء في الحضور والمكانة، أكثر منه إحياء لذكرى، واعترافا بفضل"([19])؛ ولهذا بدأ قصيدته بقوله:

**أبعد ظلالك عن كلامي إني عبدتك ألف عامِ**
**ما مسَّ برقك حين فَجْفَجَ في السماء سوى عظامي**
**أبعد غمامك عن حقولي فهي تستسقي غمامي([20])**

وما كان منه إلا أَن يسلك طرائق شعريّة يبرهن بها على قدرته الشعرية والنفسيّة:

**اليوم لي لغتي وترعى في مفاليها رئامي**
**واليوم لي باعي وإيقاعي يفيض على كلامي**
**واليوم لي قمحي وحوراني وعمّاني وشامي**
**واليوم لي وشمي وباديتي وقطعاني أمامي([21])**

ولنا أن نتصوّر تركيزه على ظرف الزمان (اليوم) وتكرار هذه اللفظة أربع مرات متتالية، وتقديمها على الجملة الاسمية التالية لها: (لي لغتي)، ثم لو بحثنا في مصادر القوة لديه من خلال الجمل الاسمية التي تفيد الثبات والاستمرار لوجدناها (لي لغتي، لي باعي وإيقاعي، لي قمحي...،

لي وشمي...)، وكلها تتوزّع على مقاصد الحياة جميعها، بدءاً من اللغة التي تعني الهوية، وهي موئل التحدي بين الشعراء، ثم التجربة (باعي) والقدرة على نظم القوافي (إيقاعي)، ليتحوّل بعدها إلى الالتصاق بالأرض التي كان عرار يفتخر بالانتساب إليها، وقد علا صوته في مخاطبتها وتجسيدها. وإنْ وقف على (القمح) المادّة الأولى في ذاكرة المواطن العربي (الشامي)، فقد جمع بين وحدة الشام: حوراني، عمّاني، شامي وبين بيئته الصغيرة المحدّدة بمعايير البداوة: وشمي وباديتي وقطعاني. ليعلن التّفرد من خلالها، وهي إشارة لما كان ينظر إليه عرار أن أرض العروبة واحدة وإنْ اختلف قطر عن آخر. ولجأ الشاعر من جديد لنوع جديد من التكرار هو التكرار البلاغي الذي "يؤدّي دوراً داخل النص وهو مزيج من الإيقاع والمعنى في آنٍ واحد"([22])، من أجل أن يحقق موقفاً واضحاً في تجربته الشعرية:

**ندان نحن اليوم يا أبتي على سفح الكلام**

**ندان فاشرب من مدامك جرعة واترك مدامي**

**ندان لا تغضب إذا صليت وحدي يا إمامي([23])**

في حين كانت لحظة الحسم لدى حبيب في قصيدته عندما أعلن أنه ندُّ لعرار وليس ظلاً له، وبرز هذا من خلال تكراره للفظة نفسها، بعد أن أظهر في الأبيات السابقة عمق تجربته وتفرّدها وخصوصيتها التي قد تلتقي مع عرار، إلاّ أنّها تختلف مضموناً ورؤية، فـ"موت الأب القديم في سبيل تحريك الدم في عروق الابن لينهض حضارياً وفكرياً، ويتجاوز حالة السكون والموت"([24])، يعدُّ نقطة تحوّل في تجربته، وقد حدّد هذا التحوّل بندّيّته لعرار من خلال وقوفهما معاً على سفح الكلام (القدرة الشعرية)، وأنهما متساويان في المقام، ومنفردان في العبارة، ويعني هنا أنه إمام في الشعر كما هو عرار، ولعلّها تكون الرؤيا الأعمق بينهما جميعاً لأنّه ربط مشهد الشعر بمشهد الصلاة الذي لا مجاملة فيه؛ ولذلك طلب العذر لتفوّقه حيناً:

**إن كان نجدُ مبتغاك اذهب لنجد أنا تهامي**

**واعذر إذا طاشت سهامك كلّما صابت سهامي([25])**

ولعلّ هذا ما يدعو للضجر بهذا الابن الذي تفرّد عن أبيه؛ بمعنى أنّه لم يخلعْ ستار عرار خلعاً أبدياً فيتنكّر له، إنما هو التفرّد الذي شبّ على طوق عرار الإبداعي، حين يقول حبيب بأنه طلب من عرار"أن يبتعد مع إقراري له بالاتباعية والإمامة والسبق، ولكن كل ذلك لا ينفي شوقي لخصوصيتي وبحثي عنها، أن عراراً الذي يعدُّ قطب الحركة الشعرية وإمامها، لا تكتمل أبوته الشعرية إلا بالخروج عليها، هذه هي الأبوة في الفن، أما الأبوة العمياء الطائعة فهي لا تعطي الفن والإبداع أي جاذبية"([26]):

**وشممت عطرك في ثيابي واتقادك في غرامي**

**وافخر إذا بلغت خيولي قبل موعدها مرامي**([27])

### 3. الثّورة على رؤية الانتحار:

يعدُ السبول1939م، من الشعراء الذين أثّروا في حركة الشعر الحديث بعد نكسة حزيران 1967م؛ وكانت نتيجة تيارات أدبه الصّاعدة والمتمردة الخلاصَ من عنت الحياة بطلقة في الرأس عام 1973م، وردّ أحد النقاد فكرة الانتحار بشكل عام إلى "أزمة حادّة يقف المنتحر عاجزاً عن مواجهتها، الأمر الذي يجعله عدوانياً تجاه الذات على نحو يفضي إلى قتلها"([28])، أو أنه "المحاولة الأخيرة والجذرية لاستبعاد هذه الآلام الواقعة على الذات"([29])، وهو في حالة السبول كما يرى أحدهم بأنه الوقوع" تحت تأثير الفلسفة الوجودية؛ إذ جعل من فكر السبول القومي، ويأسه من التجربة الحزبية صدمة قاسية في حياته، فضلاً عن صدماته القومية المتتالية"([30])؛ ولعلَّ ما زامن تلك الحركة المتمرّدة من أديب شابٍّ واعٍ كان له أثرٌ كبيرٌ في الإبداع الشبابي خاصة، ونحن نتحدّث وقتئذ عن قضية أمّة، ومصير شعوب لم يعد واضحاً، فها هو حبيب يبدأ في الفجر حيث انطلاقة الأشياء نحو الصباح، ويلازم حركته هذه باكتمال القصيدة والصلاة/ اكتمال التجربة الشعرية وقداستها، دليلاً على حركة حياة خاصة به، تتجاوز تجربة السبول الذي أوقف حياته بطلقة في الرأس؛ فهو متفاعل مع الحياة محبّ لتفاصيلها، مؤمن بأن الكلمة مصدر نقائها وديمومتها:

**أذان الفخر أكملتُ القصيدة والصّلاة**

**أطلّ تيسير السبول وقال:**

**كيف تطيق هذا اللّيل؟**

**خذها بغتةً في الرأس..**

**قلتُ: طلعتُ رغم جحوده قمرا**([31])

إنّ الحوار الذي يحكم النّصَّ السّابق هو مَنْ يستنطقه؛ فحبيب وجد ذاته بالليل نفسه الذي سكنه السبول؛ فبادر في نصّه ليقدّم رؤية السبول للخروج من المأزق المعيش بأن يطلق النار على رأسه بمجرّد أن حبيباً خرج من دائرة السوداوية إلى رحابة معالجات الموقف، بأن خرج رغم جحود الجاحدين قمراً يضيء الدروب، ويكشف حقيقة الليل، ويحيي العوالم الأخرى. ومن هنا لا يمكن أَنْ نغفلَ الربط بين اللفظة التي أتت على لسان حبيب "قمراً"، ناهيك عن إرادته في إثبات

لفظة الحوار (قلتُ)، وهذا يضعنا أمام موقفين يتفقان في رؤية المصير المحتوم لهذه الشعوب، ويختلفان في طريقة الخروج منه، ويشكل الضميران (أنت ↔ أنا) محرّكاً لفظياً للحوار.

وفي مشهد جديد تعلو نبرة المحاججة بين السبول وحبيب، ليظهر حبيب ثورته الحقيقية على طريقة السبول في معالجة قضاياه وقضايا أمته؛ فقد رفض الانتحار وثار عليه حينما قال:

**وأنت اخترتَ باباً للحقيقة غير بابي حينما واجهتَ نزف الحبر منتحرا**
**ولكني ذهبتُ إلى الحديقة إذ وجدتُ الأرض عارية لأكسوَ عريها شجرا**[32]

لقد شَرْعَنَ حبيب الموت للسبول (وأنت اخترت)، إلاّ أنه اعترض على الطريقة، بل ثار عليها، وتبدّى هذا الاعتراض الصريح من خلال الاستخدام اللفظي (أنت) الخاصّة بالسبول، و(لكني) الخاصّة به، ولنا أن نبحث في المعاني التي يُولّدها حرف الاستدراك "لكن"، وتظهر أولى الصور في المحاججة حينما واجه السبول نزف الحبر منتحراً، وهي صورة تنمي في تفاصيلها للمثقف؛ فجُمعَ بين الحبر والدّم، وكلاهما سائل وإنْ اختلفا في اللون، بينما أظهر وجهته في معالجة الأمر بذهابه إلى الحديقة ليكسوَ عري الأرض شجراً.

ولم تمضِ الصورة الأولى إلاّ قليلاً حتى فاجأه بصورة جديدة من الطبيعة نفسها في ردّه على سؤاله الذي يمثل ما انتهى إليه:

**لماذا لم تمتْ كالصقر؟**

**قلت له: رويدك أنت صقرٌ وابنُ عائلةٍ**

**ولكني سليل القمح سوف أموتُ حين يجفّ عشب الحقل تحت الشمس**

**حين أصوغ هذا الناي**

**من فوضاي**

**تنزيلاً على البيداء أو صورا**

**ونايي زائدٌ ثقبا**

**وقلبي ناقصٌ وَتَرا**[33]

لقد أشار حبيب هنا إلى أن بقاءه في هذا الكون مرهون باكتمال مشروعه وليس بغتةً كما فعل السبول؛ فربط بين حياته وشموخ القمح في الحقول، وبقاء أعشابها نضرة، فكأنه يقول: إنّي أنا الكلمة التي لا تموت، وستبقى تؤثر في الأجيال القادمة لأنّني صغتها لحناً عذباً وخالداً من جماله وفوضاه، ووثّق هذا كلّه بالناي الزائد ثقباً والقلب الناقص وتراً، وهما دلالة التوتر

والاضطراب عند حبيب، حيث شكّلا عنده حالة من عدم التوازن والاستقرار؛ لكنه بالرغم من هذا كله استطاع أن يبقى محافظاً على رؤيته للحياة والموت:

**تبسّم لي بوجه طيب**

**فغرقتُ في الإيقاع**

**وهو يعودُ للمجهول منبهرا**([34])

وما يؤكد صحة رؤيته نحو فكرة الموت والبقاء مقاتلاً بالسلاح الأبيض، وهي الكلمات التي لا يملك سواها، أن السبول أعجب بهذه الروح (الحبيبية)، وبهذا العمق في فهم طبيعة الأشياء عند حبيب، بل صوره نادماً على انتحاره، ومنبهراً من هذه الرؤية لديه، مما أعطى حبيباً دافعاً للاستمرار بطريقته في الكتابة، وفي معالجة لقضايا الكون والإنسان والوطن.

**الخاتمة**

وبعد، فقد توصلت الدراسة إلى نتائج عدّة من خلال الوقوف على تجربة حبيب الزيودي في موضوع قتل الأب الشعري، تلك الظاهرة النقديّة التي لم تأخذ مساحة في عالم النقد العربي اليوم، على تعدّدها واتّساعها، وكان أهم تلك النتائج ما يأتي:

1. لم يجار حبيبٌ عراراً والسبول في توجهاتهما الحادّة في قضايا الحياة.
2. اتسمت علاقة حبيب بالنقاد بالمواجهة حيناً وبالتغافل حيناً آخر.
3. تأثر حبيب الزيودي بالشاعرين عرار والسبول في تجربته، وأفاد من تجربتيهما شعرياً، وابتعد كثيراً عن مواقفهما من الكون والإنسان.
4. تجلّت ثورة حبيب على الأب الشعريّ بإعلانه استقلاله التام عن تجربة عرار الشعرية، فنّاً ومضموناً.
5. اعتمد حبيب على صياغات لغوية، وطرائق فنّيّة بعينها في ثورته على الأب الشعريّ؛ منها التكرار، وترادف المفردات، والجمل الاسمية.
6. انتهج حبيب في ثورته على الشاعر السبول نهجاً فلسفيّاً؛ فابتعد كثيراً عن مجاراة الألفاظ أو الوزن أو القافية.
7. خالف حبيب السبول في رؤيته للحياة والموت، بأنّ الكلمة ماضية في نفوس الناس، وربط هذا بدورة الحياة التي مثّلها بالعشب والشمس.

# Killing the Poetic Father: A Reading of Habib Al-Zyoudi's Poetic Experience

**Ismail S. Al Mazaidah,** *Language Center, The University of Jordan, Amman, Jordan.*

**Abstract**

The study aims to discuss the idea of killing the poetic father in the poetic experience of Habib Al-Zyoudi, a phenomenon that has not been covered enough in contemporary criticism even though it was as old as poetry itself. However, the phenomenon has been manifested nowadays due to time-space compression and the spread of modern technology. This phenomenon will be approached from three dimensions: revolution against critics of poetry, revolution against the poetic father (Arar), and revolution against Tayseer Al-Sboul's perspective of suicide.

The study concludes that Habib Al-Zyoudi has traced his own philosophical poetic path which has distinguished him from others in the way he views the universe and humankind. It also concludes that in Al-Zyoudi's revolution against the poetic father, he depends on particular language formulations and artistic methods, such as repetition, the sequence of words, and noun phrases. Not only has he gained the upper hand in his battle with Arar and Al-Sboul, but also he has depicted both Arar and Al-Sboul's satisfaction with his poetic experience as well as with his own view of the universe and humankind.

**Keywords**: Poetic Father, Revolution, Critics, Suicide, Habib Al-Zyoudi.

## الهوامش

1. الوردي، علي، مهزلة العقل البشري، ط2، دار كوفان للنشر، بيروت لبنان،، 1994، ص22.
2. طرابيشي، جورج، عقدة أوديب في الرواية العربية، الطبعة الثانية، دار الطليعة للنشر والتوزيع،، 1987، ص278.
3. ابن رمضان، فرج، أزمة التحديث وقتل الأب بين حسن نصر وعروسية النالوتي، مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين – تونس، ع 30-31، 1997، ص49.
4. المرجع السابق، ص39.
5. الزعبي، زياد، قراءات (مقالات ونصوص ثقافية)، سلسلة كتاب الشهر (36)، وزارة الثقافة عمّان، 2002، ص55.
6. لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تر.خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات،، 2001، ص237.

7. عبد الخالق، غسان، بين عرار وحبيب الزيودي: كيف أزاح الابن أباه؟ ورقة عمل مقدمة للحلقة الدراسية، جامعة فيلادلفيا، (عرار: قراءة جديدة)، 1999.
8. القيام، عمر، مئوية عرار... للشاعر حبيب الزيودي: متابعة نقدية، المجلة الثقافية، ع 47، الأردن، 1999، ص127.
9. الزيودي، حبيب، راهب العالوك حبيب الزيودي، الأعمال الشعرية الكاملة، قدّم لها واعتنى بنشرها عمر القيام، ط1، مطبعة الأطلال، عمان، 2015، ص369-370.
10. الزيودي،ص484.
11. الزيودي،ص30.
12. الزعبي، زياد، "قلق الشاعر ألق الشعر.. قراءة في شعر حبيب الزيودي"، ندوة بمنتدى عبد الحميد شومان، يوم الثلاثاء، 2012/12/11، 2012، ص3.
13. الزيودي،ص449.
14. الزيودي،ص459.
15. Bloom, Harold, The Anxiety of Influence: A Theory of Poetry, 2nd ed, Oxford: Oxford UP, 1997, p141.
16. انظر: الفاعوري، عوني، النّص الغائب في شعر حبيب الزيودي، جامعة قابوس، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، سلطنة عمان، مج2 ,ع8، 2014، ص115.
17. حوّر، محمد، أشتات: قراءات أدبية ونقدية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،، 2004، ص140.
18. الرويلي، ميجان وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبيّ، المركز الثقافي العربي،ط4، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص210.
19. حوّر، محمد، أشتات: قراءات أدبية ونقدية، ص159.
20. الزيودي، ص359.
21. الزيودي، ص359-360.
22. الصكر، حاتم، كتابة الذات: دراسات في وقائعية الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1994، ص86.
23. الزيودي، ص361.
24. الزغول، سلطان، تمثيلات الأب في العصر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 2009، ص98.
25. الزيودي، ص362.
26. العناني، زياد،لقاء مع الشاعر، صحيفة الغد، الملحق الثقافي، عمان، ع2، 1426، أيلول، 2005، ص5.
27. الزيودي، 362.

28. الشيخ، خليل، الانتحار في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص49.
29. السبول، تيسير، الأعمال الكاملة، تقديم سليمان الأزرعي، دار ابن رشد، بيروت، 1980، ص5.
30. المناصرة، عز الدين وآخرون، تيسير سبول (دم على رغيف الجنوبي) شهادات إبداعية، غاليري الفينيق للثقافة والفنون، عمان، (د.ت)، ص80-81.
31. الزيودي، ص380-381.
32. الزيودي، ص381.
33. الزيودي، ص381-382.
34. الزيودي، ص382.

**المصادر والمراجع العربية:**


حوّر، محمد، أشتات: **قراءات أدبية ونقدية**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.

الرويلي، ميجان وسعد البازعي، **دليل الناقد الأدبيّ**، المركز الثقافي العربي، ط4، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

الزعبي، زياد، قراءات (مقالات ونصوص ثقافية)، **سلسلة كتاب الشهر (36)**، وزارة الثقافة عمّان، 2002.

الزيودي، حبيب، **راهب العالوك حبيب الزيودي، الأعمال الشعرية الكاملة**، قدّم لها واعتنى بنشرها عمر القيام، ط1، مطبعة الأطلال، عمان، 2015.

السبول، تيسير، **الأعمال الكاملة**، تقديم سليمان الأزرعي، دار ابن رشد، بيروت، 1980.

الشيخ، خليل، **الانتحار في الأدب العربي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997.

الصكر، حاتم، **كتابة الذات: دراسات في وقائعية الشعر**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1994.

طرابيشي، جورج، **عقدة أوديب في الرواية العربية**، الطبعة الثانية، دار الطليعة للنشر والتوزيع، 1987.

لالاند، أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**، تر. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، 2001.

المناصرة، عز الدين وآخرون، **تيسير سبول (دم على رغيف الجنوبي) شهادات إبداعية**، غاليري الفينيق للثقافة والفنون، عمان، د.ت.

الوردي، علي، **مهزلة العقل البشري**، ط2، دار كوفان للنشر، بيروت لبنان، 1994.

**الدوريّات**

ابن رمضان، فرج، أزمة التحديث وقتل الأب بين حسن نصر وعروسية النالوتي، **مجلة المسار**، اتحاد الكتاب التونسيين – تونس، ع 30-31، 1997.

الفاعوري، عوني، النّص الغائب في شعر حبيب الزيودي، جامعة قابوس، **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية**، سلطنة عمان، مج2، ع8، 2014.

القيام، عمر، مئوية عرار... للشاعر حبيب الزيودي: متابعة نقدية، **المجلة الثقافية**، ع 47، الأردن، 1999.

**الرسائل الجامعية**

الزغول، سلطان، **تمثيلات الأب في العصر العربي الحديث**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 2009.

**الندوات**

الزعبي، زياد، "**قلق الشاعر ألق الشعر.. قراءة في شعر حبيب الزيودي**"، ندوة بمنتدى عبد الحميد شومان، عمان، يوم الثلاثاء، 2012/12/11.

عبد الخالق، غسان، **بين عرار وحبيب الزيودي: كيف أزاح الابن أباه؟** ورقة عمل مقدمة للحلقة الدراسية، جامعة فيلادلفيا، (عرار: قراءة جديدة)، 1999.

**المقالات:**

العناني، زياد، **لقاء مع الشاعر**، صحيفة الغد، الملحق الثقافي، عمان، ع2، 1426، أيلول، 2005.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 701- 738

# المتبقِّي في التراكيب الحديثيّة في ضوء نظرية الأفضلية: كتاب شواهد التوضيح لابن مالك نموذجاً

محمد نيزوان بن موسلينغ *

تاريخ الاستلام 2018/2/13 تاريخ القبول 2018/7/11

## ملخص

يرمي هذا البحث إلى تأكيد مشروعية المتبقّي في تراكيب الحديث الشريف، وإلقاء الضوء على كيفية استثمار نظرية الأفضلية في تفسير ذلك النوع من التركيب الخارج عن القاعدة العامّة. وأسفرت نتيجة البحث عن أنّ تفسير ذلك التركيب في ضوء هذه النظرية يتطلّب المعيارَين: معيار الأفضلية القواعدية ومعيار الأفضلية الاستعمالية، لقياس مدى التزام التركيب بعناصر الأفضليّة. وتبيّن من خلال تطبيق هذه النظرية أنه يمكن الاستغناء عن تفريع القاعدة، والتخلّص من إصدار الأحكام التدريجيّة، أو من الحكم بالتقبيح والتخطئة للتركيب غير القواعديّ، بل إنّه يمكن أن يعدّ من المتبقي أو الصيغ البديلة التي تتمتّع بالأفضلية الاستعمالية؛ إذ إنّ لها دوراً مهماً في عملية الإبلاغ والتأثير على نحوٍ لا يمكن للتركيب المنصاع للقاعدة أن يحل محلّه ليؤدّي وظيفته على أكمل وجه.

**الكلمات المفتاحية:** الحديث الشريف، الأفضلية القواعدية، الأفضلية الاستعمالية، الصيغ البديلة.

## المقدّمة

يعد الحديث الشريف مصدراً من مصادر السماع لإقامة قواعد النحو العربيّ، على الرغم من أنّ قضية الاحتجاج به في النحو العربيّ قد أثارت جدلاً حادّاً ومواقف متباينة بين الإنكار والتأييد في أوساط النحويين والدارسين قديماً وحديثاً، انطلاقاً ممّا تنبّه إليه ابن الضائع (ت 680 هـ) من أنّ النحاة الأوائل لم يحتجوا بالحديث في إثبات قاعدة نحوية؛ لكونه مروياً بالمعنى، ولعدم ثبوت ورود لفظه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم). وقد تبعه في ذلك أبو حيان الأندلسيّ (ت 745 هـ) الذي ردّ رداً حادّاً على ما قام به ابن مالك (ت 672 هـ) من الاحتجاج بالحديث في إثبات

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* كلية دراسات اللغات الرئيسة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM). وهذا البحث جزء من أطروحة الباحث للدكتوراه، قيد الإعداد، في اللغة والنحو بجامعة اليرموك، بعنوان: الأفضلية القواعدية والاستعمالية في كتاب شواهد التوضيح لابن مالك، بإشراف الأستاذ الدكتور يحيى عطية عبابنة.

القواعد العربيّة[1]. وهذا الرفض لعلتَين: أولاهما تجويز النقل بالمعنى، وثانيهما وقوع اللحن كثيراً في ما رُوي من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواة غير عرب ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو[2]. وأضاف محمد عيد إلى ذلك فكرة التحرُّز الدينيّ في ترك النحاة الاحتجاجَ بالحديث في النحو العربي[3].

ولعل ذلك ممّا يجعل بعض الدارسين يعرضون إلى حدٍّ ما عن معالجة التراكيب الحديثية، خاصة إذا كانت تخالف القاعدة العامة، وإن كانت روايتها صحيحة متواترة[4]، مع أنّ الدراسات النحوية الحديثة قد أثبتت أنّ ما قاله ابن الضائع وأبو حيان ومن معهما يُجانب الصحيح، فإنّ النحاة الأوائل قد احتجّوا بالحديث وإن كانوا لم يصرّحوا به وعلى القلة[5] في علمَي النحو والصرف[6]. ولذا، ينبغي ألّا تُهمَل تراكيب الحديث الشريف بوصفها مادةً لغويةً، كالمواد اللغوية المسموعة الأخرى، تصلح لدراستها دراسة علمية في ضوء معطيات علم اللغة المعاصر وفقاً للمنهج الوصفيّ الذي لا يستثني أيَّ شريحة من الشرائح الاستعماليّة اللغوية، لا سيما إذا كان الحديث المدروس ضمن الأحاديث المدوّنة في بطون الكتب في الصدر الأول وإن اختلفت فيها الرواية[7]، أو ضمن الأحاديث المتواترة، وإن كان الرواة رَوَوْها بالمعنى لأنّ لفظهم المغيَّر إليه وَقع قبل تدوين الأحاديث؛ أيْ في زمن الاحتجاج بلغة هؤلاء الرواة[8]، فلم يقع أيُّ تغييرٍ عليه بعد التدوين، إضافةً إلى أنّ التشدُّد في الضبط والتحرِّي في نقل الأحاديث شائعٌ بين النَقَلَةِ والمحدِّثين[9].

انطلاقاً مما تقدَّم، فإنّ هذا البحث يرى صلاحية إجراء الدراسة العلميّة حول البنية التركيبية لشواهد الحديث النبويّ الشريف، حتى وإن كانت لا تتّسق مع القواعد؛ إذ ليس ثمة سببٌ علميّ مُقنع لاستثناء هذه الأداءات الحديثية من مسار البحث اللغويّ الجادّ، ما دامت تتمتّع باستعماليتها الواقعية في بيئاتها المختلفة، ولها نظائر من القرآن الكريم وقراءاته وكلام العرب الذي يُحتَجُّ به شعراً ونثراً. وهذا ممّا سيبرهنه هذا البحث لشواهد الحديث النبويّ المتمثّلة في كتاب شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك (ت 672 هـ)[10] لكونه أوّلَ مَنْ أكثرَ من الاحتجاج بالحديث النبويّ في إثبات القاعدة النحويّة، وخصّص كتاباً مستقلاً له – وهو هذا الكتاب - بما يتوافق والمنهج العلميّ الحديث الذي لا يقلّل من شأن أيِّ شريحة لغوية لدراستها دراسة جادّة. غير أنّ هذا البحث يقتصر على البنى التركيبية للشواهد الحديثية التي يقع فيها الذكر الذي لا تجيزه القواعد، أو حكم النحاة على مثل ذلك بالضرورة أو الشذوذ.

## مشكلة البحث وأسئلته

ينطلق هذا البحث من مُشكلته الأساسيّة التي تكمن في إمكانية خرق الأداءات اللغوية الحيّة لأهم بنود القواعد الكلية (Universal Grammar: UG)؛ إذ إنّ الفرضيات الأساسية التي تتبنّاها

جميع النظريات اللِّسانية السابقة، أيْ قبل نشوء نظرية الأفضلية (Optimality Theory: OT) تقول إنّ القواعد الكلية (UG) في كل اللغات البشرية لا يمكن بحال من الأحوال انتهاكُها[11]. فينطبق الأمر كذلك على اللغة العربية ليفترض أن تكون قواعدها الكلية مطردةً في جميع صور الأداء اللغويّ. ولكن الواقع الاستعماليّ للغة لا يسير دائماً مع القواعد كما تُثبته أداءاتُ اللغة العربية الحيّة. وذلك كله يطرح لنا تساؤلات عدة: هل ما زلنا نستطيع أن نعالج الأداءات الحديثية النبوية التي تخرج على القواعد العامة في ظلّ القواعد المعياريّة القياسيّة؟ وكيف نستثمر نظرية الأفضلية في معالجة هذه الأداءات على مستواها النحويّ التركيبيّ؟ وتتفرَّع من المشكلة الأساسية السابقة مجموعة من الأسئلة الآتية: ما صور المتبقي في قضايا الزيادة غير القواعدية في شواهد الحديث النبوي الشريف المتمثّلة في كتاب شواهد التوضيح لابن مالك؟ وما عناصر الأفضلية القواعدية والاستعمالية التي حقّقتها تلك الأحاديث النبويّة وما لم تحقّقها؟ وهل للتراكيب الحديثية غير القواعدية نظائر من الكلام العربيّ المنظوم أو المنثور؟ وما أثر تلك التراكيب في إنتاج الصيغ البديلة (Alternative Forms) تركيبياً ودلالياً؟

## منهج البحث

تقتضي طبيعة هذا البحث المنهج الوصفيّ التحليليّ؛ ليصف الظاهرة اللغوية التي ينطبق عليها مفهوم المتبقي الذي يعنيه البحث وصفاً دقيقاً، وإعداد ما يمكن من درجات القواعدية في جدول الأفضلية وفقاً لنظرية الأفضلية لقياس مدى انسجام الشاهد مع القواعد أو خروجه عليها. وكما أنه لا يتوقف عند الوصف التقريريّ، بل يسعى جاهداً إلى إيجاد تفسير المتبقيّ في توضيحه حسب البنية التركيبية للأداء وما تقتضيه ظروف القول.

## مفهوم المتبقِّي في الدرس اللغويّ ومشروعيته في العربيّة

لعل ما درج عليه النحاة من الأداءات اللغوية غير القواعديّة ضمن "الشاذ"، أو "الضرورة الشعرية" التي لها نظير في سعة الكلام، أو "لغات"، هو ما يندرج كثيرٌ منه تحت ما يُسمَّى في الدرس اللغويّ المعاصر بالمُتبقّي عند العالم الفرنسيّ جان جاك لوسركل في كتابه (عنف اللغة). وهو يعنى بمجموعة من الأداءات اللغوية الصادرة عن أبناء اللغة التي لا تشكِّل وضعاً مُريحاً لقواعد النحو السوسيريّ المهتمة بالدرجة الأولى بنظام اللغة (Langue)، ثم الكلام (Parole) والمُهملة إلى حدٍّ بعيدٍ جانبَ الأداء اللغويّ خارجَ ذلك النظام، أيْ المتبقي (La langue). فمفهوم المتبقي يتمحور في أنه الأداء اللغويّ الذي يروغ من قواعد النحو ويتفلت من قوانين الألسنية، مما يُغني اللغة ويرفدها ولا ينقض عُراها كما يراه لوسركل[12]. ومع ذلك، يعرض اللغويون عن دراسته دراسة جادةً، على الرغم من أنه ينبغي أن يكون على مستوى واحد من القيمة بالنسبة إلى دارس اللغة؛ لكونه جزءاً أصيلاً من اللغة، بل إنّ الكثير من الأنشطة الإبداعية في اللغة تقع في هذا

الجانب كما ذهب إليه لوسركل. وينسجم المتبقي كذلك مع طبيعة اللغة؛ إذ يحقّق مبادئ المقبولية اللغوية المتمثلة في الاستعمال الفعليّ عند أبناء اللغة، ولا يسبّب اللبس في المعنى، ويكون شاهداً على المسار التاريخيّ لقواعد اللغة وتراكيبها، وعلى حيوية اللغة وقدرتها على تأدية وظائفها كنقل الأفكار والمعلومات، والتواصل، والتعبير عن العواطف والمشاعر، ورد الفعل الكلاميّ في سياقٍ ما[13].

أما مشروعية المتبقي في اللغة العربية فهي أمر يشهده الواقع الاستعماليّ للغة. وله خصائص تجعله مختلفاً عمّا يُسمَّى بالضرورة الشعريّة، فالمتبقي ليس مختصاً بلغة الشعر دون النثر؛ لما عُثِر على عدد غير قليل مما عُدَّ من الضرائر الشعرية في النصوص غير الشعرية[14]. لذلك، يرى يحيى عبابنة أنّ المتبقِّي في اللغة العربية ينبع من واحد من البنود الآتية[15]:

**البند الأول:** يكون المتبقي من المساحة الحرّة التي تتيحها اللغة لأبنائها، حيث يجوز لهم أن يمارسوا هذه الحرية، مما يمكّنهم من أن يقولوا ما يريدون في حدود ما تسمح لهم تلقائية الأداء غير الواعي.

**البند الثاني:** يكون المتبقِّي من الضرائر الشعرية في الأصل، ولكنها تسرَّبت من لغة الشعر إلى لغة النثر.

**البند الثالث:** تسرُّب لغة الاستعمال اليوميّ أو الشعبيّ (أدب القبيلة) إلى لغة الأداء الفصيح (اللغة الأدبية المشتركة)[16]. غير أنّ النحويين أنفسهم لم يفرّقوا بين هذين المستويين من الاستعمال (المستوى اللهجيّ ومستوى "اللغة الفصحى") في المستوى النحويّ خاصةً إلاّ بعض القضايا النادرة كقضية "ما الحجازية" و"ما التميمية". ويعدّ الرجز المصدر الأول من مصادر هذا التسرّب، وإن لم يكن الوحيد، لأنه يعد بحق أكثر أصناف الأداء اللغوي قرباً من الروح الشعبية، فهو بمثابة الزجل في هذه الأيام[17].

غير أنَّ هذا البحث يرى أنَّ القول بأنَّ المتبقي يختصّ بالأداء اللغويّ التلقائيّ غير الواعي، فيه نظر؛ إذ قد يشمل ما هو واعٍ، خاصة إذا كان من أداءات القرآن الكريم والحديث النبويّ الذي يؤدّي وظيفة التخاطب والإبلاغ والتأثير. فالحديث النبويّ القوليّ الخارج على القاعدة النحويّة لا يمكن حمله على الأداء غير الواعي؛ لِما يتميّز به من كونه وحياً من الله إلى الرسول (صلى الله عليه وسلّم)، فهو يحمل الحقائق الدينيّة التي لا تخضع للظواهر اللاّشعوريّة. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٣ – ٤). وكذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو في قَولَه: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلم) أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِن رَسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلم)، وَرَسُولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم) بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الغَضَبِ والرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ

عَنِ الكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ (صلَّى الله عليه وسلم)، فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: "اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا يَخرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ"[18]. وتبيّن أنّ المتبقي في الحديث الشريف له خصوصيته على الرغم من أنّ وجه الخرق القواعديّ فيه قد نجده أيضاً في نظائره من كلام العرب الشعريّ والنثريّ.

ويجدر التنويه إلى أنّ المتبقي مرتبط بتأدية الدلالة المعيّنة في الكلام، مما لا يمكن النحو الشكليّ أن يؤدّيَها بصورةٍ يُريدها ممارِسو هذا الجانب من اللغة. ولذا، يرى يحيى عبابنة أنّ المتبقي هو ما يصلح للتفسير النصيّ القائم على السياق لا على القاعدة، فهو تفسيرٌ للشواهد اللغوية التي تكون خارجَ معيار القواعدية لأنّها تتعارَض مع القواعدية نفسها[19]. ولكنّ هذا البحث يرى أنّ ما قاله عبابنة صحيح إذا ترجّحَ أنّ الأداء ينتج عن حالةٍ من حالات اللاوعي للإنسان؛ إذ لا يخضع كلامه وقتَئذٍ لأيّ معيار ولا ضابط. وأما الحديث الشريف فهو أمر يختلف قليلاً لخصوصيته كما أشرنا إليه سابقاً، فإنّ المتبقي فيه قد يكون بالتأثير العاطفيّ، أو غيره من الدوافع.

ومن شواهد الحديث الشريف التي يمكن تصنيفها ضمن المتبقي، الحديثان اللّذان أخرج أحدهما البخاري في كتاب الأَيْمَان والنُّذور، باب كيف كانت يَمِينُ النبي (صلى الله عليه وسلّم)، وأخرج الآخر مسلم في كتاب الهِبَات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهِبَة. وهما يخصان قضية استعمال أداة الجواب (بَلَى) موضع الأداة (نَعَمْ) في جواب الاستفهام الموجَب.

ونص الحديث في صحيح البخاري هو: قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه:

**"أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَفَلَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ"**[20].

وأما نص الحديث الآخر في صحيح مسلم فهو كالآتي:

قال (أبو النُّعْمَان بن بَشِير): **يَا رَسُولَ اللهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ كذا وكذا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: "أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعمانَ؟" قَالَ: لاَ، قَالَ: فَاشْهَدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي. ثُمَّ قَالَ: "أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذًا"**[21].

فتقتضي القاعدة النحويّة الإجابة في الحوار السابق (الذي تحته خطّ) بأداة الجواب (نَعَمْ) لأنّها تقع بعد الاستفهام المُوجَب للدلالة على تصديق الثبوت، فيمتنع دخول (بَلَى) لأنّها لا تقع جواباً لهذا النوع من الاستفهام[22]، كما أنّ الأداة (نَعَمْ) مستعملة في الحديث الذي أخرجه

البخاري في كتاب الرِّقَاق، باب (كيف الحَشْرُ)، ونص الحديث الموافق للقاعدة: **"أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ"**[23]. ولكن الأداة التي استُعملت في الحديثين السابقين الواردين في سياق الاستفهام الموجَب ليست بـ (نَعَمْ)، وإنما هي أداة الجواب (بَلَى) التي وُضعت ليُجابَ بها عن النفي سواء اقترنت به أداةُ استفهام أو لا، وهي تفيد إبطال النفي[24]. ومهما يكن من أمر، فإنَّ هذا الواقع الاستعماليّ يؤشّر على أنَّ اللغة العربية تحوي نمطين من الجملة: الجملة القواعدية (موافق للقاعدة، ويكفيها التفسير القواعديّ)، والجملة غير القواعدية (اختل فيها شرط من شروط القواعدية) التي يؤدّي إليها غياب المطابقة بين القواعد والاستعمال، وتحتاج إلى التفسير النصيّ؛ لارتباطه بالجانب الدلاليّ في المقام الأول.

والملحظ الآخر في الحديث الأول السابق أنَّ إعادة السؤال الذي طرحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالاستفهام المقرون بالنفي، ثم أجاب عنه الصحابة رضوان الله عليهم بـ (بَلَى) لا يمكن أن تكون دليلاً على سهوهم في الإجابة الأولى، أو على أنَّ استعمالهم اللغويّ فيه خطأ أو لحن ليذكّرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما هو صحيح قواعدياً. وذلك لأنَّ مضمون السؤال الثاني يختلف عن الأول، إذ كان الثاني في أن يكون الصحابة ثلث أهل الجنة، في حين كان الأول في أن يكونوا ربع أهل الجنة. ومن ثم، لم نجد أيضاً الرسول (صلى الله عليه وسلم) كرّر صياغة السؤال في الحديث الذي رواه مسلم سابقاً لتكون صياغة إجابة أبي النُّعْمَان موافقةً للقاعدة النحوية العامة. ولذا، فإنّه يمكن أن نقول إنَّ كلا الاستعمالين صحيحان لتحقيقهما المقبولية أو أفضلية الاستعمال (Linguistic Usage Optimality) على الرغم من أنَّهما اخترَقَا عنصراً واحداً من عناصر الأفضلية القواعدية (Grammatical Optimality)، فهو في صياغة الإجابة عن الاستفهام الموجب بـ (نَعَمْ).

وفوق كل ذلك، استعمال الأداء غير القواعديّ في الحديثين السابقين بالصحيحين (من لغة النثر) يكون دليلاً لغوياً على نفي ربط هذه القضية بالضرورة الشعريّة كما يراه بعض النحويين[25]، إذ لا ضرورةَ في سعة الكلام، بل هي من قبيل المتبقّي (*La langue*) لارتباطه بالدلالة؛ لأنَّ الحديث السابق يحمل نوعاً من تمنّي الخير للمسلمين. وفي الوقت نفسه، يعدّ تركيب الحديث من الصيغ البديلة (Alternative Forms) المتاحة للمتكلّم بغضّ النظر عن بيئته الاستعماليّة.

## نظرية الأفضلية مفهومها وعلاقتها بالمتبقّي

يتضح مما تقدّم أنَّ النحو العلميّ لا يتجاهل وجودَ المتبقي، إلاّ أنه يُهمله ويضعه تحت باب ما يسمّى "الشذوذ" أو "الاستثناءات". وبهذا المعنى، فإنّ الاستثناءات هي انحرافات مؤقّتة لم يجرِ تفسيرُها بعدُ بحسب النظريات اللسانية الراهنة[26]، إلى أن جاءت نظرية الأفضلية (Optimality Theory: OT)؛ لأنَّها تنطلق من مبدأ أنّ القواعد قابلة للانتهاك. فالأفضلية في

هذه النظرية لا تعني الناحية التفضيلية من حيث التداول أو المفاضلة الذوقيّة بين أصناف التركيب اللغوية، ولكنها مسألة عملية تتعلّق بقياس درجات التزام التراكيب الاستعمالية المتنافسة بشروط القواعدية، فالتركيب اللغويّ الذي يستأهل أن يُتوّج بالمخرج الأفضل (Optimal Output) هو التركيب الذي حقّق شروط القواعدية أكثر ممّا حقّقه النمط الآخر (أكثر انسجاماً مع القواعد)، أو أنّه (الأفضل) هو ما انتهك أدنى شروط القواعدية مقارنة مع متنافسه من الأنماط الأخرى[27]. وعلى ذلك، يُمكننا قياس مدى بُعد المتبقّي في تركيب الحديث الشريف عن شروط القواعدية.

ولذا، فإنّ هذا البحث يَعدّ المتبقّي مدخلاً لنظرية الأفضلية (OT) لأنّ الشرط الأساسيّ لتطبيق هذه النظرية على لغةٍ ما في مستوياتها المختلفة يجب أن يتوافر فيها تعدّد الصور الاستعماليّة للأداء اللغويّ الواحد، وبعضها تنتهك شرطاً أو أكثر من شروط القواعدية. ونتيجة لذلك، نجد أنّ هذه النظرية في اللغات الأوروبية كاللغة الإنجليزية، وفي اللغات الأسترونيسيّة كاللغة الملايوية، تصلح للمستوى الفونولوجي للغة أكثر من غيره من مستويات التركيب اللغويّ. فمحدودية القواعد التركيبية فيها قد أدّت إلى الندرة في الصور التركيبية المتاحة للنمط اللغويّ الواحد، بحيث تكون هذه الصور المتاحة خاضعة للخطأ والصواب فقط[28]. ومن ثمّ، لا نجد أنّ هذه النظرية تُطبَّق كثيراً على المستوى النحويّ التركيبيّ لتلك اللغات. وأما الأمر في اللغة العربية فهو على غير هذا كما سنوضّحه لاحقاً.

ظهرت نظرية الأفضلية عام 1993م منطلقةً من انتقادات للمدخَلَين: القيود (القواعد)، والإطلاق (الاستعمال) للنظريات اللغوية السابقة. وكانت هذه النظرية التي جاء بها ألان برينس (Alan Prince) وباول سمولنسكي (Paul Smolensky) تمثّل أهمّ التطويرات التي سبقت البرنامج المصغَّر (Minimalist Programme) لتشومسكي بعدما اعترف فيه ونفى مسألة البنيتين العميقة والسطحية والجانب العقلانيّ نفياً واضحاً. وتقوم هذه النظرية على خمسة مبادئ؛ وهي[29]:

1- **العالمية (Universality)**، وهي تعني إمكانية تطبيقها على لغات البشر الطبيعية جميعها. ومن القواعد العالمية المشتركة على المستوى النحويّ مثلاً النظر إلى الإسناد في الجملة، فهو عنصر لا بد من توافره فيها.

2- **قابلية الانتهاك (Violability)**، ويعني هذا المبدأ أنّ قواعد التركيب أو القوانين التي تحكمه قابلة للانتهاك. ومن هنا يكون الحكم على اختراق القواعد من أجل تدريجها وفق الأفضلية القواعديّة.

3- **الترتيب (Ranking)**، ويفيد هذا المبدأ أنّ التراكيب المدروسة تخضع للترتيب أو التدريج من حيث التزامها بشروط القواعدية التي تخضع أيضاً للترتيب حسب أهميتها في النظام

اللغويّ للغة ما. ولذا، فإنّ النمط اللغويّ الذي يلتزم بالقواعدية التزاماً تاماً أو الذي يخترق أدنى شروط القواعدية هو الذي يحتل أعلى درجات الأفضلية أو ما يطلق عليه المترشّح الأفضل (Optimal Candidate).

4- **الشمولية (Inclusiveness)**، وهي تعني أن تكون النظرية قادرة على وصف الظاهرة المعنية في معظم أبعادها ووجوهها المختلفة. ويذهب أصحاب هذه النظرية إلى أنّ الأفضلية تفسّر الظاهرة تفسيراً أجدى من غيرها. فالنظرة العربية التراثية مثلاً تذهب إلى تدريج الأنماط التركيبية و"غير التركيبية" إلى شاذّ ومطّرد منسجم مع القاعدة[30]. ولكن الأفضلية تقيس مدى الاطراد أو الخروج عن جزئيات القاعدة قياساً دقيقاً أكثر من النظرة التراثيّة، وهذا من وجهة النظر هذه أدقّ وأفضل.

5- **التوازي (Parallelism)**. عند عرض التراكيب وفقاً لجداول الأفضلية التي تصنّف النمط وفقاً للعناصر القواعدية، فإن هذا المبدأ هو الذي يحكم ترتيب القيود القواعدية، وما إذا كان هذا الترتيب يفي بمجموعة الصيغ والتراكيب.

وأما مكوّنات النظام اللغويّ وفقاً لهذه النظرية فهي تقوم على ثلاثة عناصر؛ وهي: المعجم المدخل (Lexicon)[31]، والمولّد (Generator: GEN)، والمقوِّم (Evaluator: EVAL). ولعل أهم ما يميّز هذه النظرية عن النظريات اللسانية السابقة لها كالنظرية التوليدية التحويلية هو تفعيل مبدأ ثراء القاعدة (Richness of the base) في بنية الدخل وكذلك المولّد، وهو المبدأ الذي ينصّ على أنه لا يمكن فرضُ أي قيودٍ عليهما. نتيجة لذلك، فإنّ للمولّد (GEN) قدرة هائلة مطلقة على توليد قائمة مفتوحة غير نهائية من المترّشحات، أيْ الصيغ اللغوية الممكنة والمنطقية والمقبولة لغوياً (الصحة اللغوية لا النحوية) لأيّ مدخل معطى (Lexicon) دون أدنى قيد أو شرط، أي بكل حرية وإبداع. وهذه الخاصية (حرية التعبير وخصوصية الإبداع) خاصية مبدعة في الأساس، بإمكانها أن تضيف عنصراً، أو تحذف آخر، أو تعيد العناصر البنيوية من جديد في حدود ما تسمح به اللغة لا القواعد الصارمة. وأما المقوِّم (EVAL) فهو المكوّن الذي يأخذ على عاتقه مهمةَ تدريج التراكيب اللغوية حسب درجاتها التلاؤمية مع نسق القيود الكونية لاختيار أنسبها كمخرج أفضل (Optimal Output)[32]. وهذا المكوّن يمكن أن تستقل به لغة عن لغة أخرى، فهو يراعي خصوصية القواعد، فقواعد الإسناد في اللغة العربية تختلف عن مثيلتها في اللغة الإنجليزية، إذ إننا نجد نوعين من أنواع الإسناد في اللغة العربية، ولكننا في الإنجليزية لا نجد غير نوع واحد. وعندما يضع المقيّم درجات التراتبية والقيود القواعدية فإنه ينظر إلى خصوصية هذه القواعد[33].

وتقوم أهم أفكار هذه النظرية تحليلياً على عرض الأنماط التركيبية اللغوية على مجموعة من العناصر القواعديّة. فإذا ما تحقّقت هذه العناصر فإنّ النمط يكون قد حقّق المثالية القواعدية والاستعمالية، مما يعني أنه حقّق شرط الأفضلية. وأما إذا اختلّ عنصر من عناصر الأفضلية فإنهم (المُحلّلين) يضعون تحت خانة العنصر إشارة (x) لتدل على هذا الاختلال. وترتّب هذه العناصر ترتيباً يشير إلى أهمية كل عنصر. فإذا اختل العنصر الأكثر أهميةً ووضعت إشارة (x) تحته، فإنه لا فائدة من وجود العناصر الأخرى، ولكن القاعدة قد تتسمّح ببعض الأداءات المبتذلة قواعدياً على ألاّ تكونَ من العناصر المهمّة أو الأساسية التي تؤدّي إلى الاختلال التركيبيّ الذي يفقدها شروط الصحة[34].

## الأفضليتان في العربيّة: القواعدية والاستعمالية

أشار هذا البحث سابقاً إلى أنّ إمكانية تطبيق هذه النظرية على لغات البشر الطبيعية في المستوى الفونولوجي أكثر من المستوى النحويّ التركيبيّ، إلاّ أنّ الأمر في اللغة العربية على غير هذا؛ لما تتمتع به من صور متعددة للأداءات اللغوية على المستوى النحويّ التركيبيّ. وكل ذلك أداءٌ لغويّ جائز صحيح ما دام يحقّق الأفضلية الاستعمالية، على الرغم من أنّ علماء العربية لم يهتموا كثيراً بأنّ الاستعمال ذو أفضلية تختلف عن الأفضلية القواعدية. ويرجع تعدّد صور الأداء التركيبيّ في العربية إلى سببَينِ رئيسَين[35]: أولهما أنّ عمر اللغة العربية طويل جداً مما لا يمكن أن يخضع لقياس دقيق. وتراث العربية قبل الإسلام وبعده وطيلة المدة الحرّة من عمر العربية تراث غنيّ متعدد الأوجه حتى وصلت العربية إلى مرحلة القيد اللغويّ. وثانيهما أنّ الرقعة الجغرافية التي تفاعلت عليها العربية ليست بالرقعة التي يمكن حصر مظاهر الاستعمال فيها، إذ تشمل معظمَ أجزاء الجزيرة العربية، والعراق، والشام، وأجزاء أخرى من البلاد المجاورة.

وهذه الظروف كلها مما تؤثّر في طبيعة عمل القوانين اللغويّة التي تتحكّم في تشكيل الصيغ العربية على هيئتها المستعمَلة في المستوى التواصليّ بين أبناء اللغة. لذلك، فإنّ تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية في مستواها النحويّ التركيبيّ ينبغي أن يقوم على ازدواجية الأفضلية. وذلك لأنّ العربية تتميّز بالعمر الطويل الذي مكّن القوانين اللغويّة التحويلية من العمل فيها عملاً يتراوح بين الإلزام والاختيار، غير أنّ كثيراً من هذه القوانين تمتاز بالاختيارية، أيْ أنّ عمل القانون لا يكون إلزامياً، بل قد يعمل مرة ولا يعمل أخرى، أو أنّه قد يعمل عند شريحة استعمالية ما، ولا يعمل عند الشريحة الأخرى، كما أنّ هذه القوانين قد تكون متفرّعة ولا تمتاز بالانفرادية في عملها، فينتج عن هذا كله تعدّدُ الصيغ الاستعمالية. وأما إذا كانت القوانين عملت عملاً إلزامياً فإنها تنتج صيغة جديدة تحل محل الصيغة الأصلية التي ستنتهي من الاستعمال الفعليّ دائماً.

ولذا، فإنّ أغلب مجالي وجود الصيغ البديلة هو مجال عمل القانون عملاً اختيارياً؛ لأنه حين يحدث ذلك فإنه سينتج صيغة استعمالية جديدة تستعمل مع الصيغة الأصلية أو الأخرى، وقد تتفوق عليها في عملية التداول والتواصل، وقد تتعدّد الصيغ بسبب تدخّل أكثر من قانون من القوانين التحويلية. ثم قد تكون هذه الصيغ غير قواعدية مما نطلق عليها مصطلح الصيغ البديلة في مقابل وضع الحد الفاصل الذي لم يكن واضح المعالم في التطبيق بين "اللغة" و"اللهجة" بنسبة الكثير من الأداءات غير القواعدية إلى التباين اللهجيّ، لا سيما إذا وُجد التغاير والتعدّد في نسبة النمط غير القواعديّ إلى أكثر من قبيلة، وهذا يعني في النهاية أنّ النمط ليس لهجة قوم بأعيانهم، ولكنه استعمال عام ورد في بيئات لغوية مختلفة، وهذا يعني صيغة اختيارية أو بديلة[36]. فتقوم فكرة الصيغ البديلة على أنها من الصيغ الاستعمالية المتاحة للمتكلم بغض النظر عن البيئات الاستعمالية، إذ من الممكن أن يكون وارداً في البيئة الاستعمالية الواحدة، أو أنّ المتكلّمين في بيئاتهم المختلفة يمكن أن يستعملوه[37]. وعندها أيضا، تلتقي "الصيغ البديلة" مع "المتبقي" المشار إليه في الفقرات السابقة على كونهما غير قواعديتين، على الرغم من أنّ المتبقي في الأصل ناجم عن عمل (اللاوعي) في إنتاج اللغة، ولا يحكمها ضابط، ولكن يحكمها الانفعال والعاطفة والانصياع (لوضعه اللغويّ) عند إنتاج النمط اللغويّ. وهذا كله هو الذي يدفعنا إلى القول إنّ العربية ينبغي أن تُعامَل في ضوء نظرية الأفضلية بمعيارَينِ، هما: الأفضلية الاستعمالية، والأفضلية القواعدية.

**(1) الأفضلية الاستعماليّة (Linguistic Usage Optimality)**: هي الأفضلية التي تنفرد بها العربية لما تتميز به من تعدُّد الصور الاستعمالية على المستوى النحوي التركيبيّ، نتيجة لعمر العربية الطويل ولعمل القوانين اللغوية عملاً اختيارياً لا إلزامياً مما ينتج عنها الصيغ التركيبية غير مكتملة للعناصر القواعدية، وقد أطلقنا عليها مصطلح الصيغ البديلة أو الاختيارية. وتتحقّق الأفضلية الاستعمالية للتركيب اللغويّ بتحقيق المقبولية الاستعملية الصادرة عمّن يُحتج بكلامهم (ابن اللغة)، وبتحقيق الشرط الاستعماليّ الزمانيّ (لغاية 180هـ) والمكانيّ (مواطن البداوة) كما حدّده النحاة.

**(2) الأفضلية القواعدية (Grammatical Optimality)**: هي الجانب القواعديّ الذي تشترك فيه العربية مع اللغات الأُخرى. وللأفضلية القواعدية العربية عناصرُ يستخلصها الباحث من الحدود والمفاهيم النحوية. وهي تحتوي على ضربين من العلامات؛ العلامات الجوهرية والعلامات الشكلية. فالعلامة الجوهريّة هي العلامة الأكيدة التي لا يمكن أن ينتج عنها خلاف بين الباحثين، ويدركها أبناء اللغة بحسهم اللغويّ وتواصلهم فيما بينهم، كمعرفة أن الفاعل هو مَنْ أوقع الفعل أو وقع الفعل منه. وأما العلامات الشكليّة فهي العلامات التي يمكن أن تنطبق على التركيب المراد بحثه، ولكننا من الممكن أن نختلف في ماهيتها وانطباقها عليه،

وقد تنطبق على غيره أيضاً، وهي مجال رحب للخلاف، علماً بأن العناصر القواعديّة تتفاوت من باب نحويّ إلى آخر.

**المتبقّي وعناصر الأفضلية في قضايا الزيادة غير القواعديّة**

تطبيقاً لما سبق، يعالج البحث بعض الشواهد الحديثية التي أوردها ابن مالك في كتابه (شواهد التوضيح). وهو ما يخص قضايا الذكر غير القواعدي، أي التي لا تجيزها القاعدة في الزيادة. وذلك كالآتي:

- **اقتران خبر المبتدأ (الاسم الموصول) المعيّن بالفاء**

قرّر النحاة أنّ دخول الفاء على الخبر يكون جائزاً في غير ما بعد (أَمّا)، وأما بعد (أما) فهو واجب[38]، إلاّ أنهم اختلفوا في وضع قيودٍ تُسوِّغ اقتران خبر المبتدأ بالفاء جوازاً[39]. وأما القاعدة العامة فتنصّ على أنّ دخول الفاء على خبر المبتدأ وهو الاسم الموصول جائز، إذا كان المبتدأ مبهماً عاماً فيه معنى الشرط، والخبر فيه معنى الجزاء، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (البقرة: ٢٧٤)، وكقولك: (الذي يأتيني فله درهمٌ)، ولو قلت: (زيدٌ فله درهمٌ) لم يجز. إذن، هذه الفاء شبيهة بفاء جواب الشرط[40]. غير أنّ الفراء وجماعة من النحاة كالأعلم والزجاج أجازوا دخول الفاء على خبر المبتدأ، إذا كان أمراً أو نهياً، بعدما لاحظوا أنّ الفاء قد دخلت على الخبر في تراكيب ليس فيها معنى الجزاء. كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ ﴾ (ص: ٥٧)، وقول الشاعر عَدِيّ بن زيد العبادي:

**أرَواحُ مُوَدَّعُ أم بُكُورُ  أنتَ فَانْظُرْ لأيِّ ذاكَ تَصِيرُ**[41]

ومع ذلك، وجد شاهد في الحديث الشريف لا يسير على ما قرّرته القواعد السابقة، وهو قول الملِكَين – هما جبريل وميكائيل عليهما السلام[42] - للرسول (صلى الله عليه وسلّم) في منامه: **"الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ رَأْسُهُ فَكَذَّابٌ"**[43]. ويمكن قياس مدى خروج هذا التركيب الحديثيّ على قاعدة دخول الفاء على المبتدأ (الاسم الموصول) الشبيهة بفاء الجزاء (جواب الشرط) في جدول الأفضلية الآتي:

**جدول الأفضلية رقم (1):** عناصر الأفضلية القواعدية والاستعمالية للفاء الداخلة على خبر المبتدأ

| التركيب اللغويّ | الأفضلية القواعديّة | | | | الأفضلية الاستعماليّة |
|---|---|---|---|---|---|
| | الجوهريّة | الشكليّة | | | |
| | الإفادة | كون المبتدأ مبهماً عاماً يفيد الاستقبال | يتضمّن المبتدأ معنى الشرط | الخبر فيه معنى الجزاء | |
| 1) الذي تراه يشق رأسه فكذّاب (مفروض) | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ |
| 2) الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ رَأْسُهُ فَكَذَّابٌ | ✔ | ✘ | ✘ | ✘ | ✔ |

يشير الجدول أعلاه إلى أن التركيب الحديثيّ السابق (الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ رَأْسُهُ فَكَذَّابٌ) قد اخترق جميعَ العلامات الشكلية لقاعدة الفاء الداخلة على خبر المبتدأ (الاسم الموصول) كما رمزنا لها بإشارة (✘) تحت كل تلك العلامات أو العناصر. واختراق هذا الأداء لتلك العلامات الشكليّة جميعها يؤكّد ما يحاول هذا البحث إثباته، وهو أنّ العلامات الشكليّة هي العلامات النحويّة التي يمكن أن تنطبق على الأداء اللغويّ، وألاّ تنطبق عليه في استعمالات أخرى صحيحة، مما يتسبَّب في الخلافات بين النحويين إلى درجة لا يسوّغ؛ وذلك لأنّ العلامات الشكلية المنصوص عليها في الجدول السابق هي ما ذهب إليه سيبويه وأتباعه. وحتى لو وضعنا العلامات الشكلية الأخرى التي اعتمد عليها الفراء والأعلم وغيرهما، وهي كون الخبر أمراً أو نهياً، فما زالت لا تنطبق على التركيب الحديثيّ السابق. ومن ثم، نجد أن الأخفش لجأ إلى تفريع القاعدة بتجويز زيادة الفاء في الخبر مطلقاً.

وأما ابن مالك فقد جعل الحديثَ السابق شاهداً على أنّ الحكم قد يستحق لجزء العلة النحوية، بحيث يجوز دخول الفاء على الخبر في الحديث السابق، وإن كان مبتدؤه (الذي رأيته يشق رأسه) يدل على معيّن لا عموم، حملاً للشبيه على الشبيه، أي الشبه اللفظيّ فقط، وإن لم تكن العلة موجودة فيه. واستدل في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٦٦)، فإن مدلول (ما) معيّن، ومدلول (أصابكم) ماضٍ، إلا أنه رُوعِيَ فيه الشبه اللفظيّ. فإنّ لفظ (ما أصابكم يوم التقى الجمعان) كلفظ قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ (الشورى: ٣٠)، فأُجريا في مصاحبة الفاء مجرى واحدًا[44].

ومع اتفاق هذا البحث مع ابن مالك في أنّ للحديث السابق نظيراً يؤكّد هذا المظهر الاستعماليّ، يرى أنّ العلة النحوية لم تكن موجبة كما أكّدها الزجاجي منذ باكورة الدراسات النحويّة[45]، بل إنّ تحقيقها كلياً أم جزئياً ليس بالضرورة أن يكون مسوّغاً أساسياً باطرادٍ لورود الأداء اللغويّ وتجويزه في حيز الوجود الاستعماليّ عند أبناء اللغة. وذلك لأنّ هذا الأمر يتعلق بمستوى التحليل اللغويّ المتمثّل في محاولة النحاة وضع القاعدة وتسويغها، من خلال تعليل الأداء اللغويّ بنمط الأداء اللغويّ الآخر لِما يرون من التشابه بينهما. ولعل هذا مما يُفهَم مما قاله ابن هشام: "كما تربط الفاء الجوابَ بشرطه كذلك تربط شبهَ الجواب بشبه الشرط"[46]. فنجد إشارة ذكية من الأستراباذي حينما يرى أن عبارة "شبه الجواب" لا تعني أنّ الشروط القواعدية لفاء الجواب حقيقةً تنطبق انطباقاً تاماً على التركيب لم يكن شرطاً في الحقيقة، وكما أنه لا يلزم مع الفاء أن يكون الأول سبباً للثاني، بل اللازم أن يكون ما بعد الفاء لازماً لمضمون ما قبلها[47].

وذلك صحيح، إذ لو أعدنا النظر في أنّ ما بعد الفاء التي تدخل على الخبر الذي يقال إنه "شبه الجواب/ الجزاء"، فإننا نجد أنه ليس جزاءً لما قبلها، كما في الحديث السابق، إذ لا يمكن أن يكون كذبهم (فكذّاب) جَزاءً لما يُعاقَب على المنافق، بل بالعكس أي يكون الكذب باستمرارٍ سبباً للعقاب (يشق رأسه). وكذلك الآيتان الكريمتان: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٦٦)، و﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر: ٥). فالجملة (بإذن الله) التي تقع بعد الفاء لا يتصور دلالياً أنها جزاء للأحداث التي تجري عليهم، بل نرى أنها (بإذن الله) شرط أو سبب لحصول تلك الأحداث، وليست العكس كما ذهب إليه بعض مُعربِي القرآن الكريم كدرويش الذي يذهب إلى أن الفاء في الآية الأولى السابقة رابطة لما في الموصول (ما الموصولية) من رائحة الشرط، في حين إنّ (ما) في الآية الثانية شرطية، للقول فيهما إن (الفاء) رابطة لجواب الشرط أو شبه جواب الشرط[48]. وذلك لا يعبّر لنا إلا عن تمسّكه بالقواعد الصارمة.

ومهما يكن من أمر، فإنّ تركيب الحديث السابق يحتل الترتيب الثاني في جدول الأفضلية بناء على مدى التزامه بعناصر الأفضلية القواعديّة لدخول الفاء على خبر الاسم الموصول، فهو أقلّ درجةً من التركيب الأول، على الرغم من أن دخولها عليه ليس لازماً بل اختيارياً[49]، ولعل هذا مما يؤكّد لنا أنّ عمل القانون اللغويّ فيه أيضاً عمل اختياريّ لينتج عنه ما نطلق عليه الصيغ

البديلة لهذا النمط اللغويّ بالقالب الآتي: [المبتدأ (الاسم الموصول) كونه معيّناً + الفاء + الخبر (ليس فيه معنى الجزاء)]. ولذا، فإنّ أفضلية ذلك التركيب قد تحقّقت استعمالياً من وجهة نظرنا لتحقيقه شرط الصحة أو المقبولية اللغوية، وإن كان أقل أفضلية من حيث تحقيقه للعناصر القواعديّة حسب.

ولعل ما يمكن أن يستفاد مما ذهب إليه ابن مالك في تسويغ دخول الفاء على الخبر في الحديث السابق لكون الاسم الموصول المعيَّن فيه بمنزلة العام المبهم (الشبه الشكليّ)، هو في توضيح أهمية الأفضلية الاستعمالية لدخول هذه الفاء وإن كان مخالفاً للقاعدة العامة، إلاّ أننا نرى أنّ هذا الأمر ليس مرتبطاً بالجانب الشكليّ حسب، بل يمتد إلى الجانب الدلاليّ مما يمكن حمل التركيب الحديثي السابق أيضاً على الأداء "المتبقي". وذلك لأنّ زيادة الفاء "غير القواعدية" توحي بأن الكلام فيه لعموم الفائدة، كما أنها تستعمل مع الاسم الموصول المبهم العام. فزيادتها هنا إشارة إلى اشتراك من يتصف في العقاب المذكور، أيْ أنّ العقاب المذكور لا يقتصر على الشخص الذي رآه الرسول (صلى الله عليه وسلّم) في رؤياه، بل يترتّب أيضاً على أمثاله: كُل مَنْ كرّر الكذبَ حتى استحقّ اسم المبالغة بالوصف بالكذب (كذّاب)، فوقتئذٍ لم يكن من صفات كمال المؤمنين، بل من صفات المنافقين[50]. فلو حذفت الفاء في هذا الحديث لصالح القواعد الصارمة فإن الكلام فيه يصبح مجرّد الإخبار القصصيّ، لا الإخبار الحكميّ الشرعيّ في بيان صفات المنافقين كما هو المراد. وفي الوقت نفسه، هذا الدور الذي تؤدّيه هذه الفاء ينفي ما ذهب إليه قسم من النحاة بأنّ الفاء الزائدة في كل موضع مجرد زيادة بحيث يكون دخولها فيه كخروجها منه[51].

**■ اقتران خبر (كَادَ) بـ (أنْ)**

لم يختلف النحويون في أنّ الفعل (كاد) وأخواتها كـ (عَسَى، وأَوْشَكَ، وكَرَبَ) من أفعال المقاربة لدلالتها الجوهريّة على التقارب بين زمن وقوع الخبر والاسم تقارباً كبيراً مجرّداً لا ملابسة فيه ولا اتصال[52]. وهي من النواسخ الفعليّة التي تدخل على الجملة الاسميّة، فتعمل عمل (كَانَ) في رفع المبتدأ اسماً لها ونصب خبره خبراً لها، غير أنّ الخبر فيها لا بد أن يكون جملة فعلية، وفعلها مضارع، ويكون المضارع هذا في الأغلب، وعلى وجه الخصوص مع (كَادَ) و(كرب) مجرّداً من (أَنْ)، وإذا كان مع (أنْ) فهو بتقدير حرف الجر، أي: كاد مِنْ أن يقوم[53]. وذلك كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (النور: ٤٣). ولذا، ذهب النحاة إلى عدم جواز اقتران خبر (كاد) بـ (أَنْ) إلاّ في ضرورة الشعر[54]. ولعل هذه القاعدة النحويّة تنبثق من تمسُّكهم بأمرَين، هما: (1) إلزام كون أخبار أفعال الشروع مجرّدة من (أَنْ)؛ لأنّ المضارع المجرّد من علامة الاستقبال (أَنْ) ظاهر في الحال، وكذا تكون أخبار (كاد) وأخواتها في الأغلب[55]. (2)

مجيء (كاد) ومضارعها (يكاد) في أربعة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم وكل أخبارها مجرّدة من (أنْ)[56].

ومع ذلك، فقد عُثرت على مجموعة غير قليلة من الشواهد الحديثيّة، وهي من لغة النثر التي لا ضرورة فيها، إلا أنّها تخالف هذه القاعدة. وذلك كما أوردها ابن مالك في شواهد التوضيح[57]:

1) قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "**كَادَ الحَسَدُ يَغْلِبُ القَدرَ، وكَادَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً**"[58].

2) قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "**مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتَّى كَادَت الشَّمْسُ تَغْرُبُ**"[59].

3) قول أنس (رضي الله عنه): "**فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلى مَنَازِلِنَا**"[60].

4) قول جَابِر (رضي الله عنه): "**وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ، قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ**"[61].

5) قول جُبَير بن مُطْعِم (رضي الله عنه): " **كَادَ قَلْبي أَنْ يَطِيرَ**"[62].

ولذا، قد أجاز ابن مالك وقوع خبر (كاد) مقترناً بـ (أن) في كلامٍ لا ضرورة فيه، وهو مما خفي على أكثر النحويين، غير أنّ وقوعه غير مقرون بـ (أن) أكثر وأشهر من وقوعه مقروناً بها[63]. ويبدو أن وصفه بـ (أكثر/ أشهر) لا يختلف كثيراً عما وصفه النحويون الآخرون، إذ اعتبروا أنّ دخولها (أنْ) قليل، نادر، والأكثر أو الشائع في "الأساليب العالية"- على حد تعبير عباس حسان - أن يتجرّد منها. ولعل ذلك ينبع من نظرتهم إلى عملهم في وضع القواعد يقرب إلى درجة الشمولية مما يمكنّهم من إدراج الاستعمال الذي يخالف القاعدة العامة في زمرة الندرة أو القلة، مع أنّ الأداء اللغويّ لا حصر له وقابل للتطور. وكذلك نظرتهم إلى اللغة على أنها قواعدية كلها، مع أنّ ابن اللغة أو ما يطلق عليه المولّد (Generator) في نظرية الأفضلية له قدرة هائلة على إنتاج اللغة بشكل مبدع، لا يفرض عليه أيّ شرط أو قيد قواعديّ مما يمكّنه من الكلام الذي يتجاوز ما تسمح به القواعد.

ويرى هذا البحث أنّ القول بأنّ خبر (كاد) المجرّد من (أنْ) يكون في "الأساليب العالية" ليس وصفاً مقنعاً سليماً، إذ سيقودنا إلى القول بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبعض أصحابه (رضي الله عنهم) قد استخدموا أسلوباً ركيكاً في أحاديثهم كما تشهد بعض الشواهد الحديثية السابقة وغيرها الكثير (سيظهرها البحث في فقرات لاحقة). حتى لو كان ذلك الوصف يبدو أنه منسجم مع ما ورد في القرآن حيث لم يرد خبر (كاد) فيه إلا بدون (أنْ)، إلاّ أنه لا يمكن أن يكون دليلاً حاسماً على عدم جواز اقترانه بها؛ إذ القرآن ليس بكتاب لغويّ أو نحويّ جامع لكل تراكيب العربية الشائع منها وغير الشائع، الفصيح والأقل فصاحة، زيادة على أنه لا يحتوي على كل

الاستعمالات اللغويّة للكلمة الواحدة[64]، وهذا ليس حطّاً من قيمة القرآن الكريم أبداً، فهو الذي أعجز البلغاء قديماً وحديثاً، المؤمن والكافر على حد سواء، وهذا مما لا يختصم فيه اثنان.

ولذا، فإن هذا البحث يرى من الأجدر أن يحلِّل الأداءات الحديثيّة السابقة في ضوء نظرية الأفضلية لتقيس درجات عناصر الأفضلية التي يحقّقها التركيب اللغويّ. فلنأخذ مثالاً على ذلك الشق الأول من قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) السابق، وهو (**مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ**) بوضعها في جدول الأفضلية الآتي:

**جدول الأفضلية رقم (2):** عناصر الأفضلية القواعديّة والاستعماليّة لخبر (كاد)

| التركيب اللغويّ | الأفضلية القواعدية | | | | | الأفضلية الاستعمالية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | الجوهرية | | الشكليّة | | | |
| | قرب وقوع الخبر | دخول (كاد) على الجملة الاسمية | العمل النحويّ | خبرها جملة فعلية فعلها مضارع | خبرها غير مقرون بـ(أنْ) | |
| 1) مَا كِدْتُ أُصَلِّيُ الْعَصْرَ [65] | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ |
| 2) مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ [66] | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ | ✘ | ✔ |

يتّضح من الجدول أعلاه أنّ تركيب الحديث الشريف (مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ) كأمثاله المشار إليها سلفاً، وهو الذي يعدّ من القلة أو الندرة أو عدم وروده في "الأساليب العالية" عند بعض النحويين، قد التزم بجميع عناصر الأفضلية القواعديّة والاستعماليّة لخبر (كاد) كما وُضعت إشارة (✔) تحت كل عنصر منها إلاّ عنصراً واحداً فقط من عناصر الأفضلية القواعديّة الشكليّة، وهو اقتران خبرها بـ (أَنْ). ولذا، يمنعه ذلك أن يتوّج بالمخرج أو المترشّح الأفضل الذي يحتله التركيب الأول (مَا كِدْتُ أُصَلِّيُ الْعَصْرَ) وهو ما رواه البخاري، لأنّه يحقّق كل عناصر الأفضلية الموضوعة له، وعلى وجه الخصوص عناصرها القواعديّة.

ومع ذلك، لا يمكن الحكم بأنّ التركيب الثانيّ (مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ) كما رواه مسلم ليس بأفضل من الأول من حيث التداول، إذ أفضليته قد تحقّقت من وجهة هذه الدراسة استعمالياً، لوروده وورود نظائره عند أبناء اللغة في مختلف الشرائح والبيئات الاستعماليّة، في لغة النثر والشعر على حد سواء- كما سيظهرها البحث إضافةً إلى الشواهد الحيّة السابقة - مما يؤكّد أنّها

من الصيغ الاستعمالية البديلة التي لا تختص بالأداء اللغويّ للمتكلم المعين أو للشريحة اللغويّة المعينة.

وظهور هذين النمطين في الاستعمال اللغويّ الواحد أي أحدهما غير قواعدي والآخر قواعديّ، كقول عمر السابق: (مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتَّى كَادَت الشَّمْسُ تَغْرُبُ)، أو العكس كقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) السابق: (كَادَ الحَسَدُ يَغْلِبُ القَدرَ وكَادَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً)، يثبت لنا أنّ القوانين اللغوية فيه خاصة وفي اللغة العربية عامة تعمل عملاً ليس إلزامياً بل اختيارياً في كثير من الأحيان؛ إذ لو كان العمل فيها إلزامياً لَوُجد نمط لغويّ واحد حسب، ولم يُعثر على نمطٍ يخالف الآخرَ قواعدياً، أو لَأَقصى النمط الجديدُ (الثاني) القديمَ (الأول). ولكن واقع الأمر يشهد عكس ذلك؛ مما يقود هذا البحث إلى أن يطلق على النمط الثاني هذا الصيغة الاختيارية أو البديلة. وهذه الصيغة لها نظائر تتجلّى إما في لغة الشعر وإما في لغة النثر.

ولعل أهمَّ تلك الشواهد الشعريّة ما ذكره ابن مالك. وهو من شواهد الأشموني أيضاً:

**أَبَيْتُمْ قَبُوْلَ السِّلْمِ مِنَّا فَكِدْتُمُ  لَدَى الْحَرْبِ أَنْ تُغْنُوا السُّيُوفَ عَنِ السِّلِّ**[67]

وقال ابن مالك: "وهذا الاستعمال مع كونه في شعر ليس بضرورة، لتمكّن مستعمله من أن يقول:

**أَبَيْتُمْ قَبُوْلَ السِّلْمِ مِنَّا فَكِدْتُمُ  لَدَى الْحَرْبِ تُغْنُونَ السُّيُوفَ عَنِ السِّلِّ**[68]

ويتفق هذا البحث مع ما قاله ابن مالك سابقاً، وهو كلام سديد. ويمكن توضيح ذلك بتقطيع البيت الشعريّ الذي لو قال الشاعر فيه (تغنون)، مقارنة بقوله (أن تغنوا)، في الجدول الآتي:

**الجدول رقم (3):** تقطيع البيت الشعريّ لنفي ربط الشاهد في اقتران خبر (كاد) بالضرورة الشعريّة

| البحر | البيت (تقطيعه وتفعيلته) | صحة الوزن |
|---|---|---|
| طويل | **(1) لَدَى الْحَرْبِ أَنْ تُغْنُوا السُّيُوفَ عَنِ السِّلِّ**<br>**لَدَلْحَرْ / بِ أَنْ تُغْنُسْ / سُيُوفَ / عَنِسِّلّ**<br>_ _ _ ∪ / ∪ _ ∪ / _ _ _ ∪ / _ _ ∪<br>**فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُ / مَفَاعِيلن** | ✔ |
| | **(2) لَدَى الْحَرْبِ تُغْنُونَ السُّيُوفَ عَنِ السِّلِّ**<br>**لَدَلْحَرْ / بِ تُغْنُونَسْ / سُيُوفَ / عَنِسِّلّ**<br>_ _ _ ∪ / ∪ _ ∪ / _ _ _ ∪ / _ _ ∪<br>**فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُ / مَفَاعِيلن** | ✔ |

يتبيّن من الجدول المذكور أعلاه أنّ استعمال الشاعر (أَنْ) قبل خبر (كاد) وهو (تغنوا) ليس بسبب اضطراره في مراعاة إقامة الوزن الشعريّ، لتمكّنه من الاستغناء عنها، إذ لا يؤدّي ذلك إلى انكسار الوزن كما هو موضّح في التقطيع برقم (2). وكل ذلك مما ينفي ربط قضية اقتران خبر (كاد) بالضرورة الشعريّة، بل إنّه من مساحة الحرية في التعبير التي تمنحها الطاقات اللغويّة لأبناء اللغة لأن يمارسوها، لا القواعد الصارمة.

وأما الشواهد الشعريّة الأخرى التي تؤيّد هذا المظهر الاستعماليّ فمنها:

قول رؤبة بن العجاج:

**رَسْمُ عَفَا مِن بَعْدِ مَا قَد امَّحَى  قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا**[69]

وقول ذي الرمة:

**وَجَدْتُ فُؤَادِي كَادَ أَنْ يَسْتَخِفَّهُ  رَجِيعُ الْهَوَى مِنْ بَعْضِ مَا يَتَذَكَّرُ**[70]

وقول محمد بن مناذر:

**كَادَت النَّفْسُ أَنْ تَفِيظَ عَلَيهِ  إِذَا غَدَا حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ**[71]

وغيرها كثير. ونرى من التعسّف أن نؤوّل كل هذه الشواهد وغيرها تأويلات بعيدة أحياناً، وغير مقنعة أحيانا أخرى، كأن نحملها على أنها ضرورة في الشعر، أو غلط من الرواة إذا كانت الشواهد في الحديث الشريف، لا سيما إذا وردت في كتب الصحاح كما عثر هذا البحث عليها زيادة على ما ذكره ابن مالك سلفاً، وهي كالآتي:

**من أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم):**

1) عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُب قَالَ: كَانَ النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا صلَّى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: مَنْ رَأَى مِنكُم الليلةَ رُؤْيًا....الحديث. وفيه قوله (صلى الله عليه وسلم):"**قَالَا** (المَلِكان جبريل وميكائيل عليهما السلام) **انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلى ثَقَبٍ مِثْلِ التَّنُورِ أَعْلاَه ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُه وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحتَه نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا**"[72].

2) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ:**

**أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ**

**وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ**"[73].

3) عن عائشة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "**وَهَلْ تَدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكِ رَفَعُوا بَابَهَا؟»، قَالَتْ: قُلْتُ: لا، قَالَ: تَعَزُّزًا أَنْ لا يَدْخُلَهَا إِلا مَنْ أَرَادُوا، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا هُوَ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا يَدَعُونَهُ يَرْتَقِي، حَتَّى إِذَا كَادَ أَنْ يَدْخُلَ دَفَعُوهُ فَسَقَطَ**"[74].

**من أقوال الصحابة والتابعين:**

1) عن سَالِم بن عَبْدِ الله عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ)صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "**إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ الْمِئَةِ، وَلاَ يَكَادُ أَن يُوجَدَ فيها رَاحِلَةٌ**"[75].

2) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: "**لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكَادُ أَنْ يُرْمَلَ بِالْجَنَائِزِ رَمْلاً**"[76].

3) عن خَرَشَةَ بن الحُرِّ، قال: كنت جالسا في حلقة في مسجد المدينة فيها شيخ حسن الهيئة، وهو عبد الله بن سلام... قال: **فَتَبِعْتُهُ فَانْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي**[77].

وظهور هذا المظهر الاستعماليّ في العديد من الشواهد الحديثيّة السابقة سواء أكانت تصدر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أم عن صحابته أو تابعيه (رضي الله عنهم)؛ لأنّ أقوالهم إلى نهاية القرن الثاني حجة لا سيما من كان عربياً خالصاً (تحقيق الأفضلية الاستعماليّة)، ينفي ما يذهب إليه بعض النحويين المتشبِّثين بالقواعد الصارمة دفاعاً عن رأي البصريين في هذا المضمار، كقولهم: "فأما في اختيار الكلام فلا تستعمل (أنْ) مع "كاد" ولذلك لم يأتِ في قرآن ولا كلام فصيح"[78].

ومن جانب آخر، يلحظ هذا البحث أنّ اختراق عنصر قواعديّ في الشواهد السابقة وأمثالها، وهو اقتران خبر (كاد) بـ (أنْ)، ليس أمراً جانبياً يأتي بالصدفة أو العبث، بل إنّ له دوراً أساسياً في تأدية وظيفة دلاليّة وتداوليّة بحيث لا يمكن للتراكيب الملتزمة بالقواعد التزاماً تاماً أن تحل محلّها. وذلك لِما تقتضيه الرسالة المراد إبلاغها وحالات متحدّثيها النفسيّة والانفعالية مما يمكن حمل تلك الشواهد على الأداء المتبقّي بشقه الدلاليّ. ويمكن تمثيل ذلك من بعض شواهد التوضيح لابن مالك قولُ الرسول (صلى الله عليه وسلم): "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً". ففي هذا الحديث تحذير المتلقي من الفقر لشدة خطورته في ما يمكن أن يُوقع صاحبَه في الكفر بوجه قريب جداً. ولعل ما يؤيّد ذلك حديث أبي بَكْرَة الذي يخبر عن الدعاء الذي يلازمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) دبرَ كل صلاة، وهو: "**اللّهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ**"[79].

ثم قول جُبَير بن مُطْعِم (رضي الله عنه): **"كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ"**. يقول جبير هذا الكلام كرد انفعاليّ عاطفيّ على ما سمعه مما يقرأه الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الآيات القرآنية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾(الطور: ٣٥ – ٣٧)، مما تضمّنته من بليغ الحجّة، وهو من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام[80].

ويظهر مما سبق أيضاً أنّ الدلالة المركزيّة التي يؤدّيها دخول (أنْ) على خبر (كاد) تتمحور في الدلالة على شدة قرب وقوع الخبر إيجاباً أو سلباً، كأنّها للاشتغال والشروع أيضاً، كما أكّده بعض النحويين[81]، علاوةً على الجانب الانفعاليّ أو العاطفيّ الذي يدعو به المتكلّم إلى إنتاج هذا النمط الاستعماليّ غير القواعديّ كما أشرنا إليه سابقاً.

**▪ وقوع خبر فعل الشروع (جَعَلَ) جملة مصدّرة بـ (كُلَّمَا)**

قد صنّفَ النحويون (جَعَلَ) ضمن أفعال الشروع لدلالتها على الشروع في وقوع الخبر أو البدء بقيامه أو بمباشرته[82] لَمّا وجدوا أنها تدخل على الجملة الاسميّة، وتستعمَل استعمال (كَانَ). وجاء في لسان العرب "جَعَلَ يَفْعَلُ كَذَا: أَقْبَلَ وأَخَذَ"[83]. وذلك كالشعر الذي أنشده سيبويه:

**وَقَدْ جَعَلَتْ نَفسِي تَطِيبُ لضَغْمَةٍ لضَغْمِهِماها يَقْرَعُ العَظمَ نَابُها**[84]

ولذا، فإنّهم أقرّوا أنّ أخبار (جَعَلَ) حاصلة المضمون، كما هي أخبار (كَانَ)، إلاّ أنّ خبرها لا بد أن يكون جملة فعلية ذات فعل مضارع فاعله ضمير، والمضارع فيها غير مسبوق بـ (أنْ) المصدرية، وتأخير هذه الجملة المضارعية وجوباً عن الناسخ واسمه ولا أن تتوسّط بينه وبين اسمه[85]. وهذه الشروط القواعدية تمثّل من وجهة نظر هذا البحث علاماتِ الباب الشكليّة. وما يمكن أن نستنتج العلامة الجوهريّة لـ (جَعَلَ) هي الشروع في الحدث والاستمرار فيه[86]، وهو وقوع الخبر في الماضي القريب المتّصل بالحاضر، ثم يستمرّ إلى المستقبل.

ومع ذلك، وُجد قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما أشار إليه ابن مالك، وهو حديث في رؤياه عن المشهد المرعب للعقاب الواقع على آكِلِي الرِّبا، ففيه إشكال قواعديّ وهو مجيء خبر (جعل) جملة فعلية مصدّرة بـ (كُلَّمَا)؛ إذ حقّه أن يكون فعلاً مضارعاً كما تنصّ عليه القاعدة السابقة.

ونص الحديث: "**فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ**"[87].

وقد ذهب ابن مالك إلى أنَّ مجيء خبر فعل الشروع على هذه الصورة من قبيل التنبيه على أصل متروك، وذلك أنّ أفعال الإنشاء (الشروع) وسائر أفعال المقاربة مثل (كان) في الدخول على مبتدأ وخبر، فالأصل أن يكون خبرها مثل خبر (كان) في وقوعه مفرداً وجملةً وظرفاً، فتُركَ الأصل والتُزم كون الخبر فعلاً مضارعاً، ثُمَّ نبَّه شذوذاً على الأصل المتروك، بوقوعه مفرداً في: "**مَا كِدْتُ آيِباً**"[88]، وبوقوعه جملة اسمية في قوله:

**وقد جَعَلَتْ قَلُوصُ بني سهيل من الأكوار مَرْتَعُها قَرِيبُ**[89]

وبوقوعه جملة من فعل ماض مقدم عليه (إذا)، كقول أبي حية النميري:

**وقد جعلتُ إذا ما قُمْتُ يُثْقِلُنِي ثوبي، فأنهضُ نهضَ الشّارِبِ الثَّمِلِ**[90]

ولذا، فابن مالك يرى أن وقوع خبر (جعل) جملة فعلية مصدرة بـ (كُلَّما) أو (إذا)، أو جملة اسمية، أو مفرداً، من قبيل الشذوذ الذي يُنبَّه فيه على أصل متروك، أيْ: أنَّ (جَعَلَ) الذي يأخذ حكم (كان) يقع خبره مفرداً وجملة اسمية أو فعلية وشبه جملة، ثم ترك ذلك، واقتُصر في خبر (جَعَلَ) على الفعل المضارع.

والملاحظ أنَّ ما ذهب إليه ابن مالك في توجيهه السابق[91] ضربٌ من التخمين والاستنتاج المنطقيّ؛ ينقصه سند تاريخيّ لإثبات ذلك، إذ لِمَ لا يكون بالعكس؟ أي الأصل في خبر (جَعَلَ) أن يقع مضارعاً، ثم توسّع في مجيء خبرها غير ذلك تبعاً لسنن تطوُّر اللغة؟ أو لِمَ لا يكون ذلك لهجة من لهجات القبائل[92]؟

بعيداً من هذه التخمينات، يرى البحث أنَّ هذا الاستعمال اللغويّ يمكن أن يُحلّل بطريقة أكثر دقة وموضوعية من خلال قياس درجات تحقيقه لعناصر الأفضلية في الجدول الآتي:

**جدول الأفضلية رقم (4):** عناصر الأفضلية القواعدية والاستعمالية لـ (جَعل) من أفعال الشروع

| التركيب اللغويّ | الأفضلية القواعدية | | | | | | الأفضلية الاستعمالية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الجوهريّة | | الشكليّة | | | | |
| | الشروع في الحدث | دخول (جَعَلَ) على الجملة الاسمية | العمل النحويّ | خبرها جملة فعلية مضارعية | خبرها غير مقرون بـ(أنْ) | تأخير جملة مضارعية عن الناسخ واسمها | |
| 1) جعل يرمي في فيه بحجر | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ | ✔ |
| 2) جعل كُلَّمَا جاء ليخرج رَمَى في فيه بحجر | ✔ | ✔ | ✔ | ✘ | | | ✔ |

يؤشّر الجدول السابق إلى أنّ تركيب الحديث الشريف السابق قد وُضع في الترتيب الثاني بناء على تحقيقه لعناصر الأفضلية الموضوعة للباب النحويّ الذي ينتمي إليه. وهو قد خالف عنصراً قواعدياً شكلياً أساسياً لهذا الباب؛ وهو كون خبرها جملة فعلية مضارعية، وقد وضعنا إشارة (✘) داخل خانة العنصر، مما لا داعي لأن نحتكم إلى عنصرين قواعديين متبقّيين - كما أشرنا إلى ذلك باللون المظلَّل - لتوقُّف الالتزام بهما على تحقيق العنصر السابق. ومع ذلك، هذا التركيب قد حقّق علامته الجوهرية، وهي الشروع في الحدث (العقاب على آكلي الربا)، إضافة إلى تحقيقه العنصرين القواعديين المشار إليهما في الجدول. وأهم من ذلك، أنه قد حقق أفضليته الاستعمالية لوروده على لسان الرسول (صلى الله عليه وسلّم). وكل ذلك مما لا يمكن إخراج هذا الأداء اللغويّ من جسم اللغة العربية الفصحى.

وبتحقيق العلامة الجوهرية لـ (جَعَلَ) سابقاً، نلحظ أنّ سلمان القضاة قد وظّف القياس الحكميّ النحويّ في تسويغ مجيء خبر (جَعَلَ) جملة مصدّرة بـ (كُلَّما). ويتمثل ذلك في اعتبار (كُلَّمَا) أداة شرط كـ (إذَا) الشرطيّة، حتى تُعدَّ الجملة السابقة جملة شرطية، فطالما يجوز وقوعها (الجملة الشرطية) خبراً لـ (كَانَ) يجوز كذلك خبراً لـ (جَعَلَ). ومن ثم، أنّ دلالة الجملة الشرطية التي تتضمن معنى الاستقبال تتوافق مع الدلالة الجوهرية لـ(جَعَلَ) التي تفيد الماضي القريب

المتصل بالحاضر المستمر إلى المستقبل[93]. ولعل لذلك علاقة بما أشار إليه الأستراباذي من وقوع الجملة الشرطية المصدّرة بـ (إذَا) - وليست بأداة (كُلَّما) - خبراً لـ (جَعَلَ)، مستشهداً بقول الشاعر[94]:

**وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا قُمْتُ يُثْقِلُنِي ثَوبِي فَأَنْهَضُ نَهْضَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ**

وعلى هذا الهدي، فإن لتركيب الحديث السابق نظيراً استعمالياً من قول الصحابي عَبْدِ الله بن عَبَّاس (رضي الله عنه): **"فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً"**[95]. فالجملة الشرطية المبدوءة بـ (إذا) في قوله (إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً) تقع موقع خبر (جَعَلَ).

ومهما يكن من أمر، أنّ الحديث السابق (فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى في فِيهِ بِحَجَرٍ) لا يحقّق شرطاً قواعدياً وهو وقوع خبر (جَعَلَ) جملة فعلية مضارعية كما تنصّ عليه القاعدة القياسية المعيارية. غير أنّ ما يريد هذا البحث تسليطَ الضوء عليه هو أنّ هذا الخرق القواعديّ يقتضيه الحدثُ الذي يُراد الإخبارُ عنه وتصويره حتى تصل الرسالة المبتغاة إلى متلقّيها. فوقوع خبر (جَعَلَ) جملة فعلية ماضية مسبوقة بـ (كُلَّمَا) هنا له قيمة دلالية على تصوير كيفيّة الحدث لا زمن الحدث حسب. وتكمن هذه القيمة في الدلالة على تكرارية الحدث، وهو العقاب على آكلي الربا برمي الأحجار في أفواههم حينما حاولوا الخروج من النهر الدمويّ. وهذا العقاب لا يحدث مرة، بل يستمر ويتكرّر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ودلالة التكرار في تركيب هذا الحديث لا يمكن أن يؤدّيها الفعل المضارع كما هو مطلوب في القاعدة، بل تحقّقها الأداةُ (كُلَّمَا)[96] التي قد زيدَت في بداية الجملة بعد (جَعَلَ). وعليه، يمثّل الأداء السابق صورة من المتبقي ببعده الدلاليّ. ولعل ما يؤيّد هذه الدلالة كذلك الجملتان اللتان جاءت إحداهما قبل تركيب الحديث السابق والأخرى بعده، كما في نص الحديث الآتي: "فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، **فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ**، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، **فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ**، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا"[97].

**الخاتمة**

بناء على كل ما تقدَّم، يخلص البحث إلى ما يأتي:

1- حضور المتبقّي في تراكيب الحديث الشريف، بوصفه أداءً لغوياً يخرج على قواعد النحو، يشهده الواقع الاستعماليّ. وإنّ النظرة اللغويّة إليه التي تقوم على فكرة المتبقي ونظرية الأفضلية بمعياريْها القواعدي والاستعمالي تستطيع أن تفسّره بدون اللجوء إلى تفريع

القاعدة، وعدم إصدار الأحكام التدريجية المتشعبة، والتقبيح للغة طالما الأداء اللغويّ حقّق أفضليته الاستعماليّة؛ إذ تختلف اللغة العربية عن اللغات التي يمكن القول إنها لغات قواعدية فقط، في حين أنّ اللغة العربية تشتمل على الجانب نفسه، زيادة على أنّها تخضع لجانب مهم من جوانب الأفضلية، وهو جانب الأفضلية الاستعماليّة.

2- يمكن تطوير دائرة المتبقّي لئلاّ يقتصر على الأداء التلقائيّ غير الواعي، بل إنّه قد يشمل ما هو واعٍ خاصةً إذا كان من أداءات القرآن الكريم، والحديث النبويّ الذي يؤدّي وظيفة التخاطب والإبلاغ والتأثير. فالحديث النبويّ القوليّ الخارج على القاعدة النحويّة لا يمكن حمله على الأداء غير الواعي؛ لِما له من خصوصية في كونه نوعاً من الوحي من الله تعالى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلّم)، فهو يحمل الحقائق الدينيّة التي لا تخضع للظواهر اللاّشعوريّة.

3- يظهر المتبقّي المتعلّق بقضايا الزيادة غير القواعدية في التراكيب الحديثية في ثلاث صور، وهي: اقتران خبر المبتدأ (الاسم الموصول) المعيّن بالفاء، واقتران خبر (كَادَ) بـ (أَنْ)، ووقوع خبر فعل الشروع (جَعَلَ) جملة مصدّرة بـ (كُلَّمَا). وأما عناصر الأفضلية القواعدية فتخالف فيها فتنتهك منها التراكيب الحديثية عنصراً أو أكثر، وهي بمُجملها لا تُخرِجها من جسم اللغة العربية، بل هي جزء لا يتجزأ من العربيّة الفصحى؛ لما تتمتّع بأفضليتها الاستعمالية، زيادةً على ما يدعمه من الأداءات اللغوية الحيّة الأخرى من القرآن الكريم وكلام العرب شعراً ونثراً.

4- تطبيقنا لفكرة المتبقّي في البحث قد ساعد في تفسير هذا الأداء اللغويّ الخارج على القواعد القياسيّة المعياريّة تفسيراً نصياً دلالياً ليشمل به تراكيب الحديث الشريف؛ لِما تؤدّيه من الوظائف الإبلاغيّة والإفهاميّة والتأثيريّة، وما يعتورها من التأثيرات العاطفية والانفعالية. ومن أبرز وظائف المتبقّي الدلاليّة في تراكيب الحديث المدروسة الإفادة في الإخبار الحكميّ التشريعيّ لا الإخبار القصصيّ، والإشعار بشدة قرب وقوع الحدث وخطورته، وتصوير كيفية الحدث لعموم الفائدة.

5- زيادة على ذلك، قد أسهمت تلك التراكيب الحديثية غير القواعدية في إنتاج الصيغ الاختيارية أو البديلة (alternative forms). ولعل السبب في ذلك يعود إلى العمر الطويل الذي قضته العربيةُ في بيئة جغرافية واسعة أتاحت لها تطبيق القوانين اللغوية تطبيقاً اختيارياً غيرَ إلزاميّ. وكل ذلك يؤكّد أنّ الاستعمال هو أساس الأفضلية في اللغة العربية. وهو (الاستعمال) كما نرى القانون الأساسيّ الأول الذي لا بد أن يُعتمَد عليه في الحكم على الأداءات اللغوية الصادرة عن أبناء اللغة، إلى جانب القواعد القياسيّة المعياريّة.

# *La langue* in the Hadith's Structures in the Light of Optimality Theory: Ibn Malik's Book *(Shawāhid al-Tawḍīh) as a Model*

**Mohd Nizwan bin Musling,** *Faculty of Major Languages Studies, Islamic Science University of Malaysia (USIM), Malaysia.*

## Abstract

This study aims to prove the existence of Arabic language structure in the *Hadith* text which is in contradiction with the grammar or known as *La langue.* Furthermore, this study sheds some light on the application of Optimality Theory to evaluate and to describe such Arabic language structure. The result shows the application of Optimality Theory requires two main criteria: grammatical optimality and linguistic usage optimality. In addition, these two criteria are used to measure as to what extent the structure complies in accordance with the element of optimality. Thus, by applying Optimality Theory, one can avoid using multiple grammar and get rid of passing judgments or evaluations of bad or wrong ungrammatical structures. However, it can be categorized as *La langue* or alternative linguistic forms and play an important role as a medium of transferring messages which cannot be done by any language structure with correct grammar as a whole.

**Keywords**: *La langue*, Hadith, grammatical optimality, linguistic usage optimality, alternative forms.

**الهوامش**

(1) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، 1418هـ/1997م، ص 10-11.

(2) السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق محمود فجال، دار القلم- دمشق، ط 1، 1989م، ص 76.

(3) عيد، محمد، الرواية والاستشهاد باللغة دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب - القاهرة، 1972م، ص 136-137، و259-260.

(4) يقصد الباحثُ بذلك الدراسات النحويّة التي تجعل الحديثَ النبويّ الخارج على القاعدة القياسية المعيارية مادةَ الدراسة، تُعالَجُ في ضوء معطيات علم اللغة المعاصر، وعلى وجه الخصوص المتبقي (*Lalangue*) ونظرية الأفضلية (Optimality Theory: OT). وأما الدراسات في أثر الحديث الشريف في الدراسات اللغوية والنحوية، أو في مسألة الاحتجاج بالحديث في النحو، أو في وصف

بناء الجملة في الحديث النبوي ليس فيه إشكال قواعديّ، في الصحيحين مثلاً، فهي تحظى بالإقبال والعناية لدى الدارسين المعاصرين. انظر مثلاً: حمادي، محمد ضاري، الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، ط 1، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15 الهجري، الجمهورية العراقية، 1982م؛ وأبو عودة، عودة خليل، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف، دار البشير، عمان، 1990م؛ والشاعر، حسن موسى، النحاة والحديث النبوي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2010م.

(5) انظر: النفاخ، أحمد راتب، فهرس شواهد سيبويه: شواهد القرآن، شواهد الحديث، شواهد الشعر، دار الإرشاد، بيروت، 1970م، ص: 57-58؛ وسيبويه، الكتاب، ج 2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، ص 393؛ وفجال، محمود، الحديث النبويّ في النحو العربيّ دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث في النحو العربيّ ودراسة نحوية للأحاديث الواردة في أكثر شروح ألفية ابن مالك، أضواء السلف، الرياض، 1997م، ص 109.

(6) الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد، 1981م، ص 15، و42-189، و423.

(7) انظر: حسين، محمد الخضر، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي، دمشق، 1960م، ط 2، ص 180.

(8) انظر: عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 6، 1999م، ص 97.

(9) انظر: فجال، محمود، الحديث النبويّ في النحو العربيّ، ص 311-312.

(10) يعتمد هذا البحث على الكتاب الذي حقّقه طه مُحسن لتوفره ودقة تحقيقه. وعنوان الكتاب: ابن مالك، جمال الدين الأندلسي، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجميع الصحيح، تحقيق طه محسن، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد، 1980م.

) Archangeli, Diana, Optimality Theory: An Introduction to Linguistic in the 1990, 11( pg 11, in Optimality Theory: an Overview, edited by Diana Archangeli and D. Terence Langendoen, Blackwell Publishers, Malden, Mass, 1997.

(12) انظر: لوسركل، عنف اللغة، ص 7-9.

(13) انظر: لوسركل، عنف اللغة، ص 45-50، 76.

(14) كقضية التخلُّص من النهايات الإعرابية، كقول امرئ القيس:

**فاليومَ أَشْرَبْ غيرَ مستحقبٍ إثماً مِن الله ولا واغلِ**

ووجد أيضاً في القرآن الكريم: (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) (البقرة: ٥٤)، فقرأ بعض القراء منهم أبو عمرو بن العلاء "بَارِئْكُم" أيْ بتسكين الهمزة. انظر تفاصيله: عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 70، 72-73. والشاهد الشعريّ في: سيبويه، الكتاب، 204/4، والقراءة في: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 333/1.

(15) انظر: عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 71.

(16) من الشواهد التي تثبت هذا التسرب شاهد نحويّ على جواز الجمع بين العوض والمعوّض منه على الرغم من أنّ القاعدة العامة تأباه. وذلك كقول الراجز:

**إنِّي إذا ما حَدَثٌ ألَمَّا أقول يا اللّهُمَّ يا اللّهُمَّا**

انظر: الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، ط 1، 279/1.

(17) انظر: عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 63-64.

(18) إسناد هذا الحديث صحيح. انظر: أبو داود (ت 275هـ)، سليمان بن الأشعث السِجِستاني، سنن أبي داود، تحقيق شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، د.م، ط 1، 2009م، كتاب العلم، رقم الحديث 3646، 489/5-490.

(19) البخاري، صحيحه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي (ص)، دار طوق النجاة، د.م، 1422ه، ط 1، ج 8، حديث رقم (6642)، ص 131.

(20) مسلم، صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج 3، حديث رقم (1623-17)، ص 1243.

(21) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، كتاب حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، دار الأمل، إربد، 2010م، ص 6؛ والمرادي، أبو محمد بدر الدين، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص 506؛ وابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1985م، ص 451.

(21) البخاري، صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ج 8، حديث رقم (6528)، ص 110.

(22) المرادي، الجنى الداني، ص 420؛ وابن هشام، مغني اللبيب، ص 153.

(23) البغدادي، خزانة الأدب، 211/11.

(24) انظر: المرجع نفسه، ص 71.

(25) انظر: المرجع نفسه، ص 87.

(26) Prince, Alan & Smolensky, Paul.Optimality Theory Constraint Interaction in Generative Grammar, Blackwell Pub, Malden, MA, 2004; Kager, René, Optimality Theory, Cambridge University Press, UK, 1999, p 1-18.

(27) McCarthy, John.J, A Thematic Guide to Optimality Theory, Cambridge University Press, UK, 2002., p 3-4,

وانظر: عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 56-59.

(28) عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 60-61.

(29) Kager, René, Optimality Theory, Cambridge University Press, UK, 1999, p 1-18.

(30) عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 39.

(31) يطلق مصطلح الدخل (Lexicon) على مجموع المقولات القواعدية التي يمكن للغة أن تمتلكها سواء تتعلق بالجانب الصوتيّ (الفونيمات التركيبية) أو الجانب التطريزي (الفونيمات فوق التركيبية كالنبر والتنغيم) أو الجانب النحويّ (الإسناد، والمكملات للعملية الإسنادية)، أو الجانب الدلالي. وهذه الجوانب مما تكوّن بنية المُدخَلات (input) التي تُسلَّم إلى المولِّد لتوليد الاحتمالات الممكنة منطقياً من المُخرَجات (output) لدخل معطى. انظر: Kager, René, Optimality Theory, pg 19-20.

(32) See: Kager, René, Optimality Theory, pg 19-21;

وطيبي، أحمد، في اللسانيات المعاصرة الاقتصاد الصرفي ونظرية المفاضلة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015م، ص 48-59.

(33) عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 41.

(34) عبابنة، يحيى، القواعدية وأشكال الأفضلية في النحو المفعول المطلق أنموذجاً، ص 582.

(35) عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، ص 61.

(36) عبابنة، يحيى، القراءات القرآنية رؤى لغوية معاصرة، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2017م، ص 356.

(37) المرجع نفسه، ص 355.

(38) انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 236/1-237؛ والسيوطي، همع الهوامع، 56/2.

(39) المرادي، الجنى الداني، 70-72.

(39) سيبويه، الكتاب، 139/1-140؛ والمرادي، الجنى الداني، 71.

(40) استشهدوا بها على جواز دخول الفاء على الخبر لكونه أمراً، حيث يرون أن (هذا) مبتدأ و(فليذوقوه) خبر، انظر: المرادي، الجنى الداني، 72/1. وأما ابن هشام فجعل (حميم) هو الخبر وليس (فليذوقوه)، و(هذا) مبتدأ أو منصوب بفعل محذوف يفسره (فليذوقوه)، و(فليذوقوه) معترض بين المبتدأ والخبر. انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 220، والسيوطي، همع الهوامع، 59/2.

(41) من شواهد سيبويه: الكتاب، 140/1؛ والشاهد في قوله (أنت فانظرْ) حيث دخلت الفاء على الخبر لكونه أمراً، إلاّ أن سيبويه وأتباعه لجؤوا إلى ضروب من التأويلات وتقدير المحذوفات لتطويع النص لقاعدته كما ذكرنا. انظر: المرادي، الجنى الداني، 71-72. والشاهد في ديوان عدي لفظه باختلاف يسير لا يخل بالشاهد، وهو:

**أَرَواحُ مُوَدِّعُ أَمْ بُكُورُ  لَكَ فَاعْلَمْ لأيِّ حالٍ تَصِيرُ**

انظر: عدي بن زيد العبادي، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد، دار الجمهرية للنشر والطبع، بغداد، 1965م، ص 84.

(42) يتبين هذا الأمر في صحيح البخاري، انظر: البخاري، صحيحه، الحديث رقم (1386)، 100/2.

(43) ابن مالك، شواهد التوضيح، مسألة 62، ص 241. وجدت هذه الدراسة هذا الحديث في صحيح البخاري في موضعين بالسند الواحد؛ أحدهما باختلاف يسير لا يخل بالشاهد، ونصه: **"قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، قَالاَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يَكْذِبُ بِالكَذْبَةِ"**. وثانيهما ليس فيه إشكال قواعديّ لأنه تسبق عليه (أمّا)، ونصه:**"فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ"**. انظر: البخاري، صحيحه، الحديث الأول رقم (6096)، 25/8، والثاني رقم (1386)، 100/2.

(44) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص 242.

(45) الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1973م، ص 64.

(46) ابن هشام، مغني اللبيب، ص 219.

(47) انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 263/1-264.

(48) انظر: درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، 1415هـ، ط 4، 102/2، و37/10.

(49) انظر: الحمد والزعبي، علي توفيق الحمد ويوسف جميل، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، ط 2، 1993م، ص 220.

(50) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 509/10 و444/12.

(51) الحمد والزعبي، علي توفيق الحمد ويوسف جميل، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص 220.

(52) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (كود)، 382/3؛ وحسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف– مصر، ط 3، د.ت، 614/1.

(53) انظر: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 236/5.

(54) انظر: سيبويه، الكتاب، 12/3؛ والمبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت، 74/3؛ والأنباري، الإنصاف، 460/2؛ وابن هشام، مغني اللبيب، 839؛ والسيوطي، همع الهوامع، 139/2.

(55) الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 238/5.

(56) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1980م، ص 622.

(57) ابن مالك، شواهد التوضيح، مسألة 35، 159-160.

(58) حديث "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا"، أحمد بن منيع من طريق يزيد الرقاشي عن الحسن أن أنس به مرفوعا. انظر: السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد، المقاصد الحسنة في بيان كثير من

الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط 1، 1985م، ص 497-498.

(59) لعل هذا اللفظ يؤيّده ما ورد في صحيح مسلم، لفظه كالآتي: "**وَاللهِ مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ**". وأما في صحيح البخاري فلفظ الحديث موافق للقاعدة أي دون (أَنْ)، وهو كالآتي: "**مَا كِدْتُ أُصَلِّي العَصْرَ، حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ**". انظر: مسلم، صحيحه، الحديث رقم 209 (631)، 438/1؛ والبخاري، صحيحه، الحديث رقم 596، 122/1.

(60) البخاري، صحيحه، الحديث رقم 1015، 29/2.

(61) المصدر نفسه، الحديث رقم 4101، 108/5.

(62) المصدر نفسه، الحديث رقم 4854، 108/5.

(63) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص 159.

(64) لعل ما يؤيد هذا الكلام الظواهر اللغوية في هذا الباب نفسه على النحو الآتي:

1. لم ترد في القرآن بعض أفعال المقاربة، مثل: اخلولق، حرى، كرب، أوشك، مع ورودها في الشعر وغيره.
2. لم يرد الفعل (أخذ) بمعنى الشروع في القرآن أبداً، وإنما ورد بمعنى الأخذ الحسيّ والمعنويّ.
3. استعمل في القرآن صيغتا الماضي والمضارع من (كاد) ولم تستعمل فيه صيغة اسم الفاعل (كائد).
4. لم يرد في القرآن خبر (كاد) مقترنا بـ(أن)، مع ورودها في فصيح الكلام نثره وشعره.

انظر: القضاة، سلمان محمد سلمان، القضايا النحوية في مخطوطات وكتب إعراب الحديث النبويّ، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2005م، ص 88.

(65) البخاري، صحيحه، الحديث رقم 596، 122/1.

(66) مسلم، صحيحه، الحديث رقم 209 (631)؛ وابن مالك، شواهد التوضيح، مسألة 35، 159.

(67) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص 160؛ والأشموني، شرح الأشموني، 277/1. ولم تهتد الدراسة إلى قائله، انظر: العيني، المقاصد النحويّة، 707/2؛ والأشموني، شرح الأشموني، 277/1؛ وهارون، عبد السلام، معجم شواهد العربية، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 3، 2002م، 392؛ ويعقوب، إيميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، 504/6.

(68) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص 160.

(69) رؤبة بن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ط 1، ص 172؛ وورد الشاهد في الكتب النحوية: سيبويه، الكتاب، 160/3؛ والأنباري، الإنصاف، 460/2؛ والأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 238/5.

(70) الأنباري، الإنصاف، 461/2 هامش. والبيت في ديوان ذي الرمة:

**وَجَدْتُ فُؤَادِي هَمَّ أَنْ يَسْتَخِفَّهُ رَجِيعُ الْهَوَى مِنْ بَعْضِ مَا يَتَذَكَّرُ**

انظر: ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م، 216/2.

(71) من شواهد الأشموني. انظر: الأشموني، شرح الأشموني، 276/1. وهو وارد في لسان العرب باختلاف طفيف لا يخلّ بالشاهد:

**كادَت النَّفْس أنْ تَفِيظَ عَلَيْهِ إذْ ثَوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وبُرُودِ**

انظر: ابن منظور، لسان العرب، (نفس)، 234/6 و(فيظ)، 454/7.

(72) البخاري، صحيحه، الحديث رقم 1386، 100/2.

(73) البخاري، صحيحه، الحديث رقم 3841، 42/5؛ ومسلم، صحيحه، الحديث رقم 2256، 1768/4؛ والبيت في ديوان لبيد عجزه يختلف كالآتي:

**ألاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ**

انظر: لبيد بن ربيعة، ديوانه، تحقيق حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، 2004م، ص 85.

(74) مسلم، صحيحه، الحديث رقم 2256، 1768/4.

(75) معنى الحديث: أن مرضيّ الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف قليل فيهم جداً، كقلة الراحلة في الإبل، قالوا: والراحلة: هي البعير الكامل الأوصاف، الحسن المنظر، القوي على الأحمال والأسفار. انظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، الحديث رقم 5797، 114/13.

(76) ابن حبان، صحيحه، الحديث رقم 3044، 317/7. أبو بكرة هو الثقفي الصحابي، اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة، وهو مات بالبصرة في ولاية زياد سنة خمسين. وقيل إنه مات سنة إحدى وخمسين أو ثنتين وخمسين، وصلى عليه أبوبرزة الاسلمي. انظر: العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر – بيروت، 1984م، 418/10.

(77) مسلم، صحيحه، الحديث رقم 150 (2854)، 1931/4؛ وابن حبان، صحيحه، الحديث رقم 7166، 123/16.

(78) الأنباري، الإنصاف، 461/2-462.

(79) الحديث أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وصحّحه الحاكم. انظر: العسقلاني، فتح الباري، 133/11.

(80) انظر تعليق مصطفى البغا لهذا الحديث الوارد في صحيح البخاري: البخاري، صحيحه، رقم الحديث 4854، 140/6.

(81) انظر مثلاً: الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 238/5؛ وابن مالك، شواهد التوضيح، 160.

(82) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك، 290/1؛ وحسن، عباس، النحو الوافي، 620/1.

(83) ابن منظور، لسان العرب، 111/11.

(84) غير أن سيبويه قد استشهد به في مجيء المفعولين بالضمير المتصل مع أنّ كليهما غائب (لضَغْمِهِماها)، وهو شاذ قليل، وكان القياس: (لضَغْمِهِما إياها). انظر: سيبويه، الكتاب، 365/2؛ وابن منظور، لسان العرب، (ضغم)، 111/11. والبيت لمغلّس بن لقيط (جاهليّ)، من قصيدة يرثي بها أخاه، ويشتكي أخوين له. انظر في ذلك: ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، تحقيق عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، د.م، 1986م، 94/1؛ والبغدادي، خزانة الأدب، 208/2-209؛ والعيني، المقاصد النحويّة، 314/1؛ وشُرّاب، محمد بن محمد حسن، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2007م، 188/1.

(85) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، 386/4؛ وحسن، عباس، النحو الوافي، 621/1.

(86) انظر: محمد أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربيّ، مؤسسة الصباح، كويت، د.ت،

(87) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص 135؛ والبخاري، صحيحه، ورد الحديث في موضعين، أوجزهما: "عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ **كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ**، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا"، الحديث رقم 2085، 59/3، والموضع الثاني في رقم 1386، 100/2.

(88) وهو جزء من بيت لتَأَبّطَ شَرّاً، وهو بتمامه:

**فَأَبْتُ إلى فَهْمٍ ومَا كِدْتُ آيِباً وَكَمْ مِثلِها فَارَقْتُها وهي تَصْفُرُ**

انظر: تأبط شرا، ثابت بن جابر بن سفيان، ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م، ص 91.

(89) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص، 137؛ والسيوطي، شرح شواهد المغني، 606/2. الشاهد في قوله (مَرْتَعُها قَرِيبُ) على أنه جاء خبر (جعل) جملة اسمية نادراً. وفي خزانة الأدب (بني زياد) ويصف البغدادي أنّ هذا الاستعمال نادر.انظر: البغدادي، خزانة الأدب، 352/9.

(90) الشاهد في قوله (إذا ما قُمْتُ يُثْقِلُنِي ثوبي) على أنه جملة شرطية مصدّرة بـ(إذا) في محل نصب خبر (جعل). انظر: ابن مالك، شواهد التوضيح، ص 136. وأما البيت فهو منسوب إلى أبي حية النميري. انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح شواهد المغني، لجنة التراث العربي، د.م، 1966م، 911/2؛ والبغدادي، خزانة الأدب، 357/9؛ والأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، 280/1.

(91) يوافق ابنَ مالك ما ذهب إليه الزمخشري في أن الأصل في خبر أفعال المقاربة أو الشروع أن يكون اسماً مفرداً ولكن عدل عن الاسم إلى الفعل المضارع لغرض الدلالة على قرب زمن وقوعه والالتباس به. انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538 هـ)، المفصّل في صنعة الإعراب، تحقيق علي أبو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، 1993م، 323؛ وابن يعيش، شرح المفصل، 222/4.

(92) القضاة، سلمان، القضايا النحويّة، ص 95.

(93) المرجع نفسه، ص 95-96.

(94) الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، 242/5.

(95) البخاري، صحيحه، الحديث رقم 4770، 111/6؛ وابن مالك، شواهد التوضيح، ص 135 و137.

(96) الحمد والزعبي، علي توفيق ويوسف جميل، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص 251-251.

(97) البخاري، صحيحه، الحديث رقم 2085، 59/3، والموضع الثاني في رقم 1386، 100/2.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

### بالعربية:

الأزهري، خالد، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

الأستراباذي، رضي الدين محمد، **شرح الرضي على الكافية**، شرح وتحقيق عبد العال سالم مكرم، ج 5، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.

الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

الأنباري، أبو البركات كمال الدين، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، د.م، 1422هـ.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

تأبط شرا، ثابت بن جابر بن سفيان، **ديوان تأبط شرا وأخباره**، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب الأمير علاء الدين علي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م.

الحديثي، خديجة، **موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف**، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد، 1981م.

حسن، عباس، **النحو الوافي**، دار المعارف، مصر، ط 3، د.ت.

حسين، محمد الخضر، **دراسات في العربية وتاريخها**، ط 2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1960م.

حمادي، محمد ضاري، **الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية**، ط 1، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15 الهجري، الجمهورية العراقية، 1982م.

الحمد والزعبي، علي توفيق ويوسف جميل، **المعجم الوافي في أدوات النحو العربي**، دار الأمل، إربد، ط 2، 1993م.

أبو حيان الأندلوسي، محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط**، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، 1415هـ.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السِجِستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، د.م، ط 1، 2009م.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، **ديوان ذي الرمة**، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م.

رؤبة بن العجاج، **ديوان رؤبة بن العجاج**، تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1979م.

الزجاجي، أبو القاسم، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1973م.

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، **كتاب حروف المعاني**، تحقيق علي توفيق الحمد، دار الأمل، إربد، 2010م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق علي أبو ملحم، ج 1، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط 1، 1985م.

سيبويه، عمرو بن عثمان قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

السيوطي، جلال الدين، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

السيوطي، جلال الدين، **الاقتراح في أصول النحو**، تحقيق محمود فجال، دار القلم- دمشق، ط 1، 1989م.

السيوطي، جلال الدين، **شرح شواهد المغني**، لجنة التراث العربي، د.م، 1966م.

الشاعر، حسن موسى، **النحاة والحديث النبوي**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2010م.

شُرّاب، محمد بن محمد حسن، **شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2007م.

طيبي، أحمد، **في اللسانيات المعاصرة الاقتصاد الصرفي ونظرية المفاضلة**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015م.

عبابنة، يحيى، "القواعدية وأشكال الأفضلية في النحو المفعول المطلق أنموذجاً"، **جزء من كتاب "في أروقة العربية"**، ماجد عيث الحجيلي، بحوث لسانية مهداة إلى الدكتور إسماعيل عمايرة، سلسلة دراسات لسانية (3)، عالم الكتب الحديث، إربد، 2016م، ص 582-597.

عبابنة، يحيى، **القراءات القرآنية رؤى لغوية معاصرة**، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2017م.

عبابنة، يحيى، **اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية دراسة وصفية تحليلية**، دار الكتاب الثقافي، إربد،2017م.

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربيّ**، بيروت، 1980م.

عبد التواب، رمضان، **فصول في فقه العربية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 6، 1999م.

عدي بن زيد العبادي، **ديوان عدي بن زيد العبادي**، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد، دار الجمهرية للنشر والطبع، بغداد، 1965م.

العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط 1، مكتبة الرشد، الرياض، 2004م.

العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي، **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، بيروت، 1984م.

أبو عودة، عودة خليل، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف**، دار البشير، عمان، 1990م.

عيد، محمد، **الرواية والاستشهاد باللغة دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث**، عالم الكتب - القاهرة، 1972م.

القضاة، سلمان محمد سلمان، **القضايا النحويّة في مخطوطات وكتب إعراب الحديث النبويّ**، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2014م.

لبيد بن ربيعة، **ديوان لبيد بن ربيعة**، تحقيق حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، 2004م.

العيني، بدر الدين محمود، **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، تحقيق علي محمد فاخر وأحمد محمد توفيق السوداني وعبد العزيز محمد فاخر، ج 4، دار السلام، القاهرة، 2010م.

لوسركل، جان جاك، **عنف اللغة**، ترجمة وتقديم محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

محمود فجال، **الحديث النبويّ في النحو العربيّ دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث في النحو العربيّ ودراسة نحوية للأحاديث الواردة في أكثر شروح ألفية ابن مالك**، أضواء السلف، الرياض، 1997م

المرادي، أبو محمد بدر الدين، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ابن مالك، جمال الدين الأندلسي، **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، تحقيق طه محسن، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1980م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1900م.

النفاخ، أحمد راتب، **فهرس شواهد سيبويه: شواهد القرآن، شواهد الحديث، شواهد الشعر**، دار الإرشاد، بيروت، 1970م.

هارون، عبد السلام، **معجم شواهد العربية**، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط 3، 2002م.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1985م.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، د.م، د.ت.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين، **تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد**، تحقيق عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، د.م، 1986م.

يعقوب، إيميل بديع، **المعجم المفصل في شواهد العربية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

ابن يعيش، موفق الدين، **شرح المفصل**، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

**بالإنجليزية:**

Archangeli, Diana, *Optimality Theory: An Introduction to Linguistic in the 1990*, in *Optimality Theory: an Overview*, edited by Diana Archangeli and D. Terence Langendoen, Blackwell Publishers, Malden, Mass, 1997.

Kager, René, *Optimality Theory*, Cambridge University Press, UK, 1999.

McCarthy, John.J, *A Thematic Guide to Optimality Theory*, Cambridge University Press, UK, 2002.

Prince, Alan & Smolensky, Paul. *Optimality Theory Constraint Interaction in Generative Grammar*, Blackwell Pub, Malden, MA, 2004.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 739- 769

# الأنشطة الاتصالية لجهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي ومدى أهميتها وانعكاسها على الجمهور

محمد هاشم السلعوس*

تاريخ الاستلام 2018/5/6 تاريخ القبول 2018/6/13


## ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تعرّف الأنشطة الاتصالية لجهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي وأهميتها في التواصل مع الجمهورين الداخلي والخارجي للمستشفى. واعتمد الباحث على المنهج المسحي في تنفيذ الدراسة مستخدما الاستبانة أداة في جمع المعلومات والبيانات، وتكونت عينة الدراسة من جميع ممارسي العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي وعددهم (١٣) ممارسا، مستخدما أسلوب الحصر الشامل في تحديد عينة الدراسة. وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

1- أن وسائل الإعلام الجديد تتفوق على بقية الوسائل الاتصالية التي يستخدمها ممارسو العلاقات العامة في المستشفى.

2- أن جهاز العلاقات العامة في المستشفى يستخدم الأساليب الاتصالية التي تتضمن الاتصال الشخصي والاتصال الجمعي.

3- أن جهاز العلاقات العامة في المستشفى يمارس الأنشطة الاتصالية التعريفية والإخبارية.


**الكلمات المفتاحية:** العلاقات العامة، الأنشطة الاتصالية، الأساليب الاتصالية، المستشفيات.

## مقدمة

العلاقات العامة هي وظيفة إدارية "تقيس وتتنبأ بالآراء والاتجاهات، وردود الفعل المتوقعة من الجمهوريْن الداخلي والخارجي، وهْيَ التي تتحكم في عملية الاتصال بين المؤسسة وجماهيرها تحقيقاً للمنفعة العامة للطرفين وللمجتمع ككل"[(1)]، وهي مجال من مجالات الإدارة، تطور في النصف الثاني من القرن الماضي، نتيجةً لتعاظمِ أهميةِ الرأي العام في المجتمعات الإنسانية،

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم الإذاعة والتلفزيون، كلية الإعلام، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

والرغبة في كسب ثقة الجمهور وتأييده لسياسات المؤسسات والمنظمات، حتى أصبح هذا الجمهور يؤثر مباشرة في اتخاذ قراراتها.

وتمثل العلاقات العامة أداةً معرفيةً ووظيفيةً ذات طابع مهم في مختلف مجالات الحياة اليومية، فهي مرآة عاكسة لأشكال التعامل الانساني الصحيح، وهي البوصلة التي ترشد المنظمة وتوجهها إلى الطريق السليم للوصول إلى جمهورها الداخلي والخارجي، كما أنها أداة لتوضيح وشرح برامج المؤسسة وأهدافها، ولتعزيز الثقة بينها وبين الجماهير من أجل الفوز برضاهم وكسب تأييدهم لدعم الأهداف والمصالح التي تسعى إلى تحقيقها [2].

ويختلف المؤرخون والمشتغلون بالعلاقات العامة حول مفهوم العلاقات العامة من حيث كونها فناً أو علماَ. وليس الباحث هنا في صدد إيراد تعريفات للفن والعلم، إلاّ أنه يرى أنّ "من الحقائق المؤكدة أنّ العلم والفن متّصلان اتصالا وثيقاً، فليس من المتصور أن يقوم علم من دون فن، أو يرقى فن من دون علم، ويتجلى ذلك في العلوم التطبيقية التي تظهر فائدتها في التطبيق الفني، والخلاصة أن العلم ينطوي على الإدارة أو المعرفة، والفن ينطوي على العمل، والمقصود بالفن الفن المهاري وليس الفن بالمعنى الجمالي، وهو القدرة على التعامل مع الناس ومسايرتهم، ومجاراتهم، أي أن العلاقات العامة تحتاج إلى مهارةٍ ولباقة، وحسن تصرّف، وإلى تجديد وابتكار مستمر، وهي فنٌ في كيفية التعامل مع الجمهور، والحصول على رضاه ومحبته، وكسب ثقته وتأييده، ويتحقق ذلك عن طريق الاتصال بالجماهير لنقل الحقائق إليهم وتفسيرها كي تلقى المنظمات تأييد الجماهير لها [3]. ومن هنا أدركت المؤسسات المختلفة أهمية العلاقات العامة وأهمية الاتصال بالجماهير من أجل معرفة مواقفها وآرائها ورغباتها، "كما أدركت أهمية الوصول إليها من خلال وسائل الاتصال الخاصة والعامة لنقل وجهة نظرها حول القضايا والمسائل التي يهتم بها الناس[4]. وتأتي المستشفيات في مقدمة المؤسسات التي ينبغي أن تولي أنشطة العلاقات العامة اهتماما خاصاً، بغية الوصول إلى الجماهير المتعددة المتعاملة معها، ولكي يكون بوسعها المنافسة في جذب الناس إليها، وتحسين سمعتها بينهم باستمرار على الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث يمكّنها ذلك من بناء سياستها، آخذة بالاعتبار متطلباتهم وتطلعاتهم.

وتسعى هذه الدراسة إلى تعرّف الأنشطة الاتصالية لأجهزة العلاقات العامة في المستشفيات الأردنية، ومدى الدور الذي تؤديه في تزويد جماهيرها بالمعلومات المهمة والمفيدة التي يحتاجون إليها. وذلك من خلال تعرّف الأنشطة الاتصالية لجهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبدالله الجامعي.

## الإطار النظري للدراسة:

### نشأة العلاقات العامة وتطورها:

نشأ مفهوم العلاقات العامة بعد الثورة الصناعية في أوروبا، وبروز المصانع والمؤسسات الكبرى التي أصبحت تعنى بتوثيق الصلة بجمهورها، ومع تعقيد الحياة وتعدد الأنشطة التي تقوم بها الحكومات والمؤسسات التابعة لها، والحاجة إلى التواصل مع المجتمع، كانت العلاقات العامة هي السبيل إلى التواصل بين الحكومة والجمهور. وظهرت العلاقات العامة (Relations Public) كمفهومٍ حديثٍ مع بداية النهضة الأوروبية، وبعد خضوع العلوم الإنسانيةِ للتنظير. أما كونها نشاطا إنسانيا فهي قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، فالإنسان بطبعه اجتماعي يميل دائماً إلى الاتصال مع الآخرين، ويسعى إلى التعامل معهم، بغيةَ المنفعة المتبادلة، سواء في تبادل الخبرات أو الطعام أو الحاجة إلى الدفاع المشترك بوجه التحديات والمخاطر التي قد تواجهه [5].

ومع تطور المجتمعات البشرية وما رافقها من تغيرات "طرأت تغيّراتٌ على عادات المجتمع وتقاليده أيضاً، وظهرت هيئات ومؤسسات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية، وظهرت حاجة ضرورية في تلك الهيئات والمؤسسات إلى بناء نوع من العلاقات مع الناس، وذلك بغية تحقيق أهدافها، فوجدت نفسها تقوم بنشاط اتصالي، الهدف منه بناء نوع من العلاقات مع جمهور تلك المؤسسة أو الهيئة، والتي يتوقف نجاحها على كسب ثقتهِ وتأييده"[6].

### مفهوم العلاقات العامة:

تشير عبارة العلاقات العامة إلى أنها تتكون من كلمتين مترجمتين عن اللغة الإنجليزية هما: العلاقات (Relations)، وتعني التواصل الناجم عن التفاعل بين فردين أو أكثر، والثانية (Public) و"تعني الجمهور العام أو الناس"، ويدلُ هذا المفهوم تحديداً على أن العلاقات تشمل هنا كل عمليات التفاعل مع الجماهير أو الناس في المجتمع، ولذلك تصبح عمليات التفاعل هذه واسعة النطاق معقدة الأبعاد، متنوعة الأهداف بتعدد حاجات الأفراد والجماعات وتنوع مصالحهم واتساع أهدافهم [7].

### تعريف العلاقات العامة:

العلاقات العامة هي "الفن القائم على أسس علمية لبحث أنسب أساليب التعامل الناجحة المتبادلة بين المنظمة وجمهورها الداخلي والخارجي لتحقيق أهدافها، مع مراعاة القيم والمعايير الاجتماعية والقوانين والأخلاق العامة في المجتمع"[8]، وهيَ "الجهود المخططة والمستمرة لإقامة التفاهم المتبادل بين المنظمة وجماهيرها" كما أنها "صورة من السلوك وأسلوب للإعلام

والاتصال، بهدف بناء وتدعيم العلاقات المليئة بالثقة، والتي تقوم على أساس المعرفة والفهم المتبادلين بين المؤسسة وجمهورها المتأثر بوظائف وأنشطة تلك المؤسسة"[9].

**خصائص العلاقات العامة:**

ليست العلاقات العامة نشاطاً ثانويَ الأهمية، بل إنها عنصرٌ أساسيٌ في أنشطة المؤسسات، وضرورةٌ يفرضها المجتمع الحديث، ونشاطٌ مخططٌ مرسوم لإحْداث تأثيرٍ مرغوبٍ في وقتٍ محدّدٍ وبأسلوبٍ معيّنٍ مختار، وهمزةُ وصْلٍ بين المؤسسة والجمهور، وهدفها تحقيق الرضا العام والسعي إلى الحصول على موافقة الجمهور الداخلي والخارجي ودعمه للمنظمة. كما أنها تركز على التخطيط القائم على الملاحظة العملية وطرق البحث العلمي التي تساعد على تلمس احتياجات الجماهير، ودراسة آرائها واتجاهاتها وتحسس مشكلاتها، ونقل هذه الدراسات بأمانة وصدق إلى المستويات الإدارية العليا، لهذا فهي لا تعتمد على الارتجال أو الصدفة [10].

**الهيكل التتنظيمي لإدارة العلاقات العامة:**

يتّخذ الهيكل التنظيمي لإدارة العلاقات العامة أشكالا متعددة، وفقا لطبيعة تكوينها والوظائف التي تؤديها، وطبيعة المجتمع الذي تعمل فيه، لذلك فإن تصميم الأشكال والنماذج المتعلقة بالهيكل التنظيمي للعلاقات العامة، يتركز في المؤسسات الكبيرة، كالوزارت والمنظمات الدولية والإقليمية والهيئات العامة[11].

**جمهور العلاقات العامة:**

يُطلق مفهوم الجمهور الداخلي على جميع الأفراد الذين يعملون داخل المؤسسات المختلفة، ومنها المستشفيات، ومن الملاحظ أن العاملين فيها آخذون في الازدياد باستمرار، خاصةً بعد التقدم الصناعي والتكنولوجي العالمي، إذ اتسعت أعمال هذه المؤسسات، وتطّلب هذا التوسع في أنشطتها استخدام أعدادٍ كبيرة من العاملين، وكان لا بدَّ لها من السعيّ إلى توطيد علاقتها بهم. وتعد علاقة المستشفيات بالجمهور الخارجي على درجة كبيرة من الأهمية، فلا يمكن لهذه المؤسسة أن تستمر في أداء عملها إلا إذا حظيت بثقة الناس وتأييدهم على الصعيدين الداخلي والخارجي، وللجمهور الخارجي أهميته لأنه يضمّ جميع الأفراد الذين يقيّمونه خارج المستشفى ويرتبطون بها ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر[12].

## الأنشطة الاتصالية للعلاقات العامة في المستشفيات الأردنية

### مفهوم الأنشطة الاتصالية:

هي "مجموعة الممارسات الخاصة بجهاز العلاقات العامة، في إطار العمل الترويجي لتحقيق أهداف المؤسسة وتحسين صورتها لدى جمهورها الداخلي والخارجي"[13]. وهي "كل ما تقوم به العلاقات العامة من وظائف وفعاليات، مستخدمةً وسائل الاتصال بأنواعها المختلفه بهدف التأثير الإيجابي وخلق صورةٍ ذهنيةٍ طيبةٍ لدى الناس عن المؤسسة"[14].

### الأنشطة الاتصالية المستخدمة لتحقيق أهداف العلاقات العامة:

يتم استخدام عددٍ من الأنشطةِ الاتصاليةِ في إدارة العلاقات العامةِ لتحقيق أهدافها التي يمكن استخدامها جميعها أو بعضها، وهذه الأنشطةُ هيَ [15]:

1- الزيارات: وهي أن تقوم إدارة العلاقات العامة باستضافة أفرادٍ من الجمهور المستهدف للتعريف بأنشطة المنظمة، وجعلهم يشعرون بالألفة مع المكان قبل الوصول إليه.

- النشرات: هي عبارة عن نشرات تعريفية عبر موقعها الإلكتروني الذي يكون معدا إعدادا جيدا من حيث المعلومات والصياغة وسهولة الاستخدام. وتعدّ هذه الوسيلة وسيلةً مهمةً لمساعدة رجال العلاقات العامة، لتحديد مدى فهم الجمهور لأنشطة المؤسسة التي يعملون فيها، وتجيب عن كثيرٍ من الأسئلة الرئيسةِ التي تتبادر إلى ذهن الجمهور.
- الرسائل: يتم إعدادها للجمهور المستهدف للتعريف بالحملات التي تقوم بها المؤسسة.
- الصحافة: من الضروري أن يظل اسم المنظمة وخدماتها مرتبطين بأذهان الجمهور المستهدف، وخير وسيلة لذلك هي الأخبار، والمقالات والإحصائيات التي تنشر في الصحف المحلية، ومن الضروري إدراك أنّ الصحافة المحلية بحاجة إلى هذا النوع من الأخبار.
- الإذاعة والتلفزيون: تفعيل دور العلاقات العامة عن طريق نشاطاتها وخدماتها من خلال المشاركة في البرامج والندوات التي تقدمها الإذاعة والتلفزيون، مما يعزز سمعتها ومكانتها.
- الملصقات: ويمكن استخدام نوعين من الملصقات:

أ. الملصقات Posters التي تبرز اسم المؤسسة، والتي يجب أن يراعى فيها وضوح الفكرة وجمال الإخراج وجودة الصياغة.

ب. عقد المؤتمرات الصحفية: من خلال دعوة رجال الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون لتغطية المؤتمرات، بالإضافة إلى إعداد أفلام سينمائية وفيديوهات قصيرة للتعريف بأنشطة المؤسسة.

**أنشطة العلاقات العامة حسب مداخل اتخاذ القرارات:**

تتفاوت الأنشطة والبحوث والدراسات التي تنجزها إدارة العلاقات العامة وفقا للمراحل التي تمر بها القرارات التي تتخذها الإدارة العليا، وتكون تلك الأنشطة على النحو الآتي[16]:

أولا: أنشطة قبل اتخاذ القرار: وهي البحوث التي يتم إجراؤها قبل الشروع في عملية اتخاذ القرار.

ثانيا: أنشطة أثناء اتخاذ القرار: توجد أنشطة تقوم بها إدارة العلاقات العامة أثناء اتخاذ الإدارة العليا في الجهاز للقرار، وذلك لتوضيحه وبيانه ومحاولة التأثير في الجمهور.

ثالثا: الأنشطة التي تقوم بها إدارة العلاقات العامة بعد اتخاذ القرار: وهي الأنشطة التي تقوم بها إدارة العلاقات العامة بعد اتخاذ الإدارة العليا لقرارها، ويكون لها تأثير عليه، وتتلخص هذه الأنشطة فيما يلي:

دراسة الجمهور الداخلي والخارجي، الهيئات الاستشارية، تحليل الرسائل البريدية، تخصيص هاتف لاستقبال مكالمات الجمهور، التقارير السنوية.

**الوسائل الاتصالية للعلاقات العامة في المستشفيات الأردنية:**

- وسائل الاتصال الشخصي الوسيطي، وتتمثّل في الآتي:

التليفون، التلغراف، التيلكس، الفاكس، الإذاعة المحلية والدوائر التلفزيونية المغلقة، اتصالات الحاسب الإلكتروني، مكبرات الصوت والأجراس، التسجيلات، التقارير اليومية والدورية والسنوية.

- وسائل الاتصال الشخصي المباشر، وتتمثّل في الآتي:

الاتصال بقادة الرأي في المجتمع، الاشتراك في المسابقات العامة، المشاركة في الحياة العامة، خدمة المجتمع المحلي، الزيارات، الاجتماعات، المقابلات، المحادثات، رعاية العاملين في المنشأة.

- وسائل الاتصال الجماهيري، وتتمثّل في الآتي:

صحف الحائط، مجلة المنشأة، النشرات الإخبارية، البيانات الصحفية، الكتبيات، الأدلة، الخرائط، الندوات، المطويات، الأدلة الإرشادية، التخطيطات التوضيحية، الصحف، الصور

والرسوم، أفلام العلاقات العامة، الرحلات، المعارض، المعسكرات، الأحاديث، الخطب العامة، المجلات، المسرح، السينما، الرادايو [17].

**عمل العلاقات العامة في المستشفيات:**

تؤدي العلاقات العامة في قطاع الرعاية الصحية والمستشفيات دوراً مُهمّاً لتعاملها مع جمهور متنوع، وذي خصوصية عالية، ومحتاج إلى رعاية نفسية وطبية في آنٍ واحد، وعليها يقع واجب تلقّي التوجيهات والتعليمات من الإدارة العليا وترجمتها إلى رسائل وبرامج تُوَجّه إلى الجماهير، بالإضافة إلى نقل وجهات نظر جميع العاملين في المستشفى واقتراحاتهم إلى الإدارة.

ومن أبرز وظائف العلاقات العامة في المستشفيات، هو القيام بتعريف الجمهور الخارجي والداخلي بالمستشفى وتوضيح أهدافها ورسالتها، عن طريق أدوات الاتصال الشائعة، وتوفير مناخ جيد من العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين العاملين، عن طريق استثمار المناسبات والأعياد، وتقديم صورة واضحة للجمهور عن سياسة المستشفى، وما يحدث فيها من تعديل وتغيير لإيجاد حالة من الاستقرار لدى العاملين والجمهور الخارجي، لاستمرار العلاقة والتعامل مع المؤسسة، ومساعدة الإدارة في المستشفى والجمهور الخارجي لتحقيق نوع من الانسجام في التعامل، وكسب ثقة الجماهير بها في الداخل والخارج، وتوثيق العلاقة بين الأقسام والشُعب داخل المسشتفى، والتأكيد على تشجيع الاتصال بين المستويات الإدراية والتعاون فيما بينها وإيجاد قنوات جدية للاتصال، ودراسة اتجاهات الجماهير التي تتعامل مع المستشفى، وتحليل المقترحات المهمة، وتقديم تقارير مراقبة عن ذلك للإدارة وإقرارها لترسيخ العلاقة الطيبة بين الجمهور دون المساس بمصالح المستشفى، فمهمة العلاقات العامة تكمن في توفير المعلومات الصحيحة والدقيقة للجمهور الداخلي والخارجي، والتركيز على المريض واحتياجاته ليشعر أنه جزء من المؤسسة أو النظام [18].

**الإطار المنهجي للدراسة:**

**مشكلة الدراسة:**

تُعَدّ الأنشطة الاتصالية لأجهزة العلاقات العامة في كل المؤسسات أساسيةً لتسويق أي مؤسسة تستهدف جذب الجماهير على اختلاف أنواعها إلى منتجاتها أو خدماتها، ومن ثمّ فإنّ الأنشطة الاتصالية من الأسس المهمة لتسويق الخدمة أو السلعة. وللعلاقات العامة في المستشفيات الأردنية دور خاص، عليها أن تؤديه بكفاءة، وخصوصاً في هذه الآونة التي يشهد المرء فيها اعتداءات على الأطباء والعاملين فيها من قبل بعض المواطنين. وتكشف هذه الدراسة

عن الأنشطة الاتصالية التي يقوم بها قسم العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي، ومدى انعكاسها على الجمهور وأهميتها بالنسبة إليه.

**أهمية الدراسة:**

تعد دائرة العلاقات العامة حلقة الوصل التي تربط المستشفى بجماهيرها، فهي النافذة التي تُطل من خلالها على جماهيرها الداخلية والخارجية، عند الرغبة في الحصول على أي معلومةٍ أو استفسار. وانطلاقا من ذلك تاتي أهمية هذه الدراسة لتعرّف الأنشطةِ الاتصاليةِ لقسم العلاقات العامةِ في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي. ويمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة في أنها:

1) تدرس الأنشطة التي يؤديها قسم العلاقات العامة في أهمّ مؤسسة طبية في شمال الأردن.
2) تكشف عن دور العلاقات العامة في دعم مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي جماهيرياً، والأنشطة التي تقوم بها في سبيل بناءِ سمعةٍ طيبةٍ ورسم صورةٍ جميلةٍ لهُ بين الناس.
3) قد تثري المكتبةَ العلمية العربية بدراسةٍ جادةٍ حول الأنشطة الاتصالية لأجهزة العلاقات العامة في المستشفيات الأردنية.

**أهداف الدراسة:**

تسعى هذه الدراسة إلى تعرّف الأنشطة الاتصالية لجهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي كهدف رئيس، ويتفرع منه الأهداف الفرعية الآتية:

1- تعرّف الوسائل الاتصاليّة التقليدية والحديثة التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي.
2- رصد الأساليب الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي.
3- بيان الأنشطة الاتصالية التي يقوم بها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي.
4- تعرّف الصعوبات التي تعترض عمل العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي.

**أسئلة الدراسة:**

وضع الباحث الأسئلة الآتية، بهدف تعرّف الأنشطة الاتصالية للعلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي:

- ما الوسائل الاتصالية التقليدية والحديثة التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي؟
- ما الأساليب الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي؟
- ما الأنشطة الاتصالية التي يقوم بها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك عبد الله الجامعي؟
- ما الصعوبات التي تعترض عمل العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي؟

**نموذج الدراسة:**

تستند هذه الدراسة إلى "نموذج الاتصال غير المتوازن"، وإلى "نموذج الاتصال المتوازن" لِـ "جيمس جرونج" [(19)]. ويقوم نموذج الاتصال غير المتوازن (غير المتماثل) في اتجاهين على ممارسة الاتصال في اتجاهين: من المنظمة إلى الجمهور، ومن الجمهور إلى المنظمة، بهدف إقناع الجمهور بإستراتيجياتها وسياساتها وأهدافها، وقياس ردود فعل الجمهور عليها. ولكنه لا يتضمن اتخاذ إجراءات ما، أو إجراء تعديل في إستراتيجيات المنظمة وسياساتها في ضوء رد فعل الجمهور. أما النموذج المتوازن (المتماثل) في اتجاهين، فهو النموذج المثالي لممارسة العلاقات العامة، ولذا يُطْلَقُ عليه نموذج العلاقات العامة الممتازة، حيث تسعى المنظمة إلى تخطيط سياسات وبرامج العلاقات العامة على مستوى إستراتيجي، بهدف إحداث تغيرات ما في معارف الجمهور أو اتجاهاته أو سلوكاته، مع توافر استعداد لديها بالتكيّف والتغيير وفقا لمتتطلبات البيئة الخارجية التي تعكسها اتجاهات الجمهور وسلوكاته، ولذا يركز هذا النموذج على بناء علاقات إستراتيجية مع الجماهير تستهدف خلق تفاهم متبادل، وممارسة أساليب الاتصال الفعّال بدلا من الاعتماد على إستراتيجيات الإقناع.

ومن هذا المنطلق يعدّ نموذج جرونج هو الأنسب لقيام جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك عبد الله الجامعي بتطبيقه، لأنه يقوم على الفهم المتبادل بين الطرفين، وصولاً إلى الانسجام عن طريق دراسة وتحليل ردود الفعل على العمليات الاتصالية بالاتجاهين بين المستشفى والجماهير الداخلية والخارجية. وقد وظّف الباحث "النموذج غير المتوازن باتجاهين"، الذي يسعى إلى خدمة أهداف المؤسسة من خلال إيصال المعلومات إلى العاملين في المؤسسة إلى الإدارة، ومن خلال أدوات اتصالية متعددة كالمؤتمرات والندوات والاجتماعات، وتعكس الدراسة أيضا "نموذج الاتصال المتوازن باتجاهين" الذي يسعى إلى إظهار الحوار بين المؤسسة وجماهيرها بأسلوب متزن ومتناسق للتوصل إلى حلول وسطى.

**مفاهيم الدراسة والتعريفات الإجرائية:**

الأنشطة الاتصاليّة: هي كل ما يقوم به قسم العلاقات العامة من وظائف وفعاليات، مستخدماً وسائل الاتصال بأنواعها المختلفة، بهدف التأثير الإيجابي وخلق صورة ذهنية طيبة لدى الرأي العام الجماهيري[20].

التعريف الأجرائي: الأنشطة الاتصالية هي من أهم وظائف العلاقات العامة في مستشفى الملك عبد الله المؤسس الجامعي التي تهتم بالتواصل والاتصال مع جماهيرها، لتزويدهم بأهم المعلومات التي تتناسب مع احتياجاتهم ورغباتهم، وكل ما هو جديد فيها.

جهاز العلاقات العامة: هو الجهاز الذي يعمل في العديد من المجالات كالنشر والإعلام وقياس الرأي العام، وكلُ ذلك يحتاج إلى تنظيم يُيسّر التعاون بين المتخصصين في هذه الفروع، حيث يقوم جهاز العلاقات العامة بعملية التنظيم بين هذا التخصصات [21].

التعريف الإجرائي: يقصد بجهاز العلاقات العامة في هذه الدراسة، الجهاز المسؤول في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي عن القيام بجميع الأنشطة الخاصة بالجمهور الذي يتعامل معه على الصعيدين الداخلي والخارجي.

**دراسات سابقة:**

**دراسات عربية:**

دراسة أبو العسل (2014)[22]، وهي بعنوان: "الممارسات الاتصالية والإدارية للعلاقات العامة في المستشفيات المدنية الأردنية"، وتسعى إلى تعرّف طبيعة ومستوى الممارسات الاتصالية والإدارية والأنشطة الإعلامية التي تقوم بها أقسام العلاقات العامة في المستشفيات المدنية الأردنية، وتعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية القائمة على منهج المسح من خلال استخدام الاستبانة أداةً لجمع المعلومات، وتمثلت عينة الدراسة في كوادر العلاقات العامة في المستشفيات المدنية الأردنية التي يزيد عدد أسرتها عن مائة سرير في كل من العاصمة عمان ومحافظة إربد. وكشفت نتائج الدراسة عن وجود أجهزة للعلاقات العامة تحت عدة مستويات إدارية، حاز من بينها مستوى (قسم) على النسبة العليا، كما تفوقت نسبة العاملين فيها من الذكور على الأناث. وكشفت النتائج عن أن النسبة الغالبة من العاملين في العلاقات العامة ليست من المتخصصين في هذا الحقل أو في الإعلام وفروعه؛ إذْ تُبيّن النتائج أنَّ نسبة المتخصصين في حقل العلاقات العامة تصل إلى (17.3%)، وأن معظم أجهزة العلاقات العامة في العينة المدروسة يرتبط بمدير المستشفى مباشرةً، وبنسبة مقدارها (91.7%) وأن نصف عينة الدراسة يمارس عمل العلاقات العامة من خلال النموذج الاتصالي المتوازن باتجاهين، وبنسبة (57.3).

دراسة عاشور (2014)[23]بعنوان: "الأنشطة الاتصالية لأجهزة العلاقات العامة في المنظمات الدولية في الأردن"، وتهدف هذه الدراسة إلى تعرّف طبيعة الأنشطة الاتصالية وأسلوب عمل وفعالية البرامج والمشكلات التي تواجه العلاقات في المنظمات الدولية في الأردن، بالإضافة إلى تأثير برامج العلاقات العامة على الجمهور الأردني كما يراها ممارسو العلاقات العامة في المنظمات الدولية في الأردن. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي باستخدام أداتي الاستبانة والمقابلة. ونظرا لصغر حجم عينة ومجتمع الدراسة، فقد اعتمدت على أسلوب الحصر الشامل. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن ممارسي العلاقات العامة في المنظمات الدولية في الأردن يقيمون علاقات جيدة مع المؤسسات الإعلامية في المملكة، وأنّ من أهم وأكثر المشكلات التي تعترض عمل إدارة العلاقات العامة وجود ضوابط صارمة على المواد التي تنشر في وسائل الإعلام.

دراسة العنزي (2012)[24] بعنوان: "الرضا الوظيفي لدى ممارسي العلاقات العامة في المستشفيات السعودية: دراسة مسحية"، وتهدف إلى تعرّف درجة الرضا الوظيفي لدى ممارسي العلاقات العامة في المستشفيات السعودية، من خلال دراسة العلاقة بين درجة الرضا الوظيفي وبعض المتغيرات الديموغرافية، والتي تشمل الفروق بين الجنسين، المؤهل الدراسي، مستوى الخبرة، نوع المستشفى، كما تسعى إلى تعرّف موقف الإدارة العليا للمنشأة تجاه طبيعة عمل جهاز العلاقات العامة فيها، والصعوبات التي تواجه إدارات العلاقات العامة في المستشفيات السعودية من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة. وتتكون عينة الدراسة من (155) ممارساً للعلاقات العامة في المستشفيات السعودية بقطاعيْه الخاص والعام، وقد تمّ استثناء مديري الإدارات من الدراسة التي اعتمدت على منهج المسح الإعلامي والمقارن. وأوضحت نتائج الدراسة أن أكثر من ثلث العاملين في قطاع العلاقات العامة في المستشفيات السعودية هم من القطاع التسويقي والإعلاني والترجمة، وليسوا من المتخصصين في العلاقات العامة. وتوصلت الدراسة إلى أن الرضا الوظيفي لدى ممارسي العلاقات العامة في المستشفيات السعودية الحكومية، أعلى منه في المستشفيات الخاصة.

دراسة منصور (2012)[25] بعنوان: "أثر تطبيقات تكنولوجيا الاتصال على وظائف العلاقات العامة في القطاع الصحي الأردني"، وتسعى إلى تعرّف أثر تطبيقات تكنولوجيا الاتصال على وظائف العلاقات العامة المتمثلة في البحث والتخطيط والاتصال والتقويم، وبيان فروق أثر هذه التطبيقات على وظائف العلاقات العامة تبعا للمتغيرات الديموغرافية والوظيفية المتمثلة في النوع الاجتماعي، العمر، المؤهل العلمي، التخصص، المسمى الوظيفي، الخبرة، ونوع القطاع. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ومنهج المسح الشامل، وشمل مجتمع الدراسة جميع موظفي العلاقات العامة في القطاع الصحي الأردني عام (2012) والبالغ عددهم (130) موظفاً وموظفةً في (31) مستشفى داخل العاصمة عمان. ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه

الدراسة أنّ القطاع الصحي الأردني يستخدم تكنولوجيا الاتصال في القيام بوظائف العلاقات العامة بمتوسط حسابي مرتفع هو (2,46).

دراسة الحديد (2010)[26] بعنوان: "واقع دائرة العلاقات العامة في الجامعة الأردنية: دراسة تقييمية من وجهة نظر طلبة الجامعة"، وتهدف الدراسة إلى تعرّف واقع دائرة العلاقات العامة في الجامعة الأردنية من خلال تقييم طلبة الجامعة لها، وذلك بتعرّف تقييم النشاطات والخدمات التي تقدمها الدائرة لهم، وكذلك تعرّف مدى إشراك الطلبة بنشاطاتها وخدماتها. ويتكوّن مجتمع الدراسة من جميع طلبة الجامعة الأردنية، البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، المسجلين في العام الجامعي (2010- 2009)، وتم اختيار عيّنة الدراسة بالطريقة العشوائية الطبقية، وبنسبة (3%) من مجتمع الدراسة. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها أنّ تقييم أداء دائرة العلاقات العامة من وجهة نظر الطلبة، والنشاطات التي تقدمها دائرة العلاقات العامة للطلبة بشكل عام، قد جاءت بدرجةٍ منخفضة.

دراسة العنزي (2006) [27] بعنوان: "العلاقات العامة في البنوك التجارية السعودية: دراسة في الاتجاهات الإدراية وواقع الممارسة الفعلية"، وتهدف هذه الدراسة الى تعرّف واقع أجهزة العلاقات العامة في البنوك التجارية السعودية، واتجاه موظفي العلاقات العامة والقيادات الإداريّة نحوها، ولتحقيق هذا الهدف درس الباحث الجوانب الإدارية لأجهزة العلاقات العامة في البنوك التجارية السعودية والأنشطة التي تمارسها فيها، واستعرض في دراسته هذه أبرز الدراسات السابقة التي أجريت في المملكة العربية السعودية والأقرب إلى هذه الدراسة. واستخدم الباحث المنهج المسحي لجمع البيانات اللازمة للإجابة عن تساؤلات الدراسة، إذ قام بتصميم ثلاث استبانات تمّ توجيهها إلى عينة الدراسة، كانت الأولى إلى مديري العلاقات العامة، والثانية إلى موظفيها، والثالثة إلى القيادات الإدارية. وتم اختبار صدق ثبات الاستبانة من خلال عرضها على عدد من المحكمين بقسم الإعلام في جامعة الملك سعود. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أن أبرز الأنشطة التي تمارسها إدارة العلاقات العامة في البنوك التجارية السعودية تتركز في (القيام بالنشاط الإعلامي للبنك، والرد على ما ينشر في وسائل الإعلام المختلفة، والنشر الصحفي، وتنفيذ الملف الصحفي).

**الدراسات الأجنبية:**

دراسة **(إيرورا، وكورنا، 2012)**[28] بعنوان: "ممارسة العلاقات العامة وتأثيرها على فاعلية مستشفى البشير في الأردن"، وكان عدد أفراد العينة (569) شخصاً من المراجعين. وكان من أبرز فرضيات هذه الدراسة قياس احتمالية العلاقة بين فعالية المنظمة وسمعتها، وجاءت النتائج لتأكيد هذه الفرضية، ولتعطي مؤشراً قويا للمديرين لمساعدتهم في تحسين عناصر العلاقات. وتهدف

هذه الدراسة إلى اختبار تأثير الثقة والالتزام في العلاقات العامة في المنظمة، وتأثير نوع العلاقات العامة على فاعلية المنظمة نفسها في عمان، حيث ركزت الدراسة على جمع المعلومات من المرضى وعائلاتهم. وتلخصت نتائج الدراسة في عدم فعالية العلاقات العامة في مستشفى البشير وذلك للأسباب الآتية:

* عدم العمل الجاد لإعداد موظفي علاقات عامة مؤهلين.
* عدم العمل الجاد لتحسين نوعية الخدمة المقدمة، وحل المشكلات المالية ومشكلات الموظفين، للبدء بمرحلةٍ جديدةٍ تركز على نوعية الخدمة ورضا المرضى.
* افتقار الأطباء العاملين في المستشفى إلى الخبرة في التعامل وبناء علاقات قوية مع المرضى، وهو عنصرٌ مهمٌ ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار لتأكيد الصورة الذهنية للمستشفى في أذهان المرضى.

دراسة (**Kim & Lee, 2010**)[29] وهي بعنوان "العلاقة بين صورة الشركة وولاء العملاء في أسواق خدمات الاتصالات المتنقلة". تكشف هذه الدراسة عن العلاقات التي تربط بين صورة شركات الاتصالات ووعي العملاء بالعلامة التجارية، وسعر الخدمة وجودتها المقدّمَة للعملاء، وهي دراسةٌ ميدانية أُجْرِيَتْ على عينةٍ قوامها (469) مفردة من شركات الاتصال الكورية الجنوبية. وأظهرت نتائج الدراسة أن صورة الشركة، والوعي بالعلامة التجارية وسعر الخدمة وجودتها هي من المقدمات الأساسية للفوز بولاء العملاء في أسواق خدمات الاتصالات المتنقلة، حيث يرى (57.3%) من عيّنة الدراسة أنّ صورة الشركة في السوق تؤثّر بشكلٍ كبير في التعامل معها والانتماء إليها، وأن (86.8%) من أفراد العينة يرون أنّ سعر الخدمة التي تقدمها الشركة تؤثر بشكل كبير في الاشتراك بها، بينما يرى (87.6%) منهم أن جودة الخدمة هي المؤثّر الرئيس الذي يدفعهم إلى الاشتراك بشركةِ اتصالاتٍ دون غيرها. وتشير الدراسة إلى أنّ (55.9%) من أفراد عينة الدراسة راضون بشكل كبير عن جودة الخدمات التي تقدمها شركات الاتصالات الكورية، وأنّ (54.6%) راضون عن مجمل الخدمات التي تقدمها تلك الشركات، وأنّ (27.6%) منهم راضون عن سعر خدماتها، وأنّ ما لا يزيد عن (44.8%) من أفراد عينة الدراسة راضون عن الشركة التي ينتمون إليها.

**التعليق على الدراسات السابقة:**

أوجة الاستفادة من الدراسات السابقة:

* استفاد الباحث في إعداد دراستهِ هذهِ من الدراسات السابقة في اختيار النموذج المستخدم، وتحديد أداة الدراسة ومنهجها، وتعرّف الأساليب الإحصائية المستخدمة.
* اتفقت هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في النقاط الآتية:

* اتفق هدف الدراسة مع عدد من أهداف الدراسات السابقة التي سعت إلى تعرّف دور العلاقات العامة، والأنشطة التي تنجزها، وتعرّف مدى تحقيق دائرة العلاقات العامة لأهدافها.
* اتفقتْ هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في أنها تندرج ضمن البحوث الوصفية التي اتبعت المنهج المسحي.
* استخدمت الغالبية العظمى من الدراسات السابقة وهذه الدراسة الاستبانة أداةً لجمع البيانات.
* تميزت هذه الدراسة باعتبارها الدراسة الأولى عن مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي.

**نوع الدراسة ومنهجها:**

تقع هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التي تُستخدم في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها وأشكالها، وتعرّف العوامل المؤثرة في ذلك. وتعدّ الدراسات الوصفية التي تتم داخل المجتمعات المختلفة على وجهه الخصوص، من أكثر الدراسات شيوعاً واستخداماً في الإعلام، لأنها تسعى إلى وصف خصائص ما هو قيد الدراسة للوصول إلى فهم أعمق وأشمل للموضوع، كما تعد المسوح التي يقوم بها الأفراد والهيئات والمنظمات والمؤسسات المختلفة مهمة من أجل تعرّف ما يتمتع به الجمهور المستهدف بخدماتها ومنتجاتها، وتعرّف انطباعاتهم وآرائهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم نحوها، كما تساعدهم في الدراسات الخاصة بالرأي العام تجاه موضوعات أو قضايا معينة تخص المؤسسة أو المنظمة، وتساعد هذه المسوح كذلك في رسم السياسات العامة أو تعديلها وفي التخطيط واتّخاذ القرارات وتقييمها[30].

وفي إطار هذه الدراسة تم استخدام المنهج المسحي، وذلك لتعرّف الأنشطة الاتصالية لأجهزة العلاقات العامة. ويعدّ منهج المسح جهداً علمياً منظماً للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة أو مجموعة الظواهر موضوع البحث من المفردات المكونة لمجتمع البحث الأصلي، أو تعرّف أساليب الممارسات التي اتبعت لمواجهة مشكلات معينة، أو استخدام هذه البيانات الشاملة في رسم السياسات ووضع الخطط على أساس الاستبصار الكامل بجوانب الموقف[31].

**مجتمع الدراسة وعيّنتها:**

يتكون مجتمع الدراسة من جميع ممارسي العلاقات العامة في مستشفى الملك عبد الله المؤسس الجامعي، وتتكون العينة من جميع العاملين في قسم العلاقات العاملين فيه، والبالغ عددهم (13) فرداً، وبأسلوب الحصر الشامل.

**جدول (1):** خصائص عينة الدراسة

| | الفئات | التكرار | النسبة |
|---|---|---|---|
| النوع الاجتماعي | ذكر | 13 | 100.0 |
| | أنثى | 0 | 00 |
| السن | من 25 - أقل من 35 سنة | 5 | 38.5 |
| | من 35 - أقل من 45 سنة | 8 | 61.5 |
| المؤهل العلمي | ثانوية عامة | 1 | 7.7 |
| | دبلوم | 5 | 38.5 |
| | بكالوريوس | 7 | 53.8 |
| التخصص | صحافة | 6 | 46.2 |
| | علاقات عامة | 1 | 7.7 |
| | أخرى (لغة إنجليزية، محاسبة، إدارة مستشفيات). | 6 | 46.2 |
| سنوات الخبرة | أقل من 3 سنوات | 1 | 7.7 |
| | من 3 أقل من 7 سنوات | 3 | 23.1 |
| | من 7- أقل من 10 سنوات | 4 | 30.8 |
| | من 10 سنوات فأكثر | 5 | 38.5 |
| المسمى الوظيفي | منسق التواصل والعلاقات العامة | 2 | 15.4 |
| | موظف | 8 | 61.5 |
| | أخرى (استقبال، إداري، كاتب) | 3 | 23.1 |
| | المجموع | 13 | 100.0 |

**حدود الدراسة:**

الحد الزماني: شهر شباط 2018.

الحد المكاني: تنحصر هذه الدراسة في إطارها المكاني في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي.

الحد البشري: يتكون من جميع ممارسي العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي.

**أداة الدراسة:**

استخدم الباحث الاستبانةَ أداةً لجمع البيانات والمعلومات حول الأنشطة الاتصالية لجهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي، ولتحقيق أهداف الدراسة تم

تطوير الاستبانة بناء على أدبيات التراث العلمية، والدراسات السابقة ذات العلاقات المباشرة بموضوع الدراسة.

تتكون الاستبانة من ثلاثة محاور:

- يشمل المحور الأول المعلومات الشخصية الخاصة بالمبحوثين، وهي: النوع الاجتماعي، السن، المؤهل العلمي، التخصص، سنوات الخبرة، المسمى الوظيفي.
- يشمل المحور الثاني الوسائل والأساليب الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في المستشفى.
- ويشمل المحور الثالث الأنشطة الاتصالية التي يقوم بها جهاز العلاقات العامة، والصعوبات التي يواجهها.

تم اعتماد سلم ليكرت الرباعي لتصحيح أداة الدراسة، بإعطاء كل فقرة من فقراته درجة واحدة من بين درجاته: (بدرجة عالية، بدرجة متوسطة، بدرجة ضعيفة، لا تستخدم)، وهي تمثل رقمياً (1,2,3,4) على الترتيب. وتم اعتماد المقياس الآتي لأغراض تحليل النتائج:

**جدول رقم (2):** معيار القياس والاتجاه للحكم على فقرات أداة الدراسة

| المقياس | درجة الممارسة |
|---|---|
| من 1,00- 2,00 | ضعيفة |
| من 2,01 – 3,00 | متوسطة |
| من 3,01 – 4,00 | عالية |

وهكذا. وقد تم احتساب المقياس من خلال استخدام المعادلة الآتية:

(الحد الأعلى للمقياس (4) - الحد الأدنى للمقياس (1)) / عدد الفئات المطلوبة (3)

المدى (4-1) / 3 = 1,00

ومن ثم إضافة الجواب (1,00) إلى نهاية كل فئة.

**اختبار صدق الاستبانة:**

يُقصد باختبار صدق أداة جمع المعلومات، مدى قدرتها على أن تقيس ما تسعى الدراسة إلى قياسه فعلا، بحيث تتطابق المعلومات التي يتم جمعها بواسطتها مع الحقائق الموضوعية، ويوجد عدة أنواع للصدق منها الصدق الظاهري، وصدق المضمون، والصدق المتعلق بالمعيار، والصدق التركيبي أو صدق المفهوم [32].

وللتحقق من صدق مؤشرات الأداة تم استخدام الصدق الظاهري، حيث عُرضت الاستبانة على مجموعة من المحكّمين من ذوي الخبره والاختصاص، وذلك للتأكد من مدى ملاءمة أداة الدراسة وقدرتها على تحقيق الأهداف والأسئلة البحثية، وقد أخذ الباحث آراءهم وتعديلاتهم بعين الاعتبار، وأورد أسماءهم ورتبهم الأكاديمية والجامعات التي يدرّسون فيها في صفحة خاصة.

**ثبات الأداة:**

يعرف الثبات بأنه "الاتساق Consistency والدقة Accuracy والثبات أو الاستقرار Stability، وهي كلها تشير إلى تعريف إجرائي واحد هو الوصول إلى النتائج نفسها بتكرار تطبيق المقياس على الأداة نفسها في المواقف أو الظروف ذاتها" [33].

بعد التأكد من صلاحية الأداة وجاهزيتها للتطبيق، تم تطبيقها على مجتمع الدراسة البالغ عدد أفراده (13) فرداً من ممارسي العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس. ولغرض التحقق من الاتساق الداخلي لفقرات الاستبانة المتعلقة بالأنشطة الاتصالية للعلاقات العامة، استخدم الباحث معامل الثبات (كرونباخ ألفا)، وتم استخراج النتائج باستخدام برنامج (SPSS) الإحصائي للعلوم الاجتماعية، وبلغ الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا للمحاور (0,60-0,82)، ويُعدّ ذلك مناسباً لغايات هذه الدراسة. والجدول الآتي يبين هذه المعاملات:

**جدول (3):** معامل الاتساق الداخلي كرونباخ للمحاور والأداة ككل

| المحور | الاتساق الداخلي |
|---|---|
| الوسائل الاتصالية | 0.82 |
| الأساليب الاتصالية | 0.84 |
| الأنشطة الاتصالية | 0.91 |
| الصعوبات | 0.60 |

وفي ضوء ما تقدم فإنّ البيانات التي تم الحصول عليها من خلال تطبيق أداة الدراسة على أفراد العينة البالغ عددهم (13) مفردة، تُعَدُّ صالحة لأغراض التحليل الإحصائي وحساب المؤشرات الإحصائية لغرض الإجابة عن أسئلة الدراسة.

**مناقشة النتائج وتحليلها:**

بعد أنْ جمع الباحث المعلومات وقام بتحليلها إحصائيا توصل إلى النتائج الآتية التي يعرضها وفقا لأسئلة الدراسة:

أولا: الوسائل الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في التواصل مع الجمهور في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي:

يبين الجدول (4) الآتي أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.54-3.92)، أي إن استخدام ممارسي العلاقات العامة في المستشفى لأغلب الوسائل الاتصالية يتم بشكلٍ متوسط وعالٍ. ويتضح من الجدول أن المتوسط الحسابي العام للوسائل الاتصالية التي يستخدمها ممارسو العلاقات العامة للتواصل مع جمهور المؤسسة قد بلغ (3.43) وانحراف معياري (.434)، وبمقارنة المتوسط الحسابي العام مع معيار أداة الدراسة، فإن استخدامهم للوسائل الاتصالية بشكل عام عالٍ جداً، حيث جاءت الفقرتان (8 و9) ونصهما: "الموقع الإلكتروني"، و"البريد الإلكتروني" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.92) وانحراف معياري بلغ (.277)، وحظيت الفقرة رقم (10) ونصها: "مواقع التواصل الاجتماعي" بمتوسط حسابي بلغ (3,77) وانحراف معياري بلغ (.439)، وجاءت في المرتبة الثالثة فقرة رقم (5) ونصّها: "الهواتف" بمتوسط حسابي بلغ (3.69) وانحراف معياري بلغ (.855), وجاء في المرتبة الرابعة الفقرتان رقم (6 و7) ونصهما: "الرسائل بواسطة الهاتف المحمول" و"لوحة الإعلانات الداخلية" بمتوسط حسابي بلغ (3,62) وانحراف معياري بلغ (.650) وجاءت في المرتبة الأخيرة لمستوى الممارسة العالية فقرة رقم (4) ونصها: "التلفزيون" بمتوسط حسابي بلغ (3,31) وانحراف معياري (.855).

أما الوسائل الاتصالية التي تستخدم بشكل متوسط من قبل ممارسي العلاقات العامة في المستشفى فقد حظيت الفقرة رقم (3) بالمرتبة الأولى ونصها: "الإذاعة" بمتوسط حسابي بلغ (2.92) وانحراف معياري بلغ (.954)، وجاءت الفقرة رقم (1) في المرتبة الثانية ونصها: "الصحف" بمتوسط حسابي بلغ (2.85) وانحراف معياري بلغ (.689)، وجاءت في المرتبة الأخيرة فقرة رقم (2) ونصها: "المجلات" بمتوسط حسابي بلغ (2.54) وانحراف معياري بلغ (.877).

**جدول (4):** الوسائل الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في التواصل مع الجمهور

| الرتبة | الرقم | الفقرات | لا تستخدم | | بدرجة ضعيفة | | بدرجة متوسطة | | بدرجة عالية | | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | ن | % | ن | % | ن | % | ن | % | | | |
| 1 | 8 | الموقع الإلكتروني | 0 | .0 | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 12 | 92.3 | 3.92 | .277 | عالية |
| 1 | 9 | البريد الإلكتروني | 0 | .0 | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 12 | 92.3 | 3.92 | .277 | عالية |
| 3 | 10 | مواقع التواصل الإلكتروني | 0 | .0 | 0 | .0 | 3 | 23.1 | 10 | 76.9 | 3.77 | .439 | عالية |
| 4 | 5 | الهاتف | 1 | 7.7 | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 11 | 84.6 | 3.69 | .855 | عالية |
| 5 | 6 | الرسائل بواسطة الهاتف المحمول | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 3 | 23.1 | 9 | 69.2 | 3.62 | .650 | عالية |
| 5 | 7 | لوحة الإعلانات الداخلية | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 3 | 23.1 | 9 | 69.2 | 3.62 | .650 | عالية |
| 7 | 4 | التلفزيون | 1 | 7.7 | 0 | .0 | 6 | 46.2 | 6 | 46.2 | 3.31 | .855 | عالية |
| 8 | 3 | الإذاعة | 1 | 7.7 | 3 | 23.1 | 5 | 38.5 | 4 | 30.8 | 2.92 | .954 | متوسطة |
| 9 | 1 | الصحف | 1 | 7.7 | 1 | 7.7 | 10 | 76.9 | 1 | 7.7 | 2.85 | .689 | متوسطة |
| 10 | 2 | المجلات | 2 | 15.4 | 3 | 23.1 | 7 | 53.8 | 1 | 7.7 | 2.54 | .877 | متوسطة |
| | | الوسائل الاتصالية | | | | | | | | | 3.42 | .434 | عالية |

ويستدل من هذه النتيجة على تفوق وسائل الإعلام الجديدة (المواقع الإلكترونية للمستشفى، البريد الإلكتروني، مواقع التواصل الاجتماعي)، لما لها من سمات وخصائص تتفوّق بها على الوسائل التقليدية، وفي مقدمة هذه السمات: التفاعلية، والسرعة العالية في الحصول على الاستجابات من الجمهور عبر هذه الوسائل، إضافة إلى التقدم والرقي في سلّم التطورات في مجال الاتصال والتكنولوجيا. ويعد الأردن بلداً متطوراً ومستخدماً فعالاً لمواقع التواصل الاجتماعي، وفق ما نشر في جريدة "الغد" لدراسة عالمية لمؤسسة Pew Research Center) البحثية أن الأردن في المرتبة الأولى عالمياً في مؤشر نسبة عدد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، حيث تبلغ النسبة في الأردن (90%).

ثانيا: الأساليب الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في التواصل مع الجمهور في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي:

يتضح من الجدول رقم (5) الآتي أنَّ المتوسط الحسابي العام للأساليب الاتصالية التي يستخدمها ممارسو العلاقات العامة للتواصل مع جمهور المؤسسة قد بلغ (3,26) وانحراف معياري (.555)، وبمقارنة المتوسط الحسابي العام مع معيار أداة الدراسة فإنَّ استخدامهم للأساليب الاتصالية بشكل عام عالٍ جداً.

وفيما يتعلق بالأساليب الاتصالية التي تستخدم بشكل عالٍ، فقد حظيت الفقرتان رقم (11، 15) ونصهما: "المؤتمرات" و"الزيارات" بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (3,46) وانحراف معياري (.660)، وجاءت الفقرات رقم (12، 13، 14) ونصّها: "الندوات" و"الاجتماعات" و"المحاضرات" في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (3,38) وانحراف معياري (.650)، وجاءت في المرتبة الأخيرة فقرة رقم (16) ونصها: "المعارض".

أما فيما يتعلق بالوسائل الاتصالية التي تستخدم بشكل متوسط فقد حظيت الفقرة رقم (17) ونصها: "الحفلات" بمتوسط حسابي بلغ (2,92) وانحراف معياري بلغ (.862)، وجاءت الفقرة (18) ونصّها: "الرحلات الترفيهية" في المرتبة الثانية والأخيرة، وبمتوسط حسابي بلغ (2,77) وانحراف معياري (1,235).

ويستدل من هذه النتيجة على أن أدوات الاتصال الشخصي والجمعي في العلاقات العامة تحظى بتقديرات عالية جدا، لما لها من فائدة عالية في المناقشات الآنية مع الجمهور المستهدف، وتعرّف رد فعله على الرسائل الاتصالية التي تبث عبر هذه الوسائل، كما أن المستشفيات تحفل بالمبادارات الطبية والمؤتمرات العلمية، لذا تعد من أنسب وسائل الأساليب الاتصالية.

**جدول (5):** الأساليب الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في التواصل مع الجمهور

| الرتبة | الرقم | الفقرات | لا تستخدم | | بدرجة ضعيفة | | بدرجة متوسطة | | بدرجة عالية | | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | ن | % | ن | % | ن | % | ن | % | | | |
| 1 | 11 | المؤتمرات | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 5 | 38.5 | 7 | 53.8 | 3.46 | .660 | عالية |
| 1 | 15 | الزيارات | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 5 | 38.5 | 7 | 53.8 | 3.46 | .660 | عالية |
| 3 | 12 | الندوات | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 6 | 46.2 | 6 | 46.2 | 3.38 | .650 | عالية |
| 3 | 13 | الاجتماعات | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 4 | 30.8 | 7 | 53.8 | 3.38 | .768 | عالية |
| 3 | 14 | المحاضرات | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 6 | 46.2 | 6 | 46.2 | 3.38 | .650 | عالية |
| 6 | 16 | المعارض | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 5 | 38.5 | 6 | 46.2 | 3.31 | .751 | عالية |
| 7 | 17 | الحفلات | 1 | 7.7 | 2 | 15.4 | 7 | 53.8 | 3 | 23.1 | 2.92 | .862 | متوسطة |
| 8 | 18 | رحلات ترفيهية | 3 | 23.1 | 2 | 15.4 | 3 | 23.1 | 5 | 38.5 | 2.77 | 1.235 | متوسطة |
| | | الأساليب الاتصالية | | | | | | | | | 3.26 | .555 | عالية |

**جدول رقم (6):** الأنشطة الاتصالية التي يقوم بها جهاز العلاقات العامة في المستشفى

| الرتبة | الرقم | الفقرات | لا تستخدم | | بدرجة ضعيفة | | بدرجة متوسطة | | بدرجة عالية | | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | ن | % | ن | % | ن | % | ن | % | | | |
| 1 | 19 | التعريف بالمستشفى وأنشطته. | 0 | .0 | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 11 | 84.6 | 3.85 | .376 | عالية |
| 2 | 20 | متابعة ما ينشر في وسائل الإعلام حول المستشفى وخدماته. | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 3 | 23.1 | 9 | 69.2 | 3.62 | .650 | عالية |
| 3 | 22 | إعداد الردود حول كل ما ينشر في وسائل الإعلام عن المستشفى. | 0 | .0 | 0 | .0 | 5 | 38.5 | 8 | 61.5 | 3.62 | .506 | عالية |
| 2 | 24 | إقامة المعارض والمشاركة في المناسبات الوطنية. | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 3 | 23.1 | 9 | 69.2 | 3.62 | .650 | عالية |
| 5 | 23 | الإشراف على الأنشطة الاجتماعية والعلمية في المستشفى. | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 4 | 30.8 | 8 | 61.5 | 3.54 | .660 | عالية |
| 5 | 26 | تزويد الإدارة العليا بالمستشفى بآراء الجمهور حول المستشفى. | 0 | .0 | 1 | 7.7 | 4 | 30.8 | 8 | 61.5 | 3.54 | .660 | عالية |
| 7 | 21 | إصدار مطبوعات عن المستشفى. | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 3 | 23.1 | 8 | 61.5 | 3.46 | .776 | عالية |
| 7 | 25 | التواصل مع الجمهور عبر الإنترنت. | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 3 | 23.1 | 8 | 61.5 | 3.46 | .776 | عالية |
| | | الأنشطة الاتصالية | | | | | | | | | 3.59 | .511 | عالية |

ثالثاً: الأنشطة الاتصالية التي يقوم بها جهاز العلاقات العامة في المستشفى:

يتضح من الجدول رقم (6) السابق أن المتوسط الحسابي العام للأنشطة الاتصالية التي يقوم بها ممارسو العلاقات العامة للتواصل مع جمهور المؤسسة قد بلغ (3,59) وانحراف معياري (.511)، وبمقارنة المتوسط الحسابي العام مع معيار أداة الدراسة يتبين أن استخدامهم للوسائل الاتصالية بشكل عام عالٍ جداً.

ويبين الجدول (6) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.46-3.85)، حيث جاءت الفقرة رقم (19) والتي تنص على "التعريف بالمستشفى وأنشطته" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.85) وانحراف معياري (.376) بدرجة عالية، بينما جاءت الفقرات (20، 22، 24) ونصّها: "متابعة ما ينشر في وسائل الإعلام حول المستشفى وخدماته، و"إعداد الردود حول كل ما ينشر في وسائل الإعلام عن المستشفى"، و"إقامة المعارض والمشاركة في المناسبات الوطنية" بمتوسط حسابي بلغ (3,62) وانحراف معياري (.650). وجاءت الفقرتان رقم (23، 26) ونصهما: "الاشراف على الأنشطة الاجتماعية والعلمية في المستشفى" و"تزويد الإدارة العليا بالمستشفى بآراء الجمهور حول المستشفى" بمتوسط حسابي بلغ (3,54) وانحراف معياري (.660) وجاءت في المرتبة الأخيرة الفقرتان (3,46) بانحراف معياري بلغ (.776).

يستدل من هذه النتيجة على أن جهاز العلاقات العامة يسعى وبشكل كبير إلى تعريف الجمهور المستهدف بأنشطتهِ وفعاليته، أي إنه يقدم المستشفى للجمهور من خلال هذه الأنشطة الاتصالية وبناء قاعدة معرفية حول هذه المؤسسة الطبية وخدماتها.

رابعاً: الصعوبات التي تواجه العاملين في جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي:

يتضح من الجدول رقم (7) الآتي أن المتوسط الحسابي العام للصعوبات والمعوقات التي تواجه جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس قد بلغ (3,16) بانحراف معياري (.390) وبمقارنة المتوسط الحسابي العام مع معيار أداة الدراسة يتضح أن الصعوبات التي يواجهها الجهاز ويتعرض لها بشكل عام عالية جداً.

**جدول (7):** الصعوبات التي تواجه العاملين في جهاز العلاقات العامة في المستشفى

| الرتبة | الرقم | الفقرات | لا تستخدم | | بدرجة ضعيفة | | بدرجة متوسطة | | بدرجة عالية | | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | ن | % | ن | % | ن | % | ن | % | | | |
| 1 | 27 | العلاقات العامة لا تنشر المعلومات الإعلامية إلا بموافقة الإدارة العليا بالمستشفى. | 0 | .0 | 0 | .0 | 3 | 23.1 | 10 | 76.9 | 3.77 | .439 | عالية |
| 2 | 30 | تكليف العاملين بالعلاقات العامة بواجبات إدارية أخرى. | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 3 | 23.1 | 8 | 61.5 | 3.46 | .776 | عالية |
| 3 | 28 | عدم كفاية الدعم المالي المخصص لجهاز العلاقات العامة في تنفيذ واجباته. | 0 | .0 | 0 | .0 | 9 | 69.2 | 4 | 30.8 | 3.31 | .480 | عالية |
| 4 | 31 | لا يوجد اهتمام بتطوير أداء الممارسين وقدراتهم في عمل العلاقات العامة. | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 6 | 46.2 | 5 | 38.5 | 3.23 | .725 | عالية |
| 4 | 33 | تقوم العلاقات العامة بالاتصال باتجاه واحد من المؤسسة إلى الجمهور. | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 6 | 46.2 | 5 | 38.5 | 3.23 | .725 | عالية |
| 6 | 29 | لا يوجد كادر كافٍ في جهاز العلاقات العامة بالمستشفى. | 0 | .0 | 2 | 15.4 | 7 | 53.8 | 4 | 30.8 | 3.15 | .689 | عالية |
| 7 | 34 | عدم وجود عدالة في التعامل مع العاملين في جهاز العلاقات العامة من قبل الإدارة العليا في المستشفى. | 2 | 15.4 | 3 | 23.1 | 6 | 46.2 | 2 | 15.4 | 2.62 | .961 | منخفضة |
| 8 | 32 | ضعف المستوى العلمي للعاملين في جهاز العلاقات العامة بالمستشفى. | 2 | 15.4 | 5 | 38.5 | 3 | 23.1 | 3 | 23.1 | 2.54 | 1.050 | منخفضة |
| | | الصعوبات | | | | | | | | | 3.16 | .390 | عالية |

وفيما يتعلق بالصعوبات التي حظيت بدرجة عالية فقد جاءت الفقرة رقم (27) ونصها: "العلاقات العامة لا تنشر المعلومات الإعلامية إلا بموافقة الإدارة العليا بالمستشفى" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (3.77) وانحراف معياري بلغ (439.)، وجاءت الفقرة رقم (30) في المرتبة الثانية ونصها: "تكليف العاملين بالعلاقات العامة بواجبات إدارية أخرى" بمتوسط حسابي بلغ (346) وانحراف معياري بلغ (776.)، وجاءت الفقرة رقم (28) في المرتبة الثالثة ونصها: "عدم كفاية الدعم المالي المخصص لجهاز العلاقات العامة في تنفيذ واجباته" بمتوسط حسابي بلغ (3.31) وانحراف معياري بلغ (480.)، وجاءت الفقرتان رقم (31، 33) في المرتبة الرابعة، ونصهما: "تقوم العلاقات العامة بالاتصال باتجاه واحد من المؤسسة إلى الجمهور" و"لا يوجد اهتمام بتطوير أداء الممارسين وقدراتهم في عمل العلاقات العامة" بمتوسط حسابي بلغ (3,23) وانحراف معياري (.725) وجاءت فقرة رقم (29) في المرتبة الخامسة، ونصها: "لا يوجد كادر كافٍ في جهاز العلاقات العامة في المستشفى"، بمتوسط حسابي بلغ (3,15) وانحراف معياري بلغ (.689).

وفيما يتعلق بالصعوبات التي حظيت بدرجة منخفضة فقد جاءت الفقرة رقم (34) ونصها: "عدم وجود عدالة في التعامل مع العاملين في جهاز العلاقات العامة من قبل الإدارة العليا في المستشفى" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (2,62) وانحراف معياري بلغ (961.)، وجاءت الفقرة رقم (32) في المرتبة الثانية ونصها: "ضعف المستوى العلمي للعاملين في جهاز العلاقات العامه بالمستشفى" بمتوسط حسابي بلغ (2,54) وانحراف معياري بلغ (1,050).

يستدل من هذه النتيجة على أن أبرز الصعوبات التي يواجهها ممارسو العلاقات العامة في عملهم تتمثل في الضغوطات التي يتلقونها من الإدارة في عملية مراقبة وتقنين النشر بشكل يزعج أداءهم ويركبه، كما أن التكليف بأعمال وأنشطة إدارية يتعب جهاز العلاقات العامة ويجعله يعمل بازدواجية، ويشتت انتباه العاملين وأعمالهم الأساسية، وهي من الصعوبات والتحديات التي تواجه ممارسي العلاقات العامة في البلدان النامية، بسبب نظرة الإدارات العليا إلى عمل أجهزة العلاقات العامة وأهميتها.

**النتائج:**

**توصلتْ الدراسة إلى النتائج الآتية:**

- أن وسائل الإعلام الجديدة تتفوّق على بقية الوسائل الاتصالية التي يستخدمها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي للتواصل مع الجمهور، يلي ذلك، وباستخداماتٍ متوسطة، وسائل الإعلام التقليدية.

- أنّ استخدام جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي للأساليب الاتصالية التي تتضمن أدوات الاتصال الشخصي والجمعي جاء بتقديرات عالية جداً.
- أنّ جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي يمارس الأنشطة التعريفية والإخبارية بدرجات عالية جداً.
- أنّ أبرز الصعوبات التي يعاني منها جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي هيَ تلك التي يتلقاها من الإدارة العليا (المراقبة الحثيثة والتقنين في عملية النشر)، أي التدخل المبالغ فيه في أعمال ممارسي العلاقات العامة، وتكليفهم بأعمالٍ إدارية ثانوية لا تمت بصلة للأنشطة الرئيسة لجهاز العلاقات العامة، مما يثقل عليهم، ويشتت جهودهم ويبعدهم عن واجباتهم الأساسية.
- أنّ العاملين في جهاز العلاقات العامة في مستشفى الملك المؤسس عبد الله الجامعي هم من الذكور فقط، وأنهم يمارسون أعمالهم في الجهاز دون الحصول على درجة علمية في مجال العلاقات العامة، أو الاعلام عموما، وأن كلّ تخصصاتهم في مجالات العلوم الإنسانية.

**التوصيات:**

**يوصي الباحث بالآتي:**

- أن يولي جهاز العلاقات العامة، إلى جانب وسائل الإعلام الجديدة، اهتماماً بوسائل الإعلام التقليدية الجماهيرية، ممثلةً بالصحف، والمجلات، والإذاعات، لما تتمتع به من مصداقية وقبول لدى الجمهور، فهي من المصادر التي يستقي منها الجمهور المعلومات عموماً، وتعد مصدر ثقة لدى الناس أكثر من وسائل الإعلام الجديدة، التي لا يجيد بعض الناس استخدامها، وخاصةً بعض كبار السن.
- أن ينوّع جهاز العلاقات العامة في استخدام الأساليب الاتصالية، بحيث لا يقتصر اهتمامه على استخدام الاتصال الشخصي أو الجمعي، وأن يولي عنايةً للأنشطة ولمطبوعات العلاقات العامة، كالمجلات والمسبّقات الصحفية والنشرات الإخبارية.
- أن تولي الإدارة العليا للمستشفى عنايةً لائقة بجهاز العلاقات العامة، وأن تمكنه من المشاركة في صنع القرارات.
- أن تعمل إدارة المستشفى على تعيين ممارسات في جهاز العلاقات العامة، لما لذلك من خصوصية وأثر طيب في تأدية الواجبات الملقاة عليه، مع الأخذ في الاعتبار التركيز على المتخصصين في حقل العلاقات العامة والإعلان.
- تفعيل استخدام النموذج الاتصالي المثالي لممارسة العلاقات العامة في المستشفى وهو (نموذج الاتصال المتوازن).

# The Communication Activities of the Public Relations Section at King Abdullah University Hospital and its Importance and Impact on the audience

**Mohammad H. Salous,** *Department of Radio and Television, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

## Abstract

This study aims to identify on the communication activities of the public relations section at King Abdullah University Hospital and its importance in communicating with the internal and external audiences of the hospital. The study uses survey to carry out this research, using the questionnaire to collect information and data. The study sample consisted of (13) practitioners of public relations at King Abdullah University Hospital. The researcher used complete census method in determining the sample of the study. The study has come up with the following results:

1. The new media outperform the other means of communication used by public relations practitioners in the hospital.
2. The practitioners of the public relations in the hospital are using personal and group communication.
3. The public relations section at the hospital carries out informational and news communication activities.

**Keywords**: Public Relations, Communication Activities, Communication Levels, Hospitals.

**الهوامش :**

1) الشامي، هاتف، العلاقات العامة: المبادىء والأسس العلمية، دمشق، دار اليازوردي. 2003، ص52.

2) عاشور، هيا، الأنشطة الاتصالية لأنشطة العلاقات العامة في المنظمات الدولية في الأردن، عمان، جامعة البترا، 2014، ص2.

3) سلطان، محمد صاحب، العلاقات العامة ووسائل الاتصال، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع. 2011، ص24.

4) العتيبي، محمد مصلح ضاوي، دور العلاقات العامة في تفعيل علاقة المنظمة بجمهور المستفيدين، دراسة ميدانية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الإدارية، الرياض، 2003، ص 14.

5) نغيمش، هاشم أحمد، الإعلام في الجامعات الإسلامية، عمان، دار الفجر للنشر والتوزيع. 2011، ص 12.

6) المصدر السابق، ص 14.

7) جلدة، سليم، الإستراتيجيات الحديثة لإدارة الأزمات العامة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية. 2012، ص13.

8) المصدر السابق، ص 14.

9) الشامي، لبنان، جرادات، عبد الناصر، أسس العلاقات العامة بين النظرية والتطبيق، عمّان، دار اليازوري للنشر والتوزيع. 2009، ص23.

10) الحديد، علي، واقع دائرة العلاقات العامة في الجامعة الأردنية، دراسة تقييمية من وجهة نظر طلبة الجامعة، جامعة الشرق الأوسط. 2010، ص29.

11) الطائي، مصطفى حميد، الإدارة وأنشطة الاتصال في العلاقات العامة، عمّان. 2017، ص36.

12) الزهري، محمد محفوظ، العلاقات العامة، القاهرة، دار النهضة. 2004، ص 102.

13) عاشور، هيا، مصدر سابق، ص14.

14) عتوم، أحمد، أهمية الأنشطة الاتصالية في عمل العلاقات العامة، دراسة ميدانية في الوزارات الأردنية، رسالة ماجستير، عمان، جامعة الشرق الأوسط. 2010، ص13.

15) عجوة، علي، العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة، عالم الكتب. 1983، ص54.

16) الحربي، رجاء، العلاقات العامة والإدارة العليا، عمّان، دار أسامة للنشر والتوزيع. 2012، ص124.

17) عتوم، أحمد، مصدرسابق، ص15.

18) أبو العسل، نوزات، الممارسات الاتصالية والإدارية للعلاقات العامة في المستشفيات الأردنية، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، 2014، ص12.

19) الجمّال، راسم، عياد، محمد، إدارة العلاقات العامة والمدخل الإستراتيجي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية. 2005، ص12.

20) عتوم، علي. مصدر سابق. ص13.

21) الباز، علي، العلاقات العامة والعلاقات الإنسانية والرأي العام، القاهرة، دار الإشعاع الفتية. 2002، ص122.

22) أبو العسل، نوزات، مصدرسابق.

23) عاشور، هيا، مصدر سابق.

24) العنزي، عبد الله، الرضا الوظيفي لدى ممارسي العالقات العامة في المستشفيات السعودية، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، 2012.

25) منصور، تحسين ومنصور، هيا (2014)، أثر تطبيقات تكنولوجيا الاتصال على وظائف العلاقات العامة في القطاع الصحي الأردني، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجامعة الاردنية، (41) (2)، 820-801.

26) الحديد، علي، مصدر سابق.

27) العنزي، مفوض، العلاقات العامة في البنوك التجارية السعودية، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة الملك سعود، 2006.

28) Arora, N., & Khurana, P. (2012). The Public Relations Practice & Impact on Effectiveness of Al-Basheer Hospital in Jordan. Amity Global Business Review, 7.

29) Kim.Y, Lee. J (2010) Relationship between Corporate Image and Customer Loyalty in Mobile Communications Service Markets, Afrika Journal of Business Management. Vol. 4, No. 18.

30) الشكري، دعاء (2018). الصورة الذهنية للمجالس النيابيّة لدى قادة الرأي العام الأردني: دراسة على مجلس النواب السابع عشر، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، 2014، ص 22.

31) حسين، محمد سمير، بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء، القاهرة، عالم الكتب. 1995، ص147.

32) حسين، سمير وآخرون، إدارة العلاقات العامة في الأجهزة الحكومية بالمملكة العربية السعودية، الرياض، معهد الإدارة العامة. 1991، ص55.

33) عبد الحميد، محمد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب. 2004، ص419.

**قائمة المصادر باللغة العربية:**

الباز، علي، **العلاقات العامة والعلاقات الإنسانية والرأي العام**، القاهرة، دار الإشعاع الفتية. 2002، ص122.

جلدة، سليم، **الإستراتيجيات الحديثة لإدارة الأزمات العامة**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية. 2012.

الجمّال، راسم، عياد، محمد، **إدارة العلاقات العامة والمدخل الإستراتيجي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية. 2005، ص12.

حسين، سمير وآخرون، **إدارة العلاقات العامة في الأجهزة الحكومية بالمملكة العربية السعودية**، الرياض، معهد الإدارة العامة. 1991.

حسين، محمد سمير، **بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء**، القاهرة، عالم الكتب. 1995.

الحديد، علي، **واقع دائرة العلاقات العامة في الجامعة الأردنية**، دراسة تقييمية من وجهة نظر طلبة الجامعة، جامعة الشرق الأوسط. 2010، ص29.

الحربي، رجاء، **العلاقات العامة والإدارة العليا**، عمّان، دار أسامة للنشر والتوزيع. 2012.

الزهري، محمد محفوظ، **العلاقات العامة**، القاهرة، دار النهضة. 2017، ص3.

سلطان، محمد صاحب، **العلاقات العامة ووسائل الاتصال**، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع. 2011.

الشامي، لبنان، جرادات، عبد الناصر، **أسس العلاقات العامة بين النظرية والتطبيق**، عمّان، دار اليازوري للنشر والتوزيع. 2009، ص23.

الشكري، دعاء. **الصورة الذهنية للمجالس النيابية لدى قادة الرأي العام الأردني: دراسة على مجلس النواب السابع عشر**، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، 2014.

الطائي، مصطفى حميد، **الإدارة وأنشطة الاتصال في العلاقات العامة**، عمّان. 2017، ص3.

عاشور، هيا، **الأنشطة الاتصالية لأنشطة العلاقات العامة في المنظمات الدولية في الأردن**، عمان، جامعة البترا، 2014.

عتوم، أحمد، **أهمية الأنشطة الاتصالية في عمل العلاقات العامة**، دراسة ميدانية في الوزارات الأردنية، رسالة ماجستير، عمان، جامعة الشرق الأوسط. 2010.

عبد الحميد، محمد، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، القاهرة، عالم الكتب. 2004.

العتيبي، محمد مصلح ضاوي، **دور العلاقات العامة في تفعيل علاقة المنظمة بجمهور المستفيدين**، دراسة ميدانية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الإدارية، الرياض، 2003.

عجوة، علي، **العلاقات العامة والصورة الذهنية**، القاهرة، عالم الكتب. 1983.

أبو العسل، نوزات، **الممارسات الاتصالية والإدارية للعلاقات العامة في المستشفيات الأردنية**، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، 2014.

العنزي، عبد الله، **الرضا الوظيفي لدى ممارسي العالقات العامة في المستشفيات السعودية**، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، 2012 .

العنزي، مفوض، **العلاقات العامة في البنوك التجارية السعودية**، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة الملك سعود، 2006.

منصور، تحسين ومنصور، هيا، أثر تطبيقات تكنولوجيا الاتصال على وظائف العلاقات العامة في القطاع الصحي الأردني، **مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، الجامعة الأردنية ،(41) (2)، 2014، 801-820.

نغيمش، هاشم أحمد، **الإعلام في الجامعات الإسلامية**، عمان، دار الفجر للنشر والتوزيع. 2011، ص 12.

**قائمة المصادر الأجنبية:**

Arora, N., & Khurana, P. (2012). The Public Relations Practice & Impact on Effectiveness of Al-Basheer Hospital in Jordan. *Amity Global Business Review,7*

*Kim.Y, Lee. J (2010) Relationship between Corporate Image and Customer Loyalty in Mobile Communications Service Markets, Afrika Journal of Business Management. Vol. 4, No. 18.*

**الأساتذة المحكّمون:**

- أ. د. إبراهيم أبو عرقوب/ الجامعة الأردنية.
- أ. د. محمد فلاح القضاة/ جامعة الكويت.
- د. عبد الكريم الدبيسي/ جامعة البترا.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 771- 795

# دليل الإحراج وأثره في الاستدلال النحوي
# دراسة وصفية تحليلية في الخلاف النحوي

يحيى عبابنة *

تاريخ الاستلام 2018/5/6 تاريخ القبول 2018/7/4

**ملخص**

يهدف هذا البحث إلى دراسة إحدى الآليات المنطقية التي استعملها النحويون الذين كتبوا في الخلاف في دراساتهم التراثية التي ارتكزت على إظهار أوجه الخلاف ببين النحويين البصريين والكوفيين، وكانوا فيه يحاولون إيقاع الخصم في الحرج الذي يمكن أن يوصل إلى التناقض المنطقي، وقد قدّم هذا البحث شيئاً عن مفهوم الدليل المنطلق من القياس الإحراجي، زيادة على توضيح أثر الرواية في هذا النوع من الاستدلال، وحاجة الدراسة إلى هذا النوع من الأدلة وغيرها من القضايا المتعلقة به.

**الكلمات المفتاحية**: الدليل الإحراجي، الإحراج، المنطق والنحو.

## مدخل الدراسة:

من الممكن أن نحكم على الخلاف بين النحويين بأنه من النوع الواعي في أغلب الأحيان، فأغلب فقراته التي رواها العلماء المتأخرون تمتاز بالوعي العالي، فالخلاف لا يكون تلقائياً في أغلب الأحيان، بل هو ناتج عن عمليات تفكير عميق تأخذ في الحسبان طرح الرأي النحوي الخلافي، وانتظار الردّ من الطرف الآخر، وهذا الردّ يكون في أغلب الآحيان ردّاً منهجياً دقيقاً يتمثّل في ردّ الأدلة ونفيها، وطرح الأحكام التي تفسد رأي الطرف الآخر وتنقضه.

وهذه الإجراءات لا تكون حاضرة عند النحوي نفسه، ولذا، فإنه يطرحها بعد تفكير عميق وتوظيف لأدوات النقض، ومن هذه الأدوات ما يمكن أن نطلق عليه "دليل الإحراج"، وهو مصطلح ينبثق من القضية المنطقية التي أطلق عليها المناطقة مصطلح "قياس الإحراج".

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

**- معنى قياس الإحراج**

ينطلق مفهوم الإحراج من المعنى اللغوي نفسه، فإذا قلنا إنّ شخصاً ما يواجه إحراجاً فإنه في الحقيقة يكون معرّضاً للاختيار بين بديلين غير سارّين، وهو أمر منطقي، ولكنه كثير التعرّض لنا في حياتنا، كالمثال الذي ضربه المناطقة عن أحد الأشخاص الذي كان عليه أن يَمْثُلَ أمام المحكمة لمخالفة مرورية بسيطة لم يرتكبها أصلاً، ويسأله القاضي عما إذا كان يعترف بأنه مذنب، وهذا السؤال يمثّلُ إحراجاً (للمتّهم)، فهو إذا قال: لا فإنه يكون معترفاً بفعل لم يرتكبه أصلاً، وأمّا إذا دفع بأنّه مذنب، فعليه أن يدفع قيمة المخالفة، وعندها سيكون قد اعترف بتهمة ليست صحيحة، ولمّا كان قوله بأنّه غير مذنب سيفضي إلى إضاعة وقت إضافي آخر؛ لأنّه سيكون مضطرّاً إلى قضاء يوم آخر بطوله في المحكمة من أجل الحقّ، فهو يرى أن الاعتراف بالذنب ودفع المخالفة التي ستكون عشرين ديناراً مثلاً أهون عليه من ضياع يوم كامل وتعطيل مصالحه الأخرى، فيكون مضطراً أو محرجاً في الاختيار بين الأمرين[1]. وهذا الإحراج نوع من البراهين الصحيحة، ويتخذ الشكل الآتي عند المنطقيين:

إمّا (س) أو (ص)

إذا كان (س) إذاً (ع)

إذا كان (ص) إذاً (ل)

إمّا (ع) أو (ل)

وهذا البرهان هو الذي يطلق عليه برهان الإحراج[2]، سواء أكانت النتيجة غير سارة أم سارة، وهو برهان فعّال في الحوار والجدل اللذين كانا مناسبين لمسائل الخلاف التي أوردها العلماء النحويون العرب في كتب الخلاف النحوي، وبخاصة تلك المسائل التي وردت في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (ت577هـ)، وهي طريق تنمُّ على وعيٍ عميق بالعملية الحوارية بين طرفين قد يكونان موجودين فعلاً، وقد تكون المسألة برمّتها مصنوعة لإظهار البراعة في توظيف البراهين الاستدلالية، وقد يكون طرف منها صحيحاً وبنى عليه مؤلّف المسألة كثيراً من الحجج والبراهين.

ويمكن أن يكون من ضمنه ما نطلق عليه مصطلح "برهان الخصم" وهو نمط من أنماط البرهان يستنتج أنّ قضية من القضايا متناقضة أو كاذبة إذا صدرت عن شخص معيّن، وهو برهان شديد الصلة مع برهان الإسناد المعروف باستخدامه استخداماً حاسماً في قضايا الخلاف في الأحكام وبخاصة الخلاف في الاحتكام إلى الرواية، ولكنّ سلبياته أكثر من إيجابياته، فهو يعتمد على قضية تتمثّل في أنّ شخصاً ما يثبت محمول القضية على أنها صحيحة أو صادقة، وهذا في

دليل الإسناد، وأما في قضية برهان الخصم، فإن القاعدة تؤخذ من أنّ شخصية ما (معروفة) تثبت القاعدة على أنّ محمولها كاذب أو غير صادق.. كثير من قضايا الخلاف يستند إلى برهان الخصم، وهو أمر بحاجة إلى إعادة قراءة مسائل الخلاف والمحاضرات في النحو وغيره قراءة تعتمد على مبدأ المباريات النظرية.

وأما عبارة المناطقة التي اشتققنا منها مفهومنا ها هنا، فإنّ قياس الإحراج هو ما كانت مقدمته الكبرى مؤلفة من قضيتين شرطيتين متصلتين ومعطوفتين، ومقدمته الصغرى قضية شرطية منفصلة، إما أن تثبت مقدمته الكبرى أو أن تنكر التاليتين منها، وتكون نتيجته إما حملية وإما شرطية منفصلة.

وأما عن انتماء دليل الإحراج إلى القضايا الاستدلالية المنطقية التي ينصُّ عليها المنطق الأرسطي، فهي تنتمي إلى ما يعرف في هذا المنطق باسم الاستدلال بالإلزام.

لقد ضرب ويزلي سالمون وغيره من المناطقة مثالاً توضيحياً على قياس الإحراج، فقد ذكر أنَّه استخدم في قضية رفعها أحد الأساتذة ضد أحد تلامذته، وكان هذا التلميذ تعهد لأستاذه الذي علمه القانون وجدل المرافعات أمام المحاكم، أن يدفع القسط الثاني من المصروفات عندما "يكسب" أول قضية له أمام المحاكم في أثينا، ومرَّ الوقت ولم يفِ التلميذ بالوعد أو يسدد، وهنا لجأ الأستاذ إلى المحكمة في محاولة للحصول على حقِّه من التلميذ، وكانت مرافعته باستخدام "قياس الإحراج" على النحو الإحراجي الآتي: إذا خسر التلميذ القضية وجب عليه أن يدفع القسط الثاني بمقتضى حكم المحكمة. وإذا "ربح" التلميذ القضية وجب عليه دفع القسط الثاني بموجب الاتفاق الموقع بينه وبين الأستاذ. وأصبح التلميذ إما أن يكسب القضية، أو يخسرها. وفي كلتا الحالتين وجب على التلميذ دفع القسط الثاني لأستاذه.

ولكن التلميذ رد على أستاذه برد بليغ وكانت مرافعته بدوره كالآتي: إذا كسبت هذه القضية أمام المحكمة فلن أدفع شيئاً بمقتضى حكم المحكمة، ولكن إذا خسرتها فلن أدفع شيئاً بمقتضى الاتفاق المبرم بيني وبين أستاذي، لأنه اشترط عليّ أن أدفع فقط في حالة كسب أول قضية أرفعها وهأنذا قد خسرتها. ولكن إما أن أكسب القضية أو أخسرها. إذن: فلن أدفع شيئاً في كلتا الحالتين[3].

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن طريق العلماء العرب في توظيف المنطق الأرسطي في هذه المسألة بالذات، وكيف أنهم طوروا القياس الإحراجي والأدلة الإحراجية المنبثقة عنه في طرح الاستدلالات المنطقية وإسقاطها على الاحتجاج اللغوي في ذلك الجدل الذي ثار بينهم، أو في تلك المسائل التي من الممكن أن تكون قريحتهم قد جادت بها رغبة في إظهار قدرتهم على الاستدلال المنطقي[4].

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف فقد اتّبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمد إلى جمع المادة الضرورية الممثلة لأصناف القياس الإحراجي من كتاب الإنصاف، وصنفتها بحسب ما رأت أنّه استدلال إحراجي، مراعية خصوصية المادة اللغوية، وأنّ الدراسة لا تبحث في المنطق المجرد، بل في إسقاطات المنطق الأرسطي على الاستدلال النحوي عند أصحاب الخلاف، وبخاصة الأنباري في كتابه: "الإنصاف في مسائل الخلاف".

وقد حاولت أن أطّلع على بعض الدراسات التي عنيت بالقياس الإحراجي فلم أجد واحدة منها تفي بما نحن بصدد الكشف فيه عن أثر الإحراج في الاستدلال اللغوي، وهذا هو ما دفعنا إلى التفكير بأمر إجراء الدراسة، وأما موضوع الاستدلال الإحراجي خارج العملية اللغوية فهو أمر وارد لا تكاد تجد كتاباً يفصل الذكر في المنطق الأرسطي دون أن يعمد إلى توضيحه، فالموسوعة الفلسفية العربية عملت على توضيح مفهومه، وهو ما عمدت إلى توضيحه كتل المنطق الأرسطي او المنطق الصوري الكثيرة، ولكن دون أن تدخل في توظيف النحويين العرب إياه، وقد سمعنا كثيراً من المقولات التي تصل إلى حدِّ الاتهام بأنَ النحو العربي ولد معتمداً على عدد من العناصر، منها المنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية والنحو اليوناني، فأحببت أن أوضح مسألة تأثر بعض جوانب الفكر النحوي في مرحلة متوسطة من تاريخه (القرن السادس الهجري خاصة)، حتى لا تظل التهمة تلقى جزافاً على النحو العربي عامة.

وأما المشكلة التي تعرض طريق أي باحث يحاول أن يخوض غمار المقارنة بين استدلال الكوفيين والبصريين، فهي أن كتب الخلاف قد لا تحمل الصورة الحقيقية للخلاف أو لرأي الكوفيين على أقل تقدير، فإذا كانت مؤلفات البصريين وأشياعهم كثيرة جداً يمكن أن توضح صورة واضحة عن تفكيرهم النحوي، فإننا في حقيقة الأمر لا نملك أي كتاب متخصص يمكننا من الحكم على ما يقابله عند الكوفيين، فهم لم يضعوا كتباً موسّعة متخصصة تحمل آراءهم النحوية، أو أنّ ما وصل إلينا منها كان قليلاً لا يسعف في الحكم على الخلاف الذي تذكر كتب الخلاف أنه اشتدّ بينهم وبين البصريّين.

وأما ما وصل إلينا منها، فمنها كتابان متخصصان:

أما الأوّل منهما فهو كتاب "مختصر النحو" لمحمد بن سعدان الكوفي المتوفّى في سنة (231هـ)، وهو من متقدّمي علماء الكوفة، وقد عاصر أشهر علمائهم وهو الفراء، وقد صدر الكتاب محققاً في عام 2005[5].

ولا يدخل هذا الكتاب في المجال الرئيس لهذه الدراسة؛ لأنه ليس كتاباً من كتب الخلاف النحوي، ولكنه كتاب تعليمي يعتمد على النظر العلمي الكوفي، إذ نادراً ما نجد في مسألة عابرة من مسائل الخلاف، ولو وصل إلينا الكتاب المفصل الذي يقال إنه اختصره في هذا الكتاب لربما

أمكننا أن نقول في هذا الموضوع شيئاً آخر، ولكن كتب التراجم لم تسعفنا بأكثر من أنه كتب كتاباً في النحو وآخر في القراءات[6].

ولا نرمي في هذه الدراسة إلى تقييم هذا الكتاب الفريد، ولكن ما يبدو من اسمه هو أنه ربّما ألّفه كتاباً تعليمياً معتمداً على كتاب آخر له كان موسّعاً، وقد بدا منهجه التعليمي من صغر حجمه، وقِصر أبوابه واختصارها، إذ لم يزد بعضها على سطر ونصف[7].

وأما الكتاب الثاني الذي بين أيدينا ويلخّص مذهب الكوفيين فهو كتاب "الموفي في النحو الكوفي"، وهو كتاب استند أحد المتأخرين فيه إلى ما ورد في كتب البصريين أو مؤيديهم، أو إلى كتب الخلاف، وهو السيد عبدالقادر الكنغراوي، وهو مؤلّف متأخر (ت1349هـ)، وقد يمنحنا هذا الحقّ في الشكّ بوجود الخلاف بهذه الكيفية الواردة في كتب الخلاف، وعلى رأسها كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الذي وضعه أبو البركات الأنباري (ت577هـ)، ولذا، فإننا في الواقع نناقش فكر الخلاف النحوي الذي أثاره النحويون، لا الواقع الخلافي الذي ثار بين الطرفين بالفعل.

وأما اشتقاقه اللغوي، فهو مشتق من الحرج وهو الضيق والضغط والمعنى المتعلّق بالإثم، ولكنه مع وجود هذا الحدّ من اللقاء بين المعنى الفلسفي والدلالة اللغوية، خرج من الدلالة اللغوية إلى دلالة فلسفية، فهو يعبّر عن حالة وقوف الفكر أمام ضغط إشكالي يربك القدرة على الفهم، ويقيّدها عن النفاذ إلى تشكيل معرفة صحيحة متجاوزاً المعرفة الخاطئة[8].

## أنواع الإحراج في الاستدلال اللغوي

بعد قراءة عدد كبير من مسائل الخلاف تمكنا من حصر المسائل في نوع واحد من أنواع القضايا النحوية الواردة فيه، وأغلبها هو المسائل التي تسأل عن الجواز من عدمه، والأصل الذي يقرُّه علم اللغة الوصفي أن يكون الجواب إمّا بـ (نعم) أو بـ (لا)، فإذا كان الجواب بـ (نعم) فإنّ الدليل الذي يقتضيه المنهج الوصفي هو الشواهد الاستعمالية المباشرة التي تؤيّد وجوده في اللغة، وأما إذا كان الجواب بـ (لا) فإنه لا يحتاج إلا لحكم واحد مؤكّد، وهو أنه لم يرد في التراكيب اللغوية العربية، ولكنّ نظام الخلاف لم يكن يسمح لهذا المنهج الوصفي بالحضور إلا في نطاق ضيّق، بل حضر نظام المحاجّة والاستدلال المنطقي، وقد أمكننا أن نحصر هذه المسائل فيما يأتي:

### 1- الإحراج بالرواية:

ما نعنيه بهذا المصطلح هو المنطلق الأساسي الذي قامت عليه الدراسات النحوية كما هو مفترض علمياً، فالدراسات العربية قامت على عملية جمع المادة اللغوية من مصادرها المعتمدة

وفقاً لآليات يعتدُ بها علم اللغة، وأهمها عند النحويين عملية الرواية، فاللغة العربية لغة مرويّة في عدد من المصادر المعتمدة على آلية النقل عن مستعمليها، ولها نصوص ثابتة لا يمكن أن يداخل روايتها شيء من الريبة، كالقرآن الكريم، وبعضها يمكن لك أن تقول فيها كالشعر وروايات سعة اللغة المرويّة عن العرب، وهذه الأخيرة قد يكون النحويُ مخيراً في توظيفها في عملية الجدل خاصة، ويكون توظيفها براغماتياً وفقاً للحاجة إليها.

وأهم مثال يوضّح هذا النوع من الأدلة تلك المناظرة المشهورة التي أثيرت حول النزاع بين الكسائي وسيبويه في المسألة الزنبورية، ولعلّ هذه المسألة هي التي استثارت عدداً كبيراً من النحويين العرب قديماً وحديثاً لاجتراح كثيرٍ من المسائل المتعلّقة بالخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، وكانت رغبتهم في خلق جوٍّ من التوتُّر بين الطرفين حافزاً قوياً لتوظيف المنطق الأرسطي الذي يساعد في عملية المحاورة بين طرفين مختلفين على وجه الحقيقة، أو على وجه صناعة الخلاف.

ونحن في هذا المقام لا نرتجي أن نعرض خلافاً بين عالمين كبيرين إلا بمقدار تفسير نتيجة تلك المناظرة، فقد سأل الكسائيُّ سيبويهِ عن مسألة استعمالية من مستويات التركيب النحوي، وهي: كنتُ أظنُّ أنّ العقربَ أشدُّ لسعة من الزنبور، فإذا هو إياها أو فإذا هو هي؟ ويبدو الأداء غير مهمٍّ الآن بالنظر إلى أنّ سيبويه أو غيره لا يمكنه أن يحيط بالأداء اللغوي، ولا يمكن أن نفترض أنه سمع جميع الأداءات اللغوية الموجودة في بيئة لغوية محصورة أو شاسعة، ولا أظنُّ أن الاحتكام إلى الأعراب الموجودين في الجلسة أو في باب راعي المناظرة كان هو السبب في انتهاء المناظرة إلى ما انتهت إليه من (هزيمة) سيبويه[9].

ولقد كانت إجابة سيبويه منطلقة من الناحية القواعدية والقياس الصحيح عند النحويين؛ لأنّ القواعدية تقررً أنّ (إذا) الفجائية تباشر الجملة الاسمية[10]، أي أنها تدخل على المبتدأ والخبر المرفوعين بحكم الاستعمال اللغوي والقواعدية، ولا تدخل على مثل التركيب المقترح في سؤال الكسائي المتعلق بصحة عبارة "فإذا هو إياها" فقد أصدر إجابته الحاسمة الملتزمة بالقواعدية المستندة إلى عددٍ من الاستعمالات اللغوية الصحيحة التي لا يختلف فيها الجانبان، وهي قوله تعالى: "ونزع يده فإذا هي بيضاءُ للناظرين"[11]، وقوله: "فألقاها فإذا هي حيَّةٌ تسعى"[12]، و"فإذا هي تلقف ما يأفكون"[13]، وكلها جاء فيها الخبر بالرفع أو في موقعه في الآية الأخيرة التي كان فيها الخبر جملة فعلية (تلقف)، والحقيقة أنّ هذه الإجابة كافية لتسويغ الأمر قواعدياً[14]، ولكنّ الكسائي استغلّ مسألة دليل الإحراج التي نتحدّثُ عنها، وقدّم دليلاً يبدو أوّل وهلة غير مهم، وهو أنّ أبا زيد الأنصاري روى أنه سمع من العرب مَنْ يقول: كنت أظنُّ أنّ العقرب أشدُّ لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، وإذا هو إياها، أي أنّه يجيز الأمرين الأدائيين معاً[15]، وهذا يعني

أنّ تركيب "فإذا هو إياها" صيغة اختيارية أو بديلة alternative form جائزة استعمالياً وإن كانت القواعدية التي تمسّك بها سيبويه لا توافق عليها.

وقد يبدو الأمر غير مهمٍّ في حجة الكسائي، فالقارئ ربما تشعَّبت به الأفكار وأوصلته إلى البعد الحكائي المحض الذي يتحدث عن عاطفة الرواة الذين تعاطفوا مع أحد الطرفين، ونحن نهتمّ كثيراً بما حدث بعد ذلك، فرواية قليلة الأهمية لا تصمد أمام هذه الأدلة التي جاء بها سيبويه من الأداء القرآني، زيادة على تعاطفنا مع القواعدية، ولكن الاعتراض يحمل دليلاً قوياً تمثّل في استدلال الإحراج بالرواية، فقد وجّه الكسائي إلى سيبويه دليلاً إحراجياً تمثّل في هذه الرواية المنقولة عن أبي زيد الأنصاري، وهو الذي وُصِفَ بأنه صاحب العربية بالبصرة[16]، فقد وضع الكسائيُّ سيبويه في موضع الحَرَج عندما ذكر له أن الأمر منقول عن هذا البصري، وهذا يعني أن يتخلّى سيبويه عن صاحبه الذي كان معاصراً له، أو أن يقرَّ بالخسارة، فاختار الخسارة، ولا أرى أن مسألة العرب الذين شهدوا للكسائي وفقاً لما تقول الرواية كانت سبباً في نهاية المناظرة على الوجه الذي انتهت إليه.

وهذا المثال السابق يمثِّل ما يطلق عليه المناطقة دليل الإحراج، وهو مثال فريد على التزام سيبويه والبصريين بصورة عامة بالخضوع للإحراج خضوعاً تاماً، لأنَ البصريين بعد سيبويه أشاروا إلى أمور جانبية لا تتعلق بهذا الدليل، كتركيزهم على مسألة أبناء اللغة الذين شهدوا مع الكسائي دون أن يتمكّنوا من النطق بالمثال على الهيئة التي ذكرها الكسائي، أو أن الكسائي جعل لهم شيئاً من الجُعْلِ (الرشوة) في مقابل هذه الشهادة، وتلك (المؤامرات) التي أوردوا أن الفراء وخلفا الأحمر الكوفي قد اقترفاها بحقِّ سيبويه البصري قبل أن يجتمع بالكسائي للمناظرة[17]، وهي أمور تبدو غير ذات قيمة أمام تسليم سيبويه بدليل الإحراج الذي لا يحاول البصريون أنفسهم مناقشته.

والسبب في هذا هو أنّ أبا زيد الأنصاري أحد أعمدة الرواية التي يعتدُّ بها عند البصريين، فلم يكن بإمكانهم التقليل من شأن روايته أو مقدار الثقة بها، ففي مقابل دليل الإحراج هذا جاء دليل الرواية في الاستدلال بالصيغة في مسألة اسمية (نعم) و (بئس)، فقد ذهب الكوفيون إلى أنّ هذين النمطين اسمان، بسبب ورود صيغة عن العرب في (نِعْمَ) تدل على اسميتها، وهي قولهم: نَعيمَ الرجل، ولَمّا كانت صيغة (فعيل) من صيغ الأسماء ولا علاقة لها بصيغ الأفعال، فإنَ هذا يعني أنهما اسمان وليسا بفعلين، وهذه قضية منطقية يمكن تمثيلها على النحو الآتي:

| | |
|---|---|
| صيغة فعيل صيغة اسمية | مقدّمة كبرى |
| جاء في العربية نَعيم الرجل | مقدمة صغرى |
| إذاً نعمَ اسم | النتيجة |

وعلى الرغم من أن هذا الاستدلال محكم الجوانب من الناحية المنطقية[18]، فإنَ الكوفيين أحسّوا بأنه يمكن الاعتراض عليه من جانب خصومهم، فالدليل مثال نادر، وهو يعتمد على العلامات الشكلية، ونحن نطلق عليه مصطلح دليل الصيغة، ولذلك فقد رأوا أن ينطلقوا من دليل آخر هو دليل الإحراج بالرواية، فقد أوردوا رواية تقول إنه سمع من العرب من يقول: نعيم الرجل زيدٌ، "وليس في أبنية الأفعال فَعيلُ ألبتّة، كما يقولون[19]، وهو دليل إحراجي ردَّ عليه البصريون بقولهم: "فهذا مما ينفرد بروايته أبو علي قطرب، وهي رواية شاذة، ولئن صحَّت، فليس فيها حجّة"[20].

وعلى هذا يكون البصريون في هذا الردّ قد تخلَّوا عن صاحبهم قطرب، وضحوا به في سبيل نقض دليل الصيغة الذي جاء به الخصوم من الكوفيين، فقرروا أنه منفرد في روايته، وهم الذين لم يذكروا أنَّ أبا زيد الأنصاري ممن انفرد برواية "فإذا هو إياها" في الاستدلال السابق.

إننا إذ نناقش دليل الصيغة في هذا الموضع لا نؤيد رأي الكوفيين أو البصريين ولا نقف ضدّهما، بل نحاول أن نحلل الاعتراض المتمثّل في الردود المتاحة لهم، فقد بدا لنا أنّ البصريين لم يكونوا على قناعة تامة بردّ دليل الرواية أو دليل الصيغة، على الرغم من أنه دليل إحراجي، وليس دليل إسناد، ولهذا فقد بحثوا عن دليل آخر هو دليل التضليل، أي تضليل القارئ أو المستمع (إن كان الأمر سماعياً).

إنَّ المسألة التي يناقشهم فيها الكوفيون هي دليل الصيغة، أي ورود صيغة (فعيل) في (نعم) و(بئس)، ولكن البصريين بعد ردّهم على دليل الإحراج والتخلّي عن قطرب، رأوا أن يردوا ردًّا يجعل الآخر لا يلتفت إلى المسألة الأصلية، وهي مسألة الصيغة، فذكروا أنّ ورود (نَعيم) على افتراض صحته ليس فيه دليل صيغة، فـ (نعيم) ههنا تحيل إلى الأصل، وهو (نَعِمَ) على وزن (فَعِلَ)، وقد تعرَّت الصيغة الأصلية إلى إشباع كسرة العين، فتولَّد منها الياء وفقاً لقولهم، وإلى هذا الحدّ فإنّ ردَّهم يتعلق بالصيغة، ولكنَهم عملوا بعدها على تضليل الآخر، فقالوا إنّ الإشباع مظهر معروف في اللغة العربية، وقد ورد في الشعر كثيراً، فراحوا يوردون الشواهد المختلفة على وجود الإشباع في العربية مما يشي بتضليل القارئ أو السامع بأنَّ المسألة كانت تدور حول وجود الإشباع نفسه، فأوردوا قول الشاعر:

**تنفي يداها الحصى في كلِّ هاجرة  نفيَ الدراهيم تنقادَ الصياريف**[21]

أي: الدراهِم والصيارِف، فأشبع الكسرة، فتولّد منها الياء[22]، فهذا الشاهد لا يتعلّق بالمسألة برمّتها، ولكنهم أوردوه على مسألة أخرى لا تتعلق بالصيغة أو اسمية (نعم) أو فعليتها، ولكنهم أرادوا أن يصرفوا النظر عن دليل الإحراج.

وأمّا الإشباع ظاهرةً صوتية وظيفية فأمره لا يكون في مقام الخلاف في مسألة الصيغة ودلالتها على التصنيف، بل لقد كان مقامه في توجيه قراءة وردت بإشباع عن ابن عامر في بعض طرقه لقوله تعالى: "فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم"[23]، فقد قرأ هشام: أفئيدة، بمطل كسرة الهمزة[24]، فالأمر في هذه القراءة هو: هل يمكن أن نجد الإشباع في لغة سعة الكلام؟ فهي شاهد على إمكان وجوده في اللغة على أنه مظهر لغوي، وأما استشهاد البصريين بهذا البيت، فليس الغرض منه إثبات وجود الإشباع في الشعر أو اللغة عامة، ولكنه كان بقصد تضليل القارئ عن دليل الصيغة، وهو وجود (فعيل) في (نعم)، فالقارئ أو متابع الاستدلال مشغول بمسألة صيغة (فَعيل) في قول العرب: نَعيمَ الرجل، ولكنّ البصريين أرادوا أن يصرفوا الانتباه عن دليل الصيغة هذا، فبدا الأمر كما لو أنهم يريدون إثبات ظاهرة الإشباع نفسها في الكلام العربي، انطلاقاً من أنّ أصل (نِعْمَ) هو(نَعِمَ)، فأشبع حركة العين فتولّد منها الكسرة الطويلة التي لم يميز الخط العربيّ بينها وبين الياء شبه الحركة.

## 2- الإحراج باستغلال التسليم بالقاعدة الكبرى:

يقتضي هذا الموضع أن نفسِّر ما نعنيه بالقاعدة الكبرى، فقد درج النحويون العرب على وضع قاعدة تحقق الصفة الاقتصادية للتقعيد، وهي شمول القاعدة لأكبر عدد ممكن من الجزئيات حتى لا تكون القاعدة محتاجة إلى استثناء منها بسبب عدم الشمول، كأن يقولوا إن الإسناد علامته الرفع، فأي مسند إليه مرفوع، أو أن يقولوا إن المسند إليه يجب أن يحقق شرط الاسمية، فتراهم يقولون إنه اسم أو ما كان بمنزلته، فالعبارة الأخيرة تشتمل على الأسماء وما يمكن أن يحلّ محلها في عملية الإسناد كالضمائر أو المصادر المؤوّلة أو ما يشبههما.

وقد تبدو القاعدة الرئيسة مشتملة على أجزاء كثيرة مقنعة للنحويين على اختلاف مشاربهم وانتمائهم، ولكنهم يضطرون أحياناً إلى تفريع هذه القاعدة الكلية، فيستعملون قواعد فرعية قد لا تكون حصينة، ولكنها تخلّصهم من الحرج الذي قد يسببه نقص القاعدة وعدم شمولها الأجزاء المتعلّقة كافة، وعندها فإن ملجأهم يكون إلى التأويل والتفريع، وبعض هذه التأويلات يخرج اللغة عن خط سيرها.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها على هذا النوع من أنواع الإحراج أنّ النحويين قد وضعوا قاعدة كلية تشتمل على شروط اشتقاق (أفعل) التفضيل وهي الشروط ذاتها التي تنطبق على (أفعل) التعجُّب، على الرغم من أنّ البصريين يقرون أن (أفعل) التفضيل اسمٌ تام الاسمية، وأنّ (أفعل) التعجُّب فعل ماضٍ جامد لإنشاء التعجب[25].

وعندما جاء أبو البركات الأنباري إلى تفصيل الخلاف والاعتراض على الآراء عند الطرفين: البصريين والكوفيين اصطدم بهذا الإقرار، فقد اختار البصريون في مسألة: هل يجوز التعجُّب من

السواد والبياض أنه لا يجوز؛ لأنهما لونان كسائر الألوان، ولما كان لا يجوز التعجُّب من الألوان الأخرى، فإنه لا يجوز التعجُّبُ منهما أيضاً، وهذا الاستدلال منطقي يتّخذ الشكل الآتي:

لا يجوز التعجُّب من الألوان مقدّمة كبرى

السواد والبياض من الألوان مقدّمة صغرى

إذاً لا يجوز التعجُّب من السواد والبياض النتيجة

فهذا الاستدلال المنطقي صحيح من الناحية المنطقية، فهو يحتوي على مقدّمة كبرى صحيحة منطقية، ومقدّمة صغرى صحيحة منطقياً أيضاً، وهما مقدمتان صادقتان تتضمن الكبرى منهما الصغرى، ولا يمكن أن تكون النتيجة كاذبة بعد هذا، ولكن هذا الاستدلال ليس لغوياً، بل هو منطقي، ومع هذا فهو ينقض إجازة الكوفيين، وكان من المطلوب منهم بما أنهم أجازوا الحكم أن يأتوا بالأدلة الاستعمالية، وقد فعلوا، فجاءوا بقول الشاعر:

**إذا الرجال شَتَوْا واشتدَّ أكلهم فأنت أبيضُهم سربالَ طباخِ**[26]

وقول الآخر:

**جاريةٌ في درعها الفضفاضِ**

**تُقَطِّـــعُ الحديثَ بالإيماضِ**

**أبيض من أختِ بني أباض**[27]

وقد أورد أبو البركات الأنباري أنَّ نوع الدليل هذا هو الدليل النقلي، ويمكن أن يكون هذا استدلالاً قوياً؛ لأنَّ السؤال كان: هل يحوز التعجُّب من البياض والسواد دون غيرهما من الألوان؟ وقد كان جواب الكوفيين بالإيجاب، ولهذا فإنَّ المطلوب منهم هو دليل إثبات من استعمال العرب، ولكننا نجد أنَّ هذا الدليل لم يكن يخصُّ التعجُّبَ، بل كان يخص (أفعل) التفضيل، ولم يعترض البصريون على هذا من جهة أنه لا يخصّ التعجُّب، بل لأنه شاذٌّ، أو أنه من باب (أفعل) الذي مؤنّثه (فعلاء)[28].

والسؤال لا يمكن أن يكون خاصاً بمعرفتهم بأنَّ هذين الشاهدين من باب أفعل التفضيل، بل إنه يكشف عن استدلال الإحراج، فقد استغل الكوفيون موافقة البصريين على القاعدة التي تجمع بين (أفعل) التعجُّب و(أفعل) التفضيل في شروط التكوين القواعدية؛ ولهذا فقد سكتوا عن الشاهد النقلي مما يشي بقبول الفكرة العامة التي سلموا بها في القاعدة الكلية.

وفي الاستدلال على أصل الاشتقاق هل هو الفعل أم إنه المصدر، ذهب الكوفيون إلى معالجة هذه المسألة الجدلية مستغلين مسألة من المسائل التي تتعلّق بالإحراج، ففي مسألة اسمية (نعم وبئس) أو فعليتهما دافع البصريون عن فعليتهما بضراوة، ودافع الكوفيون عن اسميتهما، ولكن في هذه المسألة (مسألة أصل الاشتقاق) نرى الكوفيين يوظفون دليل الإحراج في مسألة (فعلية نعم وبئس) فهم يرون أن بعض الأفعال، وبخاصة (نعم وبئس) على الأصل الذي قال به البصريون أفعال لا مصادر له، وهو ما لا يمكن إنكاره عند البصريين، ولهذا فالمصدر يأتي بعد الفعل[29].

فقد وضع البصريون قاعدة تخصُّ (نعم) و (بئس) من حيث تصنيفهما في أقسام الكلام عندما قرروا أنهما فعلان[30]، وهو أمر لا يمكنهم التراجع عنه، ولهذا فقد وظّف الكوفيون في استدلالهم على أصل الكلام: المصدر أو الفعل بهذه القاعدة البصرية، وهي فعليتهما فقالوا إنهما لا مصدر لهما، ولو كان المصدر أصلاً للاشتقاق لوجدنا لهما مصدرين[31]، وكان البصريون قد تخلّصوا من هذا الإحراج المنطقي بقولهم: إنهما جامدان[32].

وعلى هذا، فإن احتجاج الكوفيين بهذا الدليل لم يكن مقصوداً منه إثبات قاعدة أو القول إنهم مؤمنون بفعلية هذين النمطين، بل كان الأمر مرتبطاً بدليل الإحراج، فإمّا أن يتخلى البصريون عن قاعدة فعليتهما التي دافعوا عنها بضراوة، وإما أن يتخلوا عن القول إنّ أصل الاشتقاق هو المصدر ويُسلّموا بقاعدة الكوفيين في أحد الموضعين.

ويمكن أن نجد الدليل الإحراجي في مسألة القول في ناصب المشغول عنه، فعندما ننظر إلى قواعدية الاسم المشغول عنه عند البصريين، فإننا نراهم يرتكزون إلى أنه من المنصوب بفعل لازم الإضمار يفسِّره ما بعده، فهم يرون الاسم المنصوب في قولنا: زيداً ضربته بأنه منصوب بفعل مضمر وجوباً يفسّره الفعل الظاهر[33] ويكون تقدير التركيب: ضربت زيداً ضربته، وهو أمر يفسر العلاقات القائمة في التركيب الأصلي تفسيراً منطقياً مقنعا يهتمُّ بالقاعدة التي تقول إنه لا بدّ لكل منصوب من ناصب، فالفعل الظاهر تسلّط على الضمير الملحق به (ضربته)، وهو لا يعمل سوى عمل واحد في المتأخر، ولذلك فقد اشتغل به دون غيره، فكان لا بدّ من ناصب للاسم المنصوب المتقدّم (زيداً) لهذا فقد اهتموا بتقدير عامل قرروا أنه محذوف وجوباً؛ لأنه لا يمكن إظهاره، ولو ظهر فإنه سيؤدي إلى الإخلال بالتركيب والدلالة أيضاً.

وأما الكوفيون فإنهم وقعوا في إحراج مسبَّب عن التسليم بقاعدة من القواعد كما سيتّضح، فهم لا يقدِّرون العامل المحذوف الذي قدّره البصريون، بل يرون أنّ الاسم (زيداً) في التركيب السابق منصوب بالفعل المتأخر[34]، وبلغة أهل الإعراب العقلي هو مفعول به مقدّم للفعل الظاهر بعده، وهو ما يوقعهم في مأزق مسبَّب عن الإحراج؛ لأنهم سلّموا بقاعدة كلية سابقة، وهذا المأزق يتمثّل في نظرتهم إلى الضمير المتأخّر، وهو من وجهة نظرهم ونظر القواعدية البصرية

مما يحمل على الأسماء التي يجب أن يكون لها موضع من الإعراب، فإذا كان الاسم المتقدّم هو المفعول، أي معمول الفعل الظاهر، فما هو موقع الضمير من الإعراب؟

لقد كان في قدرة الكوفيين أن يقولوا إنه توكيد من الاسم المنصوب، أي في موضع نصب على التوكيد (الإعراب بالتبعية) ولكنهم لم يفعلوا هذا، لوقوعهم تحت طائلة الإحراج الناتج عن التسليم بإحدى القواعد السابقة، وهي القاعدة التي تقول: لا يؤكَّد الظاهر بمضمر، ولهذا فقد أغفلوا موقعه الإعرابي كأنه غير موجود، ولو أنهم لم يقعوا تحت هذا الإحراج لما سكتوا عن هذا التفريع.

وقد أورد الكنغراوي رأياً غير هذا الذي أوردناه، وهو أنَّ الفعل يعمل في الضمير ومرجعه، وانه لا يشتغل بأحدهما عن الآخر[35].

وهو رأي لا تقبله القواعد؛ لأن هذا الفعل لا قدرة له على العمل في معمولين، أو أنه لا يعمل في اتجاهين مختلفين معمول وعائده.

### 3- شواهد نقض الدليل الإحراجي:

مما يمكن أن نسوقه على هذا تلك الشواهد التي قدَّمها البصريون على أنها شواهد نقض من الاستعمال اللغوي لاستدلال الكوفيين على اسمية (نعم وبئس) أيضاً بدخول (يا) عليهما، فقدموا في سبيل ذلك بعض الأداءات اللغوية الفعلية المتفق على فعليتها عند الطرفين، ولا شكَّ في فعليتها لانطباق علامة الفعل الجوهرية عليها، ومنها قول ذي الرمة:

**ألا يا اسلمي يا دار ميَّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر**[36]

وقول الكميت:

**ألا يا اسلمي يا تِرْبَ أسماءَ من تِربِ ألا يا اسلمي حُيِّيتِ عني وعن صحبي**[37]

وقول الشاعر:

**وقالت ألا يا اسمع نَعِظك بخطَّة فقلت سميعاً فانطقي وأصيبي**[38]

وهذه الشواهد من شواهد النقض التي جاء بها البصريون لينقضوا بها رأي الكوفيين الذي ذهبوا فيه إلى أنّ (نعم) و(بئس) اسمان يقبلان أداة النداء، وهو ردٌّ منطقي من النوع الإحراجي، لأنّ هذه الأفعال "اسلمي" و"اسمع" وما أشبههما لا نشكُّ أبداً في فعليتها كما نشك في فعلية "نعم وبئس"، ولأنّ علامة الفعل الجوهرية ملازمة لها، وهي الحدث المقترن بزمن، ودخلت عليها (يا)، ومع دخولها فإنه لا مسوّغ للدارسين أن يدرجوا ما دخلت عليه (يا) ضمن الأسماء؛ لأنها

واضحة العلامة الجوهرية الموجودة في الأفعال "الزمن والحدث"، ولكنها "الشواهد" ليست دليل إثبات، فلا يمكن أن نقول إنّ (يا) الندائية تدخل على الأفعال، أو إنّ الأفعال تنادى مستدلين بهذه الشواهد وغيرها مما أوردوه، بل هي شواهد نقض لا تفيد العملية التقعيدية التي يمكن أن تكون منطلقة من المستوى التركيبي للغة، ولكنها معنيّة بالمستوى التحليلي والفكر النحوي العربي في زمن تقعيد العربية. وقد أهمل النحويون العرب تفريع الحكم القواعدي الذي يضع أداة النداء في وظائف أخرى ما عدا قولهم إنها للنداء والتنبيه[39].

## 4- الإحراج بالاستدلال الذهني المجرّد:

الواقع الذي تقرُّه الدراسات الحديثة يؤكّد أن القواعد تكون مبنية على الأداءات اللغوية بناء وصفياً لا يلجأ إلى أدوات غير لغوية لتحقيق الغاية التقعيدية، لأنّ هذا الأمر سيلحق الضرر ببناء القواعد على غير اللغة، كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام، وغيرها من الأدوات التي لا تمتُّ إلى العملية اللغوية بسبب، ولكنّ المناطقة لا يجدون حرجاً في قياس النقيض، فهم يرفضون ما يمكن أن يكون موجوداً بالفعل على ما لا وجود له، وبهذا فهم يرون أنّه نوع من قياس الإحراج الذي يتّخذ الشكل الاستدلالي المنطقي الآتي:

| | |
|---|---|
| إذا كانت (س) غير جائزة وهي نقيض (ع) | مقدّمة كبرى |
| (س) غير جائزة | مقدمة صغرى |
| إذاً (ع) غير جائزة | نتيجة |

فعلى الرغم مما يبدو من صدق المقدمات منطقياً، فإنّ الترابط بين المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى لا يبدو أنه بحالة جيدة في الواقع اللغوي، ولهذا فإننا سنلجأ إلى التمثيل على هذا الاستدلال من مسألة هل يجوز عطف الظاهر على الضمير المجرور، فقد أجاز الكوفيون ذلك مستندين إلى أدلة استعمالية واضحة، وأما البصريون فقد رفضوا الإقرار بهذه الأدلة انطلاقاً من اعتقادهم بالإحراج المنطقي الناتج عن القياس الذهني المجرّد، وهو قياس المعدوم على موجود أو ممكن الوجود.

ولا يمكن الغض من أدلة الكوفيين الاستعمالية على الرغم من أنها تنتهك بعض شروط القواعدية، فقد استشهدوا بقوله تعالى: "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ"[40]، بقراءة حمزة ومن معه: الأرحامِ بالجرّ[41]، زيادة على أبيات شعرية أخرى يمكن أن يكون وجود قراءة حمزة معها وغيرها من الأداءات اللغوية القرآنية مما ينفي عنها صفة الضرورة الشعرية، ومن أدلة الشعر، قول الشاعر:

**فاليوم قرَّبتَ تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بكَ والأيامِ من عجبِ**[42]

وقول الشاعر:

**تعلَّقَ في مثل السواري سيوفنا فما بينها والكعبِ غوطُ نفانفُ**[43]

وغيرها من صور الأداء الحي، وهو سلوك علمي يتوافق مع المنهج الوصفي، وكان من الممكن أن يسبب إحراجاً استعماليا وفقاً لدليل نطلق عليه دليل الإسناد، ولكن هذا لم يمنع البصريين من الاستعانة بدليل الإحراج القائم على القياس الذهني المجرّد، على الرغم من أنّه قياس معدوم على موجود، وليس ممكن الوجود حسب، فقد استعانوا بالدليل الآتي:

لا يجوز القول بجواز "مررت بكَ وزيدٍ" لأنه لا يجوز مررت بزيد و(ك).

فالجملة الأولى: "لا يجوز مررت بكَ وزيدٍ" جملة ممكنة، ولكنَ المقيس عليه "مررت بزيدٍ و(ك) جملة معدومة، ولهذا نرى أن الإحراج القياسي الذهني قد آتى نتيجة منطقية غير لغوية، ولهذا، فإنه لا يسبب أي نوع من الإحراج للكوفيين؛ لأنّ المقدمات التي أفضت إلى النتيجة فاسدة لغوياً وإن كانت متاحة منطقياً.

## 5- دليل الإحراج والداعي المنطقي:

لقد ذكرنا أنّ التسليم بالقواعد الكلية قد يشكّل دليلاً إحراجياً كما حدث في الاستدلال على استعمال التعجّب من السواد والبياض بأدلة استعمالية من شواهد أفعل التفضيل، بسبب قبول الكوفيين بالقاعدة الكلية التي نصّت على أنّ ما ينطبق على أفعل التفضيل ينطبق تماماً على أفعل التعجب، ومع هذا فإن استدلال الكوفيين ظل في حيّز الشاهد الاستعمالي الإحراجي، بيد أن دليلاً آخر حاول البصريون أن يوظّفوه دليلاً إحراجياً مستغلين قاعدة منطقية لغوية في آن واحد، ونعني بها تسليم الكوفيين بأنه لا يجوز التعجُّب من الألوان عامة[44]، ويمكن أن نخطط هذا الاستدلال على النحو الآتي:

لا يجوز التعجُّب من الألوان عامة مقدِّمة كبرى

الأبيض والأسود من الألوان مقدمة صغرى

إذاً: لا يجوز التعجب من الأبيض والأسود نتيجة

وعلى الرغم من أنّ المقدمة الكبرى صحيحة منطقياً، وأنّ المقدمة الصغرى متضمنة في الكبرى، فإنّ الخلاف وقع بين الفريقين في التسليم بمنطقية المقدمة الصغرى والتسليم بتضمنها في المقدمة الكبرى، وفي هذا شيء قليل من الاحتكام إلى اللغة، وتجنُّب الدليل المنطقي، بيد أنّ الهدف لم يكن وصفياً، بل كان تجنُّب الإحراج المتسبب عن الاستدلال المنطقي.

وعلى هذا فإنه يمكننا أنْ نصنف الدليل البصري بعدم جواز القياس المنطقي السابق، ضمن الاستدلال غير اللغوي، بل هو لا يتعلّق بالمنهج العلمي الذي يعترف به المنهج الوصفي في دراسة الظاهرة اللغوية، فليس من المتفق عليه منطقياً أو علمياً بأنّ السواد والبياض هما أصل الألوان، وأنّ الألوان الأخرى مشتقة منهما، وهذا يعني انّ المقدمة الكبرى مقدِّمة كاذبة، وليست مقدمة استنباطية، وبهذا تكون المقدمة الصغرى غير متضمنة فيها، ومن هنا يمكن الحكم على النتيجة بانها نتيجة كاذبة منطقياً، وبأنّ هذا الاستدلال لا يصلح أن يكون من قبيل قياس الإحراج الذي يمكن أن يفحم طرفاً من الأطراف ويسكته عن التصدي للنتيجة.

## 6- فشل قياس الإحراج عند تساوي الأدلة:

الإحراج المنطقي أمر مختلف عن الإحراج في الحياة العادية، فهو الذي يمكن أن يصل بصاحبه إلى إحداث تناقض في المنطق يجعل من إيقاعه في التناقض أو إسكاته منطقياً أمراً وارداً، فإذا وصل إلى هذه النتيجة فإنّ دليل الإحراج يكون قد نجح في إحداث التناقض المطلوب عند الخصم، وهو أمر يجعل انسحابه من المناظرة أمراً محتوماً.

ولكنّ أمر التناقض الناتج عن القياس الإحراجي ليس في متناول اليد دائماً، فقد يقدِّم المنطقي أو مستعمل المنطق دليلا من هذا النوع ولكنه يفشل في الإحراج فشلا منطقياً، ومعنى الفشل أنه لا ينجح منطقياً، ولعل أهم مظاهر الفشل يتبدّى في تساوي دليلي الخصمين في الإحراج، فإذا تساوى الدليلان بطل الاحتجاج بهما معاً.

ومثال ذلك من كتب الخلاف ذلك الجدل المنطقي الذي اشتعل بين طرفي الخلاف: البصريين والكوفيين، في مسألة من المسائل التي يمكن إخراجها من الدرس اللغوي الوصفي تماماً، وهي مسألة الأصل في الاشتقاق، هل هو الفعل أو المصدر؟

لقد استدلّ البصريون عدداً من الاستدلالات، وبعضها إن لم يكن أغلبها لا علاقة له بالأداء اللغوي؛ لأنّ المسألة ليست لغوية أصلاً، ومن ضمن هذه الاستدلالات قولهم إنّ المصدر هو الأصل لأنه سميَ مصدراً، أي أنّ الأفعال تصدر عنه، وهو ما ردّ عليه الكوفيون بأنه إنّما سمي مصدراً لأنه صدر عن الأفعال[45].

والحقيقة أنّ حظ هذين الدليلين عند الفريقين من الإقناع والإحراج معدوم، ولا يمكن أن نركن إليهما منطقياً أو لغوياً، ولهذا فإننا لن نتعرض لهما أكثر مما فعلنا في هذا المقام، بيد أنّ القياس الإحراجي يتبدّى في استدلال آخر للفريقين، وهو قول البصريين إنّ المصدر هو الأصل لوجود مصادر لا أفعال لها، فكأنّ أسبقية المصدر هنا لم تمكّن أصحاب اللغة من وضع مصدر لهما، وقد ساقوا أدلة تضليلية توحي بأنها استعمالية، كقول ابن ميادة:

**تفاقدَ قومي إذ سيبيعون مهجتي  بجارية، بهراً لهم من بعدها بهرا**[46]

وقول الشاعر:

**ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهراً  عدد النجم والحصى والتراب**[47]

وهذا الاستدلال يشي بشيء ليس قليلاً من الزيف التاريخي، فهو استدلال يهدف إلى الإحراج لا إلى التاريخية، فهم يقصدون ظاهرياً إلى القول إنّ المصدر قد وُجِدَ أولاً، بدليل أنّ اللغة وصلت إلى مصادر قبل أن تصل إلى أفعال، ويمكن أن نظهر هذا الاستدلال على الوجه الآتي:

وجود أداء لغوي يحمل على المصدر ولا فعل له يدل على أسبقية المصدر  مقدمة كبرى

بهراً في الأداءين السابقين مصدر لا فعل له  مقدمة صغرى

المصدر سابق على الفعل  نتيجة

وهو استدلال له مقدّماته ونتائجه المنطقية، بيد أننا يمكن أن نسجِّل اعتراضاً على المقدمة الكبرى، وهو أنّ حمل (بهراً) على المصدرية أمر غير محمود لغوياً، فلا نلمح فيه العلامات الجوهرية للمصدر دون وجود الفعل، ولهذا فإنّ ارتباط المقدمة الصغرى بهذه المقدمة الكبرى لن يكون شاملاً حتى نحكم عليه بالاشتمال فيها، ومن هنا فإن النتيجة ليست لغوية، وإن كان التسليم بها يحمل قياساً إحراجياً ناتجاً عن التسليم بمصدرية (بهراً).

وأمّا الكوفيون فقد استعملوا الدليل نفسه معكوساً، فقد ذهبوا إلى أصالة الفعل، ورأوا أنه الأصل لوجود أفعال لا مصادر له، وقد بدا الاستدلال تاريخياً من حيث المبدأ، ولكنه تاريخي زائف؛ فهو منطقي بلبوس تاريخي، ويمكن تمثيله أيضاً بالشكل المنطقي الآتي:

وجود أداء لغوي يحمل على الأفعال ولا مصدر له يدل على أسبقية الفعل  مقدمة كبرى

نعم وبئس فعلان لا مصدر لهما  مقدمة صغرى

الفعل سابق على المصدر  نتيجة

والفرق بين الاستدلالين ليس كبيراً من حيث القياس الحملي، ولكن استدلال الكوفيين يحمل درجة عالية من الإحراج أكثر مما حمله دليل البصريين، فقد احتجوا بقاعدة بصرية تقرُّ فعليه (نعم وبئس وليس)[48]، وهذا إحراج منطقي أيضاً ولا يمتُّ إلى المعالجة اللغوية بصلة، ولكنّ النتيجة التي آلت إليه معادلة الاستدلال عند الطرفين تفيد أنها قياس متساوٍ من حيث القوة، ولهذا، فإننا نلجأ إلى الحكم المنطقي في المفاضلة بين الاستدلالين، وهي القاعدة التي تقول: إذا تساوى الدليلان في القوة، يبطل الاحتجاج بهما معاً، على أننا نميل إلى تفضيل إحراج الكوفيين،

وهذا لا يعني التفضيل الوصفي، ولكنه تفضيل يتعلّق بالإحراج أو القياس الإحراجي لا غير، ولذا فإننا نقول إنه إذا تساوى دليلان إحراجيان فإنّ هذا يعني فشل عملية القياس الإحراجي برمّتها.

## 7- هل من داع للجوء إلى القياس الإحراجي ودليل الإحراج؟

بعد العرض السابق لهذه الموضوعات المتعلقة بالإحراج لنا أن نتساءل عن ارتباط الأحكام اللغوية بالأدلة الإحراجية، فما هي الفائدة المنتظرة من الدليل الإحراجي المرتبط بالاستدلال المنطقي؟

وللإجابة عن هذا التساؤل المشروع نورد أنّ ثورة المدرسة التركيبية الأوروبية على المدرسة التقليدية كانت ثورة على أدوات المنهج المعياري الغربي المستعمل في الدراسات التقليدية التي سبقت المدرسة التركيبية، فالمدرسة التقليدية هي تلك الاتجاهات التي لا يضبطها ضابط سوى الضابط المنهجي؛ هي الدراسات التي سبقت المنهج التجريبي الغربي، وانبثق منها المنهج الوصفي التقريري أولا، ثم المنهج الوصفي التفسيري ثانياً، بعد أن ثبتت قلة نجاعة المنهج الوصفي التقريري[(49)]، وهذه الأدوات التي ثاروا عليها في طريقة تناول التقليديين للغة تتمثّل في استعمال المنطق والفلسفة وكل ما لا يمتُّ إلى الأدوات اللغوية بسبب، فكانت المدارس الحديثة تدعو إلى التخلُّص من روافد الدراسة المعتمدة على الأدوات غير اللغوية.

ولكنّ هذا الأمر يدفعنا إلى الفصل بين مسألتين مهمّتين من المسائل المتعلّقة بالدرس اللغوي، وهي مسألة التفريق بين مستويات الدرس اللغوي، الأولى: مستويات التركيب اللغوي، والثانية: مستويات التحليل اللغوي، فأمّا مستويات التركيب اللغوي فهي مما لا يمكن أن يفيده المنطق أو الفلسفة، لأنّ دراسة مستويات التركيب اللغوي تقتضي بالضرورة الاستعانة بأدوات لغوية لدراسة الظاهرة اللغوية، ولا يمكن قبول أي أدوات خارجة عن اللغة، وأما مستويات التحليل اللغوي فتعني أنْ نطّلع على الفكر اللغوي العربي واتجاهاته التي درس على هديها، فهذه الكتب التي وضعت في الخلاف النحوي، بغض النظر عن حدوثها أو صناعتها، وعما إذا كان هيكلها قد حدث بالفعل بين النحويين أم لم يحدث، فإنها تفيدنا في تحديد الدرس النحوي العربي واتجاهاته، وتفيد في الاطلاع على المعايير الوصفية وغير الوصفية التي مرّ بها النحو العربي في تاريخه الطويل.

ولذا فإننا إذا أردنا دراسة مستويات التركيب اللغوي في العربية أو أي لغة أخرى، فإننا لسنا مضطرين إلى توظيف المنطق أو الفلسفة أو الدليل الإحراجي في إثبات القواعد اللغوية.

**النتائج**

- لقد شكّل القياس الإحراجي عنصراً مهماً من عناصر الاستدلال الذي لم يستعمل في إثبات قاعدة من القواعد النحوية أو التقعيد لظاهرة من الظواهر اللغوية، بل كان مناط الاهتمام بها يرتكز إلى ردّ القواعد ونقضها بالدرجة الأولى.
- لقد كان توظيف الدليل الإحراجي في نقض الدليل جزءاً مهما من عملية الاستدلال المنطقي التي اهتمَّ بها علماء الخلاف النحوي خاصة، فقد وجدوا فيه ضالتهم في إجراء المسائل الخلافية وتوجيهها وفقاً للناحية الجدلية التي تخدم العملية الجدلية.
- شكّل الإحراج الإسنادي جزءاً مهماً من القياس الإحراجي، ولا سيما في دليل الرواية الذي يسميه المناطقة: الإحراج بالنقيض.
- لم يشكل دليل الإسناد إلى الذات أو المجموعة أي دليل إحراجي لسهولة نقضه وإرباك حجج الآخر، فالإحراج يكون على هيئة "أنت الذي قلت".
- شكّل دليل الإحراج بالصيغة جانباً مهما من جوانب القياس الإحراجي، وقد رأيناه واضحاً في الاستدلال بصيغة (فعيل) على اسمية (نعم) و (بئس).
- كان الإحراج بالتسليم مدخلاً إحراجياً مهماً واسعاً متعدد الجوانب في رد الآراء النحويّة عند الطرفين.
- لقد كان القياس الإحراجي المتكئ إلى القياس الذهني المجرّد أضعف أنواع الإحراج المنطقي لأنه يمثل قياس المعدوم على المعلوم الموجود أو الممكن الوجود على الأقل، كما رأينا في استدلال البصريين على عدم جواز عبارة "مررت بك وزيد" بعدم جواز مررت بزيدٍ و (ك)".
- يمكن القول إن دليل الإحراج بالرواية وفروعه ودليل التسليم بالقاعدة الكلية كانا قياسين قويين منطقياً وإن كانا غير لغويين ولا يمكن أن نركن إليهما في بناء الأحكام اللغوية.

# The Effect of Aporia Evidence in Syntactical Inference: Analytical Descriptive Study in Grammatical Controversy

**Yaha Ababneh,** *Department of Arabic Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

## Abstract

This research aims to study one of the logical methods used by grammarians in their grammatical heritage, which was based on showing the difference between the grammarians of Basrah and Kofah. They were trying to draw the opponent into the aporia that could lead to a logical contradiction. This research has extended the concept of the empirical guide coming from the analogy of aporia and explained the impact of narration on this type of proof. Finally, this study highlighted the need for studying this type of evidence and other related issues.

**Keywords**: Aporia, Aporia Evidence, Logic, Syntax.

## الهوامش

(1) ويزلي سالمون، المنطق، ص67.

(2) دليل الإحراج هو مصطلح منطقي يستعمله المناطقة على أنه نوع من القياس المنطقي الذي يطلقون عليه مصطلح (الاستدلال بالإلزام)، وقد اشتقّته الدراسة هذه من أحد أنواع القياس الذي يسميه المناطقة: القياس بالإحراج.

(3) ويزلي سالمون، المنطق، ص68-69.

(4) كتبت إحدى الطالبات في جامعة مؤتة سنة 2008 رسالة دكتوراه عن موضوع الخلاف بين الفراء والأخفش الأوسط في توجيه الظاهرة القرآنية في كتابيهما الموسمين بـ "معاني القرآن" وهي الطالبة بسمة الحلالمة، وقد وصلت إلى نتيجة مؤداها أنّ الخلاف بين الفريقين لا يكاد يُذكر إلا في بعض المصطلحات، وأما الظاهرة التركيبية للتراكيب القرآنية فقد ظلت بمنأى عن الخلاف أو الاستدلال بين الفريقين، ولم تستشعر خصومة ما بينهما. ينظر: بسمة رضا الحلالمة، الخلاف النحوي بين الفراء والأخفش في كتابيهما معاني القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2008.

(5) محمد بن سعدان الكوفي، مختصر النحو، وحققه حسين أحمد بو عباس، ونشرته حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بالكويت في عام 2005.

(6) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 111/1.

(7) ينظر: عبد الناصر إسماعيل عساف، نظرات في مختصر النحو لابن سعدان الكوفي (161-231هـ) دراسة وتحقيق حسين أحمد بو عبّاس، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 89، الجزء الرابع. ولكن الظنّ بأنّ له كتاباً موسعاً سيظل كذلك إلى أن يصبح الكتاب بين أيدينا. وزيادة على ما ذكره الباحث عساف في هذا البحث، فإنّ الكتاب لا يهتمّ بالإحراج أو الاستدلال بالإلزام، وقد اقتصر على عدد قليل من الشواهد الاستعمالية.

(8) معن زيادة (تحرير)، الموسوعة الفلسفية العربية، ص30.

(9) يقرُّ المنهج الوصفي الحديث باستحالة الاستماع إلى الأداءات اللغوية في أي بيئة استعمالية، بل إنّ الأداءات اللغوية عند فرد واحد هي أداءات لغوية لانهائية بحكم أنها صادرة عن النظام اللغوي العام المجرد الذي يطلق عليه التحويليون مصطلح الكفاية أو القدرة competence ينظر في هذا الموضوع: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص190-191. وانطلاقاً من هذا فإنه من غير المعقول أن نتصور أن سيبويه أو الكسائي أو غيرهما من العلماء قادر على القول بأنه سمع لغة العرب أو غيرهم.

(10) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص373.

(11) سورة الأعراف/108.

(12) سورة طه/20.

(13) سورة الشعراء/45.

(14) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م99، 704/2، وينظر: الزجاجي، مجالس العلماء، ص9-10.

(15) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م99. 704/2.

(16) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص165.

(17) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م99، 702/2-703، وينظر: الزجاجي، مجالس العلماء، ص9.

(18) معنى قولنا إنه محكم من الناحية المنطقية لا يتعلّق بالصحة اللغوية، بل هو أمر منوط بالصدق المنطقي لا غير، فالمقدّمة الكبرى صادقة منطقياً، والمقدّمة الصغرى متضمّنة فيها، ولهذا فإنّ النتيجة صادقة منطقياً.

(19) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م14، 104/1.

(20) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م14، 121/1.

(21) ينظر: سيبويه، الكتاب، 28/1، والأعلم الشنتمري، تحصيل عين الذهب، ص57، والأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م14، 121/1، وابن جني، سر صناعة الإعراب 25/1، 769/2، وهو منسوب في بعض هذه المصادر إلى الفرزدق، وأورده النحاس في شرح أبيات سيبويه، بتحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ودار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص33، وقال: أحسبه للفرزدق.

(22) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م14، 121/1.

(23) سورة إبراهيم/37.

(24) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 300/2، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 432/5.

(25) عبد الغني الدقر، معجم النحو، ص11-13، 110.

(26) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م 16، 149/1.

(27) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م 16، 149/1-150.

(28) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م 16، 148/1، 152.

(29) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م28، 236/1.

(30) يرى البصريون عامة أنّ نعم وبئس فعلان ماضيان جامدان لا يتصرفان، وهو ما يراه الكسائي وفقاً لرواية أبي البركات الأنباري أيضاً، وإنما قالوا إنهما جامدان لأنهما يفتقدان إلى التصريف وعلامة الفعل الجوهرية، وهي الزمن والحدث.

(31) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م28، 236/1.

(32) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م14، 97/1. ومعنى الجمود هنا يخص عدم التصرف، فالفعل يظل على حاله ماضياً فلا مضارع له ولا أمر ولا مصدر ولا أي مشتق من المشتقات الأخرى التي يستحقها الفعل.

(33) هذا ما نصت عليه القاعدة المتفق عليها عند البصريين، ينظر مثلاً: الزجاجي، الجمل، ص39، والزمخشري، المفصّل، ص49، وابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص192،

(34) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م12، 82/1-83.

(35) عبد القادر الكنغراوي، الموفي في النحو الكوفي، ص577.

(36) الشاهد لذي الرمة، ينظر: ذو الرمة، ديوانه، ص103، وينظر: ثعلب، مجالس ثعلب، 34/1، والسيوطي، همع الهوامع، 66/2.

(37) ينظر الشاهد في: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م14، ص101، ولم أعثر عليه في ديوانه (طبعة دار صادر)، ولم أعثر له على تخريج آخر.

(38) ينظر الشاهد في: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م14، ص102، ولم أعثر على قائل الشاهد.

(39) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص355، وينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص488-489.

(40) سورة النساء/1.

(41) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م65، 463/2 وهي قراءة حمزة وإبراهيم النخعي وقتادة ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش والمطوعي ومجاهد والحسن البصري وعبد الله بن مسعود وأبان بن تغلب وأبي إياس هارون الكوفي، وتروى عن عبد الوارث من طريق الأصفهاني والحلبي، زيادة على مواضع أخرى، وينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط 157/3، وابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص226، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 247/2، وأبو طاهر الأندلسي، العنوان في القراءات السبع، ص83.

(42) الشاهد ليس منسوباً لقائل معين في المصادر التي رجعت إليها، وينظر: سيبويه، الكتاب، 392/2، الأعلم الشنتمري، تحصيل عين الذهب، ص377، وابن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، 244/1، وابن يعيش، شرح المفصل 78/3

(43) الشاهد لمسكين الدارمي، ديوان شعر مسكين، ص75 برواية: تنائف في مكان (نفانف)، وهو في: ابن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، 244/1، وينظر: الطبري، تفسير الطبري، 520/7.

(44) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م16، 151/1. "الدليل على أنه لا يجوز استعمال ما أفعلَهُ من البياض والسواد أنا أجمعنا على أنه لا يجوز أن يستعمل ما كان لونا غيرهما من سائر الألوان، فكذلك لا يجوز منهما". فقوله (أجمعنا) قول يشير إلى الإحراج والرغبة في توظيفه.

(45) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م28، 235/1، وينظر: الأنباري، أسرار العربية، ص171.

(46) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م28، 241/1، ينظر: ابن منظور، لسان العرب (فقد) 337/3، وينظر الشاهد في سيبويه: الكتاب، 311/1.

(47) عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص20، وينظر: سيبويه، الكتاب، 311/1، والبهر من الجهد، فكأنه قال: جَهداً أي: جَهدي ذلك.

(48) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، م28، 236/1.

(49) يطلق بعض الباحثين مصطلح (المنهج التقليدي) على الدراسات العربية التي سبقت العصر الحديث وحركات التجديد النحوي العربي، غير أنّ هذا فهم غير دقيق لطبيعة المنهج الذي تابعه العلماء العرب، فالعرب لم يكونوا معياريين سلبيين في دراساتهم للغة دائما، بل كانوا ينطلقون من عدد غير محدّد من المناهج العلمية، لعل أولها هو المنهج الوصفي، ونجد في دراساتهم المعيارية بمعناها الإيجابي، والمعيارية بمعناها السلبي أيضاً، وغيرها من طرق النظر اللغوي.

**المصادر والمراجع**

الأنباري، أبو البركات، **أسرار العربية**، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي، دمشق، 1957.

الأنباري، أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

بسمة رضا الحلالمة، **الخلاف النحوي بين الفراء والأخفش في كتابيهما معاني القرآن**، دكتوراة، جامعة مؤتة 2008.

ثعلب، أحمد بن يحيى، **مجالس ثعلب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1980.

ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، نشره علي محمد الضباع، دار الفكر بيروت، (د.ت).

ابن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالقاهرة.

ابن جني، **سرّ صناعة الإعراب**، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985.

أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، دار الفكر، بيروت، (د.ت) مصورة عن طبعة دار السعادة، القاهرة، 1328ه.

ذو الرمة، **ديوان ذي الرمة**، نشره عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2006.

رمضان عبدالتواب، **الدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مكتبة الخاني، القاهرة، 1985.

الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د.ت).

الزجاجي، **الجمل**، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، إربد، 1984.

الزجاجي، **مجالس العلماء**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، 1983.

الزمخشري، **المفصل**، نشره محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

ابن سعدان الكوفي، مختصر النحو، تحقيق حسين أحمد بو عباس، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 26، 2005.

سيبويه، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت (د.ت)، مصور عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1979.

السيوطي، جلال الدين، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق عبد السلام هارون وعبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975-

أبو طاهر الأندلسي، **العنوان في القراءات السبع**، تحقيق زهير زاهد وخليل العطية، عالم الكتب، بيروت، 1985.

الطبري، **تفسير الطبري**، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، 1960.

عبد الغني الدقر، **معجم النحو**، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1975.

عبد القادر الكنغراوي، **الموفي في النحو الكوفي**، راجعه حققه محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1957.

عبد الناصر إسماعيل عساف، نظرات في مختصر النحو لابن سعدان الكوفي (161-231هـ)، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، المجلد (89) الجزء الرابع.

ابن عصفور الإشبيلي، **شرح جمل الزجاجي**، تحقيق صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف، بغداد، 1982.

عمر بن أبي ربيعة، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، دار القلم، بيروت، (د.ت).

ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

المرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

مسكين الدارمي، **ديوان شعر مسكين الدارمي**، تحقيق كارين صادر، دار صادر، بيروت، 2000.

معن زيادة (تحرير)، **الموسوعة الفلسفية العربية**، معهد الإنماء العربي، مكتبة مؤمن قريش، 1986.

ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1955.

النحاس، **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ودار النهضة العربية، بيروت، 1986.

ابن هشام الأنصاري، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963.

ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1985.

ويزلي سالمون، **المنطق**، ترجمه إلى اللغة العربية جلال موسى، وقدّم له محمد علي أبو ريّان، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب العالمي، بيروت، 1986.

ابن يعيش، **شرح المفصل**، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 797- 820

# الصراع على مملكة مرسية وأثره على العلاقات بين مملكتي أراغون وقشتالة في عهد الملك خايمي الثاني 694 -704هـ / 1295 – 1305م

محمد المزاودة *

تاريخ الاستلام 2018/7/19 تاريخ القبول 2018/8/19

**ملخص**

تتناول هذه الدراسة الصراع على مملكة مرسية وأثره على العلاقات بين مملكتي أراغون وقشتالة في عهد الملك خايمي الثاني، حيث تم تسليط الضوء على حملات الملك خايمي الثاني على مرسية في الفترة 1295 – 1302م، وتحليل عدد من المعاهدات التي وقعت بين الطرفين لحل الصراع بينهما، مثل توریاس عام 704هـ / 1304 م، ومعاهدة إلش 704هـ / 1305م من حيث أسبابها وبنودها. وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة حل الصراع بين المملكتين بالطرق الدبلوماسية، مما أدى إلى تحالف المملكتين بتوقيع معاهدة ألكالا دي إيناريس عام 708هـ / 1308م، لغزو مملكة غرناطة وتقسيمها بين الطرفين: أراغون وقشتالة.

**الكلمات المفتاحية**: الصراع، المعاهدات، مرسية، الدبلوماسية، الحملات.

**المقدمة:**

تخللت العلاقات بين مملكتي أراغون وقشتالة الاضطربات والحروب تارة، والصلح والاتفاق تارة أخرى. ولقد تميزت أراغون في هذه الفترة بتركيزها على السياسة الخارجية وإقامة العلاقات الدبلوماسية مع عدد من الممالك في الشرق والغرب، حيث عقدت معاهدات صلح مع مصر والمغرب وتلمسان وبني مرين وغرناطة.

أما قشتالة فقد كانت تعاني من عدة مشاكل أهمها الصراعات والحروب شبه الدائمة مع بني مرين وغرناطة في الأندلس، وكذلك الخلافات مع مملكة البرتغال حول بعض المناطق الحدودية، إضافة إلى تولي الملك فرناندو الرابع (Fernando I) ملك قشتالة (694- 712هـ/ 1295–

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم التاريخ، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

1312) الحكم وهو طفل، ما أدى إلى وضعه تحت وصاية أمه ماريا دي مولينا ( María de Molina) (663- 720هـ/ 1265-1321 م) واشتداد الصراع على العرش فيها.

استغلت أراغون ظروف مملكة قشتالة، فعمل الملك خايمي الثاني (Jaime II) ملك أراغون (689-727هـ / 1291 – 1327م) على التدخل في شؤون المملكة، وسعى إلى تقسيمها، ودعم ألفونسو دي لاسيردا لتولي الحكم فيها. كما أدت حملاته المستمرة على مملكة مرسية (Murcia) إلى دخول المملكتين في صراعات وحروب مستمرة انتهت بإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين، وتوقيع عدد من المعاهدات التي لعبت دوراً في حل الخلافات والقضايا العالقة بين الطرفين. وقام الباحث بإعداد خريطة تحدد مواقع المدن والمناطق الجغرافية التي ورد ذكرها في الدراسة.

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر الخاصة في أرشيف مملكتي قشتالة وأراغون، جاء أولها تحت عنوان:

Crónicas de los Reyes de Castilla desde don Alfonso el Sabio، hasta los Católicos Don Fernando y Doña Isabel

ويتناول هذا المصدر ملوك قشتالة من عهد الملك ألفونسو العاشر إلى عهد الملك فرناندو والملكة إيزابيلا.

واعتمد كذلك على مذكرات الملك فرناندو الرابع التي حملت عنوان:

Memorias de D. Fernando IV de Castilla. Madrid، el Real Academia de Historia

وعلى مصدر آخر بعنوان:

Los Documentos Arbes Diplomáticos del Archivo de la Corona de Aragón

وهو مصدر يتضمّن المعاهدات التي وقعت بين مملكة أراغون وغرناطة ومصر وتلمسان وفاس والمغرب وتونس.

**حملات خايمي الثاني على مملكة مرسية:**

كانت الحدود الشمالية والجنوبية بين مملكتي قشتالة وأراغون تمثل حلقة من الصراع بين المملكتين، ولكن الحدود الشمالية تم تسويتها من خلال عدة معاهدات مثل معاهدة كاريون (Carrión) في عام 1141 م بين ألفونسو السابع (Alfonso VII) ملك قشتالة وليون (519 – 551 هـ / 1126 – 1157م) ورامون بيرينغير الرابع (Ramón Berenguer IV) أمير أراغون (ت 557 هـ / 1162م) [1]، ثم جاءت معاهدة توديخين (Tudején) في عام 545هـ / 1151م بين

ألفونسو السابع، ورامون بيرينغير الرابع للتأكيد على معاهدة كاريون، وأهم ما جاء في هذه المعاهدة السماح لأراغون بالاستيلاء على الأراضي الواقعة جنوب نهر شقورة (segura) والحق في احتلال مملكة مرسية، باستثناء قلاع لورقة (Lorca)، وفيرا (Vera) [2].

في الوقت الذي لم تسبب فيه الحدود الشمالية مشاكل كبيرة بين المملكتين، كانت الحدود الجنوبية الشرقية وخاصة مملكة مرسية سبباً لمنازعات استمرت بينهما لفترات طويلة؛ وذلك أنها كانت مجاورة لمملكة بلنسية التابعة لأراغون، ما أدى إلى توقيع معاهدة كاثورلا (Cazorla) في عام 545 هـ /1179م بين ألفونسو الثاني (Alfonso II) ملك أراغون (559 – 592 هـ / 1164 – 1196م) وألفونسو الثامن (Alfonso VIII) ملك قشتالة (653 – 611 هـ / 1158 – 1214م). وفي المعاهدة تم الاعتراف بحق أراغون في احتلال مملكة بلنسية (Valencia)، كما منحت أراغون شاطبة (Játiva) وبيار(Biar) بكل أراضيها، والأراضي من مدينة دانية (Denia) إلى مدينة كالبي (Calpe)، تم التأكيد على حق قشتالة في ضم مملكة مرسية، وكان الخط المحدد على طول نهر ألجار (Algar) سيحدد تقسيم أراضي مرسية بين قشتالة وأراغون[3].

كان الخلل في هذه المعاهدة إغفالها تحديد المناطق بأسمائها، ومن ثَمَّ تكن المعاهدة دقيقة، وهذا ما أدى إلى توقيع معاهدة المرسى (Almizra) في عام 641هـ / 1244م بين خايمي الأول (Jaime I) ملك أراغون (609 – 674 هـ / 1213 – 1276م)، وألفونسو العاشر ( Alfonso X) ملك قشتالة (650 – 683 هـ / 1252 – 1284م) [4].

تغير الوضع في عام 662هـ / 1264م، بسبب قيام ثورة المدجنين في مملكة مرسية[5] واندلاع الصراع بين غرناطة وقشتالة. ولما لم يتمكن ألفونسو العاشر من المواجهة في الجبهتين معاً في الوقت نفسه، أرسل جيشه إلى الحدود الأندلسية، وعهد لخايمي الأول استعادة مرسية. وقد استطاع خايمي الأول القضاء على الثورة واستعادة مرسية [6].

استمر الصراع بين ألفونسو الثالث (Alfonso III) ملك أراغون (683- 689هـ / 1285 – 1291م) مع فرنسا والبابوية حول صقلية، لذلك عمل على دعم أولاد فرناندو دي لاسيردا (Fernando de la Cerda) للمطالبة بعرش أبيهم من عمهم ملك قشتالة سانشو الرابع ( Sancho IV) (682- 694هـ/ 1284–1295) حيث شن عدة هجمات على أراضي قشتالة[7].

تولى خايمي الثاني حكم مملكة أراغون في عام 689 هـ / 1291م فاهتمّ بالسياسة الخارجية استعداداً للصراع مع فرنسا والبابوية حول جزيرة صقلية (Sicilia) بعد رفضه معاهدة طراكونة (Tarragona) عام 689هـ / 1291م[8] التي وقعها أخوه ألفونسو الثالث (Alfonso III) ملك أراغون (683- 689هـ / 1285 – 1291م) مع فرنسا والبابوية. فعمل على ضمان طاعة النبلاء في أراغون وذلك بحماية الامتيازات العامة للنبلاء[9]. ثم عمد إلى ضمان وقوف مملكة قشتالة

بجانبه، أو على الأقل حيادها، فوقع مع ملكها سانشو الرابع معاهدة مونتياجودو (Monteagudo) في عام 689 هـ / 1291م التي نصت على البنود الآتية:

- زواج خايمي الثاني من الأميرة إيزابيل (Isabel)، ابنة سانشو الرابع.
- الصداقة والسلام بين الطرفين.
- يقدم الملك سانشو الرابع المساعدة للملك خايمي الثاني في حربه ضد فرنسا.
- يقدم الملك خايمي الثاني المساعدة للملك سانشو الرابع في حربه ضد ملك المغرب[10].

غير أن تطورات الأمور دفعت خايمي الثاني إلى إلغاء مشروع زواجه من الأميرة إيزابيل بعد وفاة والدها سانشو الرابع في عام694هـ/ 1295 م[11]، وفي العام نفسه تدخل البابا بونيفاثيو الثامن (Bonifacio VIII) (693-702 هـ/ 1294- 1303م) وحل قضية الصراع بين خايمي الثاني والبابوية وفرنسا حول صقلية بتوقيع معاهدة أناجني (Anagni) في عام 694هـ/ 1295م[12].

تغيرت سياسة خايمي الثاني تجاه قشتالة بعد وفاة الملك سانشو الرابع، إذ خلفه في الحكم ابنه فرديناند الرابع (Fernando IV) (694- 712هـ/ 1295–1312) الذي كان طفلا تحت وصاية أمه ماريا[13]، فاستغل ملك أراغون خايمي الثاني الاضطرابات الداخلية والمشاكل حول وراثة العرش فدعم ألفونسو دي لاسيردا (Alfonso de la Cerda) [14] في صراعه مع ابن عمه الملك فرديناند الرابع، للسعي إلى تقسيم مملكة قشتالة والاستيلاء على مدينة مرسية وعدد من المناطق الأخرى[15].

**الملك خايمي الثاني والسيطرة على مملكة مرسية**

بدأ خايمي الثاني في عام 694 هـ / 1295م خطته لاحتلال مملكة مرسية من خلال إرسال رسائل تضمنت أوامر للنبلاء في مناطق أروريولة (Orihuela)، ومونتياجودو، وقرطاجنة (Cartagena)، ولقنت (Alicante)، وفيتا (Fita)، وسرفيرة (Cervera)، وألفارو (Alfaro)، وآغردا (Agreda) لتسليم القلاع وضم المناطق التابعة لهم لمملكة أراغون[16]، مستغلاً لتحقيق أهدافه الحرب بين غرناطة (Granada) وقشتالة، كما عمل على تعديل بنود معاهدة الصلح لعام 695هـ/1296م[17] بين أراغون وسلطان غرناطة محمد بن محمد بن يوسف الفقيه (محمد الثاني) (671-701هـ / 1272 – 1302م) بإضافة البنود الجديدة الآتية للمعاهدة السابقة:

1- إعطاء تجار المملكتين حرية الشراء والبيع لجميع أنواع السلع من الطعام والدواب والأغنام في أسواق المملكتين.

2- تقدم مملكة غرناطة حسب مقدرتها الدعم لمملكة أراغون في صراعها مع مملكة قشتالة وملكها فرناندو الرابع.

3- تلتزم مملكة غرناطة بعدم إجراء صلح مع ملك قشتالة أو أيّ من حلفائها إلا بموافقة مملكة أراغون.

4- في حال تم توقيع اتفاقية صلح مع ملك قشتالة أو حلفائها تكون المنفعة والفائدة للطرفين: غرناطة وأراغون.

5- تلتزم مملكة غرناطة بمنع تجارها من دخول إشبيلية أو أي منطقة معادية لمملكة أراغون.

6- تلتزم غرناطة بعدم الوقوف عائقاً في حال سيطرة مملكة أراغون على أي حصن أو بلد من أراضي قشتالة.

7- تلتزم مملكة أراغون بتسليم غرناطة أي بلد أو حصن تسيطر عليه من أراضي غرناطة أثناء صراعها مع قشتالة.

8- تلتزم كلّ من المملكتين بتقديم المساعدة والعون للطرف الآخر إذا تطلّب الأمر ذلك.

9- في حال طلبت مملكة غرناطة المساعدة تقدم للفرسان القادمين من أراغون المؤن الغذائية من وقت خروجهم حتى عودتهم، وإذا نفقت خيلهم تدفع غرناطة الأموال عوضا لهم[18].

يتضح من البنود السابقة للمعاهدة أنها كانت ضد مملكة قشتالة، حيث اتفق الطرفان على الوقوف في وجه قشتالة، ومحاولة السيطرة على أراضٍ جديدة من مملكة قشتالة من خلال المساعدات المتبادلة بينهما.

وفي بداية عام 695هـ/1296م أرسل خايمي الثاني رسالة إلى بيرنات دي سريا ( Bernat de Sarriá) أحد مستشاريه يعلمه بتسليم حليفه ألفونسو دي لاسيردا ( Alfonso de la Cerda) مملكة مرسية له، وأنه بعث بتحذير أخير للملك فرناندو الرابع بتسليم المملكة له خلال 15 يوماً، وإلا سيعمد إلى احتلالها بالقوة[19].

كما أرسل خايمي الثاني بعض رجاله إلى مرسية لاستقطاب النبلاء والشخصيات فيها لمؤازرته في احتلالها[20]. وطلب من النبيل المسلم محمد بن حدير[21] مساعدته في احتلال مرسية على شرط تبعيته لمملكة أراغون[22].

في نهاية شهر نيسان من العام نفسه تمكن خايمي الثاني بعد هجومه على مملكة مرسية من دخول مدينة لقنت، وبدأ في مصادرة القلاع والأراضي من النبلاء الذين قاوموه وتسليمها لحلفائه[23]، ثم قام بالضغط على دينيس الأول (Dionisio I) ملك البرتغال (677-725هـ/ 1279–1325م) ليعترف به حاكماً شرعياً لمملكة مرسية[24].

في الشهر التالي حاصر خايمي الثاني مدينة أروريولة[25]، وإصدار قرارٍ لصالح محمد بن حدير سمح فيه للمدجنين اللاجئين في مدينتي أروريولة ولقنت بالعودة إلى أراضيهم[26]. وبعد أسبوع من الحصار دخل خايمي الثاني إلى أروريولة وأكد احتفاظ سكانها ببيوتهم وأراضيهم[27]. وفي 11 أيار أعلن 38 من أعضاء المدينة الاعتراف به ملكاً شرعياً لمدينتهم[28]، ثم أرسل في اليوم التالي تحذيراً لحاكم قلعة ومدينة مونتياجودو بتسليمه المدينة [29]، والسماح له بالتفاوض على تسليم القلعة والمدينة لخايمي الثاني، ولكنه لم يتمكن من احتلال القلعة حتى حلول الصيف[30].

استمرت جهود خايمي الثاني لاحتلال مرسية بالحصار تارة، وبالمفاوضات والتهديد تارة أخرى، إلى أن سيطر على المدينة في صيف 695هـ/ 1296م [31]. وبعد هذه السيطرة تم التوقيع على اتفاقية تبعية محمد بن حدير لخايمي الثاني، واعتراف الأول بحق الثاني في حكم مملكة مرسية، وبموجب هذا الاتفاق أقر خايمي الثاني بحماية كل مسلمي مملكة مرسية تحت وصايته الملكية. كما أنه عين محمد بن حدير كبيراً لقضاة المسلمين والمدجنين في المملكة [32].

استطاع الملك خايمي الثاني في عام 695هـ/1296م السيطرة على المناطق الآتية: غورادما (Guardamar)، ألمورادي (Almoradi)، كالوسا دي سوجورا (Callosa de Segura)، أبانيا (Abanlla)، مولينا (Molina)، إبين (Hellín)، ثيثا (Cieza)، رقوطة (Ricote)، لوركي (Lorqui)، ثيوتي (Ceutí)، ألغواثاس (Alguazas)، كاترال (Catral)، كريفايلنت (Crevillente)، كوكس (Cox)، ألباتيرا (Albatera)، أسبي (Aspe)، مونوفار (Monovar)، مولة (Mula)، ليبريا (Librilla)، وقرطاجنة، ولقنت[33].

**الصراع مع قشتالة:**

استغل خايمي الثاني الأوضاع السياسية في مملكة قشتالة فدعم ألفونسو دي لاسيردا بجيش من أراغون للتوجه إلى قشتالة وتتويجه ملكاً في ساهاجون (Sahagún) في ليون عام 695هـ/1296م، مقابل تنازل ألفونسو دي لاسيردا عن مرسية للملك خايمي الثاني[34].

في ظل هذه الظروف وجدت أم الملك ماريا نفسها في موقف صعب، وخاصة بعد وقوف البرتغال وغرناطة وأراغون ضد ابنها الملك فرناندو الرابع، واتفاقهم مع النبلاء المتمردين على تقسيم قشتالة، والذين وجدوها فرصة للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية في مملكة قشتالة، كما ظهر منافس آخر للملك فرناندو الرابع وهو الأمير إنريكي (Enrique) عم أبي الملك فرناندو الرابع الذي كان في مجلس الوصاية على الملك[35].

أمام هذه الأوضاع والاضطرابات في قشتالة بدأت ماريا سياسة اكتساب أحد الأطراف لحل مشكلة ابنها والمؤامرات التي دبرت ضده، فأرسلت السفراء لكسب صداقة البرتغال فعرضت على ملك البرتغال دينيس الأول عقد قران ابنها الملك فرناندو الرابع على ابنته دونا كونستانس (Constanza)، وأيضا تزويج ابنه ألفونسو (Alfonso) من بياتريث (Beatriz) أخت الملك فرناندو الرابع [36].

تمكنت ماريا من تحقيق هدفها من سفارتها إلى البرتغال حيث انتهت المفاوضات بين الطرفين بتوقيع معاهدة ألكانيسيس (Alcañices) في 24 ذو القعدة 696هـ / 12 أيلول 1297م، حيث اتفق الطرفان على النقاط الآتية:

1- التصديق الرسمي على زواج الملك فرناندو الرابع بدونا كونستانس ابنة ملك البرتغال، وخطبة بياتريث أخت الملك فرناندو الرابع من ابن ملك البرتغال ألفونسو.
2- تسوية الحدود بين المملكتين، حيث تنازل الملك فرناندو الرابع للملك دينيس الأول عن الحقوق التي يملكها في المناطق البرتغالية التالية: سابوجال (Sabugal)، أليفايتيس (Alfayates)، وقلعة رودريغو (Castelo Rodrigo)، وفيار مايور (Villar mayor)، وألميدا (Almeida)، ومونفورتي (Monforte)، ومناطق من أراضي ريبا دي كوا ( Riba de Coa). وفي المقابل يتنازل الملك دينيس الأول للملك فرناندو الرابع عن الحقوق التي يملكها في مناطق بلنسية، وجليقية (Galicia).
3- تصديق الكنيستين البرتغالية والقشتالية في 25 ذو القعدة 696هـ / 13 أيلول 1297م على التحالف بينهما والتصدي لأيّ عدو يريد الإخلال بهذه الامتيازات وبحرّيّاتهم[37].

وهكذا استطاعت مملكة قشتالة من خلال هذه الاتفاقية حل مشكلة الحدود بين المملكتين، وسحب دعم الملك دينيس الأول للمك خايمي الثاني، وألفونسو دي لاسيردا، وتعزيز قوة الملك فرناندو بزواجه من ابنة الملك دينيس الأول.

دفع هذا التطور في العلاقات السياسية بين قشتالة وأراغون الملك خايمي الثاني إلى توجيه عدة حملات لإضعاف مملكة قشتالة؛ ففي بداية 697هـ/ 1298م حشد قواته للاستمرار في حملته على مملكة مرسية، فاستطاع بسهولة دخول مدينتي الحمة (Alhama)[38] ولورقة[39].

أدى استمرار الصراع والحروب بين أراغون وقشتالة من جهة، وغرناطة وقشتالة من جهة أخرى، وخاصة بعد سيطرة الملك خايمي الثاني على مدينة مرسية، إلى توقيع اتفاقية جديدة مع سلطان غرناطة محمد الثاني في 30 رجب 701هـ / 1 كانون الثاني 1302م لتأكيد التحالف بينهما ضد مملكة قشتالة[40]. وفي عام 702هـ / 1303م استمر خايمي الثاني بالاتصال بالنبلاء

المعارضين في قشتالة وإرسال عدد من رجاله للانضمام إلى النبلاء، حيث كان الهدف تقسيم مملكة قشتالة[41].

**معاهدة توریاس (Torellas) عام704هـ / 1304 م:**

أسفرت جهود ماريا الدبلوماسية مع أراغون والبرتغال عن الاجتماع لحل قضية مرسية، والنزاع بين أراغون وقشتالة، فاجتمع في 6 محرم 704هـ / 8 آب 1304م، في بلدة توریاس (Torellas) في سرقسطة (Zaragoza) كل من الملك دينيس الأول، ورئيس أساقفة سرقسطة خيمينو دي لونا (Jimeno de Luna) ممثلاً عن الملك خايمي الثاني، والأمير خوان دي كاستيا (Príncipe Juan de Castilla) حاكم طريف (Tarifa)، ممثلاً عن الملك فرناندو الرابع لإعلان بنود معاهدة توریاس التحكيمية. وشارك السلطان محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر (محمد الثالث) ملك غرناطة (701- 708هـ / 1302 – 1309م) في المحادثات بناءً على طلب فرناندو الرابع ملك قشتالة[42]، واشتملت معاهدة توریاس على البنود الآتية:

1- تقسيم مرسية بين أراغون وقشتالة، ويكون نهر شقورة (El río Segura) الحد الفاصل بين الطرفين.
2- تضم مملكة أراغون مدن شمال النهر لقنت، وقرطاجنة، وإلش، وأوريويلا، ونوفيلدا (Novelda)، وإلدا (EIda)، وأبانيا (Abanilla)، وبيترير (Petrel)، وكريفايلنت (Crevillente)، وساش (Sax).
3- تضم مملكة قشتالة مدن جنوب النهر مرسية، ومونتياجودو، والحمة، ولورقة، ومولينا دي شقورة (Molina de Segura).
4- يسمح للمواطنين المتضررين من تغير سيادة المملكة حرية البقاء في مدنهم أو الانتقال إلى المملكة الأخرى.
5- تبادل الأسرى بين الطرفين.
6- الاتحاد ضد الأعداء.
7- بقاء أراضي بيانة (Villena) تحت سيطرة الدون خوان مانويل (Juan Manuel) (680 – 748هـ / 1282- 1348م) عم الملك فرناندو الرابع أمير قشتالة[43].

أما بالنسبة للخلاف بين الملك فرناندو الرابع وألفونسو دي لاسيردا حول عرش قشتالة فقد عملت المعاهدة على حل هذا الخلاف؛ وذلك بتعويض ألفونسو دي لا سيردا مقابل تنازله عن حقه في عرش قشتالة، بإعطائه عدداً من الضياع والممتلكات المنتشرة في أراضي قشتالة؛ لمنعه من تكوين مملكة صغيرة داخل مملكة قشتالة. وقد تضمنت هذه الممتلكات ألبا دي تورميس (Alba de Tormes)، وفلدكورنيخة (Valdecorneja)، وجبل العيون (Gibraleón)، وبيخار(Béjar) وريال دي مانثاناريس (Real de Manzanares). وبالإضافة إلى ذلك منح ألفونسو دي لاسيردا العديد من الإيجارات والممتلكات في قرطبة (Córdoba)، وبونيا (Bonilla)، وطليطلة (Toledo)، ومدريد (Madrid)، وميدينا ديل كامبو( Medina del Campo)[44].

وفي حال لم يصل دخل الممتلكات التي سلمت لألفونسو دي لاسيردا إلى مبلغ (400000) مرابيدي (Maravedí عملة من الذهب)، يجب على الملك فرناندو أن يعطيه دخول أقاليم أخرى حتى يصل إلى المبلغ المالي المتفق عليه، مقابل تنازله عن الحقوق في العرش القشتالي، وألقابه الملكية، واستخدام الختم الملكي، وإرجاع بعض الأراضي التي تحت سيطرته إلى مملكة قشتالة[45].

**معاهدة إلش (Elche) 704هـ / 1305م:**

بعد توقيع معاهدة توریاس لعام 704هـ /1304م تبادل الملك فرناندو الرابع والملك خايمي الثاني مجموعة من الرسائل من أجل تنفيذ بنود المعاهدة، حيث تناولت هذه الرسائل تسليم المدن والقلاع والمناطق التي تم الاتفاق عليها[46]. ولكن على ما يبدو لم يتم تنفيذ كل بنود المعاهدة؛ لذلك التقى ديغو غارثيا (Diego García) مستشار فرناندو الرابع وغونثالو غارثيا (Gonzalo García) مستشار خايمي الثاني في مدينة إلش في17 رجب 704هـ / 19 شباط 1305 لتوزيع أراضي مرسية، وحل بعض القضايا الأخرى.

وفي 24 رجب 704هـ / 26 شباط من عام 1305م التقى الملك خايمي الثاني مع الملك فرناندو الرابع في دير سانتا ماريا دي هويرتا (Santa María de Huerta) في مقاطعة سوريا (Provincia de Soria) بحضور المستشارين وعدد من الأمراء والأساقفة[47].

وفي اللقاء قررا منح صلاحيات لدييغو غارثيا، وغونثالو غارثيا، ليتوليا إنهاء تقسيم مرسية بين المملكتين وفقا لبنود معاهدة توریاس التحكيمية. وأخيراً توصل الطرفان إلى اتفاق تم تجسيده في معاهدة إلش في24 شوال 704هـ / 19 أيار 1305م التي حددت بشكل نهائي حدود مرسية التي تم تقسيمها بين المملكتين، حيث تم إنشاء الخط الفاصل بين مملكة بيشين (Pechín) وألمانسى (Almansa) اللتين تتبعان لقشتالة، وكاوديتي (Caudete) التابعة لأراغون.

وكما جاء في معاهدة توریاس، فإن خط الحدود بين المملكتين في إقليم مرسية يتبع مجرى نهر شقورة من ثيثا (Cieza) لتصبح في حيازة قشتالة، ومولينا دي شقورة وبلانكا (Blanca)، فضلاً عن مدينة قرطاجنة، التي تخلى عنها خايمي الثاني لوجودها في الجنوب من نهر شقورة، وبهذا أصبحت بشكل نهائي جزءاً من مملكة قشتالة. ومع ذلك، تم نقل مدينة قرطاجنة إلى قشتالة بشرط أن يحترم فرديناند الرابع ملكية وسيادة دون خوان مانويل على ألاركون (Alarcón). وفي الوقت نفسه تقرر أن تستمرّ مدينة يكلا تحت سلطة دون خوان مانويل، وأن يكون حكمها تابعاً لقشتالة[48].

وتنازلت فيولانتي مانويل (Violante Manuel)، شقيقة دون خوان مانويل عن مناطق إلدا، وعن نوفيلدا، التي ستصبح جزءاً من مملكة أراغون، واستلمت في المقابل مناطق أرويو ديل بوركو أراندیلا ديل أرويو (Arandilla del Arroyo) وميديلين (Medellín) من فرناندو الرابع، الذي وهب في الوقت نفسه لدون خوان مانويل السيادة على ألاركون كتعويض عن استغنائه عن حيازة إلش[49].

## معاهدة ألكالا دي إيناريس (Alcalá de Henares) 708هـ / 1308م

لقد أدت معاهدة إلش إلى تغيير الظروف السياسية بين أراغون وقشتالة من حالة الصراع والحرب بين الطرفين إلى حالة الصداقة والتحالف ضد مملكة غرناطة، ومحاولتهما السيطرة على أراضٍ جديدة من مملكة غرناطة، بالرغم من معاهدات الصلح السابقة بين أراغون وغرناطة.

فبعد ثلاث سنوات من آخر معاهدة بين أراغون وقشتالة اجتمع الطرفان في قصر رئيس الأساقفة في مدينة ألكالا دي إيناريس لتوقيع المعاهدة في 3 ربيع الآخر 708هـ / 19 أيلول 1308م بحضور الملك فرناندو الرابع وشقيقه بيدرو (el infante don Pedro)، ودييغو لوبيز دي هارو، (Diego López de Haro) وغونثالو بريمادو (Gonzalo Primado) رئيس أساقفة طليطلة وأسقف سمورة (Zamora) ممثلين عن مملكة قشتالة، وممثلي أراغون برنالدو دي ساريا وغونثالو غارثيا[50]، وعقدوا اتفاقية تضمنت البنود الآتية:

1- إعلان الحرب على غرناطة في 15 محرم 709هـ / 24 حزيران 1309م.
2- التزام الطرفين بعدم توقيع معاهدة سلام منفصلة مع ملك غرناطة.
3- إرسال الطرفين عدداً متساوياً من الجند في هذه الحرب.
4- تهاجم قشتالة الجزيرة الخضراء (Algeciras) وجبل طارق (Gibraltar)، بينما تهاجم أراغون مدينة ألمرية (Almería)[51].

ولتشجيع خايمي الثاني تعهد الملك فرناندو الرابع بتسليمه سدس مملكة غرناطة، وقدم له مدينة المرية بالكامل كدفعة أولى للاتفاق، باستثناء مناطق بيدمار (Bedmar)، ولوكوبين (Locubín)، وألكاوديتي (Alcaudete)، وكيسادا (Quesada) وأريناس (Arenas) وكل هذه المناطق تتبع مدينة جيان باستثناء أريناس التي تتبع مالقة (Málaga)، وكانت تشكل جزءاً من مملكة قشتالة وليون في الماضي. وأكد الملك فرناندو الرابع أنه إذا لم تكن مساحة ألمرية تعادل سدس مملكة غرناطة، فإن رئيس أساقفة طليطلة ممثلاً عن قشتالة، وأسقف بلنسية ممثلاً عن أراغون سيتوليان مسؤولية حل أوجه الخلاف المحتملة في هذا الوضع[52].

بالإضافة إلى بنود الاتفاقية وافق الملك فرناندو الرابع على إمكانية تفاوض الملك خايمي الثاني مع ملك المغرب أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب (708 – 710 هـ / 1308 – 1310 م) للدخول في الحلف من خلال محاصرة مملكة غرناطة[53]. كذلك أرسل الملكان سفراءهما إلى محكمة أفينيون (tribunal de Aviñón) للطلب من البابا كليمنت الخامس (Clemente V) بابا الكنسية (704 - 713هـ / 1305 – 1314 م) منحهم المساعدة من الجنود والفرسان لمحاربة المسلمين في غرناطة. وفي14 ذو القعدة 708هـ / 24 نيسان 1309م أذن البابا كليمنت الخامس لجيشه بالتوجه إلى غرناطة تحت قيادة الملك خايمي الثاني[54]، ومنحه العشور التي كانت مخصصة لغزو جزيرتي كورسيكا (Córcega) وسردينيا (Cerdeña)[55]. كما منح البابا كليمنت الخامس فرديناند الرابع عُشر إيجارات الكنسية في قشتالة لمدة ثلاث سنوات لتغطية نفقات الحرب على غرناطة[56].

جهز ألفونسو الرابع جيشاً لغزو الجزيرة الخضراء، وبعث أسطوله لحصار جبل طارق، بينما اتجهت الجيوش الأراغونية إلى حصار المرية. كانت الأيام الأولى من الحملة لصالح خايمي الثاني حيث أرسل رسالة إلى ملك المغرب يطلب منه تقديم المساعدة والعون والتقدم إلى مضيق جبل طارق[57]، ورسالة أخرى إلى ملك البرتغال يخبره بالانتصارات ويطلب منه المشاركة في الانتصار وإرسال المال لاستمرار الحرب[58]. وأرسل رسائل أخرى إلى ملك فرنسا والبابا كلمنت الخامس يبشرهما فيها بالانتصارات التي تحققت في الأيام الأولى من الحملة[59].

وفي المقابل أرسل السلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر (708- 713هـ / 1309 – 1314 م) الإمدادات بقيادة عثمان بن أبي العلاء، فاستطاع الانتصار على الجيوش الأراغونية بالقرب من مرشانة (Marchena) وفك الحصار عنها[60].

أما على الجبهة الأخرى فقد سيطرت الجيوش القشتالية على مدينة إسطبونة (Estepona) من مدن مالقة، فاتجهت الجيوش الإسلامية بقيادة العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبي العلاء، واستطاعوا إنقاذ المدينة وإلحاق الهزيمة بالجيوش القشتالية. وأما جبل طارق فقد استمر

حصاره وفشل المسلمون في فك الحصار عنه حتى سقط تحت سيطرة قشتالة في عام 709هـ / 1310م[61].

نتيجة لهذه الظروف لم يكن أمام الملك فرناندو الرابع إلا طلب الصلح من نصر بن محمد بن الأحمر، حيث وقع الطرفان اتفاقية في الجزيرة الخضراء في 19 شعبان 709هـ / 21 كانون الثاني 1310م اتفقا فيها على ما يأتي:

1- أن يرفع الملك فرناندو الرابع الحصار عن الجزيرة الخضراء.

2- أن يستعيد الملك فرناندو الرابع القلاع والحصون التي خسرها في الحرب.

3- أن يدفع ملك غرناطة نصر بن محمد للملك فرناندو الرابع 15 ألف دينار من الذهب ضريبة سنوية[62].

كانت الحملة كارثية على الملك خايمي الثاني، سواء من الناحية المادية أو النظرية، أما الملك فرناندو الرابع فاستولى على مضيق جبل طارق[63]. وعانت أراغون من مشاكل عدة، منها العمل على إعادة إعمار المملكة، وتجديد مؤسسات الدولة وتنظيمها، ومعالجة الركود الاقتصادي الأراغوني، وخاصة بسبب شعور المزارعين بتخلي الدولة عن دعمهم[64]، مما دفعهم إلى العصيان المدني[65]؛ وكل ذلك دفع الملك خايمي الثاني إلى تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي وتعزيز قوة السلطة الملكية فعمل على إعادة التنظيم الإداري، ونظام الضرائب [66].

**النتائج:**

1- لعبت أم الملك ماريا دوراً بارزاً في ضم البرتغال إلى حلف قشتالة بعد تسوية الخلافات بين المملكتين حول المناطق الحدودية، ودعم الاتفاق بعلاقات الزواج بين الطرفين وتوقيع اتفاقية الكانيسيس في 696هـ / 1297م.

2- استطاع الملك فرناندو الرابع حماية قشتالة من التقسيم بين النبلاء، ومطالبة ألفونسو دي لاسيردا في عرش قشتالة، حيث اعترف ألفونسو بفرناندو الرابع ملكاً على قشتالة من خلال التسوية التي جرت بين الطرفين في معاهدة توریاس عام704هـ / 1304 م.

3- شكلت مملكة مرسية حلقة الصراع بين ممكلتي أراغون وقشتالة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، حيث استطاع خايمي الثاني احتلالها في الفترة 1296 – 1302 م.

4- أسهمت العلاقات الدبلوماسية بين أراغون وقشتالة في الفترة 1303-1305 في حل الخلاف حول مملكة مرسية وعدد من القضايا الحدودية، من خلال توقيع معاهدتي تورياس عام704هـ / 1304 م، وإلش عام 704 هـ / 1305 م.

5- بعد تسوية الخلافات بين أراغون وقشتالة توحدت أهدافهما بتوقيع معاهدة ألكالا دي إيناريس عام 708هـ / 1308م، وبدعم من البابوية؛ لغزو مملكة غرناطة وتقسيم مملكة غرناطة بين الطرفين، إلا أن حملتهما على غرناطة باءت بالفشل بسبب الجهود التي قام بها السلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر للدفاع عن مملكته.

# The Conflict over the Kingdom of Murcia and its Effect on the Relationship between the Kingdoms of Aragon and Castile during the Reign of James II of Aragon (1305-1295 AD/ 694-704 H)

**Mohammad Almazawdah,** *Department of History، Yarmouk University، Irbid، Jordan.*

**Abstract**

This study tackles the conflict over the Kingdom of Murcia and its effect on the relationship between the Kingdoms of Aragon and Castile during the reign of James II of Aragon. It sheds light on the campaigns of James II against Murcia in the period (1295-1302 AD). It also analyses a number of treaties between the two conflicting parties، such as the Treaty of Torrellas (1304 AD/ 704 H) and the Treaty of Elche (1305 AD/ 704 H). One of the most important findings of this study is the peaceful solution to the conflict between the two kingdoms via diplomatic means which resulted in their alliance to invade the Kingdom of Granada and divide it between Aragon and Castile.

**Keywords**: Conflict، Treaties، Murcia، Diplomacy، Campaigns.

## الهوامش

1- وقعت المعاهدة في مدينة كاريون دي لوس كونديس (Carrión de Los Condes) في مقاطعة بلنسية (Palencia)، ونصت هذه المعاهدة على تقسيم مملكة نبرة (Navarra) بين الطرفين.

Lacarra J. M, Historia Política del reino de Navarra desde sus orígenes hasta su incorporación a Castilla, Pamplona, Editorial Aranzadi, 1972, pp.21-22.

2- Martínez C. de A, Buresi P., Josserand P., Identidad y representación de la frontera en la España medieval, siglos XI, Casa de Velázquez, Universidad Autónoma de Madrid, 2001, pp.26-27; Lacarra, Op.cit, pp.37-40 ; Fontes, J.T, "Lo delimitación del Sudeste peninsular (Tratados de partición de lo Reconquista) ", en Anales de la universidad de Murcia, VIII, 1950, pp.669-677.

3- Martínez C. de A, Buresi P., Josserand P., Op.cit, p. 27; Fontes, "delimitación del Sudeste peninsular", pp.678-685.

4- اتفاقية بين مملكة أراغون وقشتالة في عام 641هـ / 1244م ونصت الاتفاقية على البنود الآتية:

1- تتزوج الأميرة فيولانت ابنة خايمي الأمير ألفونسو بن فرناندو الثالث ملك قشتالة.

2- تكون شاطبة جزءاً من مملكة أراغون.

3- يعطي الملك خايمي الأول لصهره بيانة (Villena)، وساش (Sax)، وكادويتي (Caudete)، وبغرس (Bugarras).

4- يتنازل ملك قشتالة عن إنغيرة (Enguera)، وموشنت (Mogente).

5- تكون بلنسية وتوابعها تابعة لمملكة أراغون، ومرسية وتوابعها وما يليها جنوبا تابعة لمملكة قشتالة.

6- تتبع بلنسية بلاد قسطلة (Castalla)، وأيبار (Biar)، وريو (Relleu)، وسشونة (Saxona)، وألارش (Alarch)، وفنسرات (Finestrat)، وطرش (Torres)، وبولوب (Polop)، ومواله (Muela). تتبع مرسية بلاد المنزل (Almansa)، وسرذول (Sarazul)، وحوض نهر كبرينول (Cabrinol).

انظر: ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ / 1260م)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984، ج1، ص34م. وسيشار إليه لاحقاً: ابن الأبار، الحلة، ص 37م;A.B. Rubio، "La frontera del Reino de Murcia en la política castellano-aragonesa del siglo XIII"، Miscelánea medieval murciana، Vol. XIII، 1986، universidad de Murcia، pp.137-138; Fontes، "delimitación del Sudeste peninsular".pp.685-696.

5- خلال فترة حكم محمد بن يوسف بن هود على مملكة مرسية (625- 635هـ / 1227 – 1237 م) دخل في صراع مع قشتالة حول المدينة حتى وفاته في عام635هـ / 1237 م. توالى على حكم مرسية بعد وفاته عدد من الأمراء الضعفاء، وشهدت المملكة العديد من الاضطرابات والثورات أدت إلى اقتسامها بين زعماء المدينة حيث أصبح لكل مدينة أو قلعة حاكم مستقل منها: لقنت

(Alicante)، أوريولة (Orihuela)، والحمة (Alhama)، وليبط (Aledo)، وجنجالة (Chinchilla)، مما سهل على مملكة قشتالة إخضاع هذه المدن وأعطاها حكماً ذاتياً مع التبعية لمملكة قشتالة. استمر الصراع على مرسية بين المسلمين وقشتالة إلى أن سقطت نهائياً في يد قشتالة عام 663هـ / 1264 م. انظر: أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2011، ج2، ص 188 - 191.

6 Mallol، Op.cit، pp. 22-23.

7- النشار، محمد محمود، علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك (658 – 741 هـ/ 1260 – 1341)، ط1، عين للدراسات والبحوث والإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، ص 51.

8- معاهدة طرسكونة عام 689هـ / 1291م: وهي معاهدة اشترك فيها كارلوس الثاني (Carlos II) ملك نابولي (683- 708هـ/ 1285 – 1309م)، وفيليب الرابع (Felipe IV) ملك فرنسا (1285-1314م)، واثنا عشرا سفيراً مفوضاً عن ألفونسو الثالث ملك أراغون، وممثلون عن الملك إدوارد الأول (Eduardo I) ملك إنجلترا (670-702هـ/ 1272 – 1307م)، واثنان من الأساقفة ممثلين عن البابا نقولا الرابع (Nicolás IV) (1288-1292) وتضمنت الاتفاقية البنود الآتية:

- دخول ألفونسو الثالث في طاعة البابوية.
- ذهاب الملك ألفونسو الثالث شخصياً إلى روما ودفع ثلاثين أوقية من الذهب للبابا.
- سحب تأييده لأخيه خايمي الأول (Jaime I) ملك صقلية.
- رفع عقوبة الحرمان الكنسي التي فرضت على بيدرو الثالث.
- الوعد بالخروج في حملة صليبية إلى الشرق.

Rivero، Isabel، Compendio de Historia Medieval Española، Madrid، Istmo، 1982. P. 188 ؛ النشار، علاقة مملكتي، ص58.

9- الامتيازات العامة: مجموعة من القوانين التي وضعت لصالح النبلاء والفرسان والبارونات في مملكة أراغون بهدف إعطائهم سلطات تشريعية وسياسية وتنظيم العلاقة بينهم وبين الملك. انظر: النشار، علاقة مملكتي، ص 47.

10- Mallol، Op.cit، p.23.

11- Mallol، Ibid، p p.25-26.

12- بنود معاهدة أناجني Anagni عام 694هـ/ 1295م:

- تنازل خايمي الثاني عن جزيرة صقلية، والاعتراف بالحقوق البابوية السياسية فيها والبيت أنجو ((Casa de Anjou والتعاون معهم عسكريا.
- حصول خايمي الثاني على جزيرتي كورسيكا (Córcega) وسردينيا (Cerdeña).
- تعهد خايمي الثاني أن يتزوج الأميرة بلانكا (Blanca)، ابنة الملك كارلوس الثاني ملك نابولي.
- تخلي ملك فرنسا عن مطالبته بتاج أراغون.

- إلغاء البابا قرار البابا السابق بالغضب على مملكة أراغون وملكها، واعتبار ملك أراغون حليفا للكنيسة الكاثوليكية.
- تنازل خايمي عن حكم ميورقة لعمه خايمي مع استمرار ولائها وتبعيتها لتاج أراغون.
- النشار، علاقة مملكتي، ص 54 – 56.

13- عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987، ص 171؛ Crónicas de los Reyes de Castilla desde don Alfonso el Sabio hasta los Católicos don Fernando y doña Isabel ، Colecciox Ordenada Cayetano Kosell،Tomo 1 ، M. R i v a d e n e y r a، Madrid;.. p.89

14- ظهرت مشكلة وراثة العرش في قشتالة بعد أن أصدر الملك ألفونسو العاشر (Alfonso X) ملك قشتالة (649- 682هـ/ 1252 – 1284 م) قانوناً جديداً خاصاً بولاية العهد، وينص على حق الوراثة لأبناء الأمير الأكبر ولي العهد، وكان ولي العهد فرناندو دي لاسيردا ( Fernando de la Cerda) قد قتل في عام 673هـ/ 1275م، وبالتالي حسب القانون يكون ولي العهد ابن فرناندو ألفونسو دي لاسيردا، لذلك أعلن سانشو ابن ألفونسو العاشر الحرب علي أبيه وخلعه عن العرش في عام 680هـ/ 1282م واستمر النزاع بينهما حتى وفاة الملك سانشو العاشر في عام 682هـ/ 1284م وتولي سانشو الرابع (Sancho IV) ملك قشتالة (682- 694هـ/ 1284–1295).انظر: النشار، علاقة مملكتي، ص 72.

15- النشار، علاقة مملكتي، ص58؛

Moltalvo، Jose Hinojosa، Jaime II y el esplendor de la Corona de Aragón، San Sebastián، Nerea، 2006 P. 191.

16- Estal، J.M. del، El reino de Murcia bajo Aragón، 1296-1304/5، Alicant، 1985، pp. 12-15

17- حول بنود معاهدة عام 695هـ/1296م بين أراغون وغرناطة انظر:

Los documentos árabes diplomáticos del archivo de la corona de aragon، editados y traducidos Maximiliano A.Alarcon Y Santon y Ramon Garcia de Lnares، Madrid، imprenta de estanilos maestre، 1940، documentos Nº 1، pp.1-3.

18- Los documentos árabes diplomáticos، documentos Nº 2، pp.4-6.

19- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، arreglada y notada Benavides A.، Madrid،el Real Academia de Historia، 1860، tomo II، documentos Nº XLVIII، pp.68-70.

20- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº XLIX، p.70.

21- محمد بن حدير حاكم منطقة قربليان (Crevillent) في الفترة (1266 – 1318) من مناطق مملكة مرسية، كان يتبع مملكة قشتالة في الفترة 1266- 1296 ثم أعلن تبعيته للمك خايمي الثاني في عام 1296. انظر:

Estal، Juan Manuel، "Vasallaje del señorío musulmán de Crevillente a Jaime II de Aragón". Sharq Al-Andalus. N. 2، 1985، pp. 81-99.

22- Estal، "Vasallaje del señorío" pp.82-84.

23- Estal، Op.cit، pp. 67-69

24-.Estal، Ibid، pp. 15-26

25- Estal، Ibid، pp. 36-46

26- Estal، "Vasallaje del señorío pp.85-87.

27- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº LIX، pp.86-87; Estal، Op.cit، pp. 36-46.

28- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº LX، pp.87-88; Estal، Op.cit، pp. 36-46; Molina، Á. L.، "El Reino de Murcia durante la dominación Aragonesa (1296-1305)"، Anales de la universidad de Alicante، historia medieval، número 11، 1996-1997، p.267.

29- Estal، Op.cit، pp. 55-69.

30- Estal، Op.cit، pp. 55-69; Estal، J.M.، "Fueros y Sociedad en El reino de Murcia bajo la Hegemonía de Aragón (1296-1304) "، Trabajo de investigación leído en un Ciclo de Conferencias sobre Aspectos Sociales en la España Medieval، organizado por el Departamento de Historia Medieval de la Universidad de Alicante. el 3 de mayo de 1983، p.107.

31- Estal، Ibid، pp. 55-69.

32- Estal، Op.cit، pp. 65-67; Estal، "Vasallaje del señorío" pp.87-88.

33- Estal، Op.cit، pp. 11-83.

34- النشار، علاقة مملكتي، ص76.

35- النشار، المرجع نفسه، ص75-76.

36- النشار، المرجع نفسه، ص76.

37- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº C، pp.140-143; Mínguez، C. G.، "Femando IV de Castilla (1295-1312). Perfil de un reinado Espacio"، Tiempo y Forma، Serie III، Historia Medieval، t. 17، 2004، pp.228-230.

38- Estal، J.M. del، Op.cit،pp.56-57

39- Moltalvo، Op.cit، pp.93-95

40- أهم البنود التي كانت ضد مملكة قشتالة:

- كل صديق لمملكة غرناطة هو صديق لمملكة أراغون، وكذلك كل عدو لطرف منهما يعتبر عدواً للطرفين سواء كان من المسلمين أو من قشتالة.
- يقدم كل طرف من الطرفين الدعم العسكري في الصراع ضد قشتالة.
- لا يتم توقيع صلح مع مملكة قشتالة إلا بموافقة الطرفين.
- تقدم مملكة أراغوان في صراعها مع قشتالة حول مرسية للفرسان القادمين من غرناطة المؤن الغذائية من وقت خروجهم حتى عودتهم، كذلك إذا ماتت خيلهم تدفع غرناطة الأموال عوضا لهم.
- من يحضر من أهل مرسية إلى غرناطة يعاد الى أراغون، ومن يحضر من أهل قشتالة يبقى في غرناطة.
- لا يعترض سلطان غرناطة على الأراضي التي يستولي عليها خايمي الثاني من أراضي قشتالة إلاّ الأراضي التي كانت تابعة لمملكة غرناطة حيث تعاد إليها.
- وفي حال تم الاتفاق على إرجاع مناطق إلى ملك قشتالة يتم الاتفاق بوصية وضمان مملكة أراغون على إرجاع هذه المناطق فيما بعد إلى مملكة غرناطة.

Los documentos árabes diplomáticos، documentos Nº 3، pp.7-10.

41- Soler A.G.، don Joan Manuel، Zaragoza، academia Española، 1932، documentos Nº LVIII، p.274.

42- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº CCLXXVIII-CCLXXXVIII، pp.413-429.

43- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº CCLXXVIII-CCLXXXVIII، pp.413-429; Crónicas de los Reyes، Tomo 1، pp.135-136; Minguez، Op.cit،Volumen IV، pp. 233-256; Fontes، "Lo delimitación del Sudeste peninsular (Torrellas-Elche، 1304-1305)"، en Anales de la universidad de Murcia، IX، 1951، pp.450-451.

44- Soria، José Manuel Nieto y Cordón، María Victoria López، Gobernar en tiempos de crisis، las quiebras dinásticas en el ámbito hispánico، 1250-1808، Sílex، Madrid، 2008، p.348; Mallol، Op.cit، p.126.

45- Soria y Cordón، Op.cit، p.348; Mallol، Op.cit، p.126.

46- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº. CCCIII-CCCXVI، pp.451-461.

47- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº. CCCXXIV-CCCXXV، p p.473-474; Crónicas de los Reyes، Tomo 1، p.136.

48- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº. CCCXXXIII، p p.487-488; Crónicas de los Reyes، Tomo 1، p.136.

49- Crónicas de los Reyes، Tomo 1، p.136.

50- Crónicas de los Reyes، Tomo 1، pp.160-161; Mínguez، C. G.، "Femando IV de Castilla y la guerra contra los moros: La conquista de Gibraltar 1309"، Medlevalismo، 19، 2009، p.176.

51- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº.CDXVI y CDXIX،p p.621-626; Crónicas de los Reyes، Tomo 1، p.163; Vázquez Op.cit، pp. 299-301; Mínguez، "Femando IV de Castilla y la guerra contra los moros"، p.178.

52- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº.CDXVIII،p p.623-625; Vázquez Op.cit، p. 301; Mínguez، "Femando IV de Castilla y la guerra contra los moros"، p.178.

53- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº.CDXVII، p.623; Giménez، S. A.: El sitio de Almería en 1309. Barcelona، 1904، pp.33-34.

54- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº. CDXXXIX-CDXL، p p.650-652; Giménez، Op.cit، pp.40-41; Mínguez، "Femando IV de Castilla y la guerra contra los moros".p.180.

55- في 10 جمادى الآخرة 1297هـ / 4 نيسان 1297 م منح البابا بونيفس الثامن للمك خايمي الثاني لقب صاحب ممالك سردينيا وكورسيكا، وفي عام 722 - 725هـ / 1323 – 1325 غزا خايمي الثاني الجزيرتين وضمهما نهائيا إلى مملكة أراغون بالرغم من معارضة جنوة (Génova) وبيزا (Pisa). انظر: النشار، علاقة مملكتي، ص58.

56- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº. CDXXXVI y CDXLIII، pp.644، 657 - 658.

57- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº CDLX، p p.673-674

58- Memorias de D. Fernando IV de Castilla، tomo II، documentos Nº CDLXI، p. 674

59- Memorias de D. Fernando IV de Castilla t، tomo II، documentos Nº CDLXII-CDLXIII، p p.674-676

60- انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808 هـ / 1406)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1408هـ - 1988، ص329 – 330؛ المقري (ت 1041هـ / 1631م)، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ، ص 450- 451؛ العبادي، أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1982، ص 408-410، 485-493؛ عنان، نهاية الأندلس، ص 114-116.

61- ابن خلدون، ديوان المبتدأ، ج7، ص330.

62- Giménez Op.cit، pp.62-63.

63- Mínguez، "Femando IV de Castilla (1295-1312)"، p.238.

64- Sanchez،E.S، "El reino de Aragón en la época de Jaime II (1291-1327)"، Anales de la universidad de Alicante، historia medieval، número 11، 1996-1997، pp.303-304.

65- Sanchez،E.S، "El reino de Aragón en la época de Jaime II (1291-1327)، p304.

66- Sanchez،E.S، "El reino de Aragón en la época de Jaime II (1291-1327)"، pp. 304-305.

## أولاً: المصادر والمراجع العربية:

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ / 1260م)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808 هـ / 1406)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1408هـ - 1988.

أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2011.

العبادي، أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1982.

عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987.

المقري (ت 1041هـ / 1631م)، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ.

النشار، محمد محمود، علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك (658 – 741 هـ/ 1260 – 1341)، ط1، عين للدراسات والبحوث والإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997.

**ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية:**

Crónicas de los Reyes de Castilla desde don Alfonso el Sabio hasta los Católicos don Fernando y doña Isabel, Colecciox Ordenada Cayetano Kosell, Tomo 1, Madrid, M. R i v a d e n e y r a, 1875.

Estal, J.M. del, El reino de Murcia bajo Aragón, 1296-1304/5, Alicant, 1985.

Estal, Juan Manuel, "Vasallaje del señorío musulmán de Crevillente a Jaime II de Aragón". Sharq Al-Andalus. N. 2, 1985.

Fontes, J.T, "Lo delimitación del Sudeste peninsular (Torrellas-Elche, 1304-1305)", en Anales de la universidad de Murcia, IX, 1951.

Fontes, J.T, "Lo delimitación del Sudeste peninsular (Tratados de partición de lo Reconquista)", en Anales de la universidad de Murcia, VIII, 1950.

Giménez Soler, A.: El sitio de Almería en 1309. Barcelona, 1904.

Juan Manuel del Estal, "Fueros y Sociedad en El reino de Murcia bajo la Hegemonía de Aragón (1296-1304) ",Trabajo de investigación leído en un Ciclo de Conferencias sobre Aspectos Sociales en la España Medieval, organizado por el Departamento de Historia Medieval de la Universidad de Alicante. el 3 de mayo de 1983.

Lacarra J. M, Historia Política del reino de Navarra desde sus orígenes hasta su incorporación a Castilla, Pamplona, Editorial Aranzadi, 1972.

Los documentos árabes diplomáticos del archivo de la corona de aragon, editados y traducidos Maximiliano A.Alarcon Y Santon y Ramon Garcia de Lnares, Madrid, imprenta de estanilos maestre, 1940.

Mallol, Maria, Teresa Ferrer, Entre la paz y la guerra. La corona catalano-aragonesa y Castilla en la Baja Edad Media, Barcelona, Institución Milá y Fontanals, 2005.

Martínez C. de A, Buresi P., Josserand P., Identidad y representación de la frontera en la España medieval, siglos XI, Casa de Velázquez, Universidad Autónoma de Madrid, 2001.

Memorias de D. Fernando IV de Castilla, arreglada y notada Benavides A., Madrid,el Real Academia de Historia, tomo II, 1860.

Mínguez, C. G., "Femando IV de Castilla (1295-1312)", Perfil de un reinado Espacio, Tiempo y Forma, Serie III, Historia Medieval, t. 17, 2004.

Mínguez, C. G., "Femando IV de Castilla y la guerra contra los moros: La conquista de Gibraltar 1309", Medlevalismo, 19, 2009.

Molina, Á. L., "El Reino de Murcia durante la dominación Aragonesa (1296-1305)", Anales de la universidad de Alicante, historia medieval, número 11, 1996-1997.

Moltalvo, Jose Hinojosa, Jaime II y el esplendor de la Corona de Aragón, San Sebastián, Nerea, 2006.

Rivero, Isabel, Compendio de Historia Medieval Española, Madrid, Istmo, 1982.

Rubio, A.B, La frontera del Reino de Murcia en la política castellano-aragonesa del siglo XIII, Miscelánea medieval murciana, universidad de Murcia, Vol. XIII, 1986.

Sanchez,E.S, "El reino de Aragón en la época de Jaime II (1291-1327)", Anales de la universidad de Alicante, historia medieval, número 11, 1996-1997.

Soler A.G., don Joan Manuel, Zaragoza, academia Española, 1932.

Soria, José Manuel Nieto y Cordón, María Victoria López, Gobernar en tiempos de crisis, las quiebras dinásticas en el ámbito hispánico, 1250-1808, Sílex, Madrid, 2008.

**خريطة رقم (1) مملكة أراغون وقشتالة**

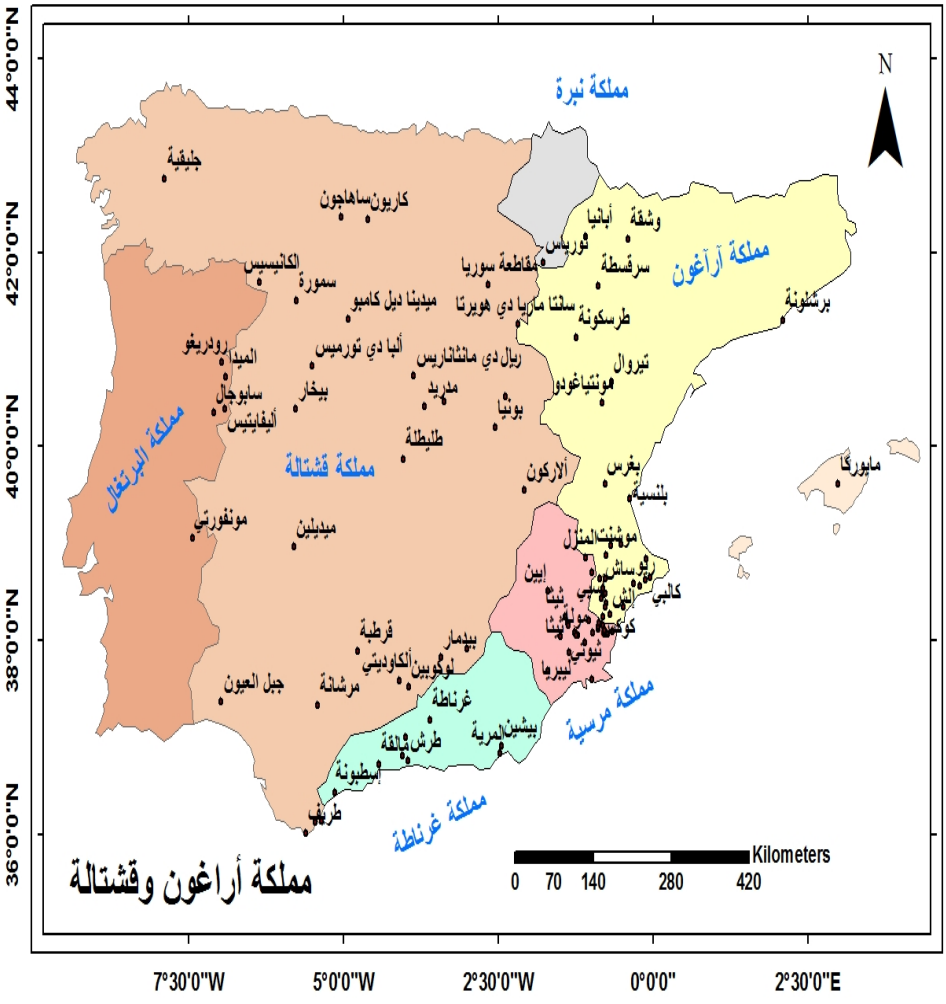

## خريطة رقم (2) مملكة مرسية

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 821- 843

# بدر شاکر السَّیَّاب پیشاهنگ شعر نو در ادبیات معاصر عربی

بسام ربابعة *

تاريخ الاستلام 2017/8/8 تاريخ القبول 2018/2/8

**چکیده**

بدر شاکر السَّیَّاب (1964- 1926م) یکی از مشهور ترین شاعران معاصر در جهان عرب است؛ او به عنوان پیشاهنگ وپدر شعر نو از جایگاه ویژه‌ای در ادبیات معاصر عربی برخوردار است. همچنین آثار شعری وی پرآوازه است وشهرت فراوانی دارد؛ برخی از این آثار به زبان های: فارسی وانگلیسی ترجمه شده است. بدر شاکر السیاب علاوه برشعر، در نثر نیز دستی توانا داشت؛ لذا آثار او منحصر به شعر نیست؛ بلکه دربرگیرندۀ مقاله ها، نقدها، نامه ها وچندین اثر ادبی جهانی است که آنها را از زبان انگلیسی به زبان عربی برگردانده است. او علاوه بر تسلط کامل به زبان عربی با زبان فارسی آشنایی داشته است وتا حدی این زبان را یاد گرفته بود.

روی هم رفته، پژوهشگر کنونی این مقاله را به شناساندان بدر شاکر السیاب به عنوان پیشگام وبنیانگذار شعر نو در ادبیات معاصر عربی اختصاص داده، به بحث وبررسی شرح زندگی او، نخستین اشعار وتجدید گرایی وی در شعر معاصر عربی پرداخته است، سپس آثار، نوشته ها وگرایش های سیاسی او را بیان کرد، همچنین مراحل شعری وی را با ذکر نمونه های گوناگون مورد بحث وبررسی قرار داده است؛ امید هست که زندگی، آثار ونقش السیاب در پرچمداری شعر نو عربی به طور خوب برای فارسی زبانان تجلی یافته وسرانجام مورد استفادۀ علاقه مندان به ادبیات معاصر عربی قرار گیرد.

**واژگان کلیدی:** بدر شاکر السیاب، پیشاهنگ شعر نو، شعر معاصرعربی، ادبیات عربی.

## سر آغاز

بدر شاکر السَّیَّاب در سال 1926م در روستای "جیکور"[1] که در جنوب عراق قرار دارد، دیده به جهان گشود. زادگاه السیاب روستایی است کوچک واغلب مردم این روستا کشاورزانی هستند که فعالیت اساسی آنها تولید خرماست. در سال 1932م عراق استقلال خود را به دست آورد ودر همین سال بود که او تحصیلات ابتدایی خود را در مدرسه ای در روستای"باب سلیمان" آغاز کرد ودر همین سال مادر خویش را نیز از دست داده بود.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* گروه زبان های سامی وشرقی، دانشکده ی ادبیات- دانشگاه یرموک اردن.

السیاب بعد از پایان تحصیلات مقدماتی در سال 1938 به "بصره" رفته ومرحلۀ دبیرستانی را در آنجا گذارند؛ اما دل وی در "جیکور" مانده بود؛ زیرا "وفیقه" که نخستین تجربۀ او در عشق بود در همان روستا اقامت داشت، عشق "وفیقه" از حوادث تلخی بود که تأثیر بسزایی بر شاعر گذاشت؛ چون "وفیقه" که به مثابه رؤیایی در ذهن السیاب بود، با شخص دیگری ازدواج کرد وچند سال بعد به رحمت خدا پیوست. السیاب در نخستین تجربۀ عشق خود مانند نیما یوشیج بنیانگذار شعر نو در ادبیات معاصر فارسی ناکام ماند وسرانجام شکست خورد. البته این شکست در عشق به طور روشن در شعر السیاب انعکاس یافته است.

**نخستین اشعار**

در سال 1941م جنبش رشید عالی الکیلانی برای به دست یافتن استقلال عراق از زیر استعمار انگلستان رخ داد. بر اثر این قیام جنگ عراق وانکلستان برپا شد؛ اما عراق شکست خورد ورهبران همان جنبش به دار آویخته شدند، السیاب که در آن زمان نوزده سال داشت از این حادثه دردناگ متأثر شد وقصیده ای راجع به این مسأله به رشته نظم در آورد.[2]

بدر شاکرالسیاب در سال 1943م روانه بغداد شد ودر دانشسرای عالی رشتۀ زبان عربی را برگزید؛ اما بعد از دو سال به رشتۀ زبان انگلیسی روی آورد ودر این دوره با اشعار "بودلر" وبرخی از شاعران رومانتیک عرب مانند: الیاس ابو شبکه وعلی محمود طه آشنایی والفت یافت. او همچنین با شاعران انگلیس به ویژه رومانتیک ها مانند: "بارون"، "کیس" و"شیلی" آشنا شد.

**فعالیت های مختلف**

وقتی که السیاب به بغداد رسید جنگ جهانی دوم به اوج خودش رسیده بود وعراق از گروه بندی سیاسی وادبی رنج می کشید؛ وی در محافل ادبی وفعالیت های گروه های فرهنگی وادبی شرکت می کرد، همچنین در نزاع میان گروه های سیاسی گام بر می داشت وقصیده های مختلفی را سرود وجایگاه مهمی در این محافل پیدا کرد.[3]

شایان ذکر است که السیاب در دورۀ تحصیلات مقدماتی خود شروع به سرودن شعر کرد واشعار وی بیشتر غزل ووصف بود. همچنین او اشعاری به زبان عامیانه به رشته نظم در آورد واز سال 1941 به بعد به طور منظم به سرودن شعر پرداخت، در این مدت عراق تحت سیطرۀ استعمار انگلستان قرار داشت. مردم این کشور از تهیدستی، بدبختی واستثمار رنج می کشید؛ البته این مسایل در اشعار السیاب به طور آشکار منعکس گردید.

پیشاهنگ شعر نو عربی در سال 1945م توسط یکی از کمونیست های ایران به حزب کمونیست پیوست وبه عضویت حزب کمونیست عراق در آمد. السیاب در این زمینه چنین لب به سخن گشود:"عموی کوچکم عبد المجید السیاب دوستی ایرانی داشت که به ده ما رفت وآمد می کرد، آن دوست ایرانی از علاقمندان به آثار جبران خلیل جبران ومی زیاده بود وهمواره از دموکراسی وکمونیسم سخن می گفت. یک روز ما را به حزب کمونیست عراق که یک حزب مخفی بود معرفی کرد وبرای هر کدام از ما یک نام رمزی انتخاب شد، بدین گونه ما

نه تنها یک کمونیست؛ بلکه عضو حزب کمونیست شدیم."[4] السیاب در این مرحله شاعری کمونیست ومتعهد بود به ویژه در مراحلی که دست به تجدید گرایی زد.

السیاب در سال 1946م با خانم نازک الملائکه آشنا شد وهردوبه توافق رسیدند که دیوان شعر مشترکی را به چاپ برسانند؛ اما وی به علت فعالیت های حزبی از دانشسرای عالی اخراج شد وپس از آن به حزب "آزادی بخش ملی" پیوست. سپس او به عنوان رئیس اتحادیه دانشجویان دانشسرای عالی برگزیده شد ویکی از فعال ترین دانشجویان محسوب می گشت که به خاطر شرکت در تظاهرات بازداشت شد.

اگرچه السیاب از علی محمود طه والیاس ابو شبکه وحتی از شاعران مشهور عرب مانند: متنبی وابو تمام تأثیر پذیرفت وتأثیرپذیری از این شاعران در آثار وی به وضوح مشاهده می گردد ونیازی به شرح وتبیین ندارد؛ اما با این حال او به ادبیات معاصر غرب توجه واهتمام ویژه ای می ورزید، وی بعد از این که به رشتهٔ ادبیات انگلیسی روی آورد وبه خواندن آثار شاعران مغرب زمین مانند: شکسپیر، بایرون، شیلی، کیتس، ووردزویرث پرداخت وتوجهی خاص وویژه به تی. اس. الیوت داشت تا این که به تدریج شیفته سبک الیوت شد وتحت تأثیر وی علی الخصوص در به کارگیری اسطوره ها قرار گرفت. همچنین او با ادبیات فرانسه وادیبان مانند: مارتین وبودلر توسط همکلاسش سلیمان العیسی آشنا گشت.

شاعر نوپرداز در سال 1946م نخستین شعر نو خویش را که با عنوان"آیا عشق بود" سرود. سپس این شعر را در سال 1947در دیوانی با عنوان "گل های پژمرده" که نخستین دیوان السیاب به حساب می آید در مصر به چاپ رسانید. در حاشیهٔ این شعر چنین نوشته شده است:"شعری است در اوزان وقوافی مختلف"[5] این شعر به شرح زیر است:

**هل كان حباً**

هل تُسمِّين الذي ألقى هياماً؟
أمْ جُنوناً بالأماني؟ أم غراما؟
ما يكونُ الحبُّ؟ نَوْحاً وابتساما؟
أم خُفوقَ الأضلع الحرَّى، إذا حان التلاقي
بين عينينا، فأطرقتُ، فراراً باشتياقي
عن سماءٍ ليس تسقيني، إذا ما؟
جئتها مستسقياً، إلا أواما.
**********
العيونُ الحورُ، لو أصبحنَ ظلاً في شرابي
جفتْ الأقداحُ في أيدي صحابي
دون أنْ يَحظَينَ حتَّى بالحُبابِ.
هيئي يا كأسُ، من حافاتكِ السكرى مكاناً
تتلاقى فيه يوماً شَفَتانا

في خفوقِ والتهابِ
و ابتعادٍ شاعَ في آفاقه ظلُّ اقتراب.
**********
كم تمنى قلبيَ المكلومُ لوْ لم تستجيبي
من بعيدٍ للهوى، أو من قريبِ؛
آهِ لو لم تعرفي، قبل التلاقي، من حبيب!
أيُّ ثغرٍ مسَّ هاتيك الشِّفاها
ساكباً شكواه آهاً ثم آها؟
غير أني جاهلٌ معنى سؤالي عن هواها؟
أهو شيءٌ من هواها يا هواها؟
**********
أحسدُ الضوءَ الطروبا
مُوشكا، مما يلاقي، أن يذوبا
في رباطٍ أوسع الشَّعر التثاما،
السماءُ البكرُ من ألوانه آنا وآنا
لا يُنيلُ الطرْفَ إلا أرجوانا.
ليتَ قلبي لمحةٌ من ذلك الضوء السجين؛
أهو حبٌّ كلُّ هذا؟! خبريني.[6]

در نگاهی گذرا به این شعر ملاحظه می شود که از چهار بند یا مقطع تشکیل شده است ووزن آن «فاعلاتن، فاعلاتن» ودر بحر رمل سروده شده است. همان گونه که مشاهده می گردد السیاب از افاعیل عروضی الخلیل بن احمد که مبتنی بر وجود سه رکن عروضی در هر مصراع بود، عدول کرده؛ لذا بعضی از سطرهای این شعر از دو رکن عروضی وبرخی دیگر سطرها از چهار رکن تشکیل می شود، بدون این که هیچ نظمی بر آن حاکم باشد.... آنچه از این شعر استنباط می شود این است که السیاب از رکن عروضی بحر رمل بدون قاعده ی مشخص بهره برده وسیستم وزن وقافیه را در قصیدهٔ سنتی به هم زده است. کوتاه سخن این که بدر شاکر السیاب در این شعر به خود اجازه داد تا از تعداد مختلف رکن های عروضی بدون هیچ نظمی بهره مند گردد.[7] او با این کار توانست سیستم قصیده کلاسیک که بر دو رکن اصلی تکیه دارد یعنی وزن وقافیه را بشکند وافاعیل عروضی را جایگزین آنها کند.

درخور ذکر است که مسألهٔ بنیانگذاری شعر نو در ادبیات معاصرعربی مسأله ای است که مورد توافق ناقدان قرار نگرفته، بلکه مورد اختلاف بوده است. بدر شاکر السیاب، عبد الوهاب البیاتی ونازک الملائکه هر کدام مدعی هستند که بنیانگذار ومؤسس شعر نو در ادبیات

معاصرعربی بوده اند؛ نازک الملائکه کتابی موسوم بـ «قضایا الشعر المعاصر» نوشته وخود را نخستین سرایندهٔ شعر نو عربی معرفی کرده است.[8]

دکتر شفیعی کدکنی در زمینهٔ بنیانگذاری شعر نو عربی وپایه گذار آن در کتاب "شعر معاصر عرب" چنین می گوید:"تقریباً همهٔ ناقدان وشاعران معاصر عرب این نکته را پذیرفته اند که السیاب پیشوای مسلم شعر جدید عرب است....همه او را نخستین شاعر متجدد عرب به شمار آوردند، در گفتگوهایی که من با شاعران وناقدان معاصر عرب داشته ام، دیده ام که همه متحد القول اند که باید نخستین فصل تاریخ شعر جدید عرب را (بعد از جنگ جهانی دوم) به نام بدر شاکر السیاب نوشت وبر روی هم او را یکی از سه شاعر بزرگ نسل خودش به شمار آورد."[9]

نکته ای که می خواهم در این مقام تذکر بدهم این است که پژوهشگر کنونی مقاله ای تحت عنوان:"دگردیسی شعرعربی وپیدایش شعر نو"به رشتهٔ نگارش در آورد وآن را در سال 2013 در مجلهٔ نسخه به چاپ رسانید. پژوهشگر در این مقاله به بحث وبررسی تحولات شعر معاصر عربی ومراحل آن به طور مفصل پرادخته؛ لذا از تکرار آنها اجتناب می ورزد وبه این ملاحظه اکتفا می نماید.[10]

پدر شعر نو عربی در سال 1948م از دانشسرای عالی فارغ التحصیل شد وکار خود را به عنوان آموزگار زبان انگلیسی در دبیرستان "الرمادی" آغاز کرد؛ اما دیری نپایید که برای دومین بار به خاطر عضویت در حزب کمونیست بازداشت واز کار بر کنار شد وبه ده سال ممنوعیت از تدریس محکوم گردید، پس از آن به شرکت نفت عراق که در "بصره" واقع است انتقال یافت، در سال 1950م نیز این کار را رها کرد وبه بغداد رفت ودر چندین روزنامه مانند: "الثبات"، "الجبهه الشعبیه" و" العالم العربی" فعالیت داشت، وی دیوان جدید خویش را که به عنوان"اساطیر" بود در این سال چاپ کرد.

**گریز به ایران**

در سال 1329هـ 1951م دکتر محمد مصدق دست به ملی کردن صنعت نفت در ایران زد. بدون شک این جنبش نیز بر عراق تأثیر گذاشت؛ لذا مردم عراق با هدف طرفداری از ملی کردن نفت این کشور دست به تظاهرات زدند؛ رفته رفته اوضاع بحرانی ووخیم شد وسرانجام حالت فوق العاده در کشور اعلام گردید. در این میان السیاب در سال 1952 از عراق فرار کرد وبه کمک یکی از قاچاقچیان توانست به شهر "المحمره" (خرمشهر کنونی) که در جنوب ایران قرار دارد بگریزد. در این شهر با نام مستعار "علی ارتانک" هفتاد روز اقامت داشت. در هنگام اقامتش در ایران با زبان فارسی آشنا گشت وتا حدی نیز این زبان را فرا گرفت. وی در همین زمان بود که از "شمیران" دیدن کرد ودر شهر"تهران" نیز سکونت گزید وبا افراد زیادی از روشنفکران وفرهیختگان ایران آشنا شد؛ منتها مدرکی در دست نیست ثابت کند که بدر شاکر السیاب بنیانگذار شعر نو در ادبیات عربی با نیما یوشیج (1959- 1897م) بنیانگذار وپیشگام شعر نو در ادبیات فارسی جز این افراد بود. یا نه؟ علی رغم اینکه پژوهشگر کنونی از هیچ بحثی وتفحص در این زمینه دریغ نکرده اما نتیجه قطعی به دست نیامده است. روی هم رفته، السیاب از نزدیک با تجربهٔ تلخ ایرانیان از حزب کمونیست آشنایی پیدا کرد؛ که بدون مبالغه وگزافه گویی می توان چنین گفت که این تجربهٔ تلخ در

دلسردی وحتی بیزاری او از حزب کمونیست که بعداً به جدایی وی از این حزب منجر شد، سهم بسزایی داشته است.[11]

شاعر پیشاهنگ در اوایل سال 1953م با استفاده از گذرنامه ای ایرانی که توسط یکی از دوستاش در "حزب توده" تهیه شده بود به کویت رفت ودربارۀ این گریز، شعری موسوم بـ "فرار 53" به رشتۀ نظم در آورد. جالب است که السیاب هنگامی که به "کویت" گریخت کتابی با عنوان "آموزش زبان فارسی" در دست داشت. به هرحال درخور توجه است که السیاب دوباره از ایران دیدن کرد. اقامت السیاب در "کویت" در حدود 6 ماه طول کشید سپس به زادگاه خویش بازگشت. همچنین در اینجا شایان ذکر است که اطلاعاتی دربارۀ دوست السیاب به جز اینکه اسمش محمد حسین وایرانی کمونیست وعربی تبار بود در دست نداریم.[12]

بدر شاکر السیاب "در کویت" به عنوان کارمند شرکت برق مشغول به کار شد ودر اینجا بود که سال 1953م شعر"بیگانه ای در خلیج" را که یکی از شاهکارهای شعر معاصر عربی محسوب می گردد، به رشته نظم کشید. او در شعر" بیگانه ای در خلیج" چنین به شکایت وگله مندی ازغربت وآوارگی خویش می پردازد:

على الرمال، على الخليج
جلس الغريب، يسرّح البصر المحيَّر في الخليج
ويهدُّ أعمدة الضياء بما يُصعِّدُ من نشيج
أعلى من العبَّاب يهدر رغوه ومن الضجيج
صوتٌ تفجَّر في قرارة نفسي الثكلى: عراق،
كالمدِّ يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون
الريح تصرخ بي: عراق،
والموج يُعول بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق!
البحرأوسعُ ما يكون وأنت أبعدُ ما تكون،
والبحردونك يا عراق.
**********

إنَّي لأعجب كيف يمكن أنْ يخون الخائنون!
أيخون إنسانٌ بلاده؟
إنْ خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون؟
الشمس أجمل في بلادي من سواها، والظلامْ
حتى الظلام – هناك أجملُ، فهو يحتضن العراق.
واحسرتاه، متى أنامْ.
**********

غذّيتُ تربتك الحبيبة

وحملتها فأنا المسيح يجرُّ في المنفى صليبه،
فسمعت وقع خطى الجياع تسير، تُدمى من عثار
فتذرُّ في عينيَّ، منك ومن مناسمها، غُبار.
ما زلتُ أضرب، مُتربَ القدمين أشعث، في الدروب
تحت الشموس الأجنبية،
متخافقَ الأطمار، أبسط بالسؤال يداً نديَّة
صفراء من لٍّ وحُمَّى: ذلّ شحّاذٍ غريب
بين العيون الأجنبية.
**********

واحسرتاه.. فلن أعود إلى العراق!
وهل يعودُ
من كانت عوزه النقود؟ وكيف تُذَّخرُ النقودُ
وأنت تأكلُ إذْ تجوع؟ وأنت تُنفقُ ما يجودُ
به الكرام، على الطعام؟
لتبكينَّ على العراق
فما لديك سوى الدموع
وسوى انتظارك، دون جدوى، للرياح وللقلوع![13]

پیشاهنگ شعر نو در سال 1953م شعر "روسپی کور" و"اسلحه وکودکان" را چاپ کرد، ودر سال 1955 با خانم "اقبال" دختر طه عبد الجليل ازدواج کرد، همچنین در این سال برای سومین بار دستگیر شد ودر سال 1956م دختر بزرگ شاعر"غیدا" دیده به جهان گشود. او نیز در این سال در کنفرانس"ادبای عرب" که در دمشق برگزار شده بود، شرکت کرد.

شاعر در سال های 1956- 1953م به مهم ترین نزاع های ادبی خود دست زد وخواست به جهانیان ثابت کند که او به عنوان پیشاهنگ وبنیانگذار شعر نو در ادبیات معاصر عربی است، به همین خاطر او مقاله های گوناگونی را به رشتهٔ نگارش در آورد وآنها را در مجله های"الشعر"، "الحوار" و"الآداب" به چاپ رسانید. در سال 1957م دومین فرزند السیاب "غیلان" به دنیا آمد. تولد این فرزند مایهٔ خوشحالی وخرسندی شاعر گشت وبه این مناسبت، شعری با عنوان" زهی غیلان" را به رشتهٔ نظم در آورد.

**کمونیست بودم**

بدر شاکر السیاب برای دومین بار در سال 1958م در وزارت آموزش وپرورش به عنوان آموزگار زبان انگلیسی مشغول به کار شد. سپس از حزب کمونیست کناره گیری کرد وبا نوشتن مقاله های سیاسی با عنوان "کمونیست بودم" در روزنامهٔ" الحریة" در برابر کمونیست ها موضع گیری کرد، آنگاه به عنوان مترجم سفارت پاکستان در بغداد استخدام شد، وبعد از چند ماه استعفا داد وبه "بصره" برگشت؛ زیرا که وی به ضعف عمومی وناتوانی

فراگیر جسمانی مبتلا گشت وگرفتار تهیدستی وبدبختی گردید، همچنین از گرفتاری ها ودردهای مردم عراق رنج می برد. در این میان آوازۀ السیاب در عراق وجهان عرب کم کم گسترش پیدا کرد.

بنیانگذار شعر نو عربی در سال 1961م بار دیگر دستگیر شد ودر حدود دو هفته در زندان محبوس بود؛ سپس به ادارۀ بندرها وبعد در ادارۀ امور فرهنگی وپس از آن به عنوان مسؤول اعزام دانشجویان منصوب گشت؛ سرانجام به عضویت هیأت تحریریه مجلۀ "الموانیء" در آمد. در همان سال دختر دوم السیاب به نام "آلاء" دیده به جهان گشود؛ او در این هنگام در کنفرانس"ادب معاصر عربی" که در رم برگزار شد، شرکت کرد ومقاله ای با عنوان" تعهد وعدم تعهد در ادبیات نوین عربی" ارائه نمود.

بدر شاکر السیاب در اواخر سال های عمر خود به زادگاه خویش برگشت وچندین شعری که بوی مرگ می دهد، سرود. از سال 1962 به بعد سلامتی او رو به وخامت نهاد سپس فلج شد وبرای معالجه به بیروت، لندن، پاریس وکویت رفت ومجموعه ای از اشعار در قالب جدید شعر نو در لندن نوشت؛ تا جایی که می توان گفت که وی هر روز یک شعر یا بیشتر می نوشت.

سرانجام پیشاهنگ شعر نو در ادبیات عربی در یکی از بیمارستان های کویت در تاریخ1964/12/24م در سن 38سالگی با بیماری ذات الریه- مانند نیما یوشیج بنیانگذار شعر نو در ادبیات فارسی- دیده از جهان فروبست، وجسد وی به عراق منتقل شد وتنها تعداد معدودی از دوستانش در مراسم خاکسپاری او شرکت کردند. در سال 1971م به مناسبت سالگرد درگذشتش مجسمۀ وی بر روی" شط العرب" نصب شد.[14]

**آثار السیاب**

بدر شاکر السیاب علاوه برشعر، در نثر نیز دستی توانا داشت وچندین اثر ادبی جهانی را نیز به زبان عربی برگردانده است. مجموعۀ آثار گرانقدر وی که دربرگیرندۀ آثار منظوم، منثور: مقاله ها، نقدها، نامه ها وترجمه ها به شرح زیر است:

**الف: آثار شعری**

1- مقدمات: مجموعۀ قصاید که در سال های 1944- 1941م سروده است.
2- گیتار باد، 1944.
3- بامداد صلح: مجموعۀ شعر سیاسی دربارۀ حزب کمونیست.
4- گل های پژمرده، 1947.
5- گردبادها: مجموعۀ شعر سیاسی که در سال 1948 سروده شده است.
6- اساطیر، 1950.
7- گورکن، 1952.
8- روسپی کور، 1954.
9- اسلحه وکودکان، 1955.

10- سرود باران، 1960.
11- پرستشگاه غریق، 1963.
12- منزل خدمتگزاران،1963.
13- کلبهٔ دختر جلبی، 1964.
14- اقبال، 1965.
15- هدیه ها: که به مراحل گوناگونی زندگی السیاب برمی گردد.
16- غرش طوفان: که دیوان سیاسی ومایهٔ تأسف است که گم شده است.
17- قصیده ای با عنوان" میان روح وجسم" که بیش از هزار بیت است والسیاب آن را برای شاعر مصری علی محمود طه فرستاده بود تا مقدمه ای بر آن بنگارد. اما متأسفانه وی دیده از جهان فروبست؛ در حالی که این قصیده گم شده وتنها 120 بیت از آن باقی مانده است. نکته ای که می خواهم در اینجا تذکر بدهم این است که برخی سروده های السیاب مفقود گشته وهمهٔ اشعار او نیز به چاپ نرسیده است.

**ب: نثر وترجمه[15]**

1- سخنرانی که در کنفرانس ادیبان عرب در دمشق با عنوان"روش هایی که عرب ها با استفاده از آن، ادبیات نوینش را می شناساند"، 1956.
2- مقاله های پراکنده در هفته نامهٔ" الشعب" 1958-1957.[16]
3- من کمونیست بودم. مجموعهٔ مقالاتی که در روزنامهٔ "الحریة" از آغاز سال 1959م به چاپ رسیده.
4- تعهد وعدم تعهد در ادبیات نوین عربی: عبارت است از متن سخنرانی که توسط شاعر در رم ایراد شد ودر کتاب" ادبیات معاصر عربی" در سال 1962م منتشر گردید وبار دیگر در کتاب" بدر شاکر السیاب، مرد وشاعر" انتشار یافت.
5- عرب وتئاتر: مقاله ای که در کتابچه ای از انتشارات نهضت به هنگام اجرای نمایشنامهٔ"مردگان بی گور" اثر ژان پل سارتر که گروه نمایش آزاد در سال 1960 آن را به روی صحنه برد، انتشار یافت.
6- موضوع های انشایی نگارش یافته در سال های 1963- 1962، از دفتری که استاد محمود یوسف در اختیار دارد، اخذ گردید.
7- نامه های السیاب به استاد خالد الشواف میان سال های 1967- 1963.
8- نامه های السیاب به دکتر سهیل ادریس میان سال های 1962- 1954.
9- نامه های السیاب به علی احمد سعید مشهور به "ادونیس" میان سال های 1964- 1957.
10- نامه های السیاب به سیمون جارچی که به پیوست انتشار "روشنایی ها" در کتاب"السیاب؛ مرد وشاعر" چاپ گردید، بدون تاریخ.
11- نامه های پراکنده السیاب در مجلهٔ رادیو وتلویزیون با عنوان بدر شاکر السیاب که در سال 1969م به چاپ رسیده است.

12- نامۀ عراق به مجلۀ گفتگو، چاپ بیروت، 1963.
13- چشم های"الزا" یا "عشق وجنگ" اثر لویی آراگون، چاپ خانه دار السلام، بغداد؛ بدون تاریخ.
14- قصیده هایی برگزیده از شعر نوین جهانی، بغداد، بدون تاریخ.

**مراحل شعری السیاب**

می توان مراحل شعری السیاب را به چهار مرحله تقسیم کرد:
أولاً : مرحلۀ رومانتیک یا احساس گرایی (1948-1943).
ثانیاً: مرحلۀ واقع گرایی (1955- 1949).
ثالثاً: مرحلۀ رئالیستی سوسیالیستی(1960- 1956).
رابعاً: مرحله خودگرایی (1964- 1961).

هم اکنون به بحث وبررسی این مراحل را به صورت جداگانه می پردازیم:

**أولاً: مرحلۀ رومانتیک یا احساس گرایی**

این مرحله در برگیرندۀ سال های 1948-1943 که شاعر دورۀ جوانی را می گذارنید وجنبش رومانتیک در جهان عرب به وسیلۀ مکتب "آپولو" به اوج خویش رسیده بود، در حالی که السیاب در این سن شاهد فجایع تلخی بود؛ او از شش سالگی از نعمت وجود مادر محروم گشت وچند ماه بعد، پدرش ازدواج کرد ودر همین هنگام بود که مادر بزرگش را نیز از دست داد؛ از دردهایی که السیاب با آن روبرو بود این است که او در فقدان مادر ودور از پدر ومادر بزرگش در غربت به سر می برد واز زندگی در شهر نیز مانند نیما یوشیج دلزده شده بود. علاوه بر آن شاهد جنگ جهانی دوم واشغال شدن جهان عرب بود. بنابرین وی تلاش کرد تا از این واقعیت تلخ فرار کند. بدون شک همۀ این اسباب در گرایش او به رومانتیک مؤثر بود.

در این مرحله شاعر از اشعاری که از نظر فنی در سطح بالایی قرار گرفته باشد، بی بهره ماند وتجربه ها وپختگی فرهنگی وادبی او هنوز به مرحلۀ تکامل نرسیده بود. این کم تجربگی در شعرهای نخستین او به چشم می خورد واغلب قصیدهای این مرحله، غزل ووصف است.

السیاب در این دوره به حزب کمونیست عراق گرایش یافت ولی وی از پختگی سیاسی چندانی برخوردار نبود. شاعر در این مرحله از غم ها ورنج های عاطفی ودگرگونی میان آرزو وامید، نزدیکی ودوری، خیال وواقعیت در اشعارش سخن به میان می آورد واز خلال برخوردهایی که با معشوقه اش در تجربه های عاشقانه داشته است، اشعار رومانتیک را می سرود.

اگرچه در این مرحله تأثیری از رومانتیک عرب در اشعار شاعر نمی بینیم؛ اما بیشتر به رومانتیک اروپایی گرایش داشته است. زیرا همان گونه که می دانیم او فارغ التحصیل ادبیات انگلیسی است واز بزرگان این ادبیات به ویژه "شلی" و"کیتس" تأثیر پذیرفته است. این تأثیر در برخی اشعار السیاب مانند شعر "دنبالم بیا" و"خاطره دیدار" روشن است. به طور کلی السیاب دنباله رو هیچ شاعری خواه عرب خواه اروپایی باشد نبوده واز این شاعران تقلید نکرده است؛ به جز در مورد به کار گیری اسطوره که از الیوت گرفته، اما برخی از ناقدان عرب السیاب را شاگرد تی. اس. الیوت در بعضی موارد می دانند.[17] شایان یادآوری است که گرایش رومانتیکی السیاب با دیگر شاعران متفاوت است؛ زیرا که در گرایش رومانتیکی او امید به انقلاب ودگرگونی اوضاع اجتماعی موج می زند، در حالی که هدف از گرایش رومانتیک پیش دیگر شاعران عرب خوشگذرانی بود.

اگر می خواهیم اینجا نمونه ای از شعر این مرحله ذکر کنیم، می توانیم شعر زیر را از"دنبالم بیا" رجوع کنیم:

اتبعيني... ها هي الشطآن يعلوها ذهول
ناصل الألوان كالحلم القديم
عادت الذكرى به ساج كأشباح نجوم
نسي الصبح سناها والأفول
في سهاد ناعس بين جفون
في وجوم الشاطئ الخالي كعينيك انتظار
وظلال تصبغ الريح وليل ونهار
صفحة زرقاء تجلو في برود
وابتسام غامض ظل الزمان
للفراغ المتعب البالي على الشط الوحيد
اتبعيني في غد يأتي سوانا عاشقان
في غد حتى وإنْ لم تتبعني
يعكس الموج على الشط الحزين
والفراغ المتعب المخنوق أشباح السنين.[18]

**ثانیاً: مرحلۀ واقع گرایی**

بنیانگذار شعر نو از مرحلۀ رومانتیک گذر کرد وبه سوی مرحله ای دیگر از مراحل شعری خود گام برداشت؛ یعنی مرحلۀ واقع گرایی است(1955- 1949) که شاعر خود را در برابر کارگران، کشاورزان، رنجدیدگان، آوارگان، قربانیان جنگ وکودکانی که باید فردای جامعه را به دست بگیرند، مسؤول می بیند. وی این واقعیت ها را به زبان شعر بازگو می کند. ملاحظه می شود که چگونه این وقائع، پایبندی را در ذهن او نسبت به شعر نو ایجاد می

نمود. آن هم در هنگامی که حاکمیت سیاسی در عراق به دست رهبران خودکامه افتاده وآرزوهای مردم این کشور در مورد اصلاحات اراضی به یأس تبدیل شده است.

السیاب، حوادث ناشی از طغیان رود دجله را که خسارت های زیادی به بار آورده بود در قالب شعر نو سروده وشعری غمناک با عنوان "سرود باران" که زاییدهٔ درد ورنج مردم عراق است، به رشتهٔ نظم در آورده است. شاعر بر اثر طغیان نهر دجله با شنیدن صدای هر قطرهٔ آب، دچار غم واندوه می شد، السیاب در "سرود باران" که یکی از مشهور ترین اشعار وی است چنین می گوید:

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ،
أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر.
عيناك حين تبسمان تورق الكروْمْ
وترقص الأضواء... كالأقمار في نَهَرْ.
**********

أتعلمين أيَّ حُزْنٍ يبعث المطر؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضَّياع؟
بلا انتهاء – كالدَّم المراق، كالجياع،
كالحبِّ، كالأطفال، كالموتى – هو المطر !
**********

أَصيح بالخليج: " يا خليجْ
يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والرَّدى ! "
فيرجعُ الصَّدى
كأنَّه النشيجْ:
" يا خليج
يا واهب المحار والردى.. "
**********

أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تئنُّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع،
عواصف الخليج، والرعود، منشدين:
" مطر...مطر...مطر...
وفي العراق جوعْ
وينثر الغلالَ فيه موسم الحصادْ

لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الثّوان والحجر
رحىً تدور في الحقول... حولها بشرْ
مطر...مطر...مطر...
وكم ذرفنا ليلة الرحيل، من دموعْ
ثم اعتللنا – خوف أن نلاَم – بالمطر...
مطر...مطر...
ومنذ أنْ كنَّا صغاراً، كانت السماء
تغيمُ في الشتاء
ويهطل المطر،
وكلَّ عام – حين يعشب الثرى – نجوعْ
ما مرَّ عامٌ والعراق ليس فيه جوعْ.
مطر...مطر...مطر...
**********
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرَّحيقْ
من زهرة يربُّها الفرات بالنَّدى.
وأسمع الصدى
يرنُّ في الخليج
" مطر..مطر..مطر..
في كلّ قطرة من المطرْ
حمراء أو صفراء من أجنَّةِ الزَّهَرْ.
وكلُّ دمعة من الجياع والعراة
وكلُّ قطرةٍ تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسمٍ جديد
أو حُلمةٌ تورَّدت على فم الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ، واهب الحياة"
ويهطل المطرْ...[19]

شايان ذكر است كه شعر "سرود باران" مورد توجه وبررسى منتقدان وپژوهشگران عرب زبان قرار گرفته كه از جمله اين پژوهشگران مى توان به آقاى الياس خورى ودكترعلى الشرع اشاره كرد. الياس خورى در كتاب خود موسوم بـ" دراسات في نقد الشعر" به نقد وبررسى مفصل اين شعر پرداخته[20]؛ همچنين دكتر على الشرع مقاله اى تحت عنوان" قراءة في أنشودة المطر للسياب" را به رشتهٔ نگارش درآورده وآن را در مجلهٔ" ابحاث

اليرموک" به چاپ رسانده است.[21] این توجه واهتمام به شعر"سرود باران" به فارسی زبانان رسیده وبرخی مقالات دربارۀ این شعر نگارش یافته است؛ به عنوان مثال می توان به مقالۀ دکتر امیر حسین رسول نیا ومریم آقاجانی اشاره کرد که زیر عنوان"مبارزه وپایداری در شعر بدر شاکر السیاب با تکیه بر شعر انشوده المطر" به چاپ رسیده است.[22]

نکته ای دیگر که می خواهم اینجا تذکر بدهم این است که برخی از ناقدان عرب به مقایسه میان شعر"سرود باران" وشعر "سرزمین ویرانه" الیوت پرداخته اند. دکتر نایف العجلونی مقاله ای تحت عنوان" الأرض اليباب وأنشودة المطر معالم بارزة في طريق الحداثة" را به رشتۀ نگارش در آورد وبه بحث وبررسی این دو شعر از جنبه های گوناگون پرداخته است.[23]

روی هم رفته، السیاب در این دوره بیشتر در مورد عراق وجهان عرب ومبارزات ضد استعماری، شعر می سرود. به طور مثال شعر "روسپی کور" از شرایط بحرانی عراق وگرفتاری های اجتماعی وفقر وگرسنگی مردم، سخن می راند، گویا که "روسپی" یکی از قربانیان است. او در این مرحله تحت تأثیر حزب کمونیست قرار گرفت؛ لذا به رنج های جامعه وامور واقعی که مردم را آزار می دادند، توجه واهتمام می ورزید، ومسائل واقعی را به معرض نمایش قرار داد. مصداق این شعرهای:"روسپی کور"،"گور کن"و"اسلحه وکودکان" است.

پدر شعر نو، هشت سال عضو حزب کمونیست بود وبدون شک این تجربه تأثیر بسزایی در شعر او بر جای نهاد. او به احساسات ونابسامانی های مردم توجه داشت وفراتر از مشکلات خود به درد ورنج دیگران نظر افکنده، صدای مردم را در شعرش منعکس می نمود. این مسایل در چندین شعر مانند:"با امداد صالح"، "گور کن"،"اسلحه وکودکان" و"روسپی کور" تجلی می یابد. در این مرحله اسطوره جزئی از اشعار السیاب گشته وبهترین نمونۀ آن شعر"روسپی کور" است که پر از اسطوره هاست. خلاصه کلام این است که السیاب به واقعیت جامعۀ عرب توجه می کرد وبه مسائلی مانند: فقر، فساد، سستی وتفرقه گرایی که چون خوره ای است که از درون به جان این جامعه افتاده بود اشاره می نمود.[24]

**ثالثاً: مرحلۀ رئالیستی سوسیالیستی**

شاعر نوپرداز، بعد از مرحلۀ واقع گرایی به مرحلۀ تازه ای وارد شد که به رئالیستی سوسیالیستی شناخته می شود(1960- 1956)، او شعر"روسپی کور" را در سال 1954 سرود وبه چاپ رساند. انتشار این شعر به جدایی السیاب از حزب کمونیست ونیز به استقلال سیاسیش انجامید واو را به سمت ناسیونالیسم سوق داد. بدون شک اشعار ناسیونالیستی او مانند:"بورسعید"،"سرزمین مغرب عربی" و"جیکور وشهر" نشان دهندۀ این دورۀ شعری السیاب است. در شعر "جیکور وشهر" چنین آمده است:

وتلتفُّ حولي دروبُ المدينة:
حبالاً من الطين يمضغن قلبي
ويعطين، عن جمرة فيه، طينة،

حبالاً من النار يجلدن عُرى الحقول الحزينة
ويُحرقن جيكور في قاع روحي
ويزرعن فيها رماد الضغينة.
دروبٌ تقول الأساطير عنها
على موقدٍ نام: ما عاد منها
ولا عاد من ضفة الموت سار،
كأنَّ الصدى والسكينة
جناحا أبي الهول فيها، جناحان من صخرةٍ في ثراها دفينة.
**********

مصابيح لم يُسرج الزيتُ فيها وتمسه نار
وفي كل مقهى وسجن ومبغى ودار:
"دمي ذلك الماء، هل تشربونه؟
ولحمي هو الخبز، لو تأكلونه!
وتموز تبكيه لاةُ الحزينة
ترفع بالنواح صوتها مع السَّحرْ
ترفع بالنواح صوتها كما تنهَّد الشجرْ
تقول:"يا قطار يا قدرْ.
**********

و جيكور من دونها قام سور
وبوابة
و احتوتها سكينة.
فمن يخترق السورَ؟ من يفتح البابَ؟ يدمي على كل قفل يمينه؟
ويُمناي لا مخلبٌ للصراع فأسعى بها في دروب المدينة
و لا قبضةٌ لابتعاث الحياة من الطين...
لكنَّها محضُ طينة
و جيكور من دونها قام سورٌ
و بوابةٌ
واحتوتها سكينة.[25]

شاعر بزرگ عراق پس از جدايى از حزب كمونيست به رمز گرايى واسطوره ها روى آورد وگاهى اوقات به كارگيرى اسطوره ها، مبالغه واغراق مى كرد؛ لذا اين مرحله نيز به مرحلهٔ اساطير مشهور است. در اين مرحله از "اسطورهٔ تموز" كه يكى از اسطوره هاى

یونان باستان است استفاده می کند، در این اسطوره، خدایان مورد پرستش بودند ومردم نیازهای خود را از آنها درخواست می کردند.

اسطوره "ادونیس" یا تموز، که خدای سرسبزی بود. موضوع این اسطوره به اختصار، مرگ برای زندگی ونیز مرگی که پس از آن حیات وبرانگیخته شدن هست، می باشد. تی. اس. الیوت شاعر معاصر اسطورۀ تموز را در قصیدۀ "سرزمین ویرانه" نمایانده است. در حالی که السیاب در کاربرد اسطورۀ تموز در اشعارش برعکس الیوت عمل می کند؛ الیوت، تمدن کهن وپیر اروپا را در شعرش می آورد، اما السیاب به احیای دوبارۀ تمدن عربی که ازطبق دیدگاه او مرده است، توجه می کند. او در این زمینه تحت تأثیر الیوت؛ به اسطوره ها توجه زیادی نشان می داد واز وی پیروی می کرد. این مرحله برجسته ترین ومهم ترین دورۀ شعر السیاب محسوب می گردد؛ زیرا که شعر ایشان در این برهه به اوج خود رسید. او توانست ثابت کند که به حق پیشاهنگ وبنیانگذار شعر نو در ادبیات معاصر عربی است. شایان ذکر است که دورۀ مذکور را می توان "عصر طلایی" السیاب نامید.

**رابعاً: مرحله خودگرایی**

این مرحله آخرین دوره ومرحلۀ شعری السیاب است(1964- 1961). او در این مرحله به درون خود باز می گردد وبر اثر بیماری که بدان دچار شده بود، خود را برای مرگ آماده می کرد. وی در اغلب اشعارش از آمدن مرگ واین که هیچ چاره ای از آن نیست، سخن به میان می آورد. او بیشتر به یادآوری خاطرات گذشته اش می پردازد؛ خانۀ پدرش، خاطراتش از مدرسه، آوارگی وگریختن به ایران وخاطراتش از لندن وکویت را در ذهن تداعی کرده، از دیدگاه مرگ به آنها می نگرد. در این زمینه می تواند به شعر"سفر ایوب" که از بهترین اشعار السیاب شمرده می شود، اشاره کرد.وی در شعر "سفر ایوب" چنین می گوید:

لك الحمد مهما استطال البلاءْ
ومهما استبدَّ الألم،
لك الحمدُ، إنَّ الرزايا عطاء
وإنَّ المصيباتِ بعضُ الكرَمْ.
ألم تُعطني أنت هذا الظلامْ
وأعطيتني أنت هذا السَّحرْ؟
فهل تشكر الأرض قَطْرَ المطرْ
وتغضبُ إنْ لم يجدها الغمام؟
شهورٌ طوالٌ وهذي الجراحْ
تمزّقُ جنبي مثل المدى
ولا يهدأ الداءُ عند الصباحْ
ولا يمسح اللّيلُ أوجاعه بالردى.
**********

یاربُّ أیوبَ قد أعیا به الداءُ
في غربةٍ دونما مالٍ ولا سَکن
یدعوك في الدُّجَن
یدعوك في ظلموت الموت: أعباءُ
نادَ الفؤاد بها فارحمه إنْ هتفا.
یا مُنجیاً فُلْکَ نوحٍ مزّق السُّدَفا
عنّي.أعدني إلی داري، إلی وطني!
**********
إنّي سأشفی، سأنسی کلَّ ما جَرَحا
قلبي، وعزَّی عظامي فهي راعشةٌ والليل مقرور.
وسوف أمشي إلی جیکورَ ذات ضُحی![26]

در این مرحله، ملاحظه می شود که السیاب به بدبینی می گراید به گونه ای که به همه چیز در این جهان از دریچهٔ مرگ می نگریست. او تحت تأثیر اندیشه های مرگ واین نگاه بدبینانه، چندین مجموعهٔ شعری مانند:"پرستشگاه غریق"، "منزل خدمتگزاران"، "کلبهٔ دختر جلبی" و"اقبال" را به رشتهٔ نظم در آورد.

شایان ذکر است که دکتر شفیعی کدکنی در کتاب "شعر معاصر عرب" مراحل شعری السیاب را به سه مرحله تقسیم نمود وگفته است:" بعد از مرحله رومانتیسم، کارهای دوران پختگی وکمال تجربهٔ شعری در آثار السیاب، می توان به سه مرحله تقسیم شود: مرحلهٔ رئالیسم سوسیالیستی، مرحله ای که در نظر ناقدان عرب به مرحلهٔ تموزی شهرت یافته ومرحلهٔ ایوبی یا مرحلهٔ رنج....، ولی از سال 1953 به بعد وی به نوعی واقع گرایی سوسیالیستی پرداخت"[27] در حالی که به مرحلهٔ خود گرایی اشاره نکرده است.

در پایان درخور ذکر است که بدر شاکر السیاب از چهره های شناخته شده در زبان فارسی ومورد اهتمام وعنایت پژوهشگران فارسی زبانان قرار گرفته است. منتقدان واستادان دانشگاه های ایران چندین مقاله دربارهٔ اشعاروی وعلی الخصوص درزمینهٔ ادبیات تطبیقی نوشته اند. از جمله این مقالات می توان به مقاله های زیر اشاره کرد:"بررسی تطبیقی طبیعت در شعر سهراب سپهری وبدر شاکر السّیاب" از دکتر صلاح الدین عبدی ومحمد احمدی ازندریانی[28]، مقاله "روایت پردازی افسانه ها واسطوره ها در سروده های مهدی اخوان ثالث وبدر شاکر السیاب" از دکتر محمود حیدری وام البنی خرمیان[29]، مقالهٔ "تحلیل تطبیقی شعر مرد مصلوب احمد شاملو والمسیح بعد الصلب بدر شاکر السیاب، از دکتر علی صفایی وعلی رضا قاسمی[30] ومقالهٔ"مرگ زندگی بخش در شعر بدر شاکر السیاب ونیما یوشیج، از دکتر فرهاد رجبی.[31]

# Badr Shakir al Sayyab: the Pioneer of Modern Poetry in Contemporary Arabic Literature

**Bassam Rababah,** *Dept. of Semitic and Oriental languages, College of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

## Abstract

Badr Shakir al Sayyab (1926- 1964) was a leading modern poet in the Arab world as he enjoys a special status in the modern Arabic literature and a founding pioneer of the modern poetry. His poems are very well known for being translated into English and Persian. He was also a professional prose writer. Thus, his legacy is not limited to poetry but extends to include essays theses and some translated masterpieces from English into Arabic. Al Sayyab was well versed in Arabic and learnt Pesian when he was in Iran.

The present study aims at introducing Badr Shakir al Sayyab to the Persian language speakers as a pioneer in modern Arabic poetry in the contemporary Arabic literature. It also sheds more light on life, his early poetic attempts and his new approach to Arabic poetry. The study highlights his legacy, his writings and his political views. Further, the study investigates the stages of his poetry with several illustrative samples.

**Keywords**: Badr Shakir al Sayyab, modern poetry, contemporary Arabic literature.

# بدر شاكر السياب رائد الشعر الحديث في الأدب العربي المعاصر

**بسام ربابعة**، قسم اللغات السامية والشرقية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

## ملخص

يعدُّ بدر شاكر السيَّاب (1926- 1964م) من الشعراء المعاصرين الأكثر شهرة في العالم العربي؛ إذْ إنه يتمتع بمكانة خاصة في الأدب العربي المعاصر؛ فهو رائد الشعر الحديث ومؤسسه، وآثاره الشعرية معروفة ومشهورة أيضاً؛ وقد ترجم بعضها إلى اللغة الفارسية والإنجليزية، إلا أنَّ آثار السياب ليست محصورة في الشعر؛ فإنَّ له آثاراً نثرية متنوعة أيضاً، وهي تشمل المقالات، والكتابات النقدية، والرسائل، وبضعة آثار أدبية عالمية ترجمها من اللغة الإنجليزية إلى العربية؛ كما كان السياب متبحراً في اللغة العربية، ومطلعاً على اللغة الفارسية التي تعلمها إلى حدّ ما أثناء إقامته في إيران.

لقد خصّص الباحث هذا البحث لتعريف الناطقين باللغة الفارسية ببدر شاكر السيّاب؛ من حيث كونه رائداً ومؤسساً للشعر الحديث في الأدب العربي المعاصر؛ فعمل على تناول هذا الموضوع معرفاً بحياة السياب، وآثاره، وبداياته الشعرية، ونشاطه الحزبي والسياسي، وتجديده في الشعر العربي المعاصر، ومراحل تجربته الشعرية؛ مستشهداً بنماذج مختلفة من أشعاره، ومن المؤمل أن يكون هذا البحث قد جلّى حياة السياب، وآثاره، ودوره في ريادة الشعر العربي المعاصر بشكل واضح للناطقين باللغة الفارسية.

**الكلمات المفتاحية**: بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحديث، الشعر العربي المعاصر، الأدب العربي.

## پی نوشت ها ویادداشت ها

1- جیکور: واژه است فارسی که مرکب واز دو کلمه جوی وکور گرفته است. این روستا مقام وجایگاهی بس والا در شعر السیاب دارد وبه وسیله وی شهرت جاودانه پیدا کرد.

2- نگاه کنید: بدر شاكر السياب, مقدمه الديوان, جلد 2, دار العودة، بيروت، ص 27.

3- نگاه کنید: همان مآخذ, جلد 2, ص ص 33- 35.

4- محمد رضا شفیعی کدکنی, شعر معاصر عرب, چاپ دوم, انتشارات سخن, طهران, 1380 ص 138و139. همچنین ن.ک: بدر شاكر السياب, مقدمه الديوان, جلد 1, ص ب ب.

5- بدر شاكر السياب، مقدّمة الديوان، ص ل.

6- همان منبع، جلد 1، ص 101.

7- همان منبع، مقدمهٔ الديوان، جلد 1، ص ع وف. همچنین نگاه کنید: بسام ربابعه، دگردیسی شعرعربی وپیدایش شعر نو، مجلهٔ نسخه، مرکز مطالعات علمی وتکنولوژی ترکیا (TÜBİTAK)، صص 117- 140، شماره 37، انکارا، 2013م. وهمچنین نگاه کنید این مقاله به رابط زیر است:

https://wwwdrrababah.blogspot.com/2015/06/blog-post.html

8- نازك الملائكة، قضايا الشعر العربي المعاصر، ص 35.

9- محمد رضا شفیعی کدکنی، شعر معاصرعرب، ص132و 133، ونگاه کنید: يحيى الشامى، موسوعة الشعراء العرب، جلد 3، بيروت، 1962، ص 89.

10- نگاه کنید: إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، الطبعة الخامسة، دارالثقافة، بيروت،1983، ص 173.

11- نگاه کنیدمنبع پیشین، همان صفحه.

12- بسام ربابعة، دگردیسی شعر عربی وپیدایش شعر نو، مجلهٔ نسخه، مرکز مطالعات علمی وتکنولوژی ترکیا(TÜBİTAK)، صص 117- 140، شماره 37، انکارا، 2013م.

13- بدر شاكر السياب، الديوان، جلد 1، ص ص 317- 323.

14- برای دست یافتن به اطلاعات بیشتر دربارهٔ بدر شاکر السیاب وشعر وی می توان به مراجع زیر مراجعه کرد:

- إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، الطبعة الخامسة، دار الثقافة، بيروت،1986.
- إيليا حاوي, بدر شاكر السياب, شاعر الأناشيد والمراثي، دار الكتاب، بيروت، 1983.
- عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب حياته وشعره، الطبعة الرابعة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987.
- حسن توفيق، شعر بدر شاكر السياب، دراسة فنية وفكرية، دار أسامة، عمان، 1997م
- عبد الجبار داود البصري، بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
- القصيدة العربية في موازين الدراسات اللسانية الحديثة، قصيدة أنشودة المطر للسياب أنموذجاً، صفية بنت زينة، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السانيا وهران، 2013/2012م ونگاه كنيد اين رساله به رابط زير است:

http://theses.univ-oran1.dz/document/45201486t.pdf

15- اين ليست, ترجمه اى است از دكتر احسان عباس, بدر شاكر السياب, ص 421.
16- اين مقاله دربرگيرندۀ برخى از خاطرات او, نقد داستان نويسان ونقد جامعه عراقى است. ن.ك دكتر إحسان عباس, بدر شاكر السياب, ص 291.
17- نگاه كنيد: كمال خير بك, حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ص 47.
18- بدر شاكر السياب, الديوان, جلد 1, ص 39 -40.
19- بدر شاكر السياب, مقدمه الديوان, جلد 1, ص, 474- 481.
20- إلياس خورى, دراسات في نقد الشعر، الطبعة الثانية، دار ابن رشد، 1981م.
21- على الشرع, " قراءة في "أنشودة المطر" للسياب، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد الثالث، العدد الثاني، ص ص63- 85.
22- دكتر امير حسين رسول نيا ومريم آقاجانى, "مبارزه وپايدارى در شعر بدر شاكر السياب با تكيه بر شعر انشوده المطر", مجلۀ ادبيات پايدارى, دانشكده ادبيات وعلوم انسانى كرمان, صص 51- 72 , شماره 8 , بهار وتابستان 1392, 2013م. ونگاه كنيد اين مقاله به رابط زير است:

http://www.sid.ir/fa/VEWSSID/J_pdf/24113920803.pdf

23- نايف العجلوني، "الأرض اليباب وأنشودة المطر معالم بارزة في طريق الحداثة"، مجلة أبحاث اليرموك، صص 163- 207, المجلد 14، العدد 1، 1996.
24- نگاه كنيد: كمال خير بك، حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ص 47.
25- بدر شاكر السياب، الديوان، جلد 1، ص ص 414- 419.
26- همان منبع، جلد 1، ص ص248 -259.
27- شفيعى كدكنى، شعر معاصر عرب، ص 141 و142.
28- دكتر صلاح الدين عبدى ومحمد احمدى ازندريانى, بررسى تطبيقى طبيعت در شعر سهراب سپهرى وبدر شاكر السّياب, كاوشنامۀ ادبيّات تطبيقى, دانشكدۀ ادبيّات وعلوم انسانى، دانشگاه رازى كرمانشاه سال دوّم، صص 111-113 شمارۀ 8، زمستان 1931 هـ. ش/ 1191 هـ. ق/ 2112 م. ونگاه كنيد اين مقاله به رابط زير است:

http://jccl.razi.ac.ir/article_85_a7943ed80bf3e21093eb5cd2bc7b0a49.pdf

29- دکتر محمود حیدری وام البنی خرمیان روایت پردازی افسانه ها واسطوره ها در سروده های مهدی اخوان ثالث وبدر شاکر السّیّاب"،دو فصلنامهٔ ادبنامهٔ تطبیقی، ص ص 81 - 94، سال اول، شمارهٔ اول، پاییز وزمستان, 1393هـ 2015م,ونگاه کنید این مقاله به رابط زیر است:

file:///C:/Users/yu/Downloads/CLK16901424377800.pdf

30- دکترعلی صفایی وعلی رضا قاسمی, تحلیل تطبیقي شعر مرد مصلوب احمد شاملو والمسیح بعد الصلب بدر شاکر السیاب،، مجله پژوهش های ادبیات تطبیقی، ص ص 71- 98 شماره 2، پاییز 1394، 2015م، ونگاه کنید این مقاله به رابط زیر است:

http://clrj.modares.ac.ir/article_11262_132a8275ea3091628c35d674fcaefe1b.pdf

31- دکتر فرهاد رجبی، مرگ زندگی بخش در شعر بدر شاکر السیاب ونیما یوشیج, مجله ادب عربی, دانشکده ادبیات وعلوم انسانی, دانشگاه تهران, ص ص 185 - 206شماره 2، پاییز وزمستان 1390، 2011م. ونگاه کنید این مقاله به رابط زیر است:

https://jalit.ut.ac.ir/article_28835_4a3f1e4327bd08748437ea9c96354803.pdf

## منابع ومآخذ

- إحسان عباس، بدر شاكر السياب، **دراسة في حياته وشعره**، الطبعة الخامسة، دارالثقافة، بيروت،1983م.
- إلياس خوری، **دراسات في نقد الشعر**، الطبعة الثانية، دار ابن رشد، 1981م.
- امیر حسین رسول نیا ومریم آقاجانی، "مبارزه وپایداری در شعر بدر شاکر السیاب با تکیه بر شعر انشوده المطر"، **مجلهٔ ادبیات پایداری، دانشکده ادبیات وعلوم انسانی کرمان**، صص 51- 72 ، شماره 8 ، بهار وتابستان 1392، 2013م. ونگاه کنید این مقاله به رابط زیر است:

http://www.sid.ir/fa/VEWSSID/J_pdf/24113920803.pdf

- إيليا حاوي، **بدر شاكر السياب، شاعر الأناشيد والمراثي**، دار الكتاب، بيروت، 1983.
- بدر شاكر السياب، **الديوان**، جلد ا و2، دار العودة، بيروت، بدون تاريخ.
- بسام ربابعة، "دگردیسی شعرعربیوپیدایش شعر نو"، **مجلهٔ نسخه**، مرکز مطالعات علمی وتکنولوژی ترکیا (TÜBİTAK)، صص 117- 140، شماره 37، انکارا، 2013م. وهمچنین نگاه کنید این مقاله به رابط زیر است:

https://wwwdrrababah.blogspot.com/2015/06/blog-post.html

- حسن توفيق، **شعر بدر شاكر السياب**، دراسة فنية وفكرية، دار أسامة، عمان، 1997م

- شفیعی کدکنی، **شعر معاصر عرب**، چاپ دوم، انتشارات سخن، طهران،1380هـ ش.
- صلاح الدین عبدی ومحمد احمدی ازندریانی، "بررسی تطبیقی طبیعت در شعر سهراب سپهری وبدر شاکر السّیاب"، کا**وشنامهٔ ادبیّات تطبیقی، دانشکدهٔ ادبیّات وعلوم انسانی**، دانشگاه رازی، کرمانشاه، سال دوم، شمارة 8،زمستان 1931 هـ. ش/ 1191 هـ. ق/ 2112 م. ونگاه کنید این مقاله به رابط زیر است:

http://jccl.razi.ac.ir/article_85_a7943ed80bf3e21093eb5cd2bc7b0a49.pdf

- صفية بنت زينة، **القصيدة العربية في موازين الدراسات اللسانية الحديثة، قصيدة أنشودة المطر للسياب أنموذجاً**، رسالة دكترى، گروه ادبيات عربى، دانشكده ى ادبيات، زبان ها وهنرها، دانشگاه السانيا وهران، 2013/2012م. ونگاه كنيد اين رساله به رابط زير است:

http://theses.univ-oran1.dz/document/45201486t.pdf

- عبد الجبار داود البصري، **بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر**، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
- علي الشرع، قراءة في "أنشودة المطر" للسياب، **مجلة أبحاث اليرموك**، المجلد الثالث، العدد الثاني، 1985م.
- على صفايى وعلى رضا قاسمى، "تحليل تطبيقى شعر مرد مصلوب احمد شاملو والمسيح بعد الصلب بدر شاكر السياب، **مجله پژوهش هاى ادبيات تطبيقى**، شماره 2، پاييز 1394، 2015م، ونگاه كنيد اين مقاله به رابط زير است:

http://clrj.modares.ac.ir/article_11262_132a8275ea3091628c35d674fcaefe1b.pdf

- عيسى بلاطة، **بدر شاكر السياب حياته وشعره**، الطبعة الرابعة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987.
- فرهاد رجبى،"مرگ زندگى بخش در شعر بدر شاكر السياب ونيما يوشيج"، **مجله ادب عربى، دانشكده ادبيات وعلوم انسانى**، دانشگاه تهران، شماره 2، پاييز وزمستان 1390، 2011م. ونگاه كنيد اين مقاله به رابط زير است:

https://jalit.ut.ac.ir/article_28835_4a3f1e4327bd08748437ea9c96354803.pdf

- محمود حيدرى وام البنى خرميان، "روايت پردازى افسانهها واسطورهها در سروده هاى مهدى اخوان ثالث وبدر شاكر السّيّاب"، **دو فصلنامهٔ ادبنامهٔ تطبيقى**، سال اول، شمارهٔ اول، پاييز وزمستان، 1393هـ 2015م، ونگاه كنيد اين مقاله به رابط زير است:

file:///C:/Users/yu/Downloads/CLK16901424377800.pdf

- نازك الملائكة، **قضايا الشعر العربي المعاصر**،چاپ دهم، انتشارات العلم للملايين، بيروت، 1997م.
- كمال خير بک، **حركة الحداثة في الشعرالعربي المعاصر**، چاپ دوم، انتشارات الفكر، بيروت، 1986م.
- نايف العجلوني، "الأرض اليباب وأنشودة المطر معالم بارزة في طريق الحداثة"، **مجلة أبحاث اليرموك**، شماره 1، جلد 14، 1996م.
- يحيى الشامى، **موسوعة الشعراء العرب**، چاپ اول، انتشارت دار الفكر العربى، بيروت، 1999م

الخطاب الثالث للرئيس المخلوع حسني مبارك 10 شباط 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخوة المواطنون، الاخوة المواطنات، الابناء شباب مصر وشاباتها أتوجه إليكم اليوم بحديثي اليوم لشباب مصر بميدان التحرير على اتساع ارضيها، اتوجة اليكم جميعا بحديث من القلب، حديث الأب لأبنائه وبناته. اقول لكم: انني اعتز بكم رمز لجيل مصر جديد يدعو إلى التغير إلى الافضل ويتمسك به ويحلم بالمستقبل ويصنع. اقول لكم قبل كل شيئ ان دماء شهدائكم وجرحاكم لن تضيع هدراً وأؤكد انني لن اتهاون في معاقبة المتسببين عنها بكل شدة والحزم وسأحاسب الذين اجرموا في حق شبابنا باقصى ما تقرره احكام القانون من عقوبات رادعة واقول لعائلات هؤلاء الضحايا الأبرياء التى تألمت كل الألم من اجلهم مثل ما تألمتم واوجع قلبي ما حدث لهم كما اوجع قلوبكم واقول ان استجابتي لصوتكم ورسالتكم ومطالبكم هو التزام لا جعة فيه وانني عازم كل العزم على الوفاء بما تعدت بكل الجدية والصدق والحرص...

الخطاب الأول للرئيس المصري المخلوع حسني مبارك 28 كانون الثاني 2011

الإخوة المواطنون، أتحدث إليكم في ظرف دقيق يفرض علينا جميعا وقفة جادة وصادقة مع النفس، تتوخى سلامة القصد وصالح الوطن، لقد تابعت أولا بأول التظاهرات وما نادت به ودعت إليه. كانت تعليماتي للحكومة تشدد على إتاحة الفرصة أمامها للتعبير عن آراء المواطنين ومطالبهم، ثم تابعت محاولات البعض لاعتلاء موجة هذة التظاهرات والمتاجرة بشعاراتها، وأسفت كل الأسف لما أسفرت عنه من ضحايا أبرياء من المتظاهرين وقوات الشرطة. لقد التزمت الحكومة بتنفيذ هذة التعليمات، وكان ذلك واضحا في تعامل قوات الشرطة مع شبابنا؛ فقد بادرت إلى حمايتهم في بدايتها احتراما لحقهم في التظاهر السلمي، طالما تم في إطار القانون وقبل أن تتحول هذه التظاهرات إلى أعمال شغب تهدد النظام العام، وتعيق الحياة اليومية للمواطنين.

الخطاب الثاني للرئيس المخلوع حسني مبارك 1 شباط 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخوة المواطنين، اتحدث اليكم في اوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها وتكاد ان تنجرف بها وبهم إلى المجهول يتعرض الوطن إلى احداث عصيبة واختبارات قاسية بدأت بشباب ومواطنين شرفاء مارسوا حقهم في التظاهر السلمي تعبيراً عن همومهم وتطلعاتهم سرعان ما استغلهم من سعي لاشاعة الفوضى واللجوء إلى العنف والمواجهة وللقفز عن الشرعية الدستورية والانقضاض عليها تحولت تلك التظاهرات من مظهر راقي ومتحضر للممارسة حرية الرأي والتعبير إلى مواجهات مؤسفة تحركها وتهيمن عليها قوى سياسية سعت إلى التصعيد وصب الزيت على النار واستهدفت امن الوطن واستقراره باعمال اثارة وتحريض سلب ونهب واشعال للحرائق وقطع للطرقات واعتداء على مرافق الدولة والممتلكات العامة والخاصة واقتحام لبعض البعثات الدبلوماسية على ارض مصر. نعيش معاً اياماً مؤلمة واكثر ما يوجع قلوبنا هو الخوف الذي انتاب الاغلبية الكاسحة من المصريين وما ساورهم من انزعاج وقلق وهو اجس حول ما سيأتي به الغد لهم ولذويهم ولعائلاتهم ومستقبل ومصير بلدهم.

الخطاب الثاني للرئيس المخلوع زين العابدين بن علي 10 كانون الثاني 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المواطنين أيتها المواطنات في الداخل والخارج. أتوجه اليوم إليكم على إثر ما شهدته بعض المدن والقرى في عدد من الجهات الداخلية من أحداث شغب وتشويش وإضرار بالأملاك العمومية والخاصة. أحداث عنيفة دامية أحيانا أدت إلى وفاة مدنيين وإصابة عدد من رجال الأمن، أحداث قامت بها عصابات ملثمة أقدمت على الاعتداء ليلا على مؤسسات عمومية، وحتى على المواطنين في منازلهم في عمل إرهابي لا يمكن السكوت عنه. أحداث وراءها أياد لم تتورّع عن توريط أبنائنا من التلاميذ والشباب العاطل فيها، أياد تحث على الشغب والخروج إلى الشارع لنشر شعارات اليأس الكاذبة وافتعال الأخبار الزائفة استغلت بدون أخلاق حدثا أسفنا له جميعا وحالة يأس نتفهمها كانت تجدد في سيدي بوزيد من أسبوعين، وإذ نعرب عن بالغ أسفنا للوفيات والأضرار التي نجمت عن هذه الأحداث، فإننا نجد تعاطفنا مع أسر المتوفين رحمهم الله والمتضررين نشاركهم ألمهم وحزنهم ونواسيهم صادقين الحب لكل أبنائنا وبناتنا دون فرق ولا استثناء.

الخطاب الثالث للرئيس التونسي زين العابدين بن علي 13 كانون الثاني 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب التونسي أكلمكم اليوم، نكلمكم الكل في تونس وخارج تونس، نكلم بلغة كل التونسيين والتونسيات، نكلمكم الآن لأن الوضع يفرض تغيير، تغيير عميق نعم تغيير عميق وشامل وأنا فهمتكم أي نعم انا فهمتكم وفهمت الجميع... البطال والمحتاج والسياسي واللي طالب مزيد من الحريات فهمتكم وفهمت الكل...لكن الأحداث اللي جارية في بلدنا مهيش بتاعنا والتخريب مش من عادات التونسي، التونسي المتحضر المتسامح...العنف مش بتاعنا ولا هو من سلوكنا ولا بد أن يتوقف التيار...يتوقف بتكاليف الجهود والجميع، أحزاب سياسية ومنظمات وطنية...مجتمع مدني...مثقفين ومواطنين اليد في اليد من أجل بلادنا...اليد فاليد من أجل آمال كل أولادنا.

**Appendixes:**

The following are Extracts from the Arab Ousted Presidents' Speeches

الخطاب الأول للرئيس الليبي معمر القذافي 22 شباط 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

أحييكم أيها الشجعان، أحييكم شباب الفاتح، شباب القومية، شباب الفاطمية، شباب التحدي، جيل التحدي، جيل الغضب، أحييكم وأنتم تقدمون للعالم الصورة الحقيقية للشعب الليبي الملتف حول الثورة على بكرة أبيه، وأنتم في الساحة الخضراء تقدمون الحقيقة التي تحاول أجهزة الخيانة والعمالة والنذالة والرجعية والجبن، تحاول أن تغطيها لتشوّه صورتكم أمام العالم، أجهزة عربية للأسف شقيقة تغدركم وتخونكم وتقدم صورتكم بشكل يسيء لكل ليبي وليبية ويقولون: انظروا لليبيا انظروا لليبيا، لا تريد العز، لا تريد التحرير، لا تريد الثورة، انظروا لليبيا، تريد الدروشة، تريد اللحى، تريد العمائم، انظروا إلى ليبيا، تريد الاستعمار، تريد الانتكاسة، تريد الحضيض، وأنتم هنا في الساحة الخضراء تقولون: ليبيا تريد المجد، تريد القمة، قمة العالم، ليبيا تقود القارات، آسيا، أفريقيا، أمريكيا اللاتينية وحتى أوروبا، كل القارات ضاقت قمما في ليبيا. هذا مجد الليبيين، هذا مجد لليبيين والليبيات.

الخطاب الأول للرئيس المخلوع زين العابدين بن علي 28 كانون الأول 2010

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المواطنون أيتها المواطنات، لقد تابعت بانشغال ما شهدته سيدي بوزيد من أحداث خلال الأيام المنقضية، وإن كان منطلق هذه الأحداث حالة اجتماعية نتفهم ظروفها وعواملها النفسية، كما نأسف لما خلفته تلك الأحداث من أضرار، فإن ما اتخذته من أبعاد مبالغ فيها بسبب الاستغلال السياسي لبعض الأطراف الذين لا يريدون الخير لبلادهم ويلجأون إلى بعض التلفزات الأجنبية التي تبث الأكاذيب والمغالطات دون تحرٍّ، بل مع اعتماد التهويل والتحريض والتجني الإعلامي العدائي لتونس يدعونا إلى توضيح بعض المسائل وتأكيد حقائق لا ينبغي التغافل عنها.

***احتُفظ بالخطابات كما وردت في مصادرها الأصليّة، ولم تصوّب الأخطاء اللغويّة الواردة فيها.**

Shunnaq, A. (1993) “Patterns of Repetition in Arabic Forced by Morphology with Reference to Arabic–English Translation”. *Papers and Studies of Contrastive Linguistics*, 28 (1): 89-98.

Sperber, D. and D. Wilson. (1986 [1995]): *Relevance: Communication and cognition*, 2nd edition. Oxford/Cambridge: Blackwell Publishers.

Sperber, D. and D. Wilson. (1997). Remarks on relevance theory and the social sciences. Multilingua 16-2/3 (1997), 145-15.

Stubbs, M. (1983). *Discourse Analysis: The Sociolinguistic Analysis of Natural Language*. Basil Blackwell Publishers: Oxford.

Superior, M. (2006). “WE choose to go to the Moon-Analysis”. Available at: http://www.Forums inter-central. com\showthread.php?15169 WE- choose- to- go- to- the-Moon-Analysis.

Trask, R. L. (1995). *Language: The Basics*. Routledge: London.

Verschueren, J. (1983). *Understanding Pragmatics*. Arnold: London.

Vygotsky, L. (1978). Mind in Society: The Development of Higher Psychological Processes. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Vygotsky, L. (1986). Thought and Language. Cambridge, MA: MIT Press, 1986.

Wilson, D. and R. Carston. 2007. "A unitary approach to lexical pragmatics: Relevance, inference and ad hoc concepts". In: Burton-Roberts, N. (ed.), *Pragmatics*. Basingstoke: Palgrave. 230-259.

Duran, J. (2008). "The Analysis of Political Discourse Applied to Bush's and Kerry's" Speeches. *Systematic Functional Linguistic in Use*, 29 (1): 267-282.

Fairclough, N. (1989) *Language and Power*. Longman: London.

Fairclough, N. (1995) *Media Discourse*. Edward Arnold: London.

Fowler, R. (1991) *Language in the News: Discourse and Ideology in the Press*. Routledge: London and New York.

Geis, M. (1987) *The Language of Politics*. Springer – Verlag: New York.

Gutt, E.-A. (2004a). *Quotation and translation as higher-order acts of communication*. Unpublished manuscript.

Hanafi, A. (2000). The act of Warning in the Holy Quran. Unpublished M.A. Thesis; Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Iser, W. 1980. *The act of reading: A theory of aesthetic response*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Jawad, F. (2011). "A Pragmatic Analysis of Illocutionary Speech Acts in Standard Arabic with a Special to Al-Ashter's 'Epistle'". Babylon University Journal, 19 (4): 606-625

Jonstone, B. (1991). Repetition in Arabic Discourse: Paradigms, Syntagms, and the Ecology of Language. John Benjamins Publishing Company: Philadlephia.

Power, N. (2007). An Analysis of John F. Kennedy's Presidential Inauguration Speech. Available at: http://www.neiviinpower.weebly.com\uploads \6\0\5\3\6035998\ analysis-of- Kennedy's inauguration speech.pdf.

Pu, C. (2007). Discourse Analysis of President Bush's Speech at Tsinghua University, China. Intercultural Communication Studies, XVI (1): 205-216.

Robins, R. (1964). General Linguistics: An Introductory Survey. Longman: London.

Schiffrin, D. (1994). *Approaches to Discourse*. Blackwell Publishers

Searle, J. (1969). Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge University Press: Cambridge.

Searle, J. (1979). *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*. Cambridge University Press: Cambridge.

Seidel, G. (1985). *Political Discourse Analysis*. Academic Press: London.

Al-Shboul, O. (2010). Threatening Strategies in Jordanian Arabic and American English. Unpublished M.A. Thesis; Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Austin, J. (1962) *How to do Things with Words*. Cambridge: M.A. Harvard University Press.

Ayeomoni, N. (2012). "Language and Political Ideology in the Nigerian Military Coup Speeches: A Case Study of General Aguiyi Ironsi, General Yakubu Gowon and General Murtala Muhammad's Speeches. *Lumina*, 22(2): 1-30.

Ayeomoni, O. and Akinkuolere, O. (2012). "A Pragmatic Analysis of Victory and Inaugural Speeches of President Umaru Musa Murtala Yar'Adua". *Theory and Practice in Language Studies*, 2(3): 461-468.

Bird, C. (2011). The Discourse of the American Tragedy: An Analysis of President Clinton's Rhetoric as it functions to construct Reality, shape Community and display Presidential Eloquence. M.A. Thesis, Central Michigan University, Mount Pleasant, Michigan.

Blum-kulka, S. and Olshtain, E. (1984). "Requests and Apologies: A Cross Cultural Study of Speech Act Realization Patterns". *Applied Linguistics*, 5(3): 196-213. *The Translation Studies Reader*, London and New York: Routledge, PP.17-35

Brown, G. and Yule, G. (1983) *Discourse Analysis*. Cambridge University Press: Cambridge.

Crystal, D. (2003). A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Blackwell Publication: Oxford.

Darwish, I. (1997). The Influence of Political Changes in the Middle East. Unpublished M.A. Thesis: Yarmouk University, Irbid, Jordan.

van Dijk, Teun.A. (1983) "Discourse Analysis: Its Development and Application to the Structure of News". Journal of Communication, Vol. 33, PP.20-43.

van Dijk, Teun.A. (1985a) "Structure News in the Press", PP. 69-93. In van Dijk, Teun.A. (ed.)

Discourse and Communication: New approaches to the analysis of Mass Media Discourse and Communication. Walter de Gruyter: Berlin.

van Dijk, Teun.A. (1988a) *News as Discourse*. Lawrence Erlbaum: Hillsdale, N.J.

Dlugan, A. (2009). "Speech Analysis: I have a Dream-Martin Luther King Jr." Available at: http://www.sixmintues.dlugan.com\speech-analysis-dream-martin-luther-king.

## References

Abdul-Raof, H. (2001). *Arabic Stylistics: A Course Book*. Wiesbaden: Harrassowitz.

Abed-el-Jawad, H. and and Al-Abed Al-Haq, F. (1997). *The Impact of the Peace Process in the Middle East on Arabic*. Berlin: Mouton de Gruyter.

Al-Bassam, A. (1989). "Politeness Strategies in the Speech of Characters of Mahfouz's: *The False Down Short Story*": University of Kuwait, Kuwait.

Al-Hamad, M. and Al-Shunnaq, A. (2011). "Emotive Expressions in President Bashar Al-Assad's Political Speeches with an eye to Translation". *Onomazein*, 23(1): 140-170.

Al-Hammed, M. (1999). Political Discourse Analysis: An Arabic-English Contrastive Case Study. Unpublished M.A. Thesis; Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Al-Jarrah, Rasheed, and Abu-Dalu, A, and Obeidat, M. (2018). Translation of Strategic Ambiguity: A Relevance-Theoretic Analysis. *Poznan Studies in Contemporary Linguistics*. Vol. 54 (1), page no. (pending).

Al-Jubouri, Adnan, J.R. (1983) "The Role of Repetition in Arabic Argumentative Discourse".

In Swales, J. and Mustafa, H. (eds.) *English for Specific Purposes in the Arab World*, PP.99-117. The Language Studies Unit, University of Aston, Birmingham: UK.

Al-Khafaji, M. (2005). "Variation and Recurrence in the Lexical Chains of Arabic and English Texts". *Poznan Studies in Contemporary Linguistics*, 40: 5-25.

Al-Omari, Y. (2007). Analysis of the Speech Act of Warning in Jordanian Arabic and American English. Unpublished M.A. Thesis; Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Al-Qasimi, A. (1979). "Al-Ta'abeer Al-Istilahiya wa-Siyagiha Al-Lisaan Al-Arabi". Al-Ribaat University, Al-Ribaat, Morocco.

Al-Rabbai, O. (2008). Gender Differences in Political Speeches: A Case Study. Unpublished M.A. Thesis: Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Al-Rawabdah, N. (2005). The Art of Argumentation and Persuasion in the Political Speeches of his Majesty King Abdullah's II Speeches maintained in their Arabic Translation. Unpublished M.A. Thesis: Yarmouk University, Irbid, Jordan.

# السمات البلاغية لخطابات الزعماء العرب المعزولين

## مقاربة في تحليل الخطاب

**محمد الجراح**، قسم الترجمة، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

**ملخص**

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن السمات البلاغية في خطابات الزعماء العرب المعزولين في خطاباتهم العامة أمام الجماهير خلال ما عرف بـ "الربيع العربيَ". وبغية تحقيق هذا الهدف، تم إجراء تحليل ناقد لعدد من الخطابات وفق نظرية أفعال الكلام "أوستن" و"سيرل". واستناداً إلى تحليل جميع المعاني اللغوية والتداولية للنصوص الأصلية (الجراح، وآخرون، 2018) فقد ظهر أن دلالات أفعال الكلام ضمن (التوجيهات، والتمثيلات، والالتزامات، والتصريحات) قد وظّفت بنسب متباينة، كان أكبرها نسبة التحذيرات (بوصفها فرعًا من التوجيهات)، ولعلّ سبب ذلك عائد إلى مجموعة من الظروف الاجتماعية والنفسية السائدة وقتئذ في بلدانهم إبّان فترة الخطابات موضوع الدراسة. وبناءً على وجهة النظر المتضمنة أن النشاطات المعرفية للبشر لا يمكن عزلها عن السياق الاجتماعي (انظر: فيغوتسكي 1978، 1986)، فإن الدراسة هدفت إلى إظهار كيفية تفاعل هذه النصوص مع سياقاتها الاجتماعية لبيان آثارها النفسية على المتلقين.

Accordingly, the speech act type which is used most is "directive" (37.17%), followed by "Representative" (28.04%), then "Expressive" (15.87%), then "Commissive" (10.65%), and finally " Declaration" (8.26%).

To detect the differences among those presidents for each speech act type, ($ch^2$) test was run. Table (3) below displays the findings.

**Table (3):** ($ch^2$) differences among presidents for each act type of speech

| | $Ch^2$ | D.F | Sig. | Differences |
|---|---|---|---|---|
| Representatives | 11.209 | 2 | 0.00 | Yes |
| Directives | 14.140 | 2 | 0.00 | Yes |
| Commissives | 13.510 | 2 | 0.00 | Yes |
| Expressives | 31.260 | 2 | 0.00 | Yes |
| Declarations | 6.52 | 2 | 0.03 | Yes |
| Total | 5.975 | 2 | 0.04 | Yes |

Given these findings, it has turned out to us that Mubarak used "Representatives" the most; Gaddafi used “Directives" the most; Mubarak used "Commissives" the most; Zain Al-Abdeen bin Ali used "Expressives" the most; and Mubarak used “Declarations" the most.

## Conclusion

Attempted as an exploratory investigation of the main speech acts as used by three ousted Arab presidents in their public appearances during the so-called “Arab Spring”, the findings have shown that each has own way of combating the protesters verbally. Understanding the social fabric of the society, each leader was addressing his people accordingly. The demarcating rhetorical features used by Gaddffi are influenced by his dictatorship regime, supreme authority and totalitarian practices. For this, the results of this study have confirmed that his most frequently used speech act is the act of warning or threatening (one type of Directives). The other leaders have used this speech act but mostly indirectly, for they do not want to antagonize their people. Mubarak alluded more to representatives and commissives probably because he was at the time optimistic to remain in power. Using a bit more diplomatic language; he was daring to take partial responsibility for the current status quo, stressed the slogan “the rule of the people” and promised for future reforms. On the other hand, Zain Al-Abidain, probably felt unwanted, was delivering “farewell speeches” which were relatively more informal. He, therefore, used "Expressives" the most.

**Table (2):** Beneficent which implies the declaration of the speech

| Types of act | Presidents | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | Gaddafi | | Mubarak | | Zain al abdeen bin ali | | Total | |
| | Frequency | Percentage | Frequency | Percentage | Frequency | percentage | Frequency | percentage |
| Representative | 42 | 9.13% | 59 | 12.83% | 28 | 6.09% | 129 | 28.04% |
| Directive | 80 | 17.39% | 48 | 10.43% | 43 | 9.35% | 171 | 37.17% |
| Comissive | 6 | 1.30% | 27 | 5.87% | 16 | 3.48% | 49 | 10.65% |
| Expressive | 5 | 1.09% | 24 | 5.22% | 44 | 9.57% | 73 | 15.87% |
| Declarations | 8 | 1.74% | 20 | 4.35% | 10 | 2.17% | 38 | 8.26% |
| Total | 141 | 30.65% | 178 | 38.70% | 141 | 30.65% | 460 | 100% |

The speakers, in the above examples, executed the speech act of apology using the illuoctionary force of the performative verbs: "'asafa" and "'asiftu". In the above cases, the speakers implicitly took part of the responsibility of the offense which, in fact, created the need for apology. The speakers' apologies, in the above examples, are intended to justify the offense which resulted from external factors outside their control. Both speakers (presidents) follow the same pattern of apology.

### 1.5 Declarations

As its name implies, declaration purports that the speaker is committed to execute some changes in the state of affairs. This idea gathers pace from a similar suggestion by Yule (1996), who advocates that speakers use the act of declaration to bring about some changes in the institutions. The following is an example from Mubarak's speech:

"faqad ra'aiytu tafwiidha naa'ibi ra'isi aljamhuriiyati fii 'ikhtiSaaSaati ra'isi aljumhuriiyati?ala annaHwi allaTHii yuHadidahu addustuur"
(I perceived delegating the authorities of the president that was bestowed upon me by the constitution to the vice president of the country in accordance with the constitution)

In the above example, the speech act of declaration functions as a declaration of authority of the president. This is actually realized by the performative verb "tafwiidha". In this respect, Jawad (2011) points out that it is possible for the speaker to perform the act of declaration without the use of a performative verb. This is the case in most formal speeches of Muslim presidents or leaders where they start with the introductory phrase "In the name God the most merciful the most beneficent" which implies the declaration of the speech.

In order to back up such qualitative analysis of the data, a quantitative analysis of the types of speech acts as used by the ousted Arab presidents in their speeches is sought. Table (1) below displays how many times each speech act is used by each speaker.

**Table (1):** Number of occurrences of each speech act by the three speakers

| | Types of Act | Presidents | | |
|---|---|---|---|---|
| | | Gaddafi | Mubarak | Zain Al-Abdeen Bin Ali |
| 1 | Representative | 42 | 59 | 28 |
| 2 | Directive | 80 | 48 | 43 |
| 3 | Commissive | 6 | 27 | 16 |
| 4 | Expressive | 5 | 24 | 44 |
| 5 | Declaration | 8 | 20 | 10 |

In order to verify if these figures are truly significant, Table (2) below displays the frequencies and percentages for each one of them.

### 1.3 Commissives

This type of speech act commits the speaker for future action (cf. Searle, 1979). This idea is corroborated by Crystal (2003), who states that the act of commissive refers to an utterance where the speaker makes a real commitment to some future course of action. In the same vien, Al-Shboul (2010) claims that the act of threatening is a commitment by the speaker to undertake a future action in which he jeopardizes the interest of the hearer. The following is an example taken from Qaddafi's speech:

"alqabidhu?ala almushaGhibiin wa taslimiihim lil'amni Hata yatim tarbiyatihim"
(Rioters must be arrested and must be handed over to the police in order to teach them how to behave properly.)

In the above extract, the addressor threatens the addressees (rioters in this case) that some physical as well as moral harm will be inflected on them. There is an implicit threat through the use of the term "tarbiyatihim", a term that surely carries negative connotation, i.e. punishment will be awaiting them.

### 1.4 Expressives

The speech act of Expressive reflects the psychological point of view of the speaker. In this respect, Verschueren (1983) claims that the expressive speech act is executed by introducing a performative verb in which the speaker expresses the psychological attitude towards the state of affairs. The most common speech act of expressive used among the presidents' speeches is the act of apology. Blum-kulka and Olshtain (1984) point out that the act of apology is performed when the speaker expresses his regret about some form of violations that had happened, in this case to the public. This is usually effected through the use of explicit markers such as formulaic expressions of regret, including performative verbs such as (be) sorry, apologize, regret, forgive, etc.

The following is an example from Mubarak's Speech:

"wa'asifatu kul al'asafi limaa 'asfarat?anhu min dhaHaaya 'abriyaa'a min almutaDahiriina"
(I felt sorry, extremely sorry, for the loss of the lives of innocent victims among the demonstrators as a result of those demonstrations.)

Another example is from president Zain Al-Abedeen Bin Ali's Speech:

"wa 'iTH nu?ribu?an baaliGhi 'asafinaa lilwafayaati wal'adhraari allatii najamat?an HaTHiHi al'aHdaathi "

(We deeply regret the loss of lives and damages caused by these events)

performed by the president himself, and the adjunct expression "assiyaadatu lilsha?ab" functions to support the head act of asserting.

### 1.2 Directives

The speech act of directive, as its name implies, is an attempt by the speaker to enjoin the hearer to do some action. Jawad (2011) points out that a directive of command could be of two types: positive and negative. The following is an example from Qaddafi's speech:

"'isHabuu 'aTfaalakum min ashshawaari?i 'isHabuu aTfaalakum minhum".

(pull your children out of the streets: pull your children out of them)

The above example realizes the speech act of positive command; hence the speaker uses the imperative verb "'isHabuu" to get the hearer to perform an action. Another example from the same speech reflects the use of negative command:

"shiduu aljurTHaan maatakhaafuu minhum."
(pull the rodents, and don't be afraid of them)

In the above example, the speaker explicitly warns the listeners from being afraid of performing an action using the negative particle "maa" which means don't. Both types of command (positive and negative) are mainly used by the speaker who is more powerful than his listeners. This is similar to the language used in the court where the language used by the judge is more powerful than that used by the defendants. In this respect, Al-Omari (2007) suggests that directives of warning in Arabic might be executed through two strategies: alerting and frightening (threatening). The following is an example from Zain Al-Abedeen Bin Ali's speech:

"al?unfu mush bitaa?anaa walaa huwa min sulukinaa"
(violence is not ours, and it is not our behaviour)

In the above example, the speech act of alerting (a lenient form of warning) is realized. This act is manifested through the use of the term "al?unfu", i.e. violence. The purpose of this term is to warn the addressees of an approaching danger. Additionally, this strategy can be described as a friendly advice, which is roughly the opposite of direct warning. The following, taken from Qaddafi's speech, is an example of implicit warning:

"naHnau lam nastakhadim alquwata ba?adu " (We have not used force yet.)

The above example realizes the act of warning, i.e. implicitly threatening the addressees of the consequences of using force. The speaker tries to intimidate the listeners of upcoming actions.

## Method

The speeches of the ousted presidents during the so called Arab Spring were all downloaded from the internet; the relevant portions of the speeches were transliterated in English letters, and then translated into English by the researcher after consultations with other experts on translation. Shielded with the basic premises of the Speech Act Theory, only those extracts where there is little or no disagreement on their propositions were subjected to analysis; at least one or two examples presented for each type of the five acts (Representative, Directives, Commissives, Expressives, and Declarations) are sought. Because of space limitations (for each speech is about twenty two pages long), only the first paragraph of each speech will be presented in the appendixes.

## Discussion and Results

This section provides an analysis of the rhetorical features of the Ousted Arab Presidents' speeches. As our analysis adopts Searle's (1969, 1979) classification of speech acts (i.e. Directives, Representatives, Commissives, Expressives, and Declarations), our goal is to show when, why and how much each act is used by each speaker at the time. Following is an account of each act figured out in the speeches of the three ousted Arab presidents.

### 1.1 The Act of Representatives

Crystal (2003) advocates the view that that representatives refer to the type of utterance in which the speaker tries to convey his beliefs about the truth of a proposition. The following is an example of the act of representative from Mubarak's Speech:

"'innanii kara'isin liljamhuriiyeh wa bimuqtadha aSSalaahiyyaati allati hawwalahaa li addastuur kaHakamin baynaa aSSulTaati 'akkadatu miraaran wa sawfa aDalu 'ukakidu anna assiyaadata lilsha?abi."

(I, as the president of the Republic and by the virtue of the authorization bestowed upon me by the constitution as an arbitrator between authorities, have confirmed time and again, and I still confirm that supremacy must be to the people).

What is worth noting here is that, according to Blum-Kulka and Olshtain (1984), an utterance (or a sequence of utterances) that perform a representative speech act can be divided into three segments: address term, head act, and adjunct to the head act. The above example explicitly shows that the speaker (Hosni Mubarak) asserts his belief that the only source of authority is the people. In this, the head act is represented by the verb "'akkadditu", the address term is

Chinese political and social system in terms of faith, liberty, and justice. Pu concludes that Bush's speech implies two major criticisms; firstly, Bush criticizes the way the Chinese government deals with the dissidents, and secondly he criticizes the religious and worship liberty in China.

Superior (2006) analyzes John Kennedy's Speech: "We choose to go to the Moon". He claims that Kennedy follows the technique of justification so that he can justify the huge expenditure being spent on the Apollo Space program which is considered one of the greatest achievements of humankind at that time. Superior advocates that Kennedy uses metonymy in his speech to support and strengthen his point of view, and he uses simile in order to create amazing images in the minds of his audience. He claims that Kennedy's Speech was considered very famous one, since the content of it transforms the dream of millions of people into reality. Moreover, Power (2007) explores Kennedy's inauguration speech. He focuses on the role of context in shaping the form and the content of the speech. The speech was delivered during the cold war in which there was a great competition between capitalism and communism. This context was overshadowed by problematic and significant events that makes Kennedy's inauguration speech politically, economically, and historically significant. In his speech, Kennedy discusses various topics such as freedom, human rights, militarism, democracy, and economic progress in order to depict a shining picture about the USA as an exceptional beacon among other nations. Power concludes that Kennedy's speech was optimistic in tone and uplifting, since it portrays a sense of mission.

Ayeomoni (2012) explores the Nigerian Military coup speeches of the three political rulers: General Thomas Ironsi, Yakuba Gowon, and General Murtala Muhammad. The study focuses on the use of lexical devices: repetition, synonymy, antonymy, hyponymy, and collocation. He also explores the relationship between them and the context in which they occur. Ayeomoni advocates that the two most frequent cohesive devices in the speeches of the three military leaders are repetition and synonymy, since rules and programs in the military administration are rooted in coercion and forcefulness. In fact, such strategies can be achieved through the use of lexical devices of emphasis and reiteration. He points out that hyponymy is rarely used in the coup speeches because hyponymy donates specific matters, whereas such speeches focus mainly on general selected issues. Additionally, military leaders' speeches mainly do not include antonyms because these lexical devices may lead to confusion and inhibition of information. Ayeomoni concludes that the language used in the coup leaders' speeches carries similar power and strength to the weapons used in the coup processes or in the revolution.

achieve two purposes: to overcome his opponents inside the country (Egypt) and to warn against the enemy's (Israel) policy of expansion in the region.

Bird (2011) explores the rhetorical style of president Clinton's speeches which were delivered during harsh moments of domestic tragedy. He claims that Clinton's rhetorical style reflects three functions. The first function is defining and constructing reality. This usually happens when an upsetting or confusing event takes place "audience will often turn to public figures for a definition and construction of reality that will help make sense of what has happened" (ibid: 48). Secondly, Clinton's rhetoric displays presidential eloquence by delivering a speech that will be memorable to his audience. This is achieved through the use of religious connotation, the use of repetition, and the use of metaphorical style. The last function is "to generate a communal definition of the event … [It] is to hail a national audience and then define the event by what it means for the entire nation" (ibid).

Al-Hamad and Al-Shunnaq (2011) examine the emotive figures used in Bashaar Al-Assad's, the Syrian president, political speeches. They point out that emotive expressions could be positive, negative, or neutral. Those expressions, in fact, are words that are treated as emotions by wily politicians who know that such expressions are changeable based on language, culture, communities, religion, and people. The most common type of emotive expressions in Al-Assad's speeches is the use of simile in which he emphasizes the attitudes of hate and odium towards the American and the Israeli policies in the region. Al-Hamad and Al-Shunnaq notice that the "New Middle East" concept is an example of emotive expressions used by the American Secretary of State, Condoleezza Rice, to implicitly portray the American policy in the region that carries positive attitudes towards the Israelis and Americans, whereas it carries negative attitudes, probably attitudes of humiliation, towards the Arabs. They conclude that Al-Assad's use of metaphor, personification and euphemism is to entice the negative attitudes in the mind of his audience against the Western governments and their agents in the region.

Pu (2007) presents a pragmatic interpretation of President Bush's speech which was delivered at Tsinghua university in 2002. Bush talks about two major topics in his speech: the construction of Americanism and the indirect critique of Chinese current social situation with direct instruction of what should be changed. In the first theme, according to Pu, Bush uses forceful rhetorical devices in order to draw a clear and idealized picture of Americanism and of the American values. He also employs parallel structures in two forms: a persuasive strategy to convince the audience that all bad images of Americans presented by the mass media are not true, and a constructive strategy to preach American values of equality and liberty. In the second theme, Bush implicitly criticizes the

not as frequent as these two. Hanafi advocates that the main objective of these acts (threatening and warning) in the Holy Quran is to remind the oblivious people of the life after death and to warn them against bad deeds. Moreover, such acts, in general, aim at awakening the mind and the conscience of the people. In fact, the act of warning is directed towards straying people (from the right path) to advise them implicitly to return to the right path, whereas the act of threatening is to remind people of the drastic consequences and of the sever punishment that they may face in the life after death. Also, the act of threatening is directed towards disobedient people to awaken their minds of the drastic consequences of their actions.

Al-Bassam (1989) explores the politeness strategies as manifested through the acts of complaints, requests and apologies in the speech of the characters of Najeeb Mahfouz's Short Story "The False Down". Al-Bassam advocates that the indirect speech acts performed by the characters in the story were overlaid with politeness strategies. These were based on the relationship between participants (speaker and hearer) and the social distance between them, and they were reflected through the use of metaphors, proverbs, words from the Holy Quran, lines of familiar poetry, and some expressions from folk jokes.

Dlugan (2009) investigates Martin Luther King's Speech: "I have a Dream", who was one of the most popular leaders of non-violent movement. He proposes four reasons for the speech to be memorable. The first reason is the connection between King's speech and its historical context. This is clearly evident through the technique of repetition, i.e. repeating the key theme words. Secondly, King's capability of evoking the historic and literary references using direct quotation or using the technique of allusion. Thirdly, King was capable of enriching his speech with specific geographic examples to support his argument and to dramatize actions in the minds of his audience. The last reason is the use of metaphor which associates the concept of the speech "I have a Dream" with images and emotions of his audience.

Al-Hammed (1999) investigated the linguistic and structural aspects in the late president Jamaal Abdul Nasser's speeches. She claims that the major characteristic of Nasser's speeches is his dependence on repeating key words, phrases, and sentences. In fact, Nasser exploits three types of repetition: repetition that is usually employed by the language user without much choice, functional repetition or communicative repetition, and unnecessary type of repetition which is referred to as pleonastic repetition that is normally employed to emphasize general concepts or specific ideas. The last type of repetition was specifically used when Nasser talked about the nationalization of the Suez Canal. In that context, Nasser, actually, introduces the concept of deception, using terms such as collaborationists, agents, and monopolists in order to

frameworks (e.g. Lahlali, 2012; Abu Hatab, W. (2013).; Al-Harahsheh, 2013; Al-Haq and Al-Sleibi, 2015; Hussein, 2016).

## Significance of the Study

This study is, I believe, significant for the following reasons. Firstly, it is the first of its kind which attempts an analysis of the speeches of those political leaders from this perspective after the spark of the Arab spring has been ignited in 2011. Secondly, most of the previous studies conducted on the speeches of the Arab presidents using this framework had focused on the speeches of the late Egyptian president, Jamal Abdul-Nasar, and the late Iraqi president, Saddam Husain, whose speeches were mainly targeted towards an external enemy (Israel). Finally, the threat to the ousted president whose speeches are under current scrutiny is internal and the topics are totally different (mainly protests, demonstrations, strikes, social justice, etc.). For this, their speeches, I reckon, did not follow the usual format or pattern of speech that were familiar to the people of the Middle East at earlier points in time.

## Review of Related Literature

Ayeomoniyi and Akinkuolere (2012) investigate the Nigerian President Adua's political speeches, using the speech act theory framework. They claim that the speeches contain sentences that are assertive, commissive, and directive which are typical of someone occupying a position of authority whose job is to give orders and instructions that may offer a vivid picture about his administration. They conclude that heavy reliance on the use of speech acts that are assertive and directive could be explained in the lights of the president endeavor to persuade or convince the public opinion to support his regime and to implicitly give a clear message on the policy of his government.

Jawad (2011) investigates the pragmatic application of speech act theory to standard Arabic with special reference to Al-Ashter's Epistle, using Searle's taxonomy of speech act. Al-Ashter's Epistle is a letter from the Muslim Caliph, Ali Bin Abi Taalib, to Malik Al-Ashter, the new Egyption ruler at that time. Jawad claims that the application of speech act theory to standard Arabic presents a new evidence on the universality of this theory. He advocates that the most frequent speech act in the data is in the class of directives: advice, command, warning, and prohibition, since the function of such acts is to instruct the receiver and to offer him guidance about the appropriate course of action.

Hanafi (2000) explores the act of warning and threatening in the Holy Quran, using Searle's (1979) classification of speech acts. He claims that these two acts are the most frequent acts whereas there are other speech acts which are

speaker to get the hearer to do something (e.g. requesting), commissives which commit the speaker to some future course of action (e.g. promising), expressives which express the psychological state of the speaker (e.g. thanking) and declaratives which affect the immediate changes in the institutional state of affairs (e.g. appointing). In addition to the above taxonomy, Searle proposes certain types of rules that are responsible for speech acts. These rules are: the essential rule which indicates what the utterance counts as, the sincerity rule that involves the psychological state of the speaker, the preparatory rule that means whether one participant is ready to perform some action asked by another participant, and the propositional content rule that concerns references and predications. In fact, Searle's (1979) classification of speech acts paves the way for other scholars and researchers to adopt it as a framework for discourse analysis. This idea was corroborated by Schiffrin (1994:90) who claims that "by focusing upon the meanings of utterances as acts, speech acts theory offers an approach to discourse analysis in which what is said is chunked (or segmented) into units that have communicative functions that can be identified and labeled".

In brief, speech acts theory, which was first proposed by Austin and later expanded by Searle, can be very useful in analyzing a connected piece of discourse especially indirect speech acts where one act is performed by way of another. Therefore, it is feasible to apply Speech Act Theory to the political speeches of the Ousted Arab Presidents.

**Context of the Study**

The spark of the so-called Arab Spring, a major Arab movement towards democratization, was ignited with the self-burning of Mohamed Bouazizi in Sidi Bouzid on 17 December 2010 in Tunisia. Since then, sustained major street demonstrations and minor protests started to take place in almost all Arab countries. Chanting the slogan *ash'b yuri:d isqaaT an-nithaam* (the people want to bring down the regime), these demonstrations were met with violent responses from authorities, pro-government militias and counter-demonstrators. However, the demonstrations in some countries (Tunisia, Egypt, Libya and Yemen) were serious enough to twist the arm (so to speak) of the then-presidents of these countries to make public appearances and deliver "extraordinary" speeches where they, for the first time, dared make concessions, more often than not acknowledging the protesters' demand for political change.

A considerable amount of attention has been especially paid by academic researchers and political analysts to these extraordinary speeches delivered by the ousted Arab presidents during this time of crisis. Main studies have been coached within different frameworks of Analysis, mainly Halliday and Hassan's 1976 theory of cohesion (e,g. Al Majali, 2015)) and Critical Discourse Analysis

'*performatives'* are declaratives that do an action. Moreover, Austin classifies the circumstances (the conditions) that allow utterances to act as performatives. According to him, the circumstances allowing an act are varied: they include the existence of "an accepted conventional procedure having a certain conventional effect" (p.26), the presence of "particular persons and circumstances"(p.34), "the correct and complete execution of a procedure" (p.34), and "certain thoughts, feelings, or intentions" (p.39). Austin advocates that an act can either misfire, i.e. does not go through at all, or goes through but, due to the abuse of the procedure, in a way that is not totally satisfactory. For example, appointing someone to office misfires if that person has already been appointed or if the speaker is not in a position to appoint someone. In this respect, Schiffrin (1994) claims that Austin raises the possibility that performatives can be realized without a verb. This, in fact, creates another distinction between explicit performatives and primary performatives whereas the latter refers to utterances in which the performative verbs are not explicitly mentioned. Austin proposes three types of performative acts by which a participant in a communicative activity can accomplish doing: a locutionary act which involves the production of sounds and words with meaning, an illocutionary act which refers to the use of explicit performatives to indicate a certain action, and a perlocutionary act which implies what type of act is achieved by saying an utterance.

Searle's (1969) version of speech act theory is built on Austin's framework of speech act. Searle proposes a framework by which speech acts can be incorporated into linguistic theory. Claiming that "the speech act is the basic unit of communication", Searle (1969) did not divorce the study of speech acts from the study of language, but rather placing speech acts at the very crux of the study of language, meaning, and communication. Moreover, there is no doubt that Searle's principle of expressibility (what can be meant can be said) allows the integration of speech act theory into linguistic theory. Based on this principle, it is possible for the speaker to say exactly what s/he means either by increasing her/his knowledge of the language or by enriching the language. In a nutshell, viewing a speech act as the basic unit of communication allows Searle to associate speech acts with the study of language: its production, its interpretation, and its meaning (both speaker meaning and linguistic meaning). In addition, performative utterances include a particular type of verbs, i.e. a performative verb which is used in the simple present and include active form that realizes a particular action when uttered in a specific context.

Furthermore, Searle (1979) advocates that an illocutionary act is the basic conventional communicative force achieved in saying, and it can be classified into five classes: representatives which commit the speaker to the truth of the expressed proposition (e.g. asserting), directives which are attempts by the

This study is therefore an attempt to analyze from some theoretical perspective (Austin's and Searle's Speech Act Theory) the common features of the ousted Arab presidents' speeches during a critical period of time (the so called Arab Spring). The paper is thus organized as follows. In section 2a below, we present the main tenets of Austin's and Searle's Speech Act Theory along with some influential studies that have been coached within this theoretical framework. In section 2b, we provide some background information relevant to the context of the study. In section 2c, we present the main studies that have tackled political speeches delivered by Arab Presidents and influential party leaders in the area. In section 4, we outline the methodology of data selection and data gathering. In the discussion section in 5 below, we try to analyze the findings given the useful tools provided by the theory itself. In the conclusion section (6), we try to present a line of argumentation with previously published research on this topic and suggest new avenues for further future research.

**Speech Act Theory**

Speech Act Theory was developed by two philosophers: John Austin (1962) and John Searle (1969). Austin's series of lectures in 1955 were compiled in a book called "How to Do Things with Words"(1962) which is widely known as the first presentation of Speech Act Theory. Austin's presentation seems argumentative and provocative, since distinctions that are proposed in the first few chapters of the book are dismantled in later chapters. Indeed, the presentation of the theory by the end of the book is dramatically different from its presentation in the beginning of the book.

Speech Act Theory fundamentally focuses on how meaning and action are related to language. Although speech act theory was not first developed as a means of analyzing discourse, some of its basic insights have been used by many scholars such as Labov and Fanshel (1977) to help solve problems which are considered basic to discourse analysis such as how an utterance can perform more than one speech act at a time, and the relationship between context and illocutionary force.

Speech Act Theory began with the work of John Austin whose ideas were incorporated into a relatively fully-fledged linguistic theory by John Searle. Austin has noticed that some utterances that seem like statements lack what is thought to be a necessary property of statements. Austin claims that such statements not only describe or report but also "the uttering of the sentence is, or is a part of, the doing of an action, which again would not *normally* be described as, or as just, saying something"(p. 5, emphasis in original). Austin calls such statements '*performatives'* and distinguishes them from '*constatives'*, i.e. declarative statements whose truth or falsity could be judged. On the other hand,

discourse analysis should not be limited to the structural properties of the text or talk, but they must involve the systematic account of the context because both context and text mutually define each other.

To Wilson and Sperber (1986: 15), context is "a psychological construct, a subset of hearer's assumptions about the world, that affect the interpretation of the utterance". For this, Wilson and Carston (2007: 16) refute "the idea that only encoded concepts can contribute to the truth-conditional content of utterances". To figure out which meaning is really intended, is justifiable, and/or makes the most sense, the sole task of the interactants in an exchange is to fill in for what is left unsaid/unstated based on evidence provided for this purpose - a task that requires going beyond surface meanings. This is an echo of the Reader-Response Theory expounded by Iser (1980) who argues that "as the reader reads, s/he makes his own decision as to how the gap is to be filled." The shared context between the speaker and audience fills the gap, and, by doing so, the message becomes clearer. This is probably so because, according to Grice (see Grice 1957; 1968), communication is an intentional process. In Sperber and Wilson's (1995) terms, communication is an 'ostensive' behaviour - "behaviour which makes manifest an intention to make something manifest" (p. 49). To the socio-cultural theorists (e.g. Vygotsky 1978; 1986), the social context in which the cognitive activity takes place is an integral part of that activity, not just the surrounding context for it. According to Sperber & Wilson (1997: 147), "Inferential communication is intrinsically social, not just because it is a form of interaction, but also, less trivially, because it exploits and enlarges the scope of basic forms of social cognition. Right or wrong, this is a strong sociological claim". Gutt (2004) distinguishes between two modes of communication: the interpretation-oriented mode (i-mode) and the stimulus-oriented mode (s-mode), where the i-mode (or intended meaning) is computed on the basis of the s-mode (stimulus meaning/s), a state of affairs that has probably called (Sperber and Wilson 1986a [1995]: 217) to argue for "the linkage between linguistic structure and pragmatic interpretation" (For more details, see Al-Jarrah et al. 2018).

Furthermore, Fairclough (1989) suggests that political discourse analysis usually introduces the rich and the complex interrelationships of language use and power, since political discourse involves ideologies which are linked to power, control, and authority. In fact, the language of political discourse has become a major medium of social and political power, and thus contributes to the domination of some people over others. This type of power is manifest in face-to-face discourse, cross-cultural discourse, and mass-media discourse. Regarding power, Fairclough claims, "Power in discourse is concerned with discourse as a place where relations of power are actually exercised and enacted" (ibid: 43).

connected spoken or written discourse … [It] is also concerned with language in use in social context, and in particular with interaction or dialogue between speakers" (ibid::43). van Dijk and Kintsch (1983) propose that language users construct their representation of discourse not only of the text itself but also of the social and cultural context in which the whole interaction process takes place between the speech participants. Thus, for him, the process of understanding a discourse is functional in the socio-cultural context, a state of affairs that echoes socio-structuralists' (e.g. Vygotsky 1978; 1986) view of language.

Seidel (1985: 44) defines discourse as "a terrain, a dynamic linguistic and, above all, semantic space in which social meanings are produced or challenged". Trask (1995) claims that there are two ways of extracting meaning from utterances in discourse: one way is noting the content of the utterance no matter what the context is (i.e. what to say), and the other is comparing between utterances in different contexts in order to derive the meaning from the combination of utterances and their context (i.e. how to say it). In a nutshell, when analyzing spoken discourse, researchers normally focus on how different speakers convey their messages in some particular context.

Political speeches, embroidered with "diplomatic language (Jaber, 2001; Matteucci 2001), are an interesting area of research, especially when delivered in extra-ordinary circumstances as they may disclose unique features characteristic of some speech communities. Political speeches have therefore become an interesting area of research especially from a global point of view. Although there are several studies that have investigated political speeches from different perspectives and during different periods of time, explanations have been very much influenced by the researchers' cerebral theoretical orientations (see Vail, 2010). One of the prominent scholars in political discourse analysis is van Dijk (1995) who advocates the view that political discourse analysis is an adequate interpretation of political issues. He suggests that political discourse is a textual achievement of professional politicians or political institutions. van Dijk emphasizes the role of context in the process of interpreting discourse. He points out that the actual analysis of political discourse should be through the systematic definition of the characteristics of political context that is concerned with who speaks to whom and on what occasion with what goals and intentions. These characteristics are usually governed by some authentic categories in the domain of politics such as the political system and its values or ideologies, political relations, and political cognition. Additionally, van Dijk suggests that discourse analysts should realize that the importance of revolutionary slogans in the hands of the protesters who are marching streets, shouting slogans of freedom and liberty, and cursing some political actions, processes, or ideologies of a particular political institution or organization. He concludes that political

| | | | |
|---|---|---|---|
| خ | Kh | ق | q |
| د | D | ك | k |
| ذ | TH | ل | l |
| ر | R | م | M |
| ز | Z | ن | n |
| س | S | ه | h |
| ش | Sh | و | w |
| ص | S | ي | Y |

2. Arabic Vowels are transcribed as follows:

| A. Long Vowels | | B. Short Vowels | |
|---|---|---|---|
| ا | aa | ‘ | a |
| و | uu | ُ | u |
| ي | ii | ِ | i |

**Introduction**

As early as (1976), Bennett points out that communication mainly takes place because the speaker is seeking either to inform the listener of something or to enjoin some action upon him or her. Dressler (1981) views discourse as one genre of text that forms a fairly complete unit and is usually restricted to successive utterances of a single speaker trying to convey a message. Troike (1982) advocates the claim that the appropriate choice of language depends on a number of variables including, but not limited to, the topic, the setting, the participants (age, sex, and status), and the social distance between them. According to Brown and Yule (1983), language serves two major functions: transactional and interactional. They point out that the main objective of discourse analysis is to investigate how people use language for communication, and, in particular, how addressors construct their linguistic messages and how addressees interpret these linguistic messages. They also suggest that “a discourse analyst should treat his data (text) as a record of dynamic process in which language is used as an instrument of communication in a context by a speaker or writer to express meaning and to achieve intention” (ibid:6).

Stubbs (1983) advocates the view that discourse analysis is concerned with the choice of words, thus creating a mini world or universe of discourse and making it possible for the predictions to occur in the same context. Stubbs therefore defines discourse as “a linguistic analysis of naturally occurring

The Arab Journal For Arts Vol. 15 No. 2, 2018, pp. 875 - 900

# Rhetorical Features of the Ousted Arab Presidents' Speeches: A Discourse Analysis Approach

**Mohammad Jarrah***

**Received Date:** March. 27, 2018 **accepted Date:** April 18, 2018

## Abstract

The aim of this study is to explore the rhetorical feature(s) used by the ousted Arab Presidents most in their public appearances during the so-called "Arab Spring". In order to achieve this objective, a number of their speeches at the time were assessed critically from the standpoint of Austin's and Searle's Speech Act Theory. Upon working out all the explicatures (linguistically inferred meanings) and the implicatures (contextually inferred meanings) of the original (Al-Jarrah, et al. 2018), it turned out to us that although the five speech acts (i.e. Directives, Representatives, Commissives, Expressives, and Declarations) were all used, though disproportionately, warning (one type of Directives) was used the most. The reason for this is probably related to the set of circumstances (both social and psychological) that were prevailing in the countries of those presidents at the time of the speeches under current scrutiny. Given the claim that human cognitive activities cannot be detached from the social context where they take place (see Vygotsky 1978; 1986), I intend to show how those texts interacted with their social and cultural contexts to yield the optimal psychological impact on their audiences.

## Transliteration Notes

The following system has been followed in the transcription of Arabic words.

1. Arabic consonants are transcribed as follows:

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ | ʻ | ض | dh |
| ب | B | ط | T |
| ت | T | ظ | D |
| ث | Th | ع | ? |
| ج | J | غ | Gh |
| ح | H | ف | f |

© Copyright 2018 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved

* Department of Translation, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

## Biography

The First author is Nadia Mosa Al-Diab has been working at Yarmouk University in the Language Center since 2005. She has got her Master degree in English translation from Yarmouk University in 2004 and was working as an instructor there from 2005 till now. She has published a research paper. Her fields of interest are: English Language pedagogies, Teaching English as a Second/Foreign Language and English translation.

The corresponding author Dr. Amal Shehadeh AlNatour has been working at Yarmouk University in the Language Center since 2005. Amal has got her Master degree in English Linguistics from Yarmouk University in 2004 and was working as an instructor there from 2005 till 2010. She has got her PhD degree in English Language Curriculum and Instruction in 2010 from Yarmouk University too. Since then, she has been working as an assistant professor. She has published 5 research papers in international journals. Her fields of interest are: English Language pedagogies, Teaching English as a Second/Foreign Language, Motivation towards Teaching English and English Linguistics.

The second author is Dr. Dima Ali Hijazi. She has been working at Yarmouk University in the Language Center since 2010. She has got her MA in 2006 and her PhD in 2010 from Yarmouk University. Both degrees are in English Language Curriculum and Instruction. Since 2010, she has been working as an assistant professor. She has published 6 research papers in international journals. Her fields of interest are: English Language pedagogies, Teaching English as a Second/Foreign Language, English Teachers' education and training programs and English Pragmatics.

Office of instructional Telecommunications, North Carolina State University.

Schacter, J. (1999). *The impact of education technology on student achievement: What the most current research has to say*. Santa Monica, CA: Milken Exchange on Education Technology. Retrieved from: http://www.mff.org/publications/publications.taf?page=161

Serlin,R.(2015).*The advantages and disadvantages of online courses based on experiences in teaching net delivered INDV 102: money, consumers, and family*.Retrieved from: www.gened.arizona.edu/ .../ AdvantagesDisadvantagesOnlineCourses

University of Washington.(2013). "*Exploring the pros and cons of online, hybrid, and face-to-face class formats*."Learning change in public higher education: A provost report series on trends and issues facing higher education. University of Washington publications. Retrieved from: http://www.washington.edu/provost/files/2012/11/edtrends_Pros-Cons-ClassFormats.pdf

Watson, J., Murin, A., Vashaw, L., Gemin, B. & Rapp, C. (2010). *keeping pace with K–12 online learning: An annual review of policy and practice*. Durango, CO: Evergreen Education Group.

Wilson, D., & Allen, D. (2011). Success rates of online versus traditional college students. *Research in Higher Education Journal*, 22, 55-62. Retrieved from: http://www.w.aabri.com/manuscripts/11761.pdf

Yarmouk University online site. (2016). Retrieved from: https://www.yu.edu.jo/en/

Zhang, D. (2005). Interactive multimedia-based e-learning: A study of effectiveness. *American Journal of Distance Education*, 19(3), 149-162. Doi: 10.1207/s15389286ajde1903_3.

Maki, W. S., & R. H. Maki.(2002). Multimedia comprehension skill predicts differential outcomes of Web-based and lecture courses. *Journal of Experimental Psychology: Applied*, 8 (2), 85 –98.

Mandernach, B. J., Mason, T., Forrest, K. D., & Hackathorn, J. (2012). Faculty views on the appropriateness of teaching undergraduate psychology courses online. *Teaching of Psychology*, 39(3), 203-208. doi:10.1177/0098628312450437.

McAlister, M.K., Rivera, J.C., & Hallam, S.F. (2001). Twelve important questions to answer before you offer a web based curriculum. *Online Journal of Distance Learning Administration,* 4(2). Retrieved from: https://www.learntechlib.org/p/92508/.

Mcfarland,D. & Hamilton,D. (2016).*Journal of computer information systems*, 46 (2), 25-32.published online.

Ministry of Education.(2003). National Plan for Education in Jordan.

Nguyen, T. (2015). The effectiveness of online learning: Beyond no significant difference and future horizons. *MERLOT Journal of Online Learning and Teaching*, 11(2).

Ni, A. (2013). Comparing the effectiveness of classroom and online learning: Teaching research methods. *Journal of Public Affairs Education*, 19(2), 199-215.

Nuno, J.A. *Is computer-assisted instruction an effective tool in the reading-writing classroom*?. Master's thesis, California State University, Dominguez Hills. Retrieved from: https://www.learntechlib.org/p/123010/.

O'Donoghue, J.O'Neill,k., & Singh, G.(2004): Implementing eLearning Programmes for Higher Education: A Review of the Literature. *Journal of Information Technology Education.* 3, 313-323. University of Wolverhampton, Wolverhampton, UK.

Picciano, A., & Seaman,J.(2009). *K–12 online learning: A 2008 follow-up of the survey of U.S. school district administrators.* Needham, MA: Sloan Consortium. Retrieved from: http://www.sloanc.org/publications/survey/K-12_06.asp

Robova, J. (2013). The impact of web sites on teaching and learning mathematics. *Procedia -Social and Behavioral Sciences*, 93 (2), 631-635

Russell, T. L. (1999). *The no significant difference phenomenon as reported in 355 research reports, summaries and papers: a comparative research annotated bibliography on technology for distance education*. Raleigh, NC:

## References

Bakia, M., Caspary, K., Wang, H., Dieterle, E., & Lee, A. (2011). *Estimating the effects of online learning for secondary school students*: *State and district case studies*. Menlo Park, CA: SRI International.

Bulic,M & Jelaska, I. (2017). The Effect of E-learning on the acquisition of learning outcomes in teaching science and biology. *Croatian Journal of Education*, 19(2),447-477.

Davies, J, & Graff, M. (2005). Performance in e-learning: Online participation and student grades. *British Journal of Educational Technology*, 36(4), 657–663.

Evans, C., & Fan, F. (2002). Lifelong learning through the virtual university. *Campus-Wide Information Systems*, 19(4), 127-134.

Graham, C. R. (2006). Blended learning systems: Definition, current trends, and future directions. In C. J. Bonk & C. R. Graham (Eds.), *Handbook of blended learning: Global perspectives, local designs* (pp. 3-21). San Francisco, CA: Pfeiffer Publishing.

Guy, R. S., & Lownes-Jackson, M. (2015). The use of computer simulation to compare student performance in traditional versus distance learning environments. *Issues in Informing Science and Information Technology*, 12, 95-109.Retrieved from: http://iisit.org/Vol12/IISITv12p095-109Guy1767.pdf

Hara, N., & Kling, R. (2000). Students' distress with a web-based distance education course: An ethnographic study of participants' experiences. *Information, Communication, and Society*, 3, 557–579.

Hijazi,D.(2012).Difficulties Jordanian non -English major university students face while learning English as a foreign language: A student perspective. *Journal of the College of Education: Aswan University*, 26, 29 – 54.

Kumar, R.K & Kumar.R. J. (2013). Effectiveness of E-learning in Teaching Chemistry with Reference Certain selected Variables. *International Journal of Education and Practice*,1(1),1-13

Lim, J., Kim, M., Chen, S.S., & Ryder, C.E. (2008). An empirical investigation of student achievement and satisfaction in different learning environments. [Electronic version]. *Journal of Instructional Psychology*, 35 (2).

# أثر التعليم الإلكتروني في تحصيل الطلبة في اللغة الإنجليزية: دراسة مقارنة

**ناديا موسى الذياب، ديما علي حجازي، وأمل شحادة الناطور**

مركز اللغات، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر التعليم الإلكتروني في تحصيل الطلبة في مساق اللغة الإنجليزية (101). تكونت عينة الدراسة من 88 طالبًا وطالبة مسجلين في مساق 101 في جامعة اليرموك في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي 2017/2016 (44 طالبًا وطالبة في المجموعة الضابطة و44 طالبًا وطالبة في المجموعة التجريبية). ولتحقيق هدف الدراسة، استخدمت الباحثات اختبارين تحصيليين (وهما اختبار منتصف الفصل، واختبار نهاية الفصل، وهما من إعداد مركز اللغات). وقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل الطلبة تعزى لطريقة التدريس (تقليدية وإلكترونية). وتوصي الباحثات بتحفيز الطلبة لاستخدام أساليب التكنولوجيا الحديثة في التعليم. كما توصي الباحثات بإجراء المزيد من الدراسات للكشف عن الصعوبات التي قد يواجهها الطلبة في تعلم اللغة الإنجليزية عند استخدام نظام التعليم الإلكتروني في عمليه التعلم. وأخيرا، توصي الباحثات بإجراء المزيد من الدراسات التي بإمكانها أن تكشف عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية قي تحصيل الطلبة عند استخدام التعلم الإلكتروني تعزى لمتغيري الجنس والكلية.

**الكلمات المفتاحية:** التعلم الإلكتروني، الطريقة التقليدية في التدريس، التعليم المزيج، التحصيل.

innovative approaches in their contexts but there are two main points that should be taken into consideration. First, policy makers should find solutions to overcome the obstacles that may hinder achieving the full benefits of online learning. Second, the designers of online programs should prepare the material appropriately and should adopt strong methodology that engages students with content and provides them with opportunities to interact as language is a channel of communication.

**Recommendations**

In the light of the previous results, the researchers recommend the followings:

- Developing the material of online learning to better motivate students and enhance their abilities to use technology such as presenting movies and audio aids.
- Giving students the choice to determine the way they prefer to use in learning whether it is online or traditional.
- Asking the authorities at universities to use the blended way of learning since it does not ignore the role of the instructor in directing and supervising the process of teaching- learning and to give students the chance for face to face interaction with their instructors and peers.
- More studies are needed to find out the difficulties that students may encounter while learning English using online method of teaching.
- More studies are needed to find out if there are any statistically significant differences in students' achievements using online learning due to gender and college.

the final exam was (-.331) with statistically significant (Pr =.742). Finally the T-value of the total was **(**-.893**)** with statistically significant (Pr =.374). This result may refer to the fact that online learning instruction applied at Yarmouk University is full of quizzes which are more than the instructional material itself. Therefore, students may feel that they are overloaded with online homework. In addition, the online program may need a better preparation to be well designed to enhance students' motivation and to raise their engagement with content since it is a new experience in the language centre at Yarmouk University. Another point to be added is that such a program lacks the social part such as group projects and open discussion forums among students themselves or between them and their instructors. It should also be mentioned that learning a language is essentially based on communication. However, most students are not competent enough in using such new technological methods in studying in general. Besides, learning English is a challenging subject for students since they do not practice it outside classrooms in real situations. Therefore, students face many difficulties while learning English and this goes in line with Hijazi (2012) who asserted that students are weak in English in general due to difficulties related to the content and to the students themselves. In conclusion, students and instructors in a context where English is taught as a foreign language (EFL) may face challenges that prevent recruiting the maximum advantages of online learning.

However, the researchers noticed that the grades of the experimental group on the final exam were better than their grades on the mid one which may indicate that the students are getting used to the new method of teaching; so, they may get better results in the future.

Finally, the results of this study are in line with the results of some studies in the related literature and support them such as the studies of McFarland and Hamilton (2016) and Ni (2013) since all of these studies asserted that there is no difference in students' achievement due to the way of teaching whether electronically or traditionally.

## Conclusion

Online learning is considered as one of the current major trends that represents the use of technology for educational purposes. Concerning its effectiveness and its impact on students' achievement, the results of this study revealed that it is not significantly different from traditional way of learning. In fact, both teaching methods have their merits and demerits. However, the researchers encourage the use of online learning in Jordanian universities because of its cost-effectiveness from the economical perspective. In fact, educational institutions need to cope with the world of technology and to adopt

**Variables of the study**

1. Independent variable:
   - Teaching methods:
     a. Online instruction
     b. Face –to- face instruction
2. Dependent variable:
   - Students' achievement in the two tests

**Procedures of the study**

In order to achieve the purpose of the study, the following procedures were used:

- Determining the purpose of the study
- Using the results of both the mid and the final achievement tests
- Conducting the statistical analysis and finding out the means, standard deviations and the T- test to find out the effect of online learning on students' achievements.

**Results and Discussion**

This study aims at investigating the effect of online learning on the achievement of the students of the English language (101) compared to the traditional method.

To find out whether there are statistically significant differences in the mean scores due to the method of teaching, T-test analysis was used and the results are shown in Table (2).

**Table (2):** T-Test results of students' grades related to the method of teaching

| | GROUP | N | Mean | Std. Deviation | T | df | Sig. (2-tailed) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 2nd | Control | 44 | 17.09 | 4.136 | -1.487 | 86 | .141 |
| | Experimental | 44 | 19.30 | 8.925 | | | |
| Final | Control | 44 | 26.73 | 10.513 | -.331 | 86 | .742 |
| | Experimental | 44 | 27.50 | 11.382 | | | |
| Total | Control | 44 | 43.82 | 11.962 | -.893 | 86 | .374 |
| | Experimental | 44 | 46.80 | 18.604 | | | |

Table (2) shows that there are no statistically significant differences at ($\alpha$= 0.05) in students' grades due to the method of teaching (online learning/ traditional) neither on the mid exam nor on the final one. The T-value for the mid exam for both groups was (-1.487) and (Pr=0. 141), while the T- value for

**Table 1:** Distribution of the sample of the study

| Group Number |
|---|
| Experimental 44 |
| Control 44 |
| Total 88 |

**Instrument of the study**

To achieve the objectives of the study, the researchers applied two achievement tests on the students during the semester. The first test (40 items) was a mid -term test and it was out of 40 while the second one (40 items) was a final test and it was out of 50.The two tests consisted of multiple-choice items that measured reading, grammar and vocabulary. These items were chosen randomly from the questions' bank prepared previously by a qualified and experienced group of instructors at the Language Center. The total mark of the two tests was 90. The participation mark which was out of 10 was excluded for the purpose of the study. Students who got a mark of 45 or more passed the course; otherwise, they failed.

**Validity of the two achievement tests**

For the purpose of validating the two achievement tests, a group of specialized referees were kindly asked to judge whether the items were enough, appropriate and in line with the purpose of the study. The researchers made some modifications in response to the referees' suggestions.

**Reliability of the mid – term test**

The reliability of the mid – term test was measured by applying

Kuder Richardson formula (KR-20) and it was (0. 74). Also, the test was administered on a pilot sample consisting of 27 students from outside the sample of the study. Discrimination coefficient was computed and it was between (0.50 - 0.87) and difficulty coefficient was computed too and it was between (0. 44-0.66).These percentages are considered acceptable for the purpose of the study.

**Reliability of the final test**

The reliability of the final test was measured by applying Kuder Richardson formula (KR-20) and it was (0. 74). Also, the test was administered on a pilot sample consisting of 27 students from outside the sample of the study. Discrimination coefficient was computed and it was between (0.50 - 0.87) and difficulty coefficient was computed too and it was between (0. 39- 0.71).These percentages are considered acceptable for the purpose of the study**.**

classroom. The researcher prepared software and tested it. The program was special for sounds of the English language and covered 42 Audio clips in the language. The study tested this program through teaching it to 60 students (two sections in the kindergarten stage, 30 students in each section). The results of the study clearly supported the value of teaching face –to –face alongside computer-assistance in modern classrooms.

Besides, Guy and Lownes –Jackson (2015) conducted a study to examine if students studying via a computer-based instructional simulation whether in hybrid or fully online environments learned more efficiently than traditional classroom learners. A casual-comparative design was used for this study. 281 undergraduate business students participated in a 200-level microcomputer application course comprised the population of the study. The outcomes supported the earlier studies in terms of that computer simulations are most helpful when used as an adjunct to face-to-face lectures and in hybrid situations.

Finally, the researchers noticed that the issue of online education is controversial since studies of the literature review showed contradictions concerning the effectiveness of using online instruction in the classroom instead of traditional one. In fact, few studies were conducted to find out whether the online learning is effective in teaching English especially when it is taught as a foreign language. However, Jordanian students' needs and difficulties in learning English are of critical importance and should be taken into consideration since the main focus nowadays is on the learner - centered approach. As a result, this study investigates the effectiveness of using online learning in the classroom and tries to find out if it is one of the modern ways that can be used to overcome students' weakness in English.

## Methods and Procedures

### Design of the study

The researchers have used the experimental method through applying the instrument of the study on two groups of Yarmouk University Eng 101 students.

### Population and sample of the study:

The population of the study consisted of 290 students studying at Yarmouk University in the first semester of the academic year 2016/2017. They were distributed in six Eng 101 classes (150 in three online classes and 140 in three face – to- face classes) Out of these, two classes were selected randomly: one class was taught via online instruction (44 students who represent the experimental group) while the other class was taught via face – to –face instruction (44 students who represent the control group). Table (1) shows the distribution of the sample.

differences in students' achievement due to the way of teaching whether by using online instruction or traditional one

However, Lim et al (2008) investigated the effects of three different ways of instructional delivery (online method, traditional face-to-face method, and a combination of both of them) on students' achievement in wellness at a Midwestern university. The sample of the study consisted of 153 (71 males and 82 females). A one-way ANOVA and Post hoc Scheffé multiple comparisons were used to compare the upshots of the three different methods of instructional delivery on students' levels of achievement and satisfaction. The findings showed that students in the online learning group and the combined one had statistically significant higher levels of achievement than students in the traditional one ($p<.01$). Students in the combined learning group had significant higher satisfaction levels with their total learning experience than students in the traditional learning group ($p<.05$). However, there were no significant differences found between the online learning and traditional learning groups. Most students expressed their preference to see an online alternative when registering for the course in the future. These outcomes recommended that a well-prepared online course and a web enhanced residential course can be advantageous in teaching.

Other investigators found negative effects of online education; in addition, students in the online medium of instruction were less convinced. (McAlister, Rivera and Hallam, 2001).However, some researchers asserted the positive effects of online learning. Schacter (1999) analyzed a five large scale studies on online learning.The sample consisted of fourth and eighth grade students who represent the entire state of West Virginia. The results indicated positive effects of using technology in education.

Also, Zhang (2005) conducted two experiments to assess online learning versus the traditional one. 155 undergraduate students took part in the experiments (104 students for one experiment and 51 for the other one).The instrument of this study was based on LBA system (Learning by Asking) which represents an interactive multimedia-based e-learning system (Fully interactive LBA and less interactive LBA). The results revealed that the group of online courses accomplished better performance and higher levels of satisfaction than that of the traditional classroom.

In addition, many researchers encouraged the use of online learning alongside the traditional face –to –face instruction (blended learning).They studied the positive effects of using such method of teaching rather than using online learning alone. Nuno (2005), for example, investigated if computer-aided teaching is an effective tool in the teaching of reading and writing skills in the

concerning the new experience to improve it overtime. Besides, it may contribute to more efficient online courses since the results of this study may reveal their points of weakness or strength. Furthermore, this study sheds light on the real effect of online learning on students' achievement in English. So, the results may enrich the area of online learning in general.

**Limitations of the Study**

The generalization of the results of this study is limited to English 101 online course. Also, it is limited to Yarmouk University students studying English 101 online course at the first semester of the academic year 2016/2017.

**Literature Review**

Despite the fact that there is a need for online learning in higher education especially at the university level, many studies (such as Kumar and Kumar, 2013.,Robova, 2013.,Bulic and Jelaska, 2017 and others) have been carried out to investigate online learning in different areas. However, few studies were conducted in the areas of teaching the English language neglecting that English is the language of communication. Unfortunately, the findings of the existing number of papers that have compared the efficacy of online learning to traditional face-to-face one have obviously contradicted each other since some of the published studies showed no differences in students' achievement whether their courses were taken online or traditionally. However, others showed advantages for using both online learning and traditional learning together (Blended learning).

McFarland and Hamilton (2016) conducted a study to investigate the successfulness of online learning as compared to traditional one. The sample consisted of senior-level undergraduate MIS students who were enrolled in an E-Business course. The results showed that there are no differences in students' achievement between those who studied online courses and others who studied the traditional way.The researchers recommended using different new methods to enhance students' performance and satisfaction in online courses.

Besides, Ni (2013) conducted a study to compare students' achievement in both online and traditional ways of teaching in public administration classes. The sample of the study consisted of 152 students. 81 in three online classes and 71 in three face – to- face classes. All of them were taught by the same instructor in the MPA program at the California State University–San Bernardino. The university offers a fully online program that parallels the traditional MPA program. He proved that students' achievement as measured by grades is independent of the medium of instruction which means that there were no

The main aim of online learning which is a new alternative is to get along with the objectives of Jordan's General Education Plan:"To produce graduates with the skills and competencies required to participate in the modern world in the 21st century" (Ministry of Education, 2003).Thus, the researchers will discuss in this paper the effectiveness of online learning and its effect on students' achievement in English as compared to the traditional way of teaching (face- to- face learning) to find out if online learning deserves to be applied at educational institutions or not.

**Statement of the Problem**

Jordanian students, in general, and at Yarmouk University, in particular, are weak in English and they find difficulty in learning it. Thus, the administration of Yarmouk University decided to apply online learning as a new method for teaching English courses looking forward to improving the quality of learning. The language center is experiencing a new challenge and intending to integrate computer in the teaching- learning process. As a result, an urgent need arises to study the effect of online learning on students' achievement in English as compared to face -to-face learning (traditional classes). However, the researchers are instructors of English at the language center at Yarmouk University; so, they are interested to conduct this study to find out the effectiveness of online learning and to evaluate the new experience since many researchers such as Russell (1999) indicated that the use of technology does not impact the learning process for the better or for the worse.

**Question of the Study**

This paper attempts to answer the following question:

What is the effect of online learning on students' achievement in English 101 at Yarmouk University?

**Purpose of the Study**

This study tries to find out the effect of online learning on students' achievement in English 101 at Yarmouk University.

**Importance of the Study**

The significance of this study may stem from the fact that it is the first of its kind at Yarmouk University. Online learning is applied for the first time in the language center. Therefore, the findings can be used as a reference for other researchers to investigate the problem of this study in other Jordanian Universities and to conduct further research. Also, this study may contribute to the educational knowledge base of those who are engaged in the process of designing online courses since the results may help in gaining clear insights

students may feel isolated or frustrated since it is difficult to build relationships and social interactions with their classmates (Hara and Kling, 2000) and their interest in the subject may be not high enough (Maki and Maki,2002).

Online classes are flexible since students can study and do homework on their own schedule and at their own space.They are not limited by a certain time (Evans and Fan, 2002)). Also, online learning provides students with more opportunities to re-watch recorded lectures, repeat exercises and take their time to master concepts. Thus, it is better for those who need more time to understand the material. Besides, online learning can decrease pressure on university facilities by freeing up classrooms. Furthermore, it provides opportunities to learn new technologies and helps students to use the internet a lot (O'Donoghue,O'Neill and Singh, 2004).In addition, online learning encourages creative teaching since it may enhance students' critical thinking abilities and self –direction (Mandernach, Mason, Forrest, and Hackathorn, 2012). Moreover, it is helpful to those shy students who often feel anxious to express their opinions in front of their peers or instructors.

Since online learning is a new experience at Yarmouk University, it is important to mention that a large number of Yarmouk university students live in villages. So, they have limited experience and sometimes no access to computers and internet. Besides, most of them are weak in English so that they may struggle using online courses while they are learning. Also, some Yarmouk university instructors (including the researchers of this study) face technical problems since they lack training courses on how to use technological tools.

Face –to –face classes can enable students to have immediate feedback whether its source is from their own peers or from their instructors. Students may have better opportunities to engage in discussions and dialogues with their peers and receive immediate answers for their questions or concerns (Serlin, 2005). Besides, face –to-face classes give students a sense of structure since the time of the class is considered as a routine part of their schedule. Also, the four skills of language are better performed in face-to-face classes. The great emphasis in online learning is on listening since students can read directly in front of their instructors who may train their students on adopting the appropriate strategies of reading comprehension and may contact with them verbally to empower their speaking skill. Face-to face classes at Yarmouk University have a large number of students in every class and the class time is limited; so, large class challenges and time challenges may affect students' learning in traditional classes since those who need extra time to understand certain concepts may be left behind. Also, some students who work at part- time or full-time jobs may find difficulties to attend everyday classes; so, online learning gives them a chance to study and work as well.

learning it and their achievement is somehow poor and weak (Hijazi, 2012). The Jordanian government recognized this fact. Thus, policy makers tried their best and made a lot of efforts to improve Jordanian students' level in English. Nowadays, one of the emerged changes that is used to improve the quality of learning is the growth and spread of online learning at educational institutions. Yarmouk University is an example of such institutions in which online learning is started to be applied.

One of the centers at Yarmouk University is the language center which was established in 1979.It serves more than six thousand students from various majors every semester (Yarmouk University Online Site, 2016). It is responsible for teaching two compulsory EFL courses. One is a remedial course (99) for all newly enrolled students who fail the placement test and the other is a more advanced course (101) for students who pass the placement test. For the first time and in the first semester of the academic year 2016, Yarmouk university has experienced a new challenge since parts of 101 classes use a new series entitled (Cutting Edge) via online method. These classes are considered as an experimental group. On the other hand, other classes are taught the same series using the traditional way of teaching which is face –to –face learning. These classes are considered as the control group.

Face –to –face learning refers to "traditional classes where instructors meet and teach their students in the classroom or another in-person setting "(University of Washington, 2013). On the other hand, online learning has different programs that apply the internet services inside school contexts and outside them in order to enable students to obtain an appropriate access to the instructional materials (Bakia et al, 2011). It can be totally online or mixed with face-to-face interactions. Picciano and Seaman (2009) defined total online learning as a kind of distance education since all the instructions and assessments are executed using the internet.Graham (2006) and Watson et al (2010) said that blended learning (hybrid learning) permits students to get instructions through face-to-face and online means. However, Yarmouk University is experiencing a fully online learning not a blended one since there isn't any face-to –face interaction between the instructors and the students.

Students' needs, perceptions and learning outcomes are the ultimate goals of any educational process. Learning environment and the way of teaching affect learning outcomes. Therefore, it is crucial to raise a question concerning the efficiency of online learning in comparison with traditional classroom learning (Ni, 2013). A fundamental element of classroom learning is the organized and enlightening interactions between the students and their peers and between the students and the instructors because learners can gain a feeling of community and trust (Davies and Graff,2005).Some researchers said that in online learning,

The Arab Journal For Arts Vol. 15 No.2, 2018, pp. 859- 874

# The Effect of Online Learning on Students' Achievement in English: a Comparative Study

**Nadia Mosa Al-Diab, Dima Ali Hijazi** and **Amal Shehadeh AlNatour***

**Received Date:** March. 4, 2018 **accepted Date:** June 21, 2018

## Abstract

The purpose of this study is to find out the effect of online learning on students' achievement in English intermediate course (101). The study sample consisted of 88 English (101) students studying at Yarmouk University in the first semester of the academic year 2016/2017(44 in the control group and 44 in the experimental one). To accomplish the aim of the study, the researchers used two achievement tests (the mid and final tests).The results revealed that there are no statistically significant differences in students' achievement due to the method of teaching (online or traditional ways of teaching).The researchers recommended encouraging students to use new technological methods in learning. Moreover, more studies are needed to find out the difficulties that students may encounter while learning English using online methods of teaching and to investigate if there are any statistically significant differences in students' achievements using online learning due to gender and college.

**Keywords:** Online learning, Traditional way of teaching, Blended learning, Achievement.

## Introduction

English is essential in interactions among nations. It is one of the most common languages in the world. It is the language of globalization. Since communication is the ultimate goal in the age of technology, learning English becomes a necessity and a basic requirement in any educational institution. Learning English is a great challenge; however, it plays a vigorous role for the future development of societies since it can create great opportunities and better chances for living.

In Jordan, English is taught as a foreign language for many reasons such as enabling students to master an international channel of communication and to cope with the world of technology and change. However, Jordanian students consider English a difficult subject to be learnt.They face many difficulties while

© **Copyright 2017 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved**

* Language Center, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Searle, J. (1975). A taxonomy of illocutionary acts. In K. Gunderson (Ed.), *Language, Mind andKnowledge* (pp. 344-369). Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Shcneer, J. (2010). *The Balfour Declaration: The Origins of the Arab-Israeli Conflict*. New York: Random House.

Tessler, M. (1994). *A history of the Israeli-Palestinian conflict*. Indianapolis: Indiana University Press.

Venuti, L. (2012). *The translation studies reader*. London and New York: Routledge.

Venuti, L. (1995). *The translator's invisibility: A history of translation*. London: Routledge.

Wurmser, M. (2000, Summer). Africa & the Middle East [Review of the book *Palestine: A Twice Promised Land? The British, the Arabs and Zionism, 1915–1920, Volume I*, M. Wurmser ]. History: Reviews of New Books, 28(4), 179.

**References**

Abu Nimah, H. (2017, October 31). The 'ominous' Balfour Declaration. *The Jordan Times*. Retrieved from http://www.jordantimes.com/opinion/hasan-abu-nimah/ominous%E2%80%99-balfour-declaration

Austin, J. (1962). *How to do things with words*. Cambridge (Mass.): Harvard University Press.

Ben-David, Y. & Pollack, S. (2017). Learning to Think Historically through a Conflict-Based Biethnic Collaborative Learning Environment. In M. J. Bellino & J. H. Williams (Eds.), *(Re)Constructing memory: Education, identity, and conflict* (pp. 209-237). Rotterdam: Sense Publishers.

Black, E. (2006). *Pragmatic stylistics*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Black, I. (2017). *Enemies and neighbours: Arabs and Jews in Palestine and Israel, 1917-2017*. London: Penguin Book Ltd.

Blight, A. (2004). Palestinian and Jordanian views of the Balfour Declaration. In N. Yavari, L. G. Potter & J. R. Oppenheim (Eds.), *Views from the edge: Essays in honor of Richard W. Bulliet* (pp. 19-26). New York: Columbia University Press.

Darwish, I. (2010). Pre-Peace and Post-Peace Referring in Jordanian Journalistic Arabic. *Names*, 58(4), 191-196.

Evri, Y. (2016). Translating the Arab-Jewish tradition: From Andalus to Palestine/land of the Israel. *Forum Transregionale Studien,* 1, 1-39.

Ismail, N. (1997). *The story's horizon is death: The Palestinian short Story as minor writing* (Unpublished master dissertation). University of Western Ontario, Ontario.

Khulusi, S. (2005). Ma'ruf Al-Rusafi in Jerusalem. *Journal of Palestine Studies*, 22 (23), 63-68.

Munday, J. (2001). *Introducing translation studies: Theories and applications*. London: Routledge.

Nord, C. (1997). *Translating as a purposeful Activity: Functionalist approaches explained*. Manchester: St Jerome.

Pfeffer, A. (2017, November 6). Enemies and neighbours: Arabs and Jews in Palestine and Israel, 1917-2017 – review. *The Guardian*. Retrieved from: https://www.theguardian.com/books/2017/nov/06/enemies-and-neighbours-arabs-and-jews-in-palestine-and-israel-1917-2017-review

Rydelnik, M. (2007). *Understanding the Arab-Israeli conflict: What the headlines haven't told you*. Chicago: Moody Publishers.

Said, E. (1992). *The question of Palestine*. New York: Vintage.

# تسييس الترجمة: تأويلات الإيديولوجيا في ترجمة بلفور 1917

**إبراهيم درويش وبلال الصياحين**، قسم الترجمة، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

**ملخص**

حاولت الدراسة البحث في المصطلحات التي تم استخدامها للإشارة إلى بلفور 1917 باللغتين العربية والإنجليزية. أعد الباحثان قائمة تشمل عناوين الكتب التي تناقش بلفور 1917 وقاما بتحليلها كمًا ونوعًا. وأشارت النتائج إلى تباين واضح في الإشارة إلى بلفور 1917 بين عناوين الكتب المنشورة باللغة العربية وتلك المنشورة باللغة الإنجليزية؛ فمعظم الكتب المنشورة باللغة العربية استخدمت كلمة ''وعد'' بينما معظم الكتب المنشورة باللغة الإنجليزية استخدمت كلمة ''تصريح'' للإشارة إلى بلفور 1917. وقد بين الباحثان بالاعتماد على تحليل ''الأفعال اللغوية'' أن الإشارة إلى بلفور1917 تتعدّى الترجمة الحرفية لمعنى المصطلح باللغة الإنجليزية ليتضمن دوافع فكرية وسياسية بحتة. وتؤكد نتائج هذا البحث أن عملية الترجمة لا تنطوي على البعد اللغوي حسب، بل تتعداه إلى المحاور التاريخية والفكرية للمترجم والنص. حيث إن تصميم العرب على استخدام مصطلح ''وعد'' يساعدهم على كشف الإلتزام البريطاني المبطن بإقامة دولة يهودية في فلسطين. وعلى ذلك فإن للترجمة دورًا بالغ الأهمية، ليس فقط في ''نقل المصطلحات من لغة إلى أخرى'' (إيفري، 2016، 31-30) بل في تغييرها لدوافع لغوية واجتماعية وإيديولوجية متنوعة (انظر فنوتي 1995).

**كلمات مفتاحية:** بلفور 1917، ترجمة، تصريح، وعد، إيديولوجيا.

unique form of speech act, in that their successful performance depends upon the status of the speaker, and the precise circumstances surrounding the event (Black, 2006, p. 22).

In 1917 and after the Balfour document went public, the main point of contention between the Arabs on the one hand, and the West and Israelis, on the other, was whether the British were committed to establishing a Jewish state in Palestine or not (Blight, 2004). While the Israelis and the West saw Balfour as a unilateral 'declaration' by the British "without intention of implementing its content" (Blight, 2004, p. 20), the Arabs understood Balfour as a 'promise' with future commitment by the British to establish a Jewish state in Palestine. In other words, by labelling the event as a 'promise', the Arabs wanted to tell the world that they understood the covert intentions of the British and the Zionists. The West and the Israelis labelled it as a 'declaration' to mitigate its future political and social consequences on the Arab people of Palestine. Ben-David and Pollack (2017) rightly state that the different terminology used by the Arabs and the Israelis to refer to Balfour 1917 encapsulates "different viewpoints on the British act and commitment for the future" (p. 213).

Finally, the explanation for the usage of the terms with negative connotations to refer to the event in the English book titles, such as 'burden' (2%), 'conspiracy' (2%), and 'shadow' (2%) can be referred to the ideological and political views of the authors of these books. This aspect is beyond the scope of this study as a paratextual analysis is needed to identify the ideological backgrounds of these authors.

## Conclusion

Using different terms to refer to the same historical event, i.e., Balfour 1917 has many linguistic, social and political implications. Ever since the letter sent from Lord Arthur Balfour, the British Foreign Secretary, to Lord Rothschild, the leader of British Jewry, have gone public, the West and the Israelis have tried to mitigate the social and political consequences inflicted on the Arab population of Palestine by labelling the event a 'declaration', i.e., an announcement with no British commitment to implement its content. The Arabs, on the other hand, thought that they have understood clearly what it really meant and what the British were committed to establishing for the Zionists; therefore, they insisted on labelling it 'promise'. In addition, the Arabs frequently premodify the term 'promise' by the adjective 'ominous' which means "Giving the worrying impression that something bad is going to happen" (Oxford Dictionary). Moreover, they sometimes postmodify by adding a description after the word 'promise' that reads: a 'promise' by the British to the Zionists to give them a land they did not own!

**Table 2:** The English terminology used to refer to Balfour 1917

| Reference in the title | Frequency of occurrence | Percentage |
|---|---|---|
| Declaration | 38 | 76% |
| Balfour | 7 | 14% |
| Burden | 1 | 2% |
| Conspiracy | 1 | 2% |
| 1917 | 1 | 2% |
| Promise | 1 | 2% |
| Shadow | 1 | 2% |
| **Total** | 50 | 100% |

In order to understand why English and Arabic book titles differ in referring to Balfour 1917, both linguistic and non-linguistic analyses are necessary. Since the terms 'declaration' and 'promise' are two speech acts with different illocutionary forces, a speech act analysis at this point is vital. Before we indulge into analysing the terms within Speech Act theory, a brief introduction of the theory is in order.

Austin's (1962) Speech Act theory is rooted in the assumption that "to say something is to do something" (Austin, 1962, p. 12). He argues that some speech acts cannot be judged on the basis of their truth or falsity but have performative properties. Austin (1962, p. 13) avers that when a bride utters 'I do' in a marriage ceremony, she does not merely 'say'; in fact, she does commit herself to marrying the groom; i.e., she 'does' an act. Austin (1962) divides the speech actions into three main acts: locutionary, illocutionary and perlocutionary. The first refers to merely uttering the words, the second refers to the speaker's intended meaning and the third refers to the effect of the utterance on the interlocutors. Searle (1975) further divides the illocutionary act into five different categories:

1. Representatives or assertives: they include assertions, conclusions, statements, complaints and claims.
2. Expressives: they include thanks, apologies, congratulations, condolences and exclamations.
3. Directives: they include requests, questions, advice, commands and orders.
4. Commissives: they include promises, threats and vows.
5. Declarations: they include declarations, resignations, sackings, marriages, christenings and criminal sentences.

Searle's classification is helpful in explaining why Arabs most frequently refer to Balfour 1917 as a 'promise' rather than a 'declaration'. Promising and vowing are 'commisive' speech acts that "commit the speaker to some future course of action" (Balck, 2006, p. 22). Declarations, on the other hand, are "a

demonstrate that translators translate for a specific purpose; this purpose is governed by the target readership and the place and time of disseminating the translation. In the context at hand, translators who adopted *waʕd* 'promise' and/or *muʔāmara* 'conspiracy' to translate the English source 'declaration' did consider Arabs as their target readership. This target readership who backs the Palestinian cause and rejects Balfour 1917 will, of course, welcome the suggested two translations *waʕd* 'promise' and *muʔāmara* 'conspiracy' as they suit their ideological expectations.

A small number of Arabic writers use synonymous terms with 'promise' as four writers (5.5%) refer to Balfour as *ʕahd* 'vow'. One of the writers employs the general term *waθīqa* 'document' to refer to the event in question. To a certain degree, the terms *ʕahd* 'vow' and *waʕd* 'promise' are synonymous and entail the same linguistic consequences; therefore, they can be merged into one that comprises (66%) of all occurrences. Similarly, *waθīqa* 'document' can merge with *Bilfōr* 'Balfour' as two neutral terms comprising (16%) of all occurrences.

It is noteworthy to mention that this whole game of naming and referring is a reflection of a bigger notion that has marked the Arab ideology towards the West and the Israelis, i.e., the conspiracy theory. Within this notion of 'conspiracy', the Arabs, in general, and the Palestinians, in particular, doubt almost all Western words and/or acts in relation to the Arab-Israeli conflict. The Arabs have always believed that the Jews have conspired with the West to usurp the land of Palestine. This alleged Western favourism of the Jews has influenced Arab political, social and linguistic behavior during the last few decades; the declaration/promise chasm is no exception.

**English book titles**

This section deals with the English book titles referring to Balfour 1917. In English the document under investigation is called 'Balfour Declaration'; therefore, it is expected that most of the English book titles will have the exact terminology, i.e., 'declaration' in referring to Balfour 1917. Indeed, as table 2 shows, the term 'declaration' is the most frequent term (76%) used to refer to Balfour 1917 in the English book titles. However, some writers use neutral terms to refer to the event, such as 'Balfour' (14%) and 1917 (2%). The most frequent term in the Arabic book titles, i.e., 'promise', occurs only once in the English book titles (2%). Surprisingly, a number of terms with negative connotations are used to refer to the event in the English book titles, such as 'burden' (2%), 'conspiracy' (2%), and 'shadow' (2%). The English terms used to refer to Balfour 1917 in the collected corpus of English book titles are presented in table 2.

**Table 1:** The Arabic terminology used to refer to Balfour 1917

| Reference in the titles | Frequency of occurrence | Percentage |
|---|---|---|
| *waʕd* 'promise' | 45 | 61% |
| *Bilfōr* 'Balfour' | 11 | 15% |
| *taṣrīḥ* 'Declaration' | 7 | 9.5% |
| *muʔāmara* 'conspiracy' | 6 | 8% |
| *ʕahd* 'vow' | 4 | 5.5% |
| *waθīqa* 'document' | 1 | 1% |
| **Total** | 74 | 11% |

Most of the writers (61%) of the Arabic books prefer to use the term *waʕd* 'promise' in their titles instead of the direct translation *taṣrīḥ* 'declaration'. Some writers (15%) detach themselves from the declaration/promise chasm via deleting the second part of the noun phrase and keeping only the first, i.e., *Bilfōr* 'Balfour'. The direct term *taṣrīḥ* 'declaration' was only used seven times (9.5%) in the Arabic book titles. A few writers chose to refer to Balfour Declaration by description voicing their opinions and feelings as they described it as *muʔāmara* 'conspiracy'. Translating the English source 'declaration' into Arabic as *muʔāmara* 'conspiracy' or *waʕd* 'promise' can be seen as an act of resistance by the translators. This resistance is manifested by the act of condemning Balfour 1917 by using *muʔāmara* 'conspiracy'. It goes without saying that the word conveys negative connotations as well as denotations. The act of resistance is also predicted in using *waʕd* 'promise' to translate the English source 'declaration'. The term *waʕd* 'promise' suggests that Arabs accuse the British government of promising the Jews and thus supporting them in establishing their national home in the Palestinian land. Tymoczko (2010) in her forward to "Translation, Resistance, Activism" builds on Venuti's calls to consider translation as a mode of resistance. She emphasises that translation and translation movements play an important role in shaping and changing societies and "have participated in ideological and political dialogue and struggle in their own times and places" (p. 1). In other words, "[m]ore than merely linguistic transposition, translation is a vector of power, resistance, rebellion, and even revolution." (Tymoczko, 2010, p.1).

Using *waʕd* 'promise' and/or *muʔāmara* 'conspiracy' to translate the English source 'declaration' deviates from the faithful translation of the English source 'declaration', i.e., it does not respect the referential meaning (dictionary meaning) of the source. Functionalist approaches to translation can further explain these usages to refer to Balfour 1917 by some translators and writers. First, it is crucial to explain that the core focus of the functionalist approaches to translation is the purpose of the translation. These approaches consider translation as a purposeful activity (Nord, 1997). That is to say, these approaches

## Data Analysis

The Arabic and English titles were studied thoroughly and classified into categories carrying the reference to Balfour 1917 and the frequency of occurrence. Further quantitative analysis was carried out to pinpoint the significance of the frequency of occurrence of certain key terms in the book titles referring to Balfour 1917. In addition, a meticulous qualitative analysis was performed to determine the historical, social, religious, political and ideological significance of various terms to refer to Balfour 1917 in book titles.

## Questions of the study

This study intends to find answers for the following questions:

1. What Arabic terms did Arab writers utilise to refer to Balfour 1917 in their book titles and what is the frequency of each term?
2. What English terms did English writers utilise to refer to Balfour 1917 in their book titles and what is the frequency of each term?
3. Are there any political and ideological reasons behind the terminology used to refer to Balfour 1917 in Arabic and English?

## Results and discussion

This section is twofold: the first discusses the Arabic titles and the second discusses the English titles used to refer to Balfour 1917. The linguistic, political and ideological implications associated with the different terminologies are also discussed.

## Arabic book titles

This section tackles the Arabic book titles referring to Balfour 1917. As mentioned previously the reference in Arabic to Balfour 1917 is not a straightforward translation of the English source text, i.e., the word ‘declaration’ has been avoided in Arabic in favour of other terms due to some ideological and political reasons. The majority of Arab writers tend to use terms other than ‘declaration’ in an attempt to voice their viewpoints on the event itself. The Arabic terms used to refer to Balfour 1917 in the collected corpus of Arabic book titles are classified and analysed in table 1.

to as 'Israel' but as *al-ʕadū* 'the enemy', *al-ʕadū aṣ-ṣuhyūni* 'the Zionist enemy', *al-kayān aṣ-ṣuhyūni* 'the Zionist entity', *al-kayān al-ɣāṣib* 'the usurping entity' and *ad-dawla al-yahūdiyya ad-daxīla* 'the alien Jewish state'. Conversely, in the post-peace treaty period the terminology shifted towards a more natural or positive one. New terms that recognise the existence of Israel started to be used, such as *isrāʔīl* 'Israel', *dawlat isrāʔīl* 'the State of Israel', *ad-dawla al-ʕibriyya* 'the Hebrew state' and *al-jānib al-isrāʔīli* 'the Israeli side'. However, as a recent sample from al-Rai Jordanian daily reveals, the terminology seems to shift back to a hostile one whenever a clash between the Palestinians and the Israelis occurs.

Blight (2004) argues that although the careful wording of Balfour Declaration does not blatantly declare the creation of a Jewish state in Palestine, both the Israelis and the Palestinians underlyingly agree that it was the cornerstone in establishing the State of Israel. However, Blight explains, both sides label the 'declaration' differently. The West and Israel label it as 'Balfour Declaration' whereas the Arabs and Palestinians label it *waʕd Bilfōr* 'Balfour Promise'. The linguistic distinction between the two terms is obvious: "typically, a declaration refers to a unilateral move, sometimes without intention of implementing its content. A promise, on the other hand, involves commitment" (p. 20).

Ben-David and Pollack (2017) remark that Balfour Declaration is an event that "demonstrates how Jews and Arabs use different social language to refer to their history, to the extent that different terms are used for the document issued by Balfour" (p. 213). To the Jews, it is a 'declaration', but for the Arabs, it is a 'promise'. This difference in using terminology to refer to the same historical event encapsulates "different viewpoints on the British act and commitment for the future" (p. 213).

**Methods**

The researchers compiled a comparable bilingual corpus of Arabic and English book titles (paper and online) referring to Balfour 1917. Comparable bilingual corpora are "normally specialized collections of similar STs in the two languages and which can be 'mined' for terminology and other equivalences (Munday, 2001, p. 181).

The Arabic titles were retrieved via a title search of the Arabic term *Bilfōr* 'Balfour' in the Arabic Union Catalogue. The search results displayed 74 book titles. Further, the English titles were retrieved via a title search of the English term 'Balfour' in Amazon.com and Yarmouk University Catalogue (unified search). The search results displayed 50 book titles.

For instance, during the Ottoman rule referring to the aforementioned identities was quite straightforward, i.e., linguistically literal and free from political and ideological loadedness. Early in the 20th century, the term 'Arab' referring to Palestinian Muslims started to appear and after the British Mandate over Palestine the term 'Zionist' started to be used to refer to the Palestinian Jewish population. Black claims that prior to the establishment of the State of Israel in 1948, the term 'Palestinian' was a neutral one and referred to the people of Palestine, i.e., it made no distinction between Arabs and Jews. The terms 'Israel' and 'Israelis' did not appear until after 1948 although the "word 'Jews' (Yahud) continued to be commonly used, especially in colloquial Arabic" (p. 1). The resulting refugees who had to abandon their Palestinian homes were referred to as 'Arabs' in the 1950s and 1960s. On the other hand, those who stayed were referred to as 'Israeli-Arabs' and later as 'Palestinian Israelis'. After Oslo agreement in 1993, Black avers, Israelis started using the term 'Palestinians' to refer to the Muslim and Christian indigenous population of Palestine.

Pfeffer (2017) narrates that in 2015 the translation of one word in the English subtitles for a BBC2 documentary entitled 'Children of the Gaza War' brought a shower of complaints from Jewish and Israel-supporting viewers. In the documentary, one of the interviewed Palestinian children recites a few verses of an Arabic poem that read: *mawṭinun, xawfun, qitālun, wa ḥiṣārun; wal yahūdu yuḍabbiḥūna wa yaqtulūna* 'lit. Homeland, fear, fighting, and siege; and the Jews slaughter and kill'. The BBC2 subtitles read: 'fear, death, and siege; Israel is massacring us'. The essence of the complaints centres on the translation of *yahūd* 'lit. Jews' into 'Israelis'. Like Black (2017), the makers of the documentary argue that most consulted translators agree that Palestinians more often than not refer to Israelis as *yahūd* 'lit. Jews' with no anti-Semitic connotations.

Evri (2016) discusses a lecture given by Abraham Shalom Yahuda in Jerusalem in 1920 which was attended by "Muslim, Christian and Jewish Palestinian intellectuals…[about] the glory days of Arabic culture in al-Andalus" (p. 4). The lecture was controversially received in the Arab world and within the Zionist circles. Al-Rusafi, an Iraqi poet, wrote a poem in support of the lecture in which he says that the Arabs and the Jews are not enemies but cousins (see Khulusi, 2005). Later al-Rusafi "called on his fellow Arabs to differentiate between Judaism and Zionism" (Evri, 2016, p. 10).

Darwish (2010) compares and contrasts between the Arabic terminology used in the Jordanian media to refer to Israel before and after the Peace Treaty between Jordan and Israel in 1994. Interestingly, the study reveals that the pre-peace treaty period has been marked by negative terminology referring to Israel that reflected the state of war between the two countries. Israel is rarely referred

*Foreign Office*

*November 2nd, 1917*

*Dear Lord Rothschild,*

*I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet.*

*His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavors to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country.*

*I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.*

*Yours,*

*Arthur James Balfour*

This letter has ever since been referred to as 'Balfour Declaration' in English and mainly as *waʕd Balfour* 'Balfour Promise' in Arabic. This declaration lead to the establishment of the state of Israel in Palestine in 1948 and marked the roots of the so-called Arab-Israeli conflict. To sum up, while the British promises to the Arabs in the Hussein-McMahon correspondence (1915-1916) were secretly broken in the Sykes-Picot Agreement (1916), they were publicly reversed in the Balfour Declaration (1917). As most British historians agree, Palestine was a twice-promised land, i.e., the British made contradictory promises to both the Arabs and the Jews over the land of Palestine (Meyrav, 2000). As Edward Said (1992) couches it, the Balfour Declaration

*was made (a) by a European power, (b) about a non-European territory, (c) in a flat disregard of both the presence and wishes of the native majority resident in that territory, and (d) it took the form of a promise about this same territory to another foreign group, so that this foreign group might, quite literally, make this territory a national home for the Jewish people.(pp. 15-16)*

**Literature Review**

Black (2017) opens his book with 'A Note on Terminology and Transliteration' on the relationship between Arabs and Jews in Palestine. He rightly points to the fact that the terminology used to refer to Muslims, Christians and Jews in Palestine has dramatically changed from 1917 to 2017.

(Abu Nimah, 2017), whereas realistic voices prefer to refer to it as a 'declaration' with the political affects it carries. Manipulating the term 'declaration' into 'promise' and other similar terms in Arabic takes translation beyond the basic question of loyalty and faithfulness to the original text and poses other questions related to the translator's (in)visibility. The visibility and/or the invisibility of the translator are the results of adopting either domestication or foreignization as translation methods. These two methods were first suggested by the German scholar Friedrich Schleiermacher in 1813. He argues that "[e]ither the translator leaves the author in peace, as much as possible, and moves the reader towards him; or leaves the author in peace, as much as possible, and moves the author toward him" (cited in Venuti, 2012, p. 49). However, using domestication and/or foreignization moves beyond bringing the author to the reader or moving the reader to the author. In other words, adopting either of these two methods, i.e., domesticating and foreignization reflect ideological and political views of the translator, and might also reflect a state of power relations between the source and target languages and thus cultures. All of these ideas and notions are further tackled and examined in greater detail in the following sections.

**Historical Background**

The Ottoman Empire had control over Palestine as early as 1517 and the former remained under the Ottoman rule until the First World War (Schneer, 2010). Prior to 1908, the Jewish immigrants in Palestine were received with relative unease as they were not considered as part of the Zionist Movement (Tessler, 1994; Ismail, 1997). However, posterior to 1908, "the unease turned into full blown anti-Zionism characterized by economic and political considerations" (Ismail, 1997, p. 10). Ironically, both the (Palestinian) Arabs and the (Zionist) Jews living in Palestine during the First World War suffered immensely. They were both arrested and punished by the Ottomans for siding with the Allies. At the same time, both were manipulated by the British (Tessler, 1994). In a series of letters exchanged by Sir Henry McMahon and Sherif Hussein Ibn Ali (1915-1916), the British promised the Arabs an independent Arab State in exchange for the Arabs' revolt against the Ottomans (Rydenik, 2007). However, in 1916, France and Britain secretly agreed to divide the Arab area into zones between them in the Sykes-Picot agreement. They also agreed to place Jerusalem under international control. To complicate things even more, on 2 November 1917, the then British Foreign Secretary, Lord Arthur Balfour, sent a letter to the leader of British Jewry, Lord Rothschild, in which he writes:

The Arab Journal For Arts Vol. 15 No.2, 2018, pp. 845- 857

# The Politics of Translation: Investigating Ideology in Translating Balfour 1917

**Ibrahim Darwish and Bilal Sayaheen***

**Received Date:** Feb. 4, 2018 **accepted Date:** April 17, 2018

## Abstract

This study attempts to investigate the distinctive ways Balfour 1917 is referred to in Arabic and English. The source of data is a compiled comparable bilingual corpus of Arabic and English book titles referring to Balfour 1917. The titles were analysed and classified into categories carrying the reference to the historical event in question. Further quantitative and qualitative analyses were conducted to find out the significance of Balfour terminology. The results show that most of the book titles written in Arabic refer to the event as a 'promise' whereas those written in English refer to it as a 'declaration'. A Speech Act analysis helped clarify the different linguistic and historical connotations attached to both 'promise' and 'declaration'. By using the term 'promise' the Arabs uncover a covert British commitment to establish a Jewish state in Palestine. The study is a manifestation that translation is not a mere "technical act of copying from one language to another" (Evri, 2016, pp. 30-31); it, in fact, implies change and transformation for various linguistic, social and ideological motivations (see Venuti, 1995).

**Keywords:** Balfour 1917, translation, declaration, promise, ideology.

## Introduction

On 2 November 2017 and in a symposium to commemorate the centenary of Balfour Declaration held at Yarmouk University in Jordan, there was a heated debate about whether 'Balfour 1917' was a *taṣrīḥ* 'declaration' or a *waʿd* 'promise'. The fact that the same act was translated into Arabic in different ways poses serious ideological and political questions. It seems that the question of referring to Balfour 1917 goes beyond the linguistic aspects of translation. In other words, the driving force behind translating Balfour 1917 implies ideological and political motivations related to acknowledging and/or denying the act itself. Resisting voices prefer, or it seems, to refer to it as a 'promise' by a colonial power to an illegitimate Zionist entity to establish a 'national home' in a "land that belonged neither to them nor to those who offered them the land"

© **Copyright 2017 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved**

* Department of Translation, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Subscription Form

# Association of Arab Universities Journal for Arts

## A Biannual Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

قسيمة اشتراك

# مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

## مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

Name: ..... الاسم:

Address: ..... العنوان:

P.O. Box:..... ص.ب:

City & Postal Code: ..... المدينة والرمز البريدي:

Country: ..... الدولة:

Phone:..... هاتف:

Fax: ..... فاكس:

E-mail: ..... البريد الإلكتروني:

No. of Copies: ..... عدد النسخ:

Payment: ..... طريقة الدفع:

Signature: ..... التوقيع:

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة

**For** — لمدة

- ☐ One Year — ☐ سنة واحدة
- ☐ Two Years — ☐ سنتان
- ☐ Three Years — ☐ ثلاث سنوات

| سعر النسخة الواحدة (دينار أردني) One Issue Price | | أسعار الاشتراك السنوي One Year Subscription Rates | |
|---|---|---|---|
| | | داخل الأردن Inside Jordan | خارج الأردن Outside Jordan |
| سعر البيع العادي 4 دنانير | Standard Price JD 4 | الأفراد 5 دنانير | 10 دولارات أمريكية |
| سعر البيع للطلبة 2.000 دينارات | Students JD 2.000 | Individuals JD 5 | US $10 |
| خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع | 40% Discount for Bookshops and Libraries | المؤسسات 10 دنانير | 15 دولارًا أمريكيًا |
| | | Institutions JD 10 | US $ 15 |

**Correspondence** — المراسلات

**Subscriptions and Sales:**

**Secretary General**
*The Society of Arab Universities Faculties of Arts*
**Editor – in -Chief**
**Dean of the Faculty of Arts**
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
**Tel** . 00962 2 7211111 Ext. 3555 or 2900
**Fax**. 00962 2 7211137
**Email:** artsarabuni@gmail.com
artsarabuni@yu.edu.jo

**مراسلات البيع والاشتراكات:**

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب
رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب"
عميد كلية الآداب
كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن
هاتف :7211111 2 00962 فرعي 3555، 2900
فاكس : 7211137 2 00962
البريد الإلكتروني : artsarabuni@gmail.com
artsarabuni@yu.edu.jo

## Abstracts of scientific research in Persian


| | | |
|---|---|---|
| * | **Badr Shakir al Sayyab: the Pioneer of Modern Poetry in Contemporary Arabic Literature**<br>Bassam Rababah | 838 |


## Scientific Research in English


| | | |
|---|---|---|
| * | **The Politics of Translation: Investigating Ideology in Translating Balfour 1917**<br>Ibrahim Darwish and Bilal Sayaheen | 845 |
| * | **The Effect of Online Learning on Students' Achievement in English: a Comparative Study**<br>Nadia Mosa Al-Diab, Dima Ali Hijazi and Amal Shehadeh AlNatour | 859 |
| * | **Rhetorical Features of the Ousted Arab Presidents' Speeches: A Discourse Analysis Approach**<br>Mohammad Jarrah | 875 |

# Table of Contents

## Abstracts in English of Arabic Articles


| | | |
|---|---|---|
| * | **The Impact of Rational Governance Indicators on the Jordanian Public Debt 1996-2012**<br>Abdelsalam Enjadat and Omar Khtherat | 442 |
| * | **The Factors Influencing the Professional Performance of Journalists in Jordanian News Websites: A Survey Study**<br>Azzam A. Ananzeh | 480 |
| * | **Archaism between Stability and Transformation**<br>Hanan Al-Amaiereh | 498 |
| * | **The Martyrs of Ajloun District in the Wars of the Balkans and Greece 1914-1918: A Study on Ajlun Sharia Court Records**<br>Ahmad M. Al-Jawarneh and Omar S. Al-omari | 525 |
| * | **Aspects of Social and Economic Life in the Mutsarfiah of Ma'an During Late Nineteenth Century and Early Twentieth Century Ma'an Sharea Court Records 1316-1326H. / 1898-1908 AC. Source**<br>hanan S. Malkawi, Eman Hayajneh, Saffieh Salamin and Reham Amr | 551 |
| * | **The Interaction of Chanting and Listening in Receiving Ancient Arabic Poetry**<br>Saeed H. Hussein | 581 |
| * | **Shifts in Awareness of the Arabic Novel after the "Naksa": Tayseer Sbol and Ghassan Kanafani as Models**<br>Mohamed S. Al-Sauodi | 609 |
| * | **After Migration to the North: Reading in the Biography of Ishraqa Hamid (Danube Knows Me)**<br>Ghassan Ismael Abdelkhaleq | 628 |
| * | **The Sound-Indicator Eloquence of the Forms of the Fourfold Dual-Compounded: In the Poetic Experience of Al-Sayyab**<br>Fayez Al-Qur`Aan | 658 |
| * | **Narrative Techniques and Dimensions of Autobiography: "Al-Tayyib Saleh as a Model": Theoretical and Applied Study**<br>Fayes Salah Athamneh | 680 |
| * | **Killing the Poetic Father: A Reading of Habib Al-Zyoudi's Poetic Experience**<br>Ismail S. Al Mazaidah | 697 |
| * | ***La langue* in the Hadith's Structures in the Light of Optimality Theory: Ibn Malik's Book *(Shawāhid al-Tawḍīh) as a Model***<br>Mohd Nizwan bin Musling | 725 |
| * | **The Communication Activities of the Public Relations Section at King Abdullah University Hospital and its Importance and Impact on the audience**<br>Mohammad H. Salous | 765 |
| * | **The Effect of Aporia Evidence in Syntactical Inference: Analytical Descriptive Study in Grammatical Controversy**<br>Yaha Ababneh | 789 |
| * | **The Conflict over the Kingdom of Murcia and its Effect on the Relationship between the Kingdoms of Aragon and Castile during the Reign of James II of Aragon (1305-1295 AD/ 694-704 H)**<br>Mohammad Almazawdah | 809 |

14. Authors are responsible for financial expenses when deciding to withdraw the manuscript.

15. Authors amend their manuscripts according to the referees' suggestions within a month of being notified of the acceptance.

16. Submissions are compiled according to technical criteria set forth by the Editorial Board.

17. Published manuscripts reflect their authors' perspectives and are neither representative of Association of Arab Universities Journal for Arts nor the Editorial Board.

18. Works Cited:

    1. References in the texts are serially numbered between brackets.

    2. References in the works cited are in the following order:

        The author's full name: reference, part, number, publisher, place of publication, year, page(s).

        Example: Dayf, Shawqi: *The First Abbasid Period*, Dar al-Maarif, Egypt, 1966m p. 24.

    3. In case a periodical or a journal is used, the author's name is run first, and is followed by the periodical and/or journal title, volume, number, year, and page(s). Single pages take p., multiple pages take pp.

        Example: Sa'aydan, Ahmad Saleem: "On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal*, Volume 1. No 2 July 1978, p. 101.

    4. Reference list entries should be alphabetized by the last name of the first author of each work, beginning with Arabic references and is followed by the foreign works.

19. Subscription Information:

    Annual subscription rates in Jordan: Individuals (JD 5.00), institutions (JD 10.00)

    Outside Jordan: Individuals ($ 15), institutions ($ 15.00)

20. Manuscripts are mailed to:

**Secretary General**
The Scientific Society of Arab Universities

**Editor-in-Chief**
Dean of the Faculty of Arts
Yarmouk University, Irbid, Jordan
Tel. 00962 2 7211111 Ext: 3555 or 2900
Fax.00962 2 7211137
Email: *artsarabuni@gmail.com*
Website: *http//artsarabuni.yu.edu.jo*

**Association of Arab Universities Journal for Arts,**

*A Refereed, Biannual, Scholarly Journal,*

*Published by The Scientific Society of Arab Universities, Faculties of Arts*

**Terms and Conditions of Manuscript Submission:**

1. Manuscripts are published in Arabic, English, and French. However, submission in other foreign languages is acceptable with the Editorial Board approval.
2. The Journal publishes manuscripts in the categories of review articles and reports on international conferences and refereed academic seminars.
3. Abstracts of no more than 150 words are submitted in both languages, Arabic and English, and followed by the key words in the manuscript.
4. All submitted manuscripts should be original, comprehensive, logically organized, and thoroughly investigated. The manuscript should be written in simple language and should also be precise.
5. Manuscripts should not have been previously accepted for publication or published somewhere else.
6. All submitted manuscripts are subject to peer review and editorial review.
7. When accepted for publication, submissions become a property of the journal and cannot be reclaimed without the journal's approval.
8. Authors cannot republish their academic works without a written approval from the Editorial Board. In addition, the journal should be notified of the republication .
9. The manuscript is to be sent to artsarabuni@gmail.com. The format of the submitted manuscript must be:
   A. In a word processing format (i.e. MS Word).
   B. Serially numbered.
   C. Double-spaced throughout
   D. Font: Ariel; Font Size: 14-point.
   E. Margins: 2.5 cm. (1 inch).
10. A typical manuscript should not exceed 30 pages including figures, drawings, tables, and appendixes.
11. All authors of a manuscript should include their full names, academic status, and affiliation on the cover page of the manuscript.
12. The Journal preserves its right not to publish any submission and the journal's decisions are decisive.
13. If not accepted, submissions are not returned to their authors.

**Advisory Committee:**

Prof. Barbara Michalak-Pikulska, The Jagiellonian University of Kraków, Poland.

Prof. Mohammad Khan, National Defense University, Pakistan.

Prof. Philip Lan, Rowan University, France.

Prof. Jinling Wang, The University of New South Wales, Australia.

Prof. Olga Galatanu, The University of Nantes, France.

Prof. Maymounah Al-Khalifa Al-Sabah, Kuwait University, Kuwait.

Prof. Kamal Jerfal, The Dean of Faculty of Arts, The University of Sousse, Tunisia.

Prof. Hasan Kateb, The Dean of Faculty of Arts, Université des Fréres Mentouri Constantine 1, Algeria.

Prof. Murad Mawhoob, The Dean of Faculty of Arts, Univeristy of Hasan II, Morocco.

Prof. Mohammad Ahmad Ghoniem, El-Mansoura University, Egypt.

Prof. Abdullah Al-Garni, The Dean of Faculty of Arabic Language, Umm Al-Qura, Saudi Arabia.

Prof. Ahmad Al-Mahmoudi, The Dean of Faculty of Arts, Moulay Ismail University, Morroco.

Prof. Suzan Elkalliny, The Dean of Faculty of Arts, Ain Shams University, Egypt.

Prof. Salah Fleefel Al-Jabri, The Dean of Faculty of Arts, University of Baghdad, Iraq.

Prof. Shukri Al-Almabkhot, Manouba University, Tunisia.

Prof. Ezzeldin Omar Mousa, Naif Arab University for Security Sciences, Saudi Arabia.

Prof. Fuad Shehab, University of Bahrain, Bahrain.

Prof. Abdulaziz Almani, King Saud University, Abdulaziz Almani Chair, Saudi Arabia.

Prof. Adnan Al-Sayed, President of The Lebanese University, Lebanon.

Prof. Abdulsalam Al-Masdi, Tunisia.

Prof. Salah Fadhel, Ain Shams University, Egypt.

Prof. Saed Maslouh, Kuwait University, Kuwait.

Prof. Nehad Al-Mousa, The University of Jordan, Jordan.

Prof. Hasan Sammour, The University of Jordan, Jordan.

Prof. Wafi Salaheddin Haj Majed, Department of Arabic Language, World University, Lebanon.

**Editorial Board**

**Editor-in-Chief:**

**Prof. Ziyad S. Al-Zu'bi**, *Secretary General of The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts, Dean of the Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

**Members:**

***Prof. Suzanne B. Stetkevych,*** *Georgetown University, USA.*

***Prof. Tilman Seidensticker,*** *Friedrich-Schiller-Universität Jena, Germany.*

***Prof. Suaad Abed-Alwahab,*** *The Dean of Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait.*

***Prof. Mohammad Al-Qudah,*** *The Dean of Faculty of Arts, University of Jordan, Jordan.*

***Prof. Alayan Al-Jaloudi,*** *The Dean of Faculty of Arts, Al-Al-Bayt University, Jordan.*

***Prof. Aymen Al-Ahmad,*** *The Dean of Faculty of Arts, Irbid National University, Jordan.*

***Dr. Ghassan Abed-Al-khaleq,*** *The Dean of Faculty of Arts, Philadelphia University, Jordan.*

***Dr. Kholoud Al-Omoush,*** *The Dean of Faculty of Arts, The Hashemite University, Jordan.*

Managing editor: Dr. Khalid Q. Bani Domi

Editor of english languages: Dr. Abdullah M. Dagamseh

Secretariat: Reema Qazaq and Nidaa Baniissa.

© Copyright 2018 by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts
All rights reserved.

No part of this publication may be reproduced without the prior written permission of the Editor-in-Chief.

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not necessarily reflect the opinions of the Editorial Board or the policy of The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts

**Typesetting and Layout**
Majdi Al-Shannaq

*ISSN* 1818-9849

*Association of Arab Universities*

*The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts*

# Association of Arab Universities
## Journal for Arts
### A Biannual Refereed Academic Journal

**Published by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities Members of AARU**

**Vol. 15** **No.2** **October 2018 / Safar 1439 H**